مجلة جامعة ابن رشد

في هولندا

دورية علمية محكّمة تصدر فصليا

العدد الخامس   السعر 10 يورو



مجلة
جامعة ابن رشد في هولندا

دوريّة علمية محكَّمة تصدر فصليّا

عنوان المراسلة

Lorsweg 4, 3771 GH, Barneveld
The Netherlands
Website www.averroesuniversity.org
E-mail ibnrushdmag@averroesuniversity.org
Telefax: 0031342846411

رقم التسجيل في هولندا 08189752 - السجل الضريبي NL242123028B01

البحوث المنشورة يُجري تقويمها أساتذة متخصصون.

ثمن العدد 10 يورو أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي

الاشتراك السنوي	**الأفراد**	**المؤسسات**
لمدة سنة	60	80
لمدة سنتين	110	150
لمدة ثلاث سنوات	160	200

العدد الخامس آذار مارس 2012

الفهرس

لوحات الغلاف للفنان التشكيلي العراقي شمال عادل سليم

مفتتح

في ظروف تتنامى فيها حالات التنافس في توظيف البحث العلمي في الدول المقتدمة وجامعاتها ومراكزها البحثية، نجد بالمقابل وفي كثير من الأحيان حالات من التخلف والهزال في جامعات المنطقة؛ أما نحن، بجامعة ابن رشد في هولندا كونها تمثل جسرا بين الحضارات، فقد اخترنا أن ندخل ميدان النشاط البحثي من أوسع أبوابه. وقد عوَّلنا في ذلك على تفعيل طاقات متخصصينا وأساتذة جامعتنا مع الترحيب بكل الجهود البحثية العلمية الرصينة المتأتية من أروقة جامعات الشرق الأوسط والعاملين فيها من الكوادر العلمية...

ولعلنا اليوم مع انطلاقة عام جديد لصدور أعداد مجلة ابن رشد العلمية المحكمة نتطلع إلى دعم من لدن أولئك الذين يشاركوننا المهمة البحثية العلمية، ونحن فخورون بجهدنا على تواضع الانطلاقة وظروفها المادية المعقدة التي تجابهها...

وصحيح أننا ما زلنا في أول الطريق بوصفنا مؤسسة علمية أكاديمية لم تولد إلا منذ سنوات معدودة فقط، إلا أنه من الصحيح أيضا أننا نحمل معنا كل تلك الخبرات الممتدة لعقود من الزمن لدى مؤسسي هذه الجامعة والمشرفين على أنشطتها وأولها هذه المجلة العلمية المحكمة... ونحن نعوّل بقوة على تعاضد الجهود وعلى تكاتفها بما يحمل المهمة العلمية من أجل عطاء نوعي يرتقي بنا ويعالج قضايانا الحيوية بروح علمي وبخطاب ثقافي معرفي متخصص ينتمي لعصرنا ولمنطق الحداثة فيه.

نتشرف اليوم بتقديم كوكبة من الباحثات والباحثين بمجموعة جديدة من الأعمال البحثية النظرية والميدانية التي عالجت تنوعات في شؤونها من إشكالات لغوية وأدبية وأخرى جمالية غنية ثرّة في مجالات الفنون والتاريخ والفلسفة مثلما في مجالات البحوث النفسية التربوية التي رصدت ظواهر مهمة في حياة مجتمعاتنا.. يضاف إليها تلك الدراسات الاقتصادية المتخصصة وتلك التي عالجت إشكالياتها بمشرط العلوم السياسية..

إلا أننا نعتذر اليوم عن تأجيل الملف الخاص بالعدد إلى عدد تال لاستكمال الجهد المخصوص آملين دعما وتفاعلا إيجابيا من لدن باحثينا في هذا الإطار.

نشكر كل الأساتذة الأفاضل ممن شاركنا بهذا العدد.. ونحن نجدد توكيدنا على أننا مازلنا في بداية المشوار ما يتطلب جهودا مضاعفة في تجاوز تلك الهفوات التي قد تتبدى هنا وهناك، بسبب من ضغوط العمل وانطلاقته الأولية التي تجابه مصاعب وأوصاب عديدة.. غير أننا نمتلك الثقة التامة بفطنة القارئ والجهات البحثية إلى تلك الجوانب الهامشية مؤكدين إصرارنا على الانتهاء منها في أقرب سقف زمني متاح...

إنّ التنوع في هذا العدد بيّن واضح، وإننا نطلب من الباحثين مؤازرتنا في مواصلة التوكيد على هذا النهج معتذرين عن رفض البحوث المطولة [على أهميتها] لصالح فسحة أكبر لتنوع البحوث ومجال أوسع لعدد أكبر منها مما يستحق المشاركة والنشر...

إننا نتعهد أيضا بتجيير علاقات التعاون العلمي مع الجامعات الرصينة لصالح جهود بحثية أسمى وأعمق صلة بواقع المشكلات النظرية والميدانية التي تنتظر الإجابة عنها بوساطة تلكم البحوث وعقول الباحثات والباحثين المميزين بعلميتهم وبرصانتهم ومكانتهم الأبرز...

نجدد خالص التحايا لزميلاتنا وزملائنا على تلك الجهود المثابرة التي ترقى لمصاف العالمية؛ كما نجدد دعوتنا لتفاعل أوسع من طرف الجامعات مع هذا الجهد المعرفي العلمي الرصين آملين تعزز شبكة علاقات علمية متينة حيث يكون لحجم الدعم والتفاعل الإيجابي من تلك الجامعات دوره الأنجع والأنضج في رفد المكتبة الجامعية ومراكز البحوث بنتاج العقول العلمية الناشطة..

نحن بكم ومعكم نتقدم.. سلمت أدواركم في مسيرة البناء والتحديث.. وتحية العلم لكم جميعا..

رئيس التحرير

الأدب وعلوم اللغة

تقنية التقعير في الخطاب الروائي

رشيد وديجى
الكلية المتعددة التخصصات /الرشيدية(المغرب)

❖ مدخـــــل:

لقــد تعــددت الأســاليب و التقنيــات التــي تعمــل علــى دراســة الجانــب الشــكلي للنصــوص الســردية ومــن تلــك التقنيــات نجــد تقنيــة التقعيــر[1] التــي تقابلــه الترجمــة الفرنســية la mise en abymeالتــي ظهــرت فــي الأعــوام الأخيــرة حاولــت دراســة الخطاب الروائي من زوايا جديدة .

و تجــدر الإشــارة إلــى أن **فيكتــور هيجــو Victor Hugo** أول مــن تنبــه إلــى الأهميــة الإجرائيــة لهــذا المفهــوم مــن خــلال تحليلــه لمســرحيات **شكســبير Shakespeare** فقــد عرفــه بكونه " **فعلا مزدوجا يخترق الدراما و يعكسها مصغرة."**[2]

و يعتبــر **جــون ريكــاردو j. Ricardou** أول مــن نظــر لهــا حيــث تمثــل دراســاته حــول هــذا المفهــوم المرجعيــة المركزيــة لجل الكتابات التي تناولته لاحقا.

فجــون ريكــاردو و أنــدري جيــد و لوســيان دالنبــاخ مــن بــين الدارســين الــذين درســوا هــذا الموضــوع محــاولين قــدر الإمكــان البحــث عــن خصوصــية هــذا المصــطلح فــي العديــد مــن الروايات أو في بعض الأساطير اليونانية **كأسطورة أوديب**.

لــذلك أصــبحت تقنيــة التقعيــر (Mise En Abyme) إجــراءا فــي الكتابــة الروائيــة، يؤشــر علــى حداثــة نصــية، لــذلك يعــد مفهــوم التقعيــر مــن بــين التقنيــات المســتعملة فــي الخطــاب وهــذا يعــد تجريبيــا فــي الكتابــة الروائيــة و بــذلك تحولــت الروايــة كما قال جون ريكاردو **"مغامرة كتابة لا كتابة مغامرة[3]".**

---

[1]- عندما وضع الدكتور **رشيد بنحدو** مفهوم التقعير كان يصدر عن مرجعية فيزيائية مرتبطة بطرائق انعكاس الأجسام في المرايا و بالتحديد في المرايا المقعرة.

[2] J .Ricardou, le nouveau roman, ,éd. Seuil. paris, 1990 ,p49

[3] J..Ricardou ,problèmes du nouveau roman ,éd. seuil ,paris ,1967 ,P 111.

و لايخفى أن هناك ترجمات عدة مقابلات عربية لمفهوم (Mise En Abyme) منها **التجويف** الذي نحته د حسن المنيعي ،و" **الانشطار** "الذي يوظفه أحمد اليبوري، و" **الارصاد المراوي** "الذي نحته محمد برادة ،هذا فضلا عن تعريبات عربية أخرى أقل شيوعا "**التصغير**" و "**التأمل**" و "**الترجيع** ".

التحققات النصية للتقعير :

لقد حدد **دالنباخ Dallenbach** أنواع التقعيرات التي تضمنها كتابه" **"le récit spéculaire** في أربعة أصناف :

<u>تقعير الملفوظ la mise en abyme de l' énoncé</u>

يتحقق في شكل بنيات سردية صغرى تعكس مراحل مختلفة من العالم النصي و يحدد لها دالنباخ مواقع في بداية النص و نهايته ووسطه[4].

بصيغة أخرى يميز دالنباخ بين ثلاثة أنواع من التقعيرات :

تقعير استشرافي : بداية النص
تقعير استرجاعي : نهاية النص
تقعير استرجاعي/استشرافي : وسط النص

فتقعير الملفوظ يختص بالجانب الدلالي فهو يقوم بمساعدة القارئ على ضبط البنية الدلالية للنص .

<u>تقعير La mise en abyme de l' énonciation التلفظ</u>

يلخصه دالنباخ في ثلاثة محاور[5] :

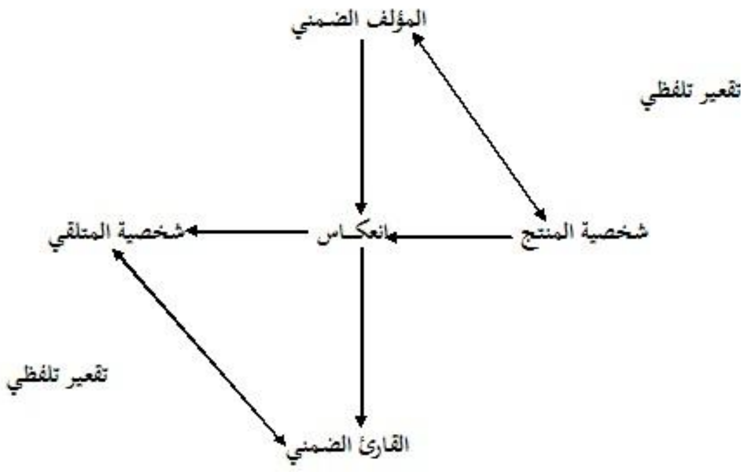
التشخيص الحكائي لمنتج المحكي أو لمتلقيه
إبراز الإنتاج أو التلقي بهذه الصفة
تحديد السياق الذي يشترط هذا الإنتاج / التلقي

---

[4] L. dallenbach, le récit spéculaire , essai sur la mise en abyme, seuil ,paris ,1997 ,P 90.

[5] L. dallenbach, le récit spéculaire , essai sur la mise en abyme, op.cit. p 100

تقعيـــر يهـــتم بالشخصـــية التـــي تمثـــل البـــديل النصـــي للمؤلـــف أي منـتج الحكـي و للقـارئ الـذي يتلقـى هـذا الإنتـاج نلحـظ ذلـك من خلال هذه الترسيمة [6] :



التقعير النصي La mise en abyme textuelle

مهمـــة هـــذا النـــوع الـــربط بـــين البنـــاء العـــام الـــذي يمثـــل الـــنص و بنـــاء اســـتعاري مـــواز إذ يحصـــل هنـــاك نـــوع مـــن التـــوازي فـــي سرد البنائين من خلال تحليل كل عنصر على حده.

مـــن هنـــا يرصـــد دالنبـــاخ ثلاثـــة حقـــول طيميـــة تحقـــق صـــور ملائمـــة لهـــذا التنظـــيم وهـــي" **الفيزيولوجيـــا وبخاصـــة علـــم التشريح و الفن و التقنية**."[7]

[6] Ibid. p104

[7] L. Dallenbach., le récit spéculaire , essai sur la mise en abyme, op.cit. p 125

La mise en abyme du codeتقعير الشفرة

فـــالملفوظ يســـمح بتقعيـــرين مغـــايرين" **الأول تخييلـــي ، يضـــعف المحكـــي فـــي بعـــده المرجعـــي كقصـــة مســـرودة و الأخـــر نصـــي يعكسه في مظهره اللفظي كنظام دال** ". [8]

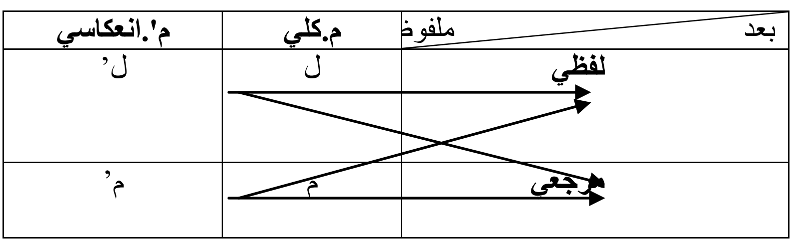
و الشـــفرة تعنـــي" **الإمكانيـــة الممنوحـــة للحكـــي لتحديـــد علاماتـــه من خلال علاماته نفسها".** [9]

وتقعيـــر الشـــفرة هـــو أن يعكـــس الملفـــوظ الانعكاســـي الفرعـــي فيبعـــده المرجعـــي الملفـــوظ الكلـــي الإطـــار فـــي بعـــده اللفظـــي ، و لتوضـــيح هـــذا التوزيـــع النظـــري يميـــز دالنبـــاخ بـــين نـــوعين مـــن الملفوظ:

- **الملفـــوظ الكلـــي** و يقصـــد بـــه المحكـــي الإطـــار الـــذي يستوعب مجموعة من البنيات السردية الصغرى.
- **الملفــوظ الانعكاســي** و هــو الــذي يتحقــق نصــيا مــن خــلال تلــك المحكيــات الفرعيــة التــي تعكــس بشــكل مــن الأشــكال جانبا معينا من المحكي.

  ويميـــز كـــذلك بـــين بعـــدين لفظـــي و يـــرتبط بالبنـــاء ، و مرجعي يرتبط بالأحداث.

و الترسيمة التالية التي يضعها دالنباخ توضح ذلك : [10]



هذه إذن، بعض تجليات التقعير في النص الروائي.

---

[8] Ibid. P123
[9] ibid.128-127
[10] Ibid. p 124

تركيب :

لقد حاولت الرواية العربية خلق نوع من الحداثة على مستوى تجريب بعض التقنيات الخاصة بالشكل الروائي، فهي تمرر خطابها النظري داخل كينونتها النصية، انطلاقا مما عرفته الرواية الفرنسية من تطور مس بالأساس طرائق تشكلها و تبنينها، وأن المتلقي العربي لم يستأنس بعد بهذه الطريقة في الكتابة الروائية.

الروائيون يكتبون إبداعا (أي كتابة نصوص روائية)، و نقدا أي (قراءة لكتاباتهم من داخل هذه النصوص) في الوقت نفسه، خاصة و أننا نجد انه ليس هناك فوارق شكلية تفصل بين الكتابة الروائية و الكتابة الإبداعية.

لم يوظفها سوى عدد قليل من الكتاب الذين لم يسمح لهم تمرسهم بعد باستنفاد إمكانياتها التركيبية و الدلالية .

وظفت تقنية التقعير في النصوص الروائية العربية جل الأشكال التقعيرية، ومثال ذلك نجد توظيف التقعير النصي في رواية "**نجمة أغسطس**" لصنع الله إبراهيم ،وتقعير الملفوظ في رواية" **النهايات**" لعبد الرحمن منيف، وتقعير التلفظ في رواية" **لعبة النسيان**" لمحمد برادة ، ثم تقعير الشفرة في رواية " **أيام الرماد**" لمحمد عز الدين التازي.

لذلك ندعو إلى استثمار الإمكانات التركيبية و التداولية التي تتيحها تقنية التقعير إبداعا و مقاربات.

الإحالات المرجعية:

1. L. Dallenbach, le récit spéculaire , essai sur la mise en abyme ,seuil ,paris, 1997.
2. J .Ricardou, le nouveau roman, ,éd. Seuil. paris ,1990.
3. J.Ricardou, problèmes du nouveau roman ,éd. seuil ,paris, 1967.

الانزياح في الشعر الصّوفي

أ -سليم سعداني. المركز الجامعي بالوادي.

تعتمد الدراسات الأسلوبية الحديثة في تحليل النّصوص الشعرية على مبدأ الانزياح، إذ يعدّه أغلب الدّارسين أنّه المثير الجمالي للمتلقي، وأنّه سرّ التباين بين مختلف أنماط الكتابات، ونود من خلال هذا العرض أن نستشف خصائص الانزياح في الشعر الصّوفي الذي نعتقد أنّه المسؤول عن اختلاف هذا النمط من الخطابات عن غيره، بل قد يكون هو السّبب في عدم قدرة البعض من فهم مرامي المتصوفة، ومن استيعاب جماليات هذا النوع من الخطاب.

فالانزياح " يعني الخروج عن أصول اللغة وإعطاء الكلمات أبعادا دلالية غير متوقعة،"1 ويعرفه نور الدين السدّ فيقول: " الانزياح هو **انحراف** الكلام عن نسقه **المألوف**، وهو حدث لغوي، يظهر في تشكيل الكلام وصياغته، ويمكن بواسطته التعرف على طبيعة الأسلوب الأدبي، بل يمكن اعتبار الانزياح هو **الأسلوب الأدبي ذاته."**[2]

أما جون كوهن فيرى أن الأسلوب هو الانزياح ذاته إذ يقول:"الأسلوب هو كل **ما ليس شائعا ولا عاديا** ولا مصوغا في قوالب مستهلكة...هو مجاوزة بالقياس إلى المستوى العادي، فهو إذن **خطأ** مُراد."3 وغير بعيد عن هذا التعريف يقول فاليري:"إن الأسلوب في جوهره انحراف عن **قاعدة ما** ".[4]

- **مستويات دراسة الانزياح:**

إن تتبع الانزياحات، والكشف عنها مهمة أسلوبية، وعلى الدّارس أن يحدد المستويات التي يمكن أن تتواجد فيها، و الدائرة الكبرى التي يمكن أن نستشف منها الانزياحات هي الحدث الألسني الذي يعرفه جكبسون أنه " تركيب عمليتين متواليتين في الزمن ومتطابقتين في الوظيفة وهما اختبار المتكلم لأدواته التعبيرية من الرصيد المعجمي للغة ثم تركيبه لها تركيبا تقتضي بعضه قوانين النحو وتسمح ببعضه الآخر سبل التصرف في الاستعمال."[5] وهذا ما أشار إليه أحمد ويس عندما قال :"إذا كان قوام النص لا يعدو أن يكون في النهاية إلا كلمات، وجملا، فإن الانزياح قادر على أن يجيء في الكثير من هذه الكلمات، وهذه الجمل. وربما صح من أجل ذلك أن تنقسم الانزياحات إلى نوعين رئيسيين تنطوي فيهما كل أشكال الانزياح . فأما

النوع الأول فهو ما يكون فيه الانزياح متعلقا بجوهر المادة اللغوية مما سماه كوهن (الانزياح الاستبدالي) وأما النوع الآخر فهو يتعلق بتركيب هذه مع جاراتها في السياق الذي ترد فيه، وهذا ما سمي (الانزياح التركيبي)."6 فنحن أمام نوعين من مستويات الانزياح:

1. انزياحات على مستوى محور التركيب.
2. انزياحات على مستوى محور الاستبدال (الاختيار).

إنّ كل مستوى من هذين المستويين، يضم مجموعة من القواعد النمطية، وكل خرق لواحدة منها يعدّ انزياحا فسنكون إذا أمام مجموعة من الانزياحات في كل مستوى، لكن " ليس بوسعنا من الوجهة الأدبية، أن نعتبر جميع الظواهر اللغوية، في النص الخارجة عن النظام اللغوي ذات أهمية أسلوبية، وقيمة فعلية."[7] فالعبرة في ذلك، إذا أحدثت أثرا جماليا، وبعدا دلاليا.

ولنا الآن أن نعرض لذكر الخروقات التي تقع على كل مستوى بدءا بمحور التركيب:

<u>الانزياح على مستوى محور التركيب :</u>

" سنجد الموجه النّوعي للانزياح هنا مكونا من تغيير الخط العادي للسلسلة اللسانية (أي التأليف). ويجب أن تحدد السلسلة التي تمثّل درجة الصّفر من طرف المعيار النحوي للغة الطبيعية. "[8] وهذا ما يصر عليه ويؤكده، الجرجاني إذ يقول:" واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تُخلّ بشيء منها."[9]

ويمكن لهذه السلسلة المترابطة أن تخرق بعدة طرق، منها:

- الحذف.
- التقديم والتّأخير.
- الاعتراض.
- الالتفات في السياق.

وهذه نماذج من الشعر الصّوفي لهذه الإنزياحات التركيبية:

ـ من **الحذف** قول سمنون المحب:[10]

ليس لي سواك حـظ   فكيف شئت فامتحـني
إن كان يرجو سواك قلبي   لا نلت سؤلي ولا **التّمنّي**

يريد أن يقول: (ولا بلغت التمني)، فإن كان السّؤل ما ظهر طلبه، فهو بمثابة السؤال وهو شيء يريد الإنسان الوصول إليه، ولا بد له من مسؤول يُطلب منه، أمّا التّمني فهو من الأمنية، وهي رغبة لا تحتاج الإظهار كالسّؤال، ولأن الذي يريده الشاعر هو ما في قلبه، وهو الرجاء المنقطع لله وحده، فهو الأمنية، فلو صرّح بالفعل والفاعل وقال: (نلت التّمنّي) لنَسَب نيل فعل التمنّي لنفسه، وهنا سيشارك كلُّ كيانه أمنية القلب المخصصة له وحده، وهو ما يأباه السياق، في الشرط وجوابه، (إن كان يرجو سواك قلبي لا نلت...) فنلاحظ في خرق القاعدة، لذّة هذه الانزياحات بالحذف جماليا ودلاليا.

- من **التقديم** (تقديم الخبر) قول ابن عربي:

فقلت للريح سيري والحقي بهم   فإنهم عند ظل الأيك قطـان
وبلغيهم سلاما من أخي شجن   **في قلبه** من فراق القوم أشجان[11]

فشبه الجملة (في قلبه) خبر مقدم لعدة اعتبارات، وهي:

- اعتبار إيقاعي صوتي لتساوي موسيقى البيت مع سابقيه من الأبيات (قطّان/ أشجان/سكان)، وهذا لا يتأتى إلا بتقديم الخبر(في قلبه).

- اعتبار نحوي له بعد دلالي، كون أشجان نكرة، فهذا يبعد من حدها ويوسّع فيها بدون تحديد، وهذا التنكير يوجب تأخير المبتدأ، إذ ليس له مسوغ للابتداء بالنكرة في هذا المثال. وابن عربي هنا يخصص القلب، من كل كيانه،" إنه في مقام التلوين، فكنى عنه بالقلب من تقلبه في هذه الأحوال والأحزان".[12]

ومنه قول رابعة العدوية في تقديم خبر الناسخ:[13]

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي   ولكن **لك** الحمـد في ذا وذاك

وفي هذا التقديم من الروعة ما فيه من حيث السياق السابق له، فقد أوقعتنا رابعة في لذّة الانزياح، في موضعين :

الأول منهما أنها عندما نفت الحمد عن نفسها في ذا وذاك واستدركت بـ (لكن)، توهمنا أن الحمد سيكون في شيء ثالث، فأنت عندما تقول ليس الكتاب لي وليست الكراسة لي، ولكن....توهمنا أنك ستذكر شيئا لك. ولكن رابعة لم تفعل.

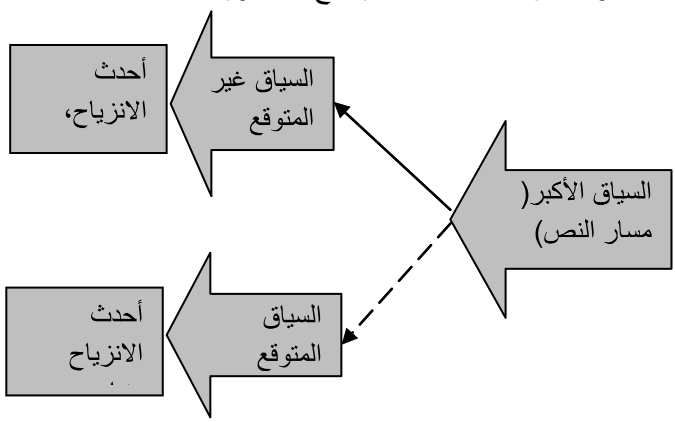
الثاني أن نفيها كان من أجل تقوية الإثبات في التخصيص والإسراع بالخبر أنه (لَكَ)، كأنّها تقول: بل هو لك فيما نفيته عن نفسي وهو (ذا، وذاك).

ومن **الاعتراض** قول السّهروردي:

شربوا كؤوس الحبّ في حان الصّفا　　فتمايلت **سكرا** بهـا الأرواح
بالانكســار تحملوا في حبــه　　فبدا عليهم **من رضاه** سـماح[14]

لقد تمايلت الأقداح بهم لمّا شربوا كؤوس الحب، والاعتراض بـ (سكرا) أكّد أن هذا من شدة السكر، كما تحمل المريدون في حبهم شدة الانكسار لمحبوبهم، فبدا عليهم لما تم رضاه (سماح)، وهو رقصة في العبادات عند المشائخ والمريدين، ولولا هذا الاعتراض(من رضاه)، لبقي سر رقصهم غائبا.فنرى أن الجملة أو شبه الجملة أو الكلمة "المعترضة بين شيئين لإفادة الكلام تقوية، أو تسديدا، أو تحسينا"[15]، وقد فسّر بعضهم (سماح) من المسامحة.

إذا كانت المباحث الثلاثة السابقة، وهي (الحذف، والتقديم، والاعتراض) تقوم بعملية الانزياح، في البناء الداخلي للنص، في سيرورته الخطية، فإنّ مبحث السياق وإن كانت انزياحاته كذلك، في الحركة الخطية للكلام، إلا أنها تختلف عمّا سبق، بعدم دخول عنصر دخيل، أو حذف آخر في مسار الجملة، بل بتغير مفاجئ، وهذا ما سماه(ريفاتير)، بالسياقين: الأكبر والأصغر، إذ " ما يثير انتباهه (هو) التباين بين عنصرين نصيين في متوالية خطية من الأدلة اللسانية، فالمفارقة ناتجة عن إدراك عنصر نصي متوقع متبوع بعنصر غير متوقع...العنصر غير الموسوم في هذا التعارض الثنائي هو السياق الصغير، أما السياق الكبير فهو الذي يسبق السياق الصغير."[16] ولعل هذا الشكل يوضح هذه الرؤية .



إن هذا الذي يذكره ريفاتير، هو ما عرف في البلاغة العربية بـ (الالتفات)، وعرف بأسماء أخرى، كالعدول، الصرف..وغيرها من المصطلحات.

ويجيء انزياح الالتفات في عدّة صور(الضّمائر، العدد، الأفعال) وكمثال للالتفات في العدد، قول البرعي في حق سيد المرسلين متحولا من الإفراد إلى الجمع:

1. لقد طال المطال علي لــولا   خيالك زار مضجعي استراقا
2. وما شيء بأعظم من جسـوم   مفرّقة وأرواح تلاقـــى
3. فكم سمح الهوى بدمي ودمعي   وكلّفني بكم ولها وشــاقا[17]

فقد خاطب البرعي ممدوحه بصيغة الواحد فقال (خيالك) في البيت الأول، ثم تحول إلى الجمع، في البيت الثالث فقال (بكم)، وصيغة الجمع جاءت أصلا لأجل التعظيم والتفخيم، لكنها لم تجئ في لفظ (خيالك)، بصيغة الجمع، ذلك أن المعنى الذي حمله (الخيال) في البيت أدى إلى معنى الإجلال والتعظيم المراد، فمجرد زيارة الخيال في المنام، خفف عليه وطأة البعد وطوله، بل الأبلغ في أداء المعنى المراد أن لا يكون المخاطب في خيالك بصيغة الجمع، حتى يُدرك المتلقي أن اقتراب أي شيء من بعض هذا المحبوب، كفيل بأن يخفف وطأة البعد فكيف بالمحبوب كله.

<u>الانزياح على مستوى محور الاستبدال:</u>

إن طواعية اللغة، وقدرة الشاعر، على الاستعمال هما العنصران الأساسيان في إحداث هذا النوع من الانزياح، رغم أن الأصل في،" مواضعة اللغات في مبدأ النشأة، أن يكون لكل دال مدلول واحد، ولكل مدلول دال واحد، غير أن جدلية الاستعمال تُرضخ عناصر اللغة إلى تفاعل عضوي بموجبه تنزاح، الألفاظ تبعا لسياقاتها في الاستعمال عن معانيها الوضعية."[18]

ونحن إذ نتحدث عن عملية الاختيار فذلك يعني وجود عملية اصطفاء، لوحدة لغوية من بين عدّة وحدات؛ وهذه الوحدات مجمعة في ذهن كل متكلم على شكل مجموعات، تدعى الحقول الدلالية.

.نظرية الحقول الدلالية:

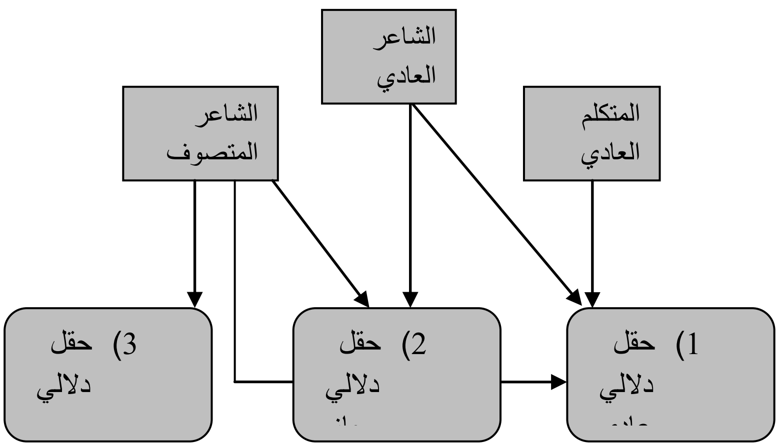
أرى أنّ الحقول الدلالية أهم أركان المحور الاستبدالي، إذ هي المجال الذي يسمح لمؤلف الكلام إجراء عمليات الاختيار، وقد عرفها سوسير(بالعلاقات الجمعية)، (les rapports associatifs) فيقول عنها:" إن مكان هذه الجمعيات (المجموعات) هو العقل؛ إنها تشكل جزءا من ثروته الذاتية، وهي التي تشكل لغة الفرد الخاصة به."[19] ويمكن أن نتصوره،" مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها، مثال ذلك كلمات الألوان في اللغة العربية. فهي تقع تحت المصطلح العام (لون) وتضم ألفاظا مثل: أحمر، أزرق، أصفر، أخضر، أبيض"[20] وهذا لا يعني عدم دخول هذه الألفاظ في حقول أخرى، وهو ما أكد عليه دوسوسير إذ يقول: إن

هذه المجموعات المتشكلة في الذهن، لا يتوقف ارتباطها مع الكلمات المشتركة فيما بينها، بل قد ترتبط في مجموعات أخرى بعلاقات غير الأولى.

إذا كانت عملية الاختيار متاحة، لكل متكلم في اقتناء الكلمة التي يريدها من حقل دلالي محدد، فإن الشاعر له القدرة على التنقل بين الحقول الدلالية، ممتطيا صهوة المجاز، أو هو كما صوره، إبراهيم أنيس:" كالطائر الطليق يحلق في سماء من خيال وينشد الحرية فلا يسمح لقيود اللغة أن تلزمه حدّا معينا لا يتعداه...فلا غرابة إذن أن نرى في ترتيب كلماته أمرا غير مألوف أو معهود." [21]إن هذا الأمر غير المألوف هو الانزياح الذي ننشده، فيثير فينا متعة التلقي.

فليس اختيار المتكلم العادي كاختيار الشّاعر وليس اختيار الشاعر العادي كاختيار الشاعر المتصوف.

وهذا الشكل قد يوضح هذا التمايز، بين المتكلم العادي والشاعر، والشاعر الصوفي في عملية اختيار الكلمات، من بين الحقول الدلالية.

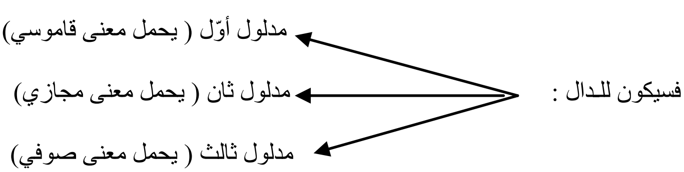


علاقة الدّال بالمدلول عند المتصوفة:

تُعدّ التغيرات غير المتوقعة من المتلقي التي يرسلها صاحب النّص، هي مكمن الانزياحات، وذلك عندما يستعمل المرسل لفظا لغير ما وضع له أصلا، فيُحدث بذلك خروجا عن الأصل، وهي المتعة الجمالية والدّلالية التي

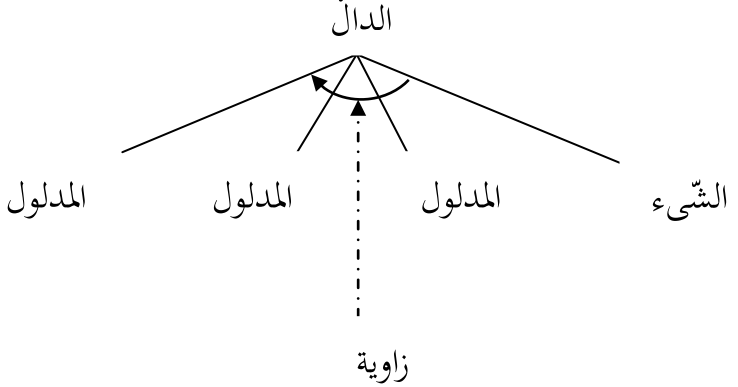
يستلذها المتلقي من التعبير المجازي، وهذا الخروج عن الأصل لا يكتفي به الصّوفي إذ يجد نفسه مضطرا لخروج آخر، وكأننا نتحدث عن انزياح الانزياح، إذ " يتخذ مفهوم اللّغة، في الخطاب الصّوفي أبعادا جديدة لا نجدها في كتب البلاغة، و لا في كتب النقد ممّا انتهى إلينا من علماء ونقاد السلف ."[22]وفي دراسة قامت بها د/ سعاد الحكيم في لغة المتصوّفة على لغة ابن عربي بالخصوص، تقول: " يحوّل ابن عربي كلّ اسم لذاتٍ جاعلا منه اسما لأخصّ صفات هذه الذّات، فاللّيل مثلا بعد أن كان دالاّ على الوقت المعلوم أصبح دالاّ على صفته، وهي: الغيب و الإسرار."[22] وكذلك مع بقية الأسماء، ولا يخص هذا الأسماء فقط بل الأفعال كذلك، وسنذكر لاحقا لذلك، فيما قصده ابن عربي في عبارته (الطارق مفارق).

وبتعبير آخر، فان رؤية المتصوّفة للكلمات منافية ومضادّة تماما لما ذهب إليه علماء اللّغة في العصر الحديث، وعلى رأسهم (دوسيسير)، عندما اعتبروا العلاقة بين الدالّ والمدلول علاقة اعتباطية فلكلّ اسم، دلالة مقصودة بل ولكلّ حرف أو رقم دلالة تعدّ - عند المتصوّفة - (دلالة ذات مهمّة) فكلّ شيء إشارة وما من شيء أبدعه الله إلاّ لِمَهمّة وسرّ، بل قد يكون للشيء نفسه إشارات متعدّدة حسب تغير الحال والمقام، وليس تلك الإشارة إلاّ معنى جديدا.



إن هذا التحول بين المدلولات، هو من صنيع الاستعارة، وكلّما كانت المسافة الرابطة بين الدالّ ومدلوله، أبعد كلّما كانت زاوية الخيال أكبر، ذلك " أن العامل في تأثير الاستعارة، هو المسافة بين المشبه والمشبه به، أو كما يقول، سايس (sayce) زاوية الخيال"[23]هذه المسافة هي قيمة الإثارة، وهو ما نقله يوسف أبو العدوس، عن بريتون (andre breton)، يقول: " عندما نقارن بين شيئين بعيدين عن بعضهما في الصفات...ثم مع بعضهما بطريقة مفاجئة، ومدهشة، فإن هذه هي المهمة المنشودة التي يحاول الشاعر أن يثيرها "[24].

ولعلّ هذه الترسيمة تبين لنا (زاوية الخيال) التي تزداد اتساعا كلّما بعدت المدلولات، عن الدالّ الأول.



وكمثال لهذا نقرا قول الأمير عبد القادر في رائيّته:

أمولاي طال الهجر وانقطع الصّبر   أمولاي هذا **اللّيل** هل بعده **فجر**؟

أغث يا مغيث المستغيثين والهـا   ألم به من بعد أحبابه **الضـّـر**[25]

الدالّ	المدلول الأول	المدلول الثّاني	المدلول الثالث
الليل	جزء من اليوم يقابل النهار	شدة الأزمة	حال عدم الوصـال
الفجر	انصداع الظلمة عن نور الصبح	انفراج الأزمة	الفتح الربّاني
الضر	الشدّة والضيق	الوحدة	حال عدم الوصـال

إنّ ما سبق ذكره عن الحقول الدّلاية، وعن علاقة الدّوال بالمدلولات عند المتصوّف، وعن طبيعة الحال الذي يعيشه عند هذا الأخير، كل ذلك كفيل بأن يجعل من عناصر رسالة الخطاب الصّوفي تختلف عن غيرها في بقية الخطابات، وهو ما يميّز – فيما أحسب- الانزياح الصّوفي عن غيره، يمكن أن نبيّنها فيما يلي:

-**المرسل والشفرة**: إذا كانت عناصر الرسالة العادية تفصل بين المرسل والشّفرة، فسنجدهما في الخطاب الصّوفي كتلة واحدة، أو عنصرا واحدا، لإنّ الصوفي يعايش التجربة الصوفية بكل ما فيها من إشعاعات عرفانية، ويريد بعد ذلك أن يترجم هذا الانفجار الوجداني فيجد اللغة تحول بين ما يعانيه والتعبير عنه، وقديما قال النّفري:" كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة "[26]. وهنا يجد نفسه مضطرا لأن يؤسس تراثا لغويا صوفيا، وأن يجد مخرجا يتجاوز به أزمة اللغة التي تحول دون التعبير عن حقيقة الحال الذي يعانيه.[25]ومن هنا يضاف إلى الانزياح الذي يحدث، في اللغة الشعرية عامة انزياح آخر متميز في شعرية المتصوفة، نتيجة الاستعمال الجديد للرصيد اللغوي، لتغير مصدر الإمداد بين المرسل العادي، والمرسل الصوفي، هذه اللغة (الشفرة) هي المادة الخام للمرسل وللمتلقي، وهي وسيلة التلاقي بينهما، إذ "اللغة العادية لا تفي بالتعبير عن عالم الصوفية ذي الخصوصية الشديدة، وقد بلغت حدّة الاصطدام باللغة، قدرا أودى بحياة بعض الصوفية وساقهم إلى نهايات تراجيدية، وأشهر هؤلاء. الحسين بن منصور الحلاج المقتول سنة 304هـ"[27]إن اختلاف الشفرة، ليس ناتجا عن اختلاف اللغة، بين المرسل والمتلقي، لكنها ناتجة عن اختلاف المصطلح. وقد نبه، أغلب كبار المتصوفة أن كتاباتهم ليست في متناول كل قارئ؛ نذكر من هؤلاء، ابن عربي في تقديمه لترجمان الأشواق؛ ينظم قصيدة يبين فيها مقاصده من رموز شعره يقول:

كلما أذكره من طلـــل أو ربوع أو معـان كلمـا
وكذا إن قلت ها أو قلت يـا وألا إن جاء فيـه أو أمــا
وكذا إن قلت هي أو قلت هو أو همو أو هن جمـعا أو همـا
أو نساء كاعبات نهّـــد طالعات كشمـوس أو دمـى
كلما أذكره مما جـــرى ذكره أو مثله أن تفهمـــا
منه أسرار وأنوار جــلت أو علت جاء بها رب السمـا
فاصرف الخاطر عن ظاهرهـا واطلب الباطن حتى تعلمــا[28]

وهذا تصريح صريح من بن عربي، لقارئه أن يعتد بباطن القول لا بظاهره، ولا يمكن ذلك بدون فهم الشفرة المستعملة، وهذا مذهب المتصوفة، فابن الفارض يقول كذلك:

وعني بالتلويح يفهم ذائـــق   غنيّ عن التّصريح للمتـعنّت

بها لم يَبُح من لم يُبِح دمه وفي الـ   إشارة معنى ما العبارة حدّت[29]

وبهذه المفارقات، بين عناصر الرسالة العادية، وعناصر الرسالة الصوفية، تتغير رؤى الصوفي للكلمات، ولا يهمه بل لا يشعر عند اشتداد الحال به أن يعبر بما يحمله من معنى للكلمة، فإذا صادفت الرسالة، من يستطيع حل شفرتها أدرك أبعادها، وإن لم يكن ذلك إما أن يُساء الفهم، وإما لا يحدث فهم أصلا.

فالمصطلح في ما أحسب أكبر حاجز، يحول بين النقاد والمفكرين والفقهاء، الذين يعتمدون على الظاهر والعقل في فهم الخطاب الصوفي، وبين النص الصوفي، لأن السؤال الذي يطرحونه، وهم محقون في ذلك إلى حد ما، كيف تكتبون يا متصوفة، بلغتنا وتدّعون عدم فهمنا؟ هل تنتقصون قدرتنا على الفهم ؟ أم قصورنا في اللغة؟

القضية متعلّقة بنوع من الخطاب له لغة خاصة، أقرب إلى لغة جديدة، فهي تستوجب قارئا جديدا، له آليات خاصة لتفكيك شفرة الرسالة التي أرادها المرسل.

– **القارئ**: لا يجزئ القارئ هنا التعرف على المصطلح الصوفي فقط، لفهم الشفرة، بل عليه التعرف على الفكر الصوفي، لأن المتصوف قد يُحمّل أي دال، مدلولا جديدا، وفي أي وقت شاء ذلك، وإنما يُدرك ذلك المدلول من قبل المتلقي باستعمال الذوق، معتمدا على قرينة السياق الحالية والمقامية.

فـابن عربي مثلا عندما " يصور حال الصوفي الذي يُقبل على ربه، وكيف يفارق هذا الصوفي الدنيا بهمته، فلا يصير له مطلب إلا الله، يرمز لهذا الإقبال على الله بطرق الباب، ويرمز لتخلية النفس عن شواغل الدنيا بالفراق..فيقول **الطّارق مفارق**"[30] ومن المؤكد أن اللجوء، لقواميس المصطلحات الصوفية، لن يحل هذا الطلسم، ما لم يتسلح المتلقي بالذوق، والقراءة بعين القلب

– **الرّسالة:** من أكثر ما يرتبك فيه المتلقي من رسائل المتصوفة، ثلاثة مواضيع (المرأة، الخمرة، ذهاب الأنا وبقاء الهو في الحب الإلهي). والواقع أن هذه المواضيع، تحدث في ظاهرها تناقضا في أدب المتصوفة خصوصا،

لأن في شعر غيرهم، تُقبل هذه المواضيع بسهولة فالناقد الذي يقرأ خمريات أبي نواس، وغزلياته، ولغيره من عامة الشعراء لا يجد في ذلك عجبا ولا غرابة، لكن الأمر يختلف عندما يتكلم بها المتصوفة.

" والسبب في ذلك هو عجز الصوفيين في طوال الأزمان عن إيجاد لغة للحب الإلهي، تستقل عن لغة الحب الحسي كل الاستقلال."[31]فالصوفي يكون في حديث عن الذكر ومحبة الله في مواطن، ثم ينتقل إلى ذكر مفاتن المرأة مجسدة في أخرى بل وفي نفس القصيدة، وإنما في الواقع ما هي إلا رموز لمقدسات سامية، لم يجدوا مندوحة، في التعبير عن هيامهم بها إلا بما يهيم به المرء في طبعه، من حبه للجمال بالمرأة، والغياب عن المحسوسات بالخمرة ولنا أن نوضح هذه الاستعمالات بإيجاز:

أ - المرأة: تظهر المرأة في الشعر الصوفي، من خلال تجسيد مفاتنها "فالصوفية يطلقون مثلا، العين والخد والشعر والوجه ألفاظا ترمز إلى مدلولات غير تلك التي تعارف عليها الناس في دنيا الحس"[32]وهذا ابن عربي يقول في قصيدة نقتطف منها هذين البيتين: [33]

الناعمات مجرّدا والكاعبات منهّدا والمهديات ظرائــفا
المبديات من الثغور لآليــا تشفي بريقتها ضعيفا تالــفا

" قوله: الكاعبات منهّدا، هي التي صار نهدها كالكعب وهي أحسن ما تكون فيه الجارية، يشير إلى أن محلّ حمل المعارف تجلّى له ليشاهد كيف يتحمّل المعارف الإلهيـة."[34] والمقصود من ذلك النهد موقع اللّبن، الذي كان الرّسول لا يسأل من الزّيادة من شيء في الطعام إلا منه، وفي هذا ربط بالآية، {وقُلْ ربِّ زِدْنِي علمًا} [35]

ولنا أن نقارن بين شاعر كأبي نواس وابن عربي في ذكرهما للمرأة، يقول أبو نواس: [36]

ظبي كأن الثريا فوق جبهتــه والمشترى في بيوت السعد والسّرجـا
لوى على ضرج من خدّه سبجا نفسي فدت سبج الأصداغ والضـرجا

فقد اختار أبو نواس الظبي لموصوفته، على طريق المجاز.

أما المتصوّف فإنه يتعدى هذا الحقل المجازي، إلى أبعد من ذلك، كقول ابن عربي[37]

ومن عجب الأشياء ظبي مبرقع يشير بعنّاب، ويومي بأجفـان
ومرعاه ما بين الترائب والحشا ويا عجبا من روضة وسط نيران

فالشيخ بن عربي قد ذكر الظبي، الذي يفهم منه الأنثى، وقرائن ذلك حَديثُه، عن العنّاب والأجفان، لكن الذي يُفهم ليس ما يرمي إليه الشاعر، فهو

ليس مثل مجاز أبي نواس السابق، فالظبي هنا يريد به لطيفة إلاهية، ومرعاه بين الترائب والحشا من العلوم التي في الصدر، والحكم الإلهية.[38]

ب - الخمرة: وهي المحدثة لحالة السكر، " وهو أن يغيب عن تمييز الأشياء ولا يغيب عن الأشياء، وهو أن لا يميز بين مرافقه وملاذّه وبين أضدادها في مرافقة الحق، فإن غلبات وجود الحق تسقطه عن التمييز بين ما يؤلمه ويلذّه"[39] وما من شاعر متصوف، إلا وكانت الخمرة موضوعا أساسيا في قصائده، وكيف لا وهي المتسع للقاء الحبيب والذوبان فيه، وفيها تقول رابعة: [40]

كأسي وخمري والنديم ثلاثـة وأنا المشوقة في المحبة رابعــة
كأسي المسرة والنديم يديرهـا ساقي المدام على المدى متتابعــة

وكمقارنة بين خمرة المتصوفة والخمرة المحسوسة، نقرأ قول أبي نوّاس[41]:

ساع بكأس إلى ناش على طرب كلاهما عجب في منظر عجب
قامت تريني وأمر الليل مجتمـع صبحا تولد بين المـاء والعنب

وقول ابن الفارض: [42]

شربنا على ذكر الحبيب مدامــة سكرنا بها من قبل أن يُخلق الكرم
لها البدر كأس، وهي شمس يُديرها هلال وكم يبدو إذا مزجت نجـم

والبدر هنا "هو العارف الكامل... والمدامة هي المعرفة الإلهية التي تفيض أنوارها في جميع الكائنات، أما الهلال الذي يديرها فهو المبلّغ عن العارف كأصحاب الأنبياء وتلاميذ العارفين، وإذا مزجت المعرفة اللدنية بالمدارك الشرعية الدينية فكم يظهر هناك نور يُهتدى به. (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)."[43]ولنا أن نميز بين الصبح الذي رآه أبو نواس عند مزج خمرته، والنجوم الهادية التي رآها ابن الفارض، عند مزج خمرته، وإلى ما يرمي كل منهما. فكلاهما استعمل المجاز، غير أن البعد الصوفي، أحدث مجازا على المجاز

ت -الحب الإلهي: جرّ هذا الباب على المتصوفة كثيرا من الهجومات، ممن لم يتمكنوا من فهم شفرتهم، من ذلك عبارة الحلاج (أنا الحق)، التي أقامت الدنيا وأقعدتها، وإن كان مقامنا لا يتسع إلى بسط هذه المسألة، فأقل ما يمكن أن نقول فيها شيئين:

- الأول: المتصوفة يبذلون كل شيء في سبيل حبهم للذات العلية، وفي ذلك " يضرب الإمام الجيلاني مثلا بالعبد الذي يسمع بالجنة وما فيها وما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين فيطلب الجنة، فيكون آنذاك مطالبا ببذل ثمن الجنة

الذي صرح به الحق تعالى في قوله: { إنّ الله اشترى مِن المؤمنين أنفسَهم وأَمْوَالَهُم بأنَّ لهم الجنّةَ }(التوبة من الآية 111)، فما بال العبد إذا طلب ما هو أعز من الجنة." [44]ويقصد بذلك وجه الله.

الثاني: ما دام المتصوف قصد وجه الله، فعليه أن يسلك الطريق إلى ذلك، والمعتمد في ذلك عندهم، قوله تعالى في حديثه القدسي عن رسول الله أن الله قال: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي ممّا افترضت عليه، وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتّى أُحبّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينّه ولئن استعاذني لأعيذنَّه وما تردّدت عن شيء أنا فاعله تردّدي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته." [45] فالمريد عليه أن يجاهد ؛ وجهاده ليس بالأمر الهين فـ " عن أبي بكر الشبلي قال: قصدت الحلاج وقد قُطعت يداه ورجلاه وصُلب على جذع، فقلت له: ما التصوف؟ فقال: أهون منه مرقاة ما ترى." [46] فإذا كان هذا الحال أهون من المجاهدة وبذل النفس في التّقرب والطّاعة التي بها يكون الله مع عزّته وجلاله عين ويد ورجل عبده المتقرب إليه ويشعر هذا العبد بهذا عين الحقيقة، وما دام التقرب إلى الله لا حدود له بل بحسب قوة و مجاهدة المجاهد فالقضية قد تتعدّى العين واليد والرجل إلى كل الكيان فلا كيان إذن، فماذا هناك غير الحق، فكل شيء عندها سيكون (هو) بما في ذلك (أنا).

ربما لو رأينا هذه القضية من خلال هذا المنظور لكان أهون علينا في فهم بعض الأحوال التي ينطق بها المتصوفة معبرين عن وجدهم وحالهم ولتمكّن أولائك الذين وقفوا ضدّ ما هو صوفي لحكم مسبق مغلق، ربما لتمكنوا من إنصافهم بل ربما يتمتعون بما جادت به هذه الطّائفة من لطائف طوال الأزمان.

[1] - بوطران محمد الهادي، وآخرون، المصطلحات اللسانية والبلاغية والأسلوبية والشعرية، بيروت: دار الكتاب الحديث، (دط)، 2008م، ص .160
[2]- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، الجزائر:دار هومة، (دط)1997م،ص179.3
[3] - جون كوهن، النظرية الشعرية، (تر، أحمد درويش)، القاهرة: دار غريب،(ط4)، 1999م، ص .35
[4] - صلاح فضل، علم الأسلوب، القاهرة: دار الشروق، ط1، 1968م، ص208.
5 - نفسه، ص.92
[6] - أحمد محمد ويس، الانزياح، لبنان:مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2005،1 م،ص111.
[7]- صلاح فضل، علم الأسلوب، ص213.
[8] - هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية، تر د/محمد العمري، المغرب: أفريقيا الشرق، (دط)، 1999م، ص66.
[9] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تق ياسين الأيوبي، بيروت: المكتبة العصرية، (دط)، 2003م،ص 128.
0[1]- مجدي كامل، أحلى قصائد الصوفية، مصر: دار الكتاب العربي، (ط1)، 1998م، ص 10.
[11]- ابن عربي، ترجمان الأشواق، بيروت: دار بيروت، (دط)، 1981م، ص31
[12] - نفسه، ص31.
[13]- مجدي كامل، أحلى قصائد الصوفية، ص .125
[14]- نفسه ص.21
[15]- هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية، ص60.
[16] عبد الرحيم البرعي، الديوان، (اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي)، بيروت: دار المعرفة، (ط1)، 2007م، ص147.
[17] - عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، ليبيا، تونس:الدار العربية للكتاب (دط)،1977م ، ص 54.
18 : Talantikit.2002,p 148.
19 - Ferdinand de Saussure, Cours de Linguistique Générale .Beja
[20]- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، القاهرة: عالم الكتب، (ط5)، 1998م، ص .79
[21] - إبراهيم أنيس، أسرار اللغة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، (ط6)، 1978م، ص 340.-339
[22] رضوان الصادق الوهابي، الخطاب الشعري الصّوفي والتأويل، الرباط: زاوية للفن والثقافة، (ط1)، 2007م،ص 165.
[23] - سعاد الحكيم، ابن عربي ومولد لغة جديدة، بيروت: دندرة للطباعة والنشر، 1991م، (ط1)، ص 74.
[24] - يوسف أبو العدوس، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، الأردن: الأهلية للنشر و التوزيع، (ط1)، 1997م، ص 11.
[25] - نفسه، ص11.
[26] - الأمير عبد القادر، الديوان،(تح، زكريا صيام)، الجزائر: المؤسسة الجزائرية للطباعة، (دط)، (دت)، ص 183.

[27] - ينظر قويدر قيداري، (مجلة الأثر) دلائلية مصطلح السماع في الفكر الصوفي، جامعة ورقلة، العدد الثالث، ماي:2004م، ص306-307.
[28] - نفسه، ص 305. نقلا عن : (يوسف زيدان، المتواليات،"دراسة في التصوف" ص،39).
[29] - ابن عربي، ترجمان الأشواق، ص.10
[30] - عمر بن الفارض، الديوان، (شرحه وقدّم له مهدي محمّد ناصر الدّين)، بيروت: دار الكتب العلمية،(ط2)، 2002م،ص .55
[31] - يوسف زيدان، ابن عربي، الجيلي، شرح مشكلات الفتوحات المكية، القاهرة:دار الأمين، (ط1)،1999م، ص 22.
[32] - محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب في التراث الصوفي، القاهرة: مكتبة غريب، (دط)،(دت)، ص 182
[33] - نفسه، ص 182.
[34] - ابن عربي، ترجمان الأشواق، ص124-.125
[35] - نفسه، الشرح، ص 124-.125
[36] - سورة طه، من آخرالآية، 114.
[37] - أبو نواس، الديوان، (حققه وشرحه وفهرسه، سليم خليل قهوجي)، بيروت: دار الجيل، (ط جديدة)، 2003م، ص .197
[38] - ابن عربي، ترجمان الأشواق، ص 42-43.39
[39]- ينظر، نفسه، ص 42-43.
[40] - أبو بكر الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ضبطه وعلق عليه(أحمد شمس الدين)، بيروت: دار الكتب العلمية،(دط)، 2001، ص .135
[41] - مجدي كامل، أحلى قصائد الصوفية، ص .124
[42] - أبو نواس، الديوان، ص .104
[43] - عمر بن الفارض، شرح الديوان، (ج2)، ص .174
[44]- يوسف زيدان، الطريق الصوفي، بيروت: دار الجيل، (ط1)، 1991م، ص 105.
[45] - محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، اعتنى به أبو عبد الله، محمود بن الجميل،(ج3)، الفاهرة: دار البيان الحديثة،(ط1)، 2003م،ص 247.
[46] - الحلاج، الديوان، (وضح حواشيه وعلق عليه محمد باسل عيون السود)، بيروت: دار الكتب العلمية، (ط2)، 2002، ص 45.

نظام الصوائت في العربية

أ. خثير عيسى
المركز الجامعي عين تموشنت
معهد اللغات والآداب

تمهيد :

من منطلق قوله عزّ من قائل :] أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا [[1] ، وآيات أخرى في الصّدد نفسه راح علماء التفسير بمعية علماء اللغة يسبرون أغواره ويفتشون في أسراره ، فأحاطوه برعاية لم تشهدها بقية الكتب السماوية ، حتى تبينوا أنّ مضمونه أسمى من أن يختص بعلم دون غيره ، هو إذًا كتاب في الطب والفيزياء والفلك واللغة ، فأخذ كلٌّ يستسقي منه بالقدر الذي يسد حاجته.

ولما كان لِلَّفظ والموضوعِ من علاقة طبيعية نهل علم الأصوات على غرار بقية العلوم منه ما يفسر به معانيه السامية ، على اعتبار أنه نزل بلغة قريش ، فكان لزاما على هذا العلم أن يزيل الغطاء عن بنية التفكير عند العرب الذين نزل بلغتهم فخاطبهم وخاطب بهم.

إنّ اللّغة أداة تواصل وتفاعل بين المرسل والمتلقي ، وهي كائن حيّ يتطور كما يتطور الفرد والمجتمع ، ولله درّ ابن جني حين يعرّفها بأنّها : " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[2] ، وقد عرّفها صبحي صالح بأنّها : " عنصر علمي مستقل ، وظاهرة اجتماعية وعامل حضاري"[3] ، ولعلّ التعريف الأكثر وضوحا وشمولا هو الّذي اعتمده الألسنيون ، والّذي أكد على دور كلّ من علم الأصوات الحسي la phonètique وعلم الأصوات الوظيفي la phonologie ، وأبرز هذه التعريفات وأشملها ما جاء به أنيس فريحة في قوله : « اللّغة ظاهرة بسيكولوجية اجتماعية ثقافية مكتسبة ، لا صفة بيولوجية ملازمة للفرد ، تتألف من مجموعة رموز صوتية لغوية اكتسبت عن طريق الاختبار معاني مقرّرة في الذهن، وبهذا النظام الرّمزي الصوتي تستطيع جماعة ما أن تتفاهم وتتفاعل »[4] ، فاللّغة منظومة علامات صوتية يتميز بها أبناء طائفة لغوية واحدة.

تكاد جميع تعريفات اللغة أن تتفق على الجانب الصوتي الّذي يميزها ، إذ يعدّ الصوت الرّكن الأساس للغة فلا ينفصل عنها ، وهذا ما يبرر قول الحاج صالح : « ويمكن أن تشبه اللغة بورقة يكون الوجه فيها هو الفكر والظهر هو الصوت ، علما بأنّه لا يمكن أن يقطع وجهها دون أن يقطع في الوقت نفسه ظهرها فكذلك اللغة لا يمكن أن يعزل فيها الصوت عن الفكر (أي المعنى) ، ولا الفكر عن الصوت »[5] ، فالصورة الصوتية هي صورة مادية محضة وتختلف عن الصورة الفكرية ؛ لأنّ الصوت شيء فيزيائي ، وما بينهما من التقارب والالتحام تستوعبه اللغة في وعاء واحد.

لقد التقى عبر الزمان الصوت والفكر ، فنتجت معارف وعلوم ، وكانت اللغة معبرة عن الحياة والوجود والإنسان ،من خلال ما باحت به العلوم من عطاء.

نظام اللغة العربية :

اللغة العربية متوازنة نطقا قبل أن تتوازن كتابة ، فأيّ خلل يصيب النطق يردفه خلل في المعنى ، وقد كثر السماع عند العلماء الأوائل ، فعمدوا إلى كلام العرب ودرسوه نطقا قبل أن يقعدوا له ، قال الخليل : « إنّ العرب نطقت على سجيتها وطباعها ، وعرفت مواقع كلامها ، وقامت في عقولها علله ، وإن لم ينقل ذلك عنها »[6] ، ويفهم من كلام الخليل ، أنّ اللغة العربية شكلت النمط الفكري والعقلي عند الناطقين بها ، فبنيتها النحوية والصرفية والصوتية هي الثوابت الّتي تضمن لها السلامة.

وعليه فإنّ اللغة العربية لغة متكاملة من حيث صيغها وتراكيبها وتنوعها الواسع في مفرداتها ، مضافا إلى ذلك احتفاظها بحروف ومخارج لم تحتفظ بها لغة سامية احتفاظا كاملا ، ولم تكن هذه اللغة بمعزل عن العلماء الّذين خاضوا في أسرارها وغاصوا في أغوارها وطرقوا أبوابها ، يقول السيوطي : « اعلم أنّ اللغوي شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه ، وأما النحوي فشأنه أن يتصرّف فيما ينقله اللغوي ويقيس عليه ومثالهما المحدث والفقيه ، فشأن المحدث نقل الحديث برمته ، ثم إنّ الفقيه يتلقاه ويتصرّف فيه ويبسط علله ويقيس عليه الأشباه والأمثال . »[7] ، فهناك مقاييس كان يتعامل بها العلماء العرب فيما بينهم ، فكل علم إلاّ ويمدّ علما آخر بما يحتاجه ، وكل هذا يدل على أنّ أمة هذه اللغة وصلت إلى تفكير دقيق وعميق.

اهتمام علماء اللغة العرب بالمستوى الصوتي:

من بين العلوم الّتي تداخلت مع أخرى ـ علم الأصوات ـ هذا العلم الّذي تناوله النحاة والقرّاء والبلاغيون والأدباء والفلاسفة ، وهذا لا يخالف ما كانت عليه الأمم الأخرى ولا يعدّ خروجا عن المألوف ، إذ كل الأبحاث الصوتية عند الأمم ارتبطت بالعلوم الأخرى ، وليس العرب وحدهم الّذين كان لهم هذا التداخل " فالهنود درسوا الصوت خدمة لكتابهم (الفيدا) ، والصين لدراسة النصوص الدينية البوذية ، والعبرية خدمة الكتاب المقدس ، واليونان لدراسة المنطق "[8] ، فلم يكن العرب حاطبين إلاّ في حقلهم ، فاهتموا بتوصيف الأصوات من حيث تصنيفها وبيان صفاتها وما يعتريها من تبدلات أو يعتورها من معان ودلالات.

من هنا يتبين أن العرب صنفوا الأصوات اللغوية على أسس فسيولوجية وفق مواضع النطق ووظائفها ؛ اعتمدوا في ذلك على الملاحظة القائمة على استقراء القوانين العامة ، والتدقيق في الصوت بصفته ظاهرة فسيولوجية وتشكيلية ، وأسلافنا لهم صفحات مشرقة في هذا المجال ، دون الاعتماد على الأجهزة الإلكترونية والآلات ؛ فكل ما كانوا يملكونه حسا مرهفا وذوقا سليما وسجيّة خلاّقة.

من خلال الجهد الّذي بذله العلماء العرب مكنّوا للدرس الصوتي أن يستقيم ويفتحَ آفاق العلوم اللغوية وتنهل منه الكثير من الأمم وتعترف بفضل العرب ، يقول براجشتراسر» : G. Bergsträsser لم يسبق الأوربيين في هذا العلم إلاّ قومان : العرب والهنود »[9] ، وهذه شهادة تدل على الجهود والأسبقية في تناول العرب للدرس الصوتي ، أما عن اللغة العربية فهناك من يقول : « إنّ علم الأصوات قد نما وشبّ في خدمة لغتين مقدستين هما السنسكريتية والعربية »[10] ، فكان للعرب وللغتهم المقدسة الدور الرّيادي في ميلاد علم الأصوات.

بدايات التأسيس:

لكل علم أسبابه وأدواته ومناهجه وغاياته وأهدافه ، فقد كانت الحاجة ملحة أمام العرب والقرآن يتلى بينهم واللحن في الألسن يسري ويتفشى بين الناس ، بأن يتصدوا لهذا الخطر ويضعوا حاجزا له ليحصنوا لغتهم ، وأوّل ما وقع اللحن وقع في الصوائت ، فانتبه علماء اللغة والنحو والقراءة إليها

فأَوْلوْها عناية فائقة ؛ لأنّ اللغة العربية كانت ومازالت تفتقر إلى حروف صائتة تنوب عن الحركات (الفتحة ، الضمة ، الكسرة) ، فاقتصارها على الحروف الصامتة من شأنه أن يطرح أمام القارئ مشكلة ما سمّاه عبد الله العلايلي" القراءة في اللغة "[11] ، فاللغات الأوربية على سبيل المثال تعتمد على الصوائت (voyelle) a.e.i.o.u.è.y الموجودة بين الصوامت في تحديد لفظ كل كلمة ، كما أنّه يمكن لهم النطق بها في بداية الكلام ، وهذا يتعارض مع قواعد النطق في اللغة العربية ، "والعلماء العرب ومن بينهم فخر الدّين الرّازي انتبه إلى أنّ بعض اللغات يجوز فيها الابتداء بالصائت"[12] ، فهذا من أوجه الاختلاف بين اللغة العربية وغيرها من اللغات.

إنّ اهتمام العرب القداماء ، انصب على الصوامت باعتبارها عندهم هي الأصول ، فإنّ الّذي أعطى للدرس الصوتي وجوده ، وفتح منافذه هو الصوائت ، فالبدايات الأولى كانت مع أبي الأسود الدؤلي وهو يتلو على كاتبه : « خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد ، فإذا فتحت شفتيّ فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتهما فاجعل النقطة إلى جانب الحرف ، وإذا كسرتهما فاجعل النقطة في أسفله ، فإن أتبعت شيئا من هذه الحركات غنّة فانقط نقطتين »[13]، فهناك فتح الشفتين يلازمه صائت قصير وهو الفتحة ، وضم الشفتين ، ارتبط بصائت الضمة، ثم كسر الشفتين أو خفضهما مثّل صائت قصير آخر وهو الكسرة

يوضح محمد خير حلواني الجوانب الصوتية في نص أبي الأسود الدؤلي بقوله : « ...وفي هذا النص جانبان فزيولوجي يعتمد مظاهر الحركات المادية في نطق الحركات، وجانب علمي يعتمد الجانب الإدراكي اللغوي ، فهو يدفع كاتبه إلى ملاحظة طريقة النطق ، شكل الشفتين ، وهو بذلك يرسي أسسا صوتية ما تزال مستخدمة حتى أيامنا هذه... »[14] ، وهذه الأسس الصوتية تتجلى في دور الشفتين عند النطق بهذه الصوائت القصيرة ، والّتي سيعتمدها جلّ العلماء بعد أبي الأسود الدؤلي.

إن حركة الشفتين ببساطتها عمل فزيولوجي محض يمس جوانب من علم الأصوات النطقي ، فالمحدثون يرون بأنّ الشفتين عضوان أساسيان في إحداث الصوائت وتشكلها بل وتحديد خواصها ، وقد انتبه إلى ذلك القدامى ، فعمل أبي الأسود لم يكن تنظيريا فحسب بل تعدى ذلك إلى محاولة إخضاع التقعيد إلى نتائج ملموسة ، فهذا أبو عمرو الداني يرى في عمل أبي الأسود

رأيا إذ يقول : « لم يقتصر الأساس الصوتي في ذلك العمل على تلك الملاحظات وإنّما نرى أبا الأسود على أغلب الظن ، قد اختار أن تكون الفتحة من فوق الحرف ؛ لأنّ فيها استعلاء، وأن تكون الكسرة من تحته لما فيها من تسفّل ، ولم يبق للضمة غير موضع واحد هو وسطه أو أمامه »[15] ، فأسماء الصوائت القصار تمت ومثلت الوضع العضوي لإنتاجها.

وبناء عليه ، فإنّ النقطة في الأصل لم توضع لتمثل الصائت وإنّما لتشير إليه فقط"وكأنّ كاتبه كان معلّق البصر يتابع حركة شفتيه ، ولكن لا شك في أنّه استطاع أن يميز بين الحركات الثلاث تبعا لاختلاف الجرس المتولد عن كل منها بعد فترة قصيرة من ابتداء العمل وقبل أن ينتهي من نقط المصحف ، خاصة أنّ الرّوايات تؤكد أنّ الكاتب على درجة عالية من الفطنة والفهم "[16] ، وإن كان الدافع عند أبي الأسود هو الرّسم لا الصوت في تمثيل الصوائت القصيرة.

يظهر حرص العلماء العرب على قراءة القرآن قراءةً سليمةً لا تخالف قواعد القراءة المتواترة ، "فالمحافظة على جوهر لفظ القرآن ، ومراعاة شكله من ضم ، أو فتح أو كسر أو سكون أو تشديد أو تخفيف ونحوه واجب شرعي يثاب عليه فاعله، وإنّ الإخلال بأيّة ناحية من هذه النواحي خطأ ظاهر ، ولحن جلي يأثم فاعله ، ويعاقب عليه "[17] ، فالدين والخوف من اللّحن عاملان أساسيان في ضبط المصحف الشريف من لدن أبي الأسود الدؤلي الّذي بحث عن طريقة تمنع من يتلو النص القرآني من الوقوع في اللحن.

لقد لقي أبو الأسود الدؤلي معارضة كبيرة في التجديد الّذي جاء به ، "أما مالك فمنع وضع الإشارات على كافة المصاحف الأمهات الّتي تستعمل استعمالا رسميا ، وسمح بها في المصاحف الصغار الّتي تخدم التدريس "[18] ، وخاصة إذا علمنا بأنّ الشكل والضبط تم بألوان مختلفة ، ولكن رأي مالك هذا سمح للأطفال أن يتعلموا في هذه المصاحف ، وهذا دليل على علمه بأهمية الضبط ، وإشكالية الرّسم المعرّى من الشكل وأثره على اللسان.

لهذه الأسباب فإنّ الحاجة كانت ملحة لتخليص المصحف الشريف مما كان عليه ، بل وتمكين الكتابة العربية من استيعاب أصواتها بالقدر الممكن ، فالصوائت القصيرة الّتي اتّخذت في بادئ الأمر شكلا مدورا سيصبح لها تمثيل في الرّسم ، روى الداني أنّ أبا الحسن بن كيسان قال : « الشكل الّذي في الكتب من عمل الخليل ، وهو مأخوذ من صور الحروف ، فالضمة واو

صغيرة الصورة في أعلى الحرف لئلا تلتبس بالواو المكتوبة ، والكسرة ياء تحت الحرف والفتحة ألف مبطوحة فوق الحرف »[19] ، فأخذ الخليل للصوائت القصيرة صورا الفتحة ترسم هكذا (ـَ) ، والضمة (ـُ) ، والكسرة (ـِ) ، فأخذها من صور الألف والواو والياء.

وضع رموز الصوائت والاهتمام بها:

من هذا المنطلق فإنّ الخليل أدرك العلاقات الجزئية والكلية بين ما يعرف بالصوائت القصار والصوائت الطوال ، وذلك من حيث تشاكل الصوائت القصيرة مع الصوائت الطويلة في الرّسم ، فإذا تأملنا قول الخليل : « فالفتحة من الألف ، والكسرة من الياء ، والضمة من الواو ، فكل واحدة شيء ـ يقصد بعض ـ مما ذكرت لك »[20] ، أدرك الخليل إذن العلاقات الصوتية بين الصوائت القصيرة والطويلة ، فوضع رموز القصيرة مشتقة من رموز الطويلة.

ولكنّ الخليل عدّ الصوائت القصيرة مجرّد زوائد يتوصل بها إلى نطق الساكن ، ولم يتوصل إلى مخارجها وقيمتها الصوتية ، عكس الفلاسفة المسلمين ، بحكم اشتغالهم بالموسيقى وبعلم التشريح واطّلاعهم على قضايا الطب والفلسفة اليونانية خاصة ، فإنّهم توصلوا إلى الكثير من خواص الصوائت القصيرة ، ويؤكد ابن سينا على وحدة الصوائت الطويلة والقصيرة ، إذ لا تختلف الطّويلة عن القصيرة إلاّ في الكمية ، لذلك فهي ليست عوارض ولا زوائد ، ما دامت الحركات الثلاثة وضعت في الأصول ، فبالأحرى عدّ الأخرى القصيرة كذلك[21] ، وينفي ابن سينا عن الصوائت القصيرة أن تكون عوارض أو زوائد وإنّما هي أصوات ، ونفس الفكرة اعتمدها باقي الفلاسفة وإن كان فخر الدّين الرّازي وهو المحسوب على الفلاسفة يترنح بين الفلاسفة والنحاة في نظرته إلى الصوائت.

هذا ما جعل بعض المحدثين يثورون على هذه الصورة الّتي عليها الرّسم العربي، وأيضا على نظرة القدامى (وخاصة النحاة منهم) إلى الصوائت القصيرة ، لعدم الاعتداد بالصوائت كأصوات لها أهميتها ، فإبراهيم السمرّائي ينفي عن الصوائت أن تكون رسوما موضوعة فوق أو تحت الحرف الصحيح لأنّها أصوات يقول في صدد الصوائت القصيرة : « إنّ من حق هذه الأصوات أن يكون لها مكان في بناء الكلمة ، لا أن تضاف فوق الحرف أو تحته فيخفف منها فينشأ الخطأ ... إنّ هذه الأصوات القصيرة

كنظائرها الطويلة ، وهي كالأصوات الصامتة في تقرير دلالة الكلمة . فأنت تعرف (الطَّرَفَ) غير (الطُّرْف) وغير (الطِّرْف) ومثل هذا في سائر مواد العربية »[22] ، فهذا من بين المآخذ على الرّسم العربي وعلى نظرة النحاة العرب للصوائت القصيرة.

بَيْدَ أنّنا لا نكاد نجزم بأنّ الخليل توقف عند هذه النظرة للصوائت القصيرة ، فقد نقل السيوطي عن الخليل رأيه في ثقل الضمة ، أنّ "المتكلم يتكبد جهدا كبيرا في نطقها ، فالضمة تحتاج إلى حركة الفكين والشفتين مثل : الواو ، ويضيق ممرّ الهواء ، فيبذل المتكلم طاقة في الأداء "[23] ، وهو ما أشار إليه من جاء بعده من بينهم فخر الدّين الرّازي وغيره ، وهذا يتوافق مع طبيعة الصوائت القصيرة في خفة وثقل النطق.

أرسى العلماء العرب القداماء الكثير من القضايا الصوتية الّتي تخص الصوائت ، فقد فرّقوا بين الصوامت والصوائت ، فقسموا الأصوات إلى صحاح أي صوامت ، وجوف أي صوائت وهو ما أشار إليه الخليل حيث قال:« في العربية تسعة وعشرون حرفا منها : خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومدارج ، وأربعة أحرف جوف وهي : الواو والياء والألف اللينة والهمزة »[24] ، فالخليل أدرك أنّ الواو والياء والألف صنف من الأصوات يختلف عن بقية الحروف (الصامتة) ، وهذه الأصوات تختلف عن الصوامت في المخرج والصفة ، ولم يكن الخلاف بين الخليل ومن جاء بعده في طبيعة هذه الأصوات وإنّما كان الاختلاف حول المخرج.

الاختلاف حاصل بين العلماء العرب القدامى حول مخارج الحروف ، فكل منهم يدلي بدلوه في هذه المسالة ، "أما الخليل فقد عدها سبعة عشر مخرجا ، وأما تلميذه سيبويه ستة عشر مخرجا ، مستبعدا مخرج الجوف ، وأما قطرب والجرمي فعداها أربعة عشر مخرجا ،وجعلا مخرج اللام والنون والراء مخرجا واحدا" [25] ،فكان لكل رأي أنصار ، والاختلاف الحاصل في عدم ضبط مخارج الأصوات ، إذ توزعت مخارج الصوائت الطويلة مع مخارج الصوامت ، وذلك لقلة الوسائل وعدم إلمامهم بعلم التشريح ، وهذا ما يوضحه فخر الدّين الرّازي بقوله :« تحتاج هذه المباحث إلى معرفة أحوال القلب والرّئة ، ومعرفة الحجاب الّذي هو المبدأ الأول لحركة الصوت ومعرفة سائر العضلات المحركة للبطن والحنجرة واللسان والشفتين »[26] ، لقد قدم العلماء المسلمون ـ وبالأخص الفلاسفة منهم ـ معالم دقيقة لكثير من القضايا الأساسية لنطق وفيزياء الصوت.

لم يكتف علماء السلف بوضع مخارج الأصوات ، بل توصلوا إلى توصيف الأصوات بصفات مميزة ، فأدركوا اجتماع مجموعة من الأصوات في حيز واحد واختلافها في الصفة ، وقد نقل مكي بن أبي طالب في الرعاية قول المازني : « إنّ الّذي فصل بين الحروف الّتي ألّف منها الكلام سبعة أشياء : الجهر والهمس والشدّة والإرخاء والإطباق والمدّ واللين ، قال : لأنّك إذا جهرت أو همست أو أطبقت أو شدّدت أو مددت أو ليّنت اختلفت أصوات الحروف الّتي من مخرج واحد ، قال : فعند ذلك يأتلف الكلام ويفهم المراد »[27] ، وفي هذا النص الكثير من الصفات الّتي تعني الصوائت كالجهر والمدّ واللين.

لقد وضع العلماء العرب القداماء الصوائت من الأصوات المتسعة المخرج والمجهورة ، والأصوات الّتي يمدّ بها الصوت وأنّ كميتها الصوتية تزداد وتنقص وأدركوا بأنّه لا فرق بين الصوائت القصيرة والطويلة إلاّ في الكمية بدءا بسيبويه وابن جني وابن سينا وفخر الدّين الرّازي والخوارزمي ، فابن جني يقول : « علم أنّ الحركات أبعاض حروف المدّ واللّين ، وهي الألف والياء والواو ، فكما أنّ هذه الحروف ثلاثة ، فكذلك الحركات ثلاث ، وهي الفتحة ، والكسرة والضمة،فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء ، والضّمة بعض الواو ، وقد كان متقدّموا النّحويين يُسَمُون الفتحة الألف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ، والضّمة الواو الصغيرة ، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة »[28] ، إشارة واضحة للعلاقات الصوتية بين الصوائت القصيرة والطويلة والفرق بينهما في الكمية.

وفرّق ابن سينا بين الصوائت والصوامت ، فهذه الأخيرة "يندفع معها الهواء سلسا غير مزاحم ، وبيّن الفرق بين نوعين من الواو والياء ، فنوع أدرجه في الصوامت ، ونوع أدرجه في المصوتات ، كما فرّق بين الصوائت القصيرة والصوائت الطويلة ، وتحدث عن كمية الصوائت ، حيث الصائت الطويل يقع في ضعف أو أضعاف زمان الصائت القصير"[29] ، وما توصل إليه هؤلاء العلماء استحسنه وأقرّه المحدثون ؛ لأنّ الصوت اللغوي إما أن يكون فيه الصوت طويلا طبيعيا أو مكتسبا ، "والصوائت بطبيعتها أطول من الصوامت ، والزمن الّذي تستغرقه الطويلة ضعف الّذي تستغرقه الثانية" [30] ، فالصوائت من الأصوات الّتي يمدّ بها الصوت.

غير أنّ من الأخطاء التي وقع فيها القدماء اعتقادهم بوجود الصوائت القصيرة قبل الطويلة ، وهو ما تصدى له المحدثون ، واعترضوا على هذا التوهم، يقول إبراهيم أنيس : « ولكن القدماء قد ضلوا الطريق السوي حين ظنوا أنّ هناك حركات قصيرة قبل حروف المد ، فقالوا مثلا : إنّ هناك فتحة على التاء في (كِتَاب) ، وكسرة تحت الراء في (كَرِيم) ، وضمة فوق القاف في (يَقُول) والحقيقة أنّ هذه الحركات القصيرة لا وجود لها في تلك المواضع ، فالتاء في (كِتَاب) محركة بألف المد وحدها ، والراء في (كَرِيم) محركة بياء المد وحدها ، والقاف في (يَقُول) محركة بواو المد وحدها »[31] ، فالقدماء على حدّ تعبير إبراهيم أنيس ضلوا السبيل بسبب الرّسم ولكنّهم أدركوا كمية الصوائت.

فصّل القرّاء في مسألة المدّ الّذي لا يكون إلاّ في الصوائت الطويلة حرصا منهم على الأداء السليم لقراءة القرآن الكريم ، والمدّ "زيادة مطّ في حروف المدّ ولا يكون إلاّ لسبب ، والسبب إما لفظي وهو همزة وسكون،وإما معنوي وهو قصد المبالغة في النفي "[32] ، واختلفت مقادير المدّ بين القرّاء ، ويظهر جليا في القراءات القرآنية ، إذ لفخر الدّين الرّازي وقفات كثيرة في القراءات القرآنية في التفسير الكبير ، فكمية المدّ ومقداره يختلف من قارئ إلى آخر . وللوقوف على الصوائت إشارات كذلك ، تتمثل في الروم والإشمام والاختلاس ، حيث تنقص كمية الصائت ، ومن الظواهر الأدائية في القراءة والمتصلة بالصوائت الإشباع والقصر والتفخيم والترقيق.

لقد تعدد مسميات الصوائت وعرفت العديد من المصطلحات ، واشتهرت عند النحاة بالحركة وأصوات المدّ واللّين وحروف العلّة وبالمجاري ،وبالجوفية والهوائية ، وأما عند الفلاسفة فهي المصوّتة ، ولم تتغير مسمياتها عند المحدثين ، وبقيت أغلب هذه المصطلحات مستعملة ، وهناك من أضاف مصطلح الانطلاقية، للتعبير عن كمية الهواء المندفعة أثناء حدوثها ، والحركة نفسها تنقسم إلى حركة إعرابية وحركة بنائية.

وظائف الصوائت:

بنى العرب فكرتهم عن المتحرّك والساكن الّتي بنوا عليها تقسيماتهم العروضية والصرفية ، "فالمتحرّك عندهم هو الصامت الّذي يتلوه الصائت والساكن يأتي على ضربين ساكن يمكن تحريكه ، وساكن لا يمكن تحريكه ، والأول يشمل جميع الحروف ما عدا الألف ، والثاني هو الألف في كتاب وحساب وباع وقام "[33] ، الساكن الّذي يمكن تحريكه يقبل دخول الصائت

عليه ، والساكن الّذي لا يمكن تحريكه هو الصائت الطويل الألف في نظر القدامى ، "وعند المحدثين أنّ الصوامت هي وحدها الّتي تقبل الصائت والسكون ، ويلحق بهما الواو والياء اللينتان والمتحركتان ، أما الصوائت الطويلة الألف والواو والياء ، فلا تقبل دخول الصائت عليها فمن الخطأ وصفها بالسكون ؛ لأنّها صوائت منافية بطبعها للسكون "[34] ، وهذه الصوائت الطويلة هي الّتي تخرج الصامت من سكونه فلا توصف بالسكون.

بناء على ما سبق فإنّ "العلماء العرب تحدثوا بإسهاب عن موقع الصائت ، فهل هو قبل أم بعد أم مع الصامت ؟"[35]، وتوصل أغلبهم ومنهم فخر الدّين الرّازي أنّ الصائت يقع بعد الصامت ، ولكن عندهم لا يمكن الابتداء بالساكن ، ولا يمكن أن يلتقي ساكنان ؛ لأنّ الطبع العربي لا يقبل ذلك ، فتلجأ العربية إلى وسيلة للتخلص من هذا العبء ، فتنشأ همزة وصل فتصبح من مكونات المقطع، كما ترفض العربية البدء بصائت ، ترفض كذلك أن يتوالى صامتان ، وإن كانت تتحمل ذلك في وسط الكلمة . هذه الظواهر التشكيلية المتمثلة في تجزئة الكلام إلى مقاطع"هي فكرة أصيلة عند العرب ، تعود إلى تلك المرحلة الطويلة الّتي عاشت فيها العربية لغة شفهية تعتمد على المشافهة والسماع وأنّ مذهب العرب في التلقين يقوم على نسق إيقاعي"[36]، وقد انتبه الفلاسفة المسلمون بحكم اشتغالهم بالموسيقى إلى المقطع الصوتي"إذ المقطع حرف مع حركة ، أو حرفان ثانيهما ساكن . على ما صرّح به ابن سينا في الموسيقى ، والفارابي في كتاب الألفاظ والحروف"[37]، فالمقطع عند هذين العالمين حصيلة صامت مقترن بصائت ، والأساس في هذا الّذي توصل إليه العلماء المسلمون ، هو أنّ الصائت ركن أساسي في المقطع وهو ما يؤكد عليه المحدثون ، فالبناء المقطعي يدخل الصائت عليه ، فيشكل نواة المقطع ، ويحدد المقطع النسيج اللغوي للعربية . نشير هنا أنّ فكرة المقطع ، تبلورت واستقامت مع الفلاسفة المسلمين ، مما جعل المحدثون يستفيدون كثيرا مما جاء به هؤلاء ، فاستطاعوا أن يحصوا عدد المقاطع العربية الّتي نجملها في هذا الجدول[38] : المتسلسل

مكونات المقطع
رمز المقطع
نوع المقطع
مثال على المقطع

رمز المثال
ملاحظات

المقطع الأول
صامت + حركة قصيرة
ص ح
قصير مفتوح
(ضَ) من (ضَرَبَ)

ص ح

المقطع الثاني

صامت + حركة طويلة
ص ح ح
متوسط مفتوح
حرف الجر في

ص ح ح
يصفه بعض العلماء طويل مفتوح

المقطع الثالث
صامت + حركة قصيرة + صامت
ص ح ص
متوسط مغلق
بٌ من قولنا : كتابٌ
ص ح ص
يصفه بعض العلماء قصير مغلق

المقطع الربع
صامت + حركة طويلة + صامت
ص ح ح ص
طويل مغلق
تابْ من قولنا : كتابْ
ص ح ح ص
عند الوقف على الباء

المقطع الخامس
صامت + حركة قصيرة + صامتان
ص ح ص ص
طويل مغلق
منْهْ في حالة الوقف
ص ح ص ص

المقطع السادس
صامت + حركة طويلة + صامتان
ص ح ح ص ص
طويل مغلق
ضالّ - ضالْلْ
ص ح ح ص ص
(جدول يبين أنواع المقاطع العربية مع رموزها)

يُظهر الجدول أنواع المقاطع العربية في العديد من الحالات الممكنة الّتي يلفظ بها في النطق العربي ، في حالة الوقف ، والتقاء الساكنين ، وفي مدّ الصوت بصائت طويل ،

ومجاورته لحرف مضعف ، مما يعطي للصائت دور في التشكيل الصوتي المقطعي والوقوف على الكلام المتصل ، فلو تتغير الكلمات تتغير مقاطعها وخاصة في الأداء القرآني . "وأكثر هذه المقاطع ورودا في العربية الثلاثة

الأولى ثم الرابع ، أما الخامس والسادس فهما نادران إلا في الوقف"[39] ، فالعربية تأبى توالي أربع صوائت تجنبا لثقل الكلمة بسبب إطالتها ، فتصبح الكلمة كأنّها تتكون من ثمانية أصوات ، فحين تكون الكلمة على أربعة مقاطع متساوية يعطيها رتابة وثقلا.

تنهج العربية إلى تخفيف الصوائت بتقريب بعضها من بعض ، وبالتناسب بينها وبين الصوامت ، يظهر ذلك في الإمالة وهي : "أن تذهب بالفتحة إلى جهة الكسرة والألف جهة الياء كالفتى ، وإلا الممال الفتحة كنعمة"[40] ، وذلك حتى لا يكون الانتقال من الصائت إلى الّذي يليه ثقيلا ، فيصير الصوت بين بين ، وقد تحدث ابن جني عن صوائت فرعية حصرها في ستة صوائت ، بينما هي عند فخر الدّين الرّازي ثمانية عشر صائتا ، بين المتفرّعة عن القصيرة والطويلة ، وهي مجرّد ألفونات عرفتها بعض اللهجات العربية ولا دور لها في الوظيفة والدلالة.

هناك حالات من الانسجام بين الصوائت منها ظاهرة الإتباع كضم همزة الوصل تبعا لضم الصامت الثالث نحو ": أُستُضعف ، اُحتُقِر ، اُحرُنجم ، وذلك لتقريب همزة الوصل من الصامت الثالث المضموم ، إذ لم يكن بينهما إلاّ ساكن ، فكرهوا كسرة بعدها ضمة "[41]،ليكون عمل اللسان من جهة واحدة ، وكذلك فعلوا مع بعض الصيغ ، بكسر صيغة فعِل الحلْقية العين ، "فقالوا : شهِد ، فخِذ ، شِهِيد ، نِحِيف ، فتكسر الفاء اتباعا"[42] ، وهذا يمثل جانبا من لهجاتهم ، وقد تعقّب الرّازي هذه الظواهر الصوتية للصوائت ،والإبدال الحاصل بينها ،وهو يميل إلى أنّ الكسر يغلب على اللهجات العربية .

أما المناسبة بين الصائت والصامت فتتمثل في مجيء المضارع (فَعَلَ) المفتوح العين في الماضي مفتوحها في المضارع إذا كانت عينه ولامه حرف حلْق نحو:")قَرَأَ ، يَقْرَأُ (أو) مَنَحَ ، يَمْنَحُ (،) سَأَلَ،يسأَل (و) قَهَرَ ، يَقْهَرُ (والسبب عندهم لما فتحوا هذه الصوامت لأنّها سفلت في الحلْق ، فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف ، فجعلوا حركتها من الحرف الّذي في حيّزها وهو الألف ، وإنّما الصوائت القصيرة من الألف والواو والياء"[43] ، والفتحة خفيفة تناسب هذه الأصوات الحلْقية ، والسبب في الاعتماد على الفتحة بدلا من الضمة والكسرة أنّ"اللّسان في نطق الحروف الحلقية ، يجذب إلى الوراء ، مع بسط وتسطيح له ، وهذا هو وضعه في نطق الفتحة "[44] ، فالأصوات الحلقية تناسبها الفتحة.

تحرص اللغة العربية إلى التخلص من الصائت الثقيل ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ، لتعطي لأبنيتها انسجاما ، إذ تجعل الثقيل خفيفا والخفيف أخف ، عن طريق القلب أو الحذف أو الإبدال أو الوقف أو التناسب بين الصائت والصامت ليكون حسن التأليف بين الصوائت . وتظهر هذه الظواهر الصوتية في القراءات ، "فهناك قبائل كانت تميل إلى الفتح ، وقبائل تميل إلى الكسر أو الضم"[45] فالفتح أنسب للقبائل المتحضرة ، والضم أنسب إلى القبائل البدوية ، ولكن عند المعاقبة بين الصوائت الّتي هي صورة من صور اختلاف اللهجات"مالت القبائل البدوية بوجه عام إلى مقياس اللين الخلفي المسمى بالضمة ؛ لأنّه مظهر من مظاهر الخشونة البدوية ، فحيث كسرت القبائل المتحضرة وجدنا القبائل البدوية تضم ، والكسر والضم من الناحية الصوتية متشابهان ؛ لأنّهما من أصوات اللين الضيقة ، لهذا تحل إحداهما محل الأخرى في كثير من الظواهر اللغوية "[46] ، إذاً الكلمة من أصل واوي وما تفرّع عنها من ضم وواو الصائت الطويل صورة بدوية ، والكلمة من أصل يائي وما تفرّع عنها صورة حضرية.

على هذا الأساس من خلال تبادل الصوائت فيما بينها فإنّ موقعيته لها وظيفة ففي " فاء " الكلمة تؤدي وظيفة منوطة بها ، فالبُرّ ، والبِرّ ، والبَرّ ألفاظ اختلفت معانيها لاختلاف صوائتها ، والصائت في " عين " الكلمة يؤدي كذلك وظيفة ، فكَتَبَ وكُتِبَ وكَتيب صيغ تختلف معانيها ، ويبقى الصائت في " لام " الكلمة يميّز بين المواقع النحوية ، ويبقى للفتح دلالته ووظيفته وللضم والكسر دلالتهما ووظيفتهما ، وفي التفسير الكبير للرّازي وقفات مع دلالة الصائت ، إذ تتبع الرّازي القراءات القرآنية وبين الاختلاف بين الصوائت في الدلالة.

ما يمكن أن نخلص إليه هو أنّ فكرة اهتمام العلماء العرب بالصوامت دون الصوائت ، فكرة آخذ عليها المحدثون القدامى، إذ انصبت جهودهم نحو الأصوات الصامتة ، باعتبارها أصولا ، فنظروا إليها نظرة جادة ولم يوفروا نفس الجهد لقسيم الصوامت وهو الصوائت ، جعل رأس المحدثين في علم الأصوات إبراهيم أنيس يقول : « أصوات اللين مع أنها عنصر رئيسي في اللغات ومع أنها أكثر شيوعا فيها ، لم يعن بها المتقدمون من علماء العربية ، فقد كانت الإشارة إليها دائما سطحية ، لا على أنّها من بنية الكلمات ، بل كعرض يعرض لها ، ولا يكون إلا شطرا فرعيا ، ولعلّ الّذي دعا إلى هذا أنّ الكتابة العربية منذ القدم ، عنيت فقط بالأصوات الساكنة فرمزت لها برموز

»[47] ، ولعلّ إبراهيم أنيس من خلال مآخذه على العلماء العرب القدامى ، لعدم عنايتهم بالصوائت ، واهتمامهم بالصوامت ، ردّ ذلك إلى تعسف الخط العربي الّذي لم يمنح في زمن ما رسوما خاصة بالصوائت مثل تلك الّتي منحت للصوامت.

إنّ محاولة إلغاء جهد الأولين من العلماء الأفذاذ لهو إجحاف في حقّ علماء السلف ، فإنّ تناولهم للصوائت فيه من المحاسن كما فيه من المآخذ ، والأمر كذلك ينطبق على الصوامت الّتي أعطوها جهدهم ، وتفرّغوا لدرسها ، وإنّ عمل العلماء من النحاة إلى اللغويين إلى الفلاسفة ، اتّسم بوضع لبنات جادة وأصيلة في مفهوم الصائت ونظامه ، إذ بلغ الفلاسفة درجة تقارب ما توصل إليه العلماء المحدثون في نظرتهم إلى الصوائت ومنهم فخر الدّين الرّازي الّذي زخر تفسيره الكبير بإشارات فيها الكثير من المحاسن تنظيرا وتطبيقا عن الصوائت.

خاتمة:

تمكن القدماء من تصنيف الأصوات اللغوية ، وحددوا قسميها إلى : صوامت وصوائت ، ولم يكن اشتغال العرب كما يظن البعض فقط مس الأصوات الأصول وإنّما اهتموا بالصوائت ، فقد كانت هي المحرّك لبعث الدرس الصوتي ، والدفع به إلى النضج والاستواء ، وظهرت في دراساتهم الصرفية والنحوية والدلالية الجوانب التطبيقية لنظام الصوائت وأهميتها في التوزيع والتنويع وتلوين الكلمة ، وقد أدركوا الكثير من خواصها الصوتية والصرفية ، حتىّ أنّ مسمياتها تعددت بين النحاة والقراء والفلاسفة.

<u>**الهوامش**</u> :

[1]- سورة النساء ، الآية 82.

[2]- ابن جني : الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي ، (بيروت) ، لبنان ،(د . ت . ر . ط) ، ج 1 ، ص33.

[3]- صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة العربية ، دار العلم للملايين ، (بيروت) ، لبنان ، ط 4 ،1370 هـ / 1970م ، ص 350.

[4]- أنيس فريحة : نظريات في اللغة ، دار الكتاب اللبناني ، (بيروت) ، لبنان ، ط2 ، 1981م ، ص 14.

[5]- عبد الرحمن الحاج صالح : مدخل إلى علم اللسانيات الحديث ، القرن التاسع عشر : عصر التاري (الداروينية اللغوية والإيجابية التاريخيية) ، اللّسانيات ، مجلة في علم اللسان البشري تصدرها جامعة الجزائر ، معهد العلوم اللسانية والصوتية ، المجلد الثاني ، 1972م ، ص 46.
[6]- الزجاجي أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق : الإيضاح في علل النحو ، تحقيق: مازن مبارك ، مكتبة دار النفائس ، بيروت (لبنان) ، ط3 ، 1399هـ / 1979م ، ص 65.
[7]- السيوطي جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر : المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ضبطه وصحّحه ووضع حواشيه : فؤاد علي منصور ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت (لبنان) ، ط1 ، 1418 هـ / 1998م ، ج1 ، ص 56.
[8]- أحمد مختار عمر : البحث اللغوي عند العرب ، عالم الكتب ، (القاهرة) ، مصر ، ط6 ، 1988م ، ص 81
[9] - براجشتراسر : G. Bergsträsser التطور النحوي للغة العربية ، أخرجه وصححه وعلق عليه : رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة) ، مصر ، ط 2 ، 1417 هـ / 1997م ، ص57
[10]- أحمد مختار عمر : البحث اللغوي عند العرب ، ص101.
[11]- عاطف جميل عوّاد : مشكلة الناشئة مع اللغة العربية الفصحى وتصوّرات حلول له ، مجلة المنطلق ، فكرية إسلامية ، صادرة عن الاتحاد اللبناني للطلبة المسلمين ، العدد : 99/98 ، ذو القعدة ـ ذو الحجة ، 1411هـ / أيار ـ حزيران ، (بيروت) ، لبنان ، 1991م ، ص96.
[12]- فخر الدّين الرّازي محمد بن عمر : التّفسير الكبير (أو مفاتيح الغيب) قدّم له : هاني الحاج ، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه : عماد زكي البارودي ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، (مصر) ، (د . ت . ر . ط) ، ج1 ، ص 56.
[13]- الأنباري عبد الرحمن بن محمد : نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية ، صيدا ، (بيروت) ، لبنان ، ط1 ، 1424هـ / 2003م ، ص 18.
[14]- محمد خير حلواني : المفضل في تاريخ النحو العربي (الجزء الأول قبل سيبويه)،مؤسسة الرسالة، (بيروت)، لبنان ، ط1 ، 1979م ، ص103.
[15]- أبو عمرو الداني : المحكم في نقط المصاحف ، ص 42 ، المكتبة الشاملة ، موقع يهتم بالفكر والثقافة والتراث -http://www.shamela.ws
[16]- غانم قدّوري الحمد : رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية ـ اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري ، (بغداد) ، العراق ، ط1 ، 1403هـ / 1982م ، ص 505.
[17]- الحصري محمد خليل : أحكام قراءة القرآن ، ضبط نصه وعلق عليه : محمد بلال منيار ، المكتبة المكية ، دار البشائر المصرية ، (القاهرة) ، مصر ، (د . ر . ت . ط) ، ص 41.
[18]- تيودور نولدكه : تاريخ القرآن ، تعديل : فريد يريش شفالي ، نقله إلى العربية : جورج تامر ، عبلة معلوف تامر ، خير عبد الهادي ، نقولا أبو مراد ، دار نشر جورج أنمر هيلد سهايم ، زوريخ ، نيويورك ، (د . ر . ت . ط) ، ص688
[19]- أبو عمرو الداني : المحكم في نقط المصاحف ، ص 7.

[20]- سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر : الكتاب ، علّق عله ووضع حواشيه وفهارسه : إميل بديع يعقوب ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت (لبنان) ، ط1 ، 1420هـ / 1999م ، ج4 ، ص363.
[21]- أمينة طيبي : الدرس الصوتي عند الفلاسفة المسلمين ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة ، كلية اللآداب والعلوم الانسانية ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس السنة الجامعية : 1424هـ / 1425هـ ، الموافق : 2004م/2005م ، ص 157.
[22]- إبراهيم السمرّائي : في شعاب العربية ، دار الفكر ، (دمشق) ، سورية ، ط1 ، 1410هـ / 1990م ص 302.
[23]- السيوطي جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر : الأشباه والنظائر في النحو ، تحقيق : محمد عبد القادر الفاضلي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، (بيروت) ، لبنان ، (د . ر . ط) ، 1426هـ 2006 / م ج1 ، ص 179.
[24]- الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين ، ترتيب وتحقيق : عبد الحميد هنداوي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، (بيروت) ، لبنان ، ط1 ، 1424هـ / 2003م ، ج1 ، ص 57
[25]- عبد العزيز الصيغ : المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ، دار الفكر ، (دمشق) ، سورية ، (د . ر . ط) ، 1427هـ / 2007م ، ص55.
[26]- فخر الدين الرازي : التفسير الكبير ، ج1 ، ص 24 .
[27]- مكي بن أبي طالب القيسي : الرّعاية لتجويد القراءة ونحقيق لفظ التلاوة ، اعتنى به : جمال محمد
شرف ، عبد الله علوان ، دار الصحابة للتراث ، (طنطا) ، مصر ، (د . ر . ط) ، 1422هـ / 2002م ص51.
[28]- ابن جني أبو الفتح عثمان : سرّ صناعة الإعراب ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن ، شارك في التحقيق : أحمد رشدي شحاتة عامر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (لبنان) ، ط2 ، 1428هـ / 2007م ج1 ، ص33
[29]- ابن سينا الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله : رسالة أسباب حدوث الحروف ، تحقيق : محمد حسّان الطيّان ويحي مير علم ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، سورية ، ط1 ، 1403هـ / 1983م ، ص 84
[30] - إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، (القاهرة) ، مصر ، (د . ر . ت ط) ، ص 127
[31]- إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، ص 38.
[32]- ابن الجزري شهاب الدّين أبي بكر بن محمّد بن محمّد : شرح طيبة النشر في القراءات العشر ،
ضبطه وعلّق عليه : الشيخ أنس مهرة ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ،(بيروت (
لبنان ، ط3 ، 1426هـ / 2005م ، ص 71.
[33]- ابن جني : الخصائص ، ج2 ، ص 337.
[34]- ينظر : تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، دار الثقافة ، (الدار البيضاء)،المغرب ،(د . ر
ط) ، 1973م ، ص 281.

[35]- ينظر : مكي بن أبي طالب القيسي : الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، ص31.
[36]- مهدي بوروبة : الدّراسة المقطعية في التراث (من إشارات النحاة واللّغويين إلى تنظير الفلاسفة
المسلمين) ، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية ، (الجزائر) ، العدد : 01 ، سنة 2005م ،
ص237
[37]- الفاكهي عبد الله بن أحمد : شرح كتاب الحدود في النحو ، تحقيق : المتولي رمضان أحمد الدميري ،
مكتبة وهبة ، (القاهرة) ، مصر ، ط2 ، 1414هـ / 1993م ، ص72.
[38]- إبراهيم مصطفى العبد الله العمارنه : أصوات اللغة العربية (الفونيتيك والفونولوجيا) ، دار الأندلس للنشر والتوزيع ، حائل ، (المملكة العربية السعودية) ، ط1 ، 1428هـ / 2007م ، ص 146.
[39]- إبراهيم مصطفى العبد الله العمارنه : أصوات اللغة العربية ، ص 146.
[40]- ينظر : ابن جني : الخصائص ، ج1 ، ص 59.
[41]- ينظر : سيبويه : الكتاب ،ج4 ، ص258.
[42]- المصدر نفسه ، ص 255.
[43]- ينظر : سيبويه : الكتاب ، ج4 ، ص 231.
[44]- براجشتراسر : G.Bergsträsser التطور النحوي للغة العربية ، ص 63.
[45]- عبده الراجحي : اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ،(الرياض (
المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1420هـ / 1990م ، ص 149.
[46]- حمدي سلطان حسن أحمد العدوي : القراءات الشاذة دراسة صوتية ودلالية ، دار الصّحابة للتراث
(طنطا) ، مصر ، ط1 ، 1427هـ / 2006م ، ج2 ، ص 567.
[47] - إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، ص 36 .

مقاربة أسلوبية للخطاب الشعري عند بلند الحيدري
(ديوان "أغاني المدينة الميتة" نموذجا)

الدكتورة كبرى روشنفكر[11]
دانش محمدي[12]

الملخّص

مرّ الخطاب الشعري للشاعر العراقي المعاصر بلند الحيدري(1926-1996) بمراحل ثلاث. المرحلة الأولى كانت مرحلة الحب الرومانسي فجاء خطابه الشعري متميزا بالخصائص الرومانسية في الأدب، و المرحلة الثانية كانت مرحلة « الاغتراب» في خطاب الحيدري الشعري حيث عبّر عن أفكار وجودية، فاغترب في شعره و التجأ إلى الالتزام المنغلق أمام المجتمع، و أما في المرحلة الثالثة فدخل الخطاب الشعري للشاعر في الواقعية حيث خرج إلى الالتزام الصريح أمام آلام الإنسان العراقي و العربي و العالمي.

يتميّز خطاب الحيدري الشعري في كل مرحلة، بخصائص أسلوبية خاصّة. تتكفّل هذه الدراسة تحليل أسلوب المرحلة الثانية من خطابه الشعري. فتنتهج المنهج الوصفي- التحليلي و تتبنّى نظرية الأسلوبية الإحصائية لتحليل هذا الخطاب و ذلك من خلال التركيز على ديوان« أغاني المدينة الميتة».

و قد وصلت الدراسة إلى أنّ العناوين المختارة و الإيقاع و تكثّف أساليب النفي و التساؤلات الشعرية بجانب ظاهرتي التكرار و العنصر المهيمن ساعدت على تجلية رؤية الشاعر الوجودية و توضيحها.

الكلمات الدليلية: الاغتراب، أساليب النفي، التساؤلات الشعرية، أسلوب التكرار، العنصر المهيمن.

---

[11] – الأستاذة المساعدة في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة « تربيت مدرس» الطهرانية

[12] – طالب الدكتوراه في اللغة العربية و آدابها بجامعة« تربيت مدرس» الطهرانية

Stylistic Approach to poetic discourse of buland al-haidari

d. Kobra roshanfekr
Assistant Professor in Department
of Arabic Language and Literature of tarbiat modares University
Danesh mohmmadi rakati
Phd student in Arabic language and literature of tarbiat modares University

Abstract

Spent The poetic discourse of contemporary Iraqi poet boland al-haidari(1926-1996) through three stages. The first stage was the stage of romantic love. Boland poems in second stage, was the poem of existentialism. In this stage the poet speaks about the feeling of alienation. In the third, the poet noted to the complex realities of Iraq. The poet s style in every stag has special features. This research is trying to review style of second stage in, poetry poet. The method of research is descriptive analysis. Study is based on theory of statistical stylistics by the evaluation of collection of poems (aghani almadinat almayetat: songs of dead city). The result of this study indicate that the poet has tried to expressed his view poetry with using styles such as replication style, negations, questions & the dominant element.

Key words: alienation, negations, questions style, dominant element.

التمهيد

الأسلوبيّة فرع من اللسانيات الحديثة التي تعني بتحليل الأساليب الأدبية و الاختيارات اللغوية و تهتمّ بدراسة الطريقة الفنّية في التعبير عن الدلالات أو المعاني. تربط الدرلاسات الأسلوبية بين اللغة و الأسلوب في دراسة النصّ فالنص الأدبي نصّ لغوي، لا يمكن سبر أغواره دون تحليل العلاقات اللغوية التي ينطوي عليها(عياد، 1981: 14و13).

من أراد فهم الأسلوبية يجب أن يدرك مفهوم الأسلوب. هناك تعاريف شائعة للأسلوب. فهو « طريق في الكتابة»، و « طريق في الكتابة لكاتب من الكتّاب»، و « طريق في الكتابة لجنس من الأجناس»، و « طريق في الكتابة لعصر من العصور». و لعلّ الصيغة التعميمية التي تنطوي عليها هذه التعاريف هي سبب شيوعها(عياشي، 2002: 33).

و يعرّف الدكتور أحمد شايب الأسلوب أيضا بأنّه « الصورة اللفظية التي يُعبر بها عن المعاني، أو نظم الكلام و تأليفه لأداء الأفكار»(فضل، 1985: 100). فالأسلوب طريقة الكاتب أو طريقة لجنس من الأجناس أو عصر من العصور للتعبير عن المعاني و الأفكار. و هذا التعريف هو ما نرى ملامح منه في النقد العربي القديم عند عبد القاهر الجرجاني حيث يعرّفه بقوله هو الضرب من النظم و الطريقة فيه»(الجرجاني، لاتا :68).

و رأى البعض بأنّ الأسلوب مرتبط بمتكلّمه حتى يقال بأنّ الأسلوب هو الرجل أو الأسلوب هو الكاشف عن فكر صاحبه و نفسيته(ابن ذريل، 2002: 43).

فإذا كان الأسلوب طريقة الكتابة عند كاتب ما أو في جنس أو عصر ما، فهناك أسلوب شعري و أسلوب نثري و لكلٍّ منهما خصائص تدرسها الأسلوبيّة.

و قد اختلف الباحثون و النقاد في مجالات الدراسة الأسلوبية. فهذا « بالي» من كبار روّاد الأسلوبية يرى أنّ الأسلوبية لا تختصّ بالخطاب الأدبي فقط بل تتجاوزه إلى الخطاب عامّة. فمعدِن الأسلوبية حسب بالي ما يقوم في اللغة من وسائل تعبيرية تُبرز المُفارقات العاطفية و الإرادية و الجمالية بل حتّى الاجتماعية و النفسية، فهي إذن تنكشف أوّلا و بالذات في اللغة الشائعة التلقائية قبل أن تبرُز في الأثر الفنّي(المسدي،د.ت: 41)؛ غير أنّ روّاد علم الأسلوب- و على رأسهم أتباع بالي أنفسهم- سرعان ما نبذوا هذا التقسيم العمودي فعزلوا الأسلوبية عن الخطاب الإخباري الصّرف و قصروا عليها الخطاب الفنّي لأنّ الأسلوبية هي وريث البلاغة و بديل لها(المصدر نفسه، 42).

فالذين اعتقدوا بأنّ الأسلوبية تدرس فقط الخطاب الأدبي رأوا أنّ الأسلوب انزياح عن اللغة العادية. فعرّف « جيرو» في كتابه الشهير(الأسلوبية) الأسلوبَ بأنّه انزياح كمي بالقياس إلى معيار. يقول جيرو« إن أسلوبيتنا دراسة للمتغيرات اللسانية إزاء المعيار القاعدي» و ذلك «لأنّ القواعد مجموعة من القوانين، أي مجموعة من الالتزامات التي يعرضها النظام و المعيار على مستعمل اللغة. و الأسلوبية تحدد نوعية الحريات داخل هذا النظام»(جيرو، 1994: 13).

و يركّز الدكتور شكري عياد على« التميّز» و يجعله جوهر الحركة العلمية في البحث الأسلوبي إذ يقول:« إنّه الطريقة للتعبير اللغوي» ثم يضيف إلى ذلك ملاحظة مهمّة تقول: إنّ هذا « التميّز يدلّنا على كل ما يحمله الشعر من معان أو عواطف أو أخيلة.... و كل اختلاف بين مناهج البحث الأسلوبي بعد ذلك لا يخرج عن تحديد كيفيات هذا التميّز و مداه و طرق اكتشافه و تفسيره»(عياد، 13 و 14).

و يعود الاهتمام بالجانب الخاصّ من اللغة أو الانزياحات اللغوية في الأسلوبية، إلى المدرسة الشكلية حيث يذهب«جاكوبسون» إلى أنّ الأسلوبية بحث عما يتميّز به الكلام الفنّي عن بقية مستويات الخطاب أوّلا؛ و عن سائر أصناف الفنون اللسانية ثانيا»(عبد المنعم الخفاجي و آخرون، 1992: 23).

فإذا كان علم النفس يدرس "ما" يقال في اللغة فعلم الأسلوب يدرس "كيف" يقال في اللغة(الراجحي، 117). و البحث عن الكيفية يعني البحث عن « التميّز» و « التفرّد» التي تتمتّع به اللغة الأدبية، في مقابل« التوحّد» و « التلقائية» التي هي جوهر اللغة العادية و الإخبارية، و من ثم رأى « ماكارفيسكي» و غيره أن اللغة الشعرية تتميز بكسر القواعد النحوية أو اللغوية بعامّة بدرجات متباينة، و تخلق قواعد خاصّة بها، و غالبا ما تتعارض قواعد اللغة الشعرية مع قواعد المواضعة التي تحدد اللغة المعيارية؛ و عليه فمن الضروري النظر إلى الأسلوب باعتباره انحرافا عن لغة المواضعة، و باعتباره نمطا متميزا عنها، و إذا كانت لغة المواضعة هي المعيار الأوّلي، فإن الدراسة اللغوية للأسلوب تبحث عن كيفيات هذا الانحراف، و تؤسس درسا خاصّا به، يكون هو الدرس الأسلوبي الذي يكشف عن طبيعة التباين و الانحراف»(عياد، 126).

و من ثمّ جاءت مقاربتنا الأسلوبية لشعر الشاعر العراقي بلند الحيدري من خلال مجموعته الشعرية« أغاني المدينة الميتة» بحثا في « الكيفية» أي في سمات « التميّز » في استخدام اللغة، و بناء أدبية النصّ.

مشكلة البحث و الدراسات السابقة و منهج البحث

مرّ الخطاب الشعري لبلند الحيدري(1926-1996) بثلاث مراحل. المرحلة الأولى مرحلة الحب و التي يمثّلها ديوانه« خفقة الطين »(1946)، و المرحلة الثانية مرحلة الاغتراب الوجودي في شعره حيث يغترب الشاعر في أشعاره عن المجتمع و يعتنق الآراء الوجودية في الكون و الإنسان و المجتمع. و قد سمّى البعض هذه المرحلة بمرحلة الالتزام الخفي حيث لم ينصرف الشاعر من أمور الشعب بل أجبرته الظروف السياسية و الاجتماعية الحاكمة لكي يختار أسلوبا آخر للتعبير عن آلام شعبه. فأشعار بلند في هذه المرحلة تقترب من خصائص المدرسة الرومانسية في الأدب و يمثّل هذه المرحلة ديوانه« أغاني المدينة الميتة»(1951). أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الالتزام الصريح حيث يعبّر الشاعر عن المجتمع و الشعب و الإنسان العراقي و العربي و العالمي تعبيرا صريحا فأشعاره في هذه المرحلة تدخل في إطار المدرسة الواقعية في الأدب و دواوينه «جئتم مع الفجر» و «خطوات في الغربة» و «رحلة الحروف الصفر» و «حوار عبر الأبعاد الثلاثة» و«أغاني الحارس المتعب»(مقدمة ديوان بلند الحيدري، بقلم عبد الجبار عباس: 25-75).

فلا شكّ أن الخطاب الشعري لبلند الحيدري في كلّ هذه المراحل اتسمت بخصائص أسلوبية خاصّة؛ لأنّ الأسلوب يصاحب الفكر و يعبّر عنه. فهذه الدراسة تحاول دراسة الخصاص الأسلوبية للمرحلة الثانية من هذه المراحل، و هي مرحلة الاغتراب في الخطاب الشعري عند بلند الحيدري.

و قد جرت دراسات عدّة في هذا الشاعر العراقي و اختصّت الكثيرة منها بدراسة الاغتراب في شعره منها مقالة الهنداوي(2009) المعنونة ب« بلند الحيدري و إغراء الفلسفة»، فجاء معظم محاولة الباحث على تحليل الآراء الفلسفية التي أخذها الحيدري من الفلسفة الوجودية و عبّر عنها في شعره. و جرت دراسة أخرى لشعر بلند الحيدري في كتاب محمد راضي جعفر(1999) تحت عنوان « الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر» و درس الباحث الاغتراب في شعر بلند بجانب ثلاثة شعراء آخرين، و لم يكتف بدراسة مضمون الاغتراب فقط بل عالج البنية اللغوية و البنية التصويرية و البنية الإيقاعية في دواوين الشعراء الأربعة. لكن هذه الدراسة مع ما لها من القيمة النقدية، فمقاربة كليّة لم تتجاوز تحليل الخصائص الأسلوبية في بضعة قصائد لبلند الحيدري.

فيبدو أنّ ديوان« أغاني المدينة الميتة» الذي يمثّل مرحلة الاغتراب للخطاب الشعري عند بلند الحيدري، لايزال يحتاج إلى دراسة خاصّة لتحليل ميزاته الأسلوبية.

تنتهج هذه الدراسة المنهج الوصفي-التحليلي و تتبنّى نظرية الأسلوبية الإحصائية لتحليل الخطاب الشعري عند بلند الحيدري. فعلى أساس هذه النظرية يُحلّل الأسلوب عن طريق إحصاء الظواهر اللغوية فيه و قد عاب البعض على هذا المنهج؛ لأنّه ينسى السياق فهو « عاجز عن التقاط الظلال الأسلوبية المرهفة و الإيقاعات العاطفية و التأثيرات الموسيقية في النصوص، إذ الدراسة الأسلوبية الإحصائية لا تقيم وزنا للسياق، كما أن الحسابات العددية تضفي على البحث نوعا من الدقّة الزائفة، لذا فإنّ الإحصاء لا يدل على خواص الأسلوب»(فضل،1985: 207 و عزام، 1989: 71) فالدراسات الأسلوبية أحيانا تقف عند وصف العبارة دون أن تكون لهذه العبارة علاقة بعاطفة الشاعر أو خياله أو معانيه(عياشي،2002: 33).

و مع ذلك فللأسلوبية الإحصائية مزايا عدّة منها أنّها « تعمل على تلخيص ظاهرة الأسلوب من الحدس الخالص لتوكل أمرها إلى حدس منهجي موجه»(بليت،1999: 59).

لكنّ هذه الدراسة و إن تحاول استجلاء الظواهر الأسلوبية في ديوان « أغاني المدينة الميتة» بالمنهج الأسلوبي الإحصائي لكنها تسعى- ما أمكن- أن لا تخرج من السياق العامّ للقصائد.

فإذا كانت الأسلوبية تبحث عن « التميز» و «التفرّد» فيهتمّ التحليل هنا أيضا بتحديد مجموعة من السمات الأسلوبية التي تميّز بها أسلوب الشاعر و التي سجّلت تواجدا ملحوظا و متكرّرا، و التي تسهم في الكشف عن طريقته في استخدام اللغة لبناء شعرية خاصّة به.

و أهم الميزات الأسلوبية التي تبرز في خطاب بلند الحيدري الشعري من خلال ديوان « أغاني المدينة الميتة» و التي يدرسها هذا البحث، هي:

- التحليل الأسلوبي للعناوين
- أساليب النفي و قيمتها الأسلوبية
- تساؤلات النصّ الشعريّ
- الإيقاع و قيمته الأسلوبي
- أسلوب التكرار و قيمته الأسلوبية
- العنصر المهيمن

و تقف الدراسة على جانبين، الأوّل: و يتمثّل في وصف المثيرات اللغوية ذات القيمة الأسلوبية. و الآخر في وصف التأثيرات الدلالية و الجمالية لتلك المثيرات و تحديد قيمها الأسلوبية في إبداع و تجسيد الشعور.

1 - التحليل الأسلوبي للعناوين

حظيت العناوين بأهمية كبيرة في المقاربات الأسلوبية و السيميولوجية، باعتبارها أحد المفاتيح الأولية و الأساسية التي على الباحث أن يحسن قراءتها و تأويلها، و التعامل معها؛ فهو بمثابة عتبة(seuil) على الدارس أن يطأها قبل إصدار أي حكم. فالعنوان هو المفتاح الإجرائي الذي يمدّنا بمجموعة من المعاني التي تساعدنا في فك رموز النص، و تسهيل مأمورية الدخول في أغواره و تشعّباته الوعرة(حمداوي، 1997: 90).
فالعناوين التي اختارها بلند الحيدري لأشعار ديوانه لها دلالات سيميائية خاصّة. فعنوان الديوان«أغاني المدينة الميتة» يوحي للقارئ بأنّ الشاعر يريد التعبير عن المدينة التي لا حياة فيها و لا نشاط. فالشعب الذي يعيش في هذه المدينة شعب ميت يغترب عنه الشاعر. فالأثر الذي يُبقيه هذا العنوان في ذهن القارئ، أثر سلبيّ. فيكشف هذا العنوان عن اتّجاه الشاعر السلبي بالنسبة إلى الشعب و المجتمع في هذا الديوان.
أما من حيث العناوين الفرعية في الديوان أي عناوين القصائد؛ فأكثر العناوين تتلائم مع عنوان الديوان كما أنّها تقوّي تلك الرؤية السلبية و الاتّجاه العام عند الشاعر. فعناوين قصائد الديوان هي:
(مدفن الظل، طاحونة، عبث، مرّ الربيع، كبرياء، لن أراها، عقم، أعماق، ساعي البريد، وغدا نعود، وحدتي، صورة، صراع، ثلاث علامات، الجرح المرائي، في الليل، و هاأنت، دروب، شيخوخة، برمثيوس، أود لوكنت، حلم، حب قديم، عبودية، يا صديقي، العطر الضائع، خداع، الخطوة الضائعة، قرف، ضياع، إلي أين)
و الكثيرة من هذه العناوين مثل:(مدفن الظلّ، طاحونة، عقم، عبث، لن أراها، وحدتي، عبودية، العطر الضائع، خداع، الخطوة الضائعة، ضياع، صراع)، لها دلالات سلبية و تقوّي الجانب السلبي من رؤية الشاعر بالنسبة إلى الحياة. أما العناوين الأخرى(مرّ الربيع، كبرياء، إلي أين، أعماق، ساعي البريد، وغدا نعود، صورة، يا صديقي، قرف) فإن لا تدلّ في حدّ ذاتها على رؤية بارزة للشاعر و لا تحمل عاطفة سلبية لكنّ دلالاتها السلبية الكامنة تبرز بعد قراءة القصائد.

2 ـ أساليب النفي و قيمتها الأسلوبية

يشكّل أسلوب النفي حيزا عاليا من الأساليب التعبيرية في خطاب بلند الحيدري الشعري من خلال ديوان « أغاني المدينة الميّتة» حيث يرد حوالي 112 أسلوبا نفيا في هذا الديوان.

مجموع أدوات النفي	لا	لن	ليس	لم	ما
112	71	16	11	10	4

الجدول رقم(1): تواتر أدوات النفي في الديوان

و قد يعود السبب الرئيس في استعمال هذه النسبة العالية من أسلوب النفي، إلى التناقض بين ذات الشاعر و الواقع الذي يعيشه.

ففي قصيدة« ساعي البريد» يشير الشاعر إلى هذا التناقض بين الذات الذي يحاول تغيير أوضاع المجتمع، و بين المجتمع الذي يكتنفه السكون و الانجماد:

ساعي البريد ماذا تريد...؟/ أنا عن الدنيا بمنأى بعيأ/ أخطأت.. / **لا** شكّ، **فما** من جديد/ تحمله الأرض لهذا الطريد/ ما كان/ مازال على عهده(الحيدري، 1980: 272).

فالشاعر هنا ينفي ليكون في هذا المجتمع شيء جديد حتى يشجّع الشاعر الطريد المغترب على العودة إليه.

و في قصيدة« الجرح المرائي» يتكرّر أسلوب « النفي» ست مرّات، فيشير الشاعر إلى هذا التناقض بين ذاته المتطلّع إلى الكبرياء و بين الآخرين الذين لا يستطيعون إدراک هذا الذات:

« **لا** تمسّي كبريائي/ **لا** تمسّي ذلک الجرح المرائي/ أنا أدري/ أنا أدري أين من نفسي دائي/ **لا** تقولي: لِمَ لم تأت إلينا.../ **لا** تقولي: قد تكبّرت علينا../ أنا **لا** أملک إلا كبريائي(المصدر نفسه، 296).

و كذلک في قصيدة « الخطوة الضائعة» يتواتر أسلوب النفي(11) مرّة:

ماذا تريد...؟ ماذا تريد/ يا أيّها الظلّ الشريد/ ماذا تريد..؟/ **لا** شيء يعرفني هنا/ **لا** شيء أعرفه هنا/ **لا** شيء أذكره و **لا** أشياء تذكرني../ هنا/ **لا**..../ **لن** أعود/ لمن أعود/ فقريتي أمست... مدينة/ أمست مدينة(المصدر نفسه، 333-334).

ففي هذه الأمثلة من ديوان « أغاني المدينة الميتة» يتميّز الخطاب الشعري للشاعر بتوالي أسلوب النفي بشكل تراكمي، فاغتراب الشاعر عن المجتمع و عن الآخرين أدّى إلى استعمال هذه النسبة العالية من أسلوب النفي حيث تتجلّى المفارقة بين الشاعر و مجتمعه من خلال أسلوب النفي في أحسن

صورة. و يحقق هذا النفي التهكّمَ و الاستهزاء بالواقع. ففي قصيدة« طاحونة» يتكرّر أسلوب النفي «11» مرّة فيسخر الشاعر من الناس حيث شغلتهم طاحونة الدهر التي تدور حول العبثية و الأبد الأسود:
« تلك هي الأرض/ **فلا** تعجبي/ إن مرّ بي الفجر، و **ما** مرّ بي.../و مات ما كان سوى خطوة لما تزل تبحث عن مهرب.../ أحسّها تصرخ في مسمعي أفّاق.../ يا للعبث المتعب/ أفاق... **لا** أدري/ لعلّي كما.../ ظلّ **بلا** لون و **لا** مسند/... **لن** أسأل الفجر إذا مر بي/ و الليل إن نام على مرقدي/.. **لن** أرتمي كالناس في منية/ و **لن** يقود الدهر يوما يدي/ فالناس ما أقبح آلامهم/ هذا **بلا** أمس/ و ذا في غد/...(المصدر نفسه، 252-255).
فهذه المفارقة بين الشاعر و المجتمع يتجلّى حتى بين الشاعر و الحبّ. فالمرأة التي يلتجأ الشاعر إليها تسخر من الشاعر لتتبدّل هي أيضا إلى« الآخر» الذي ينفيه الشاعر و يفر منه:
« شتوية أخرى/.... و هذا أنا/ هنا/ بجنب المدفأة/ أحلم أن تحلم بي امرأة/ أحلم أن أدفن في صدورها/ سرّا/ **فلا** تسخر من سرّها/.. هنا بجنب المدفأة/ شتوية أخرى/ و هذا أنا/ أنسج أحلامي و أخشاها/ أخاف أن تسخر عيناها/..شتوية أخرى و هذا أنا/ وحدي/ **لا** حبّ/ **لا** أحلام/ **لا** امرأة/ عندي/ و في غد أموت من بردي/هنا بجنب المدفأة..(المصدر نفسه، 307-309).
و هكذا نرى أنّ بلند في خطابه الشعري يستعين بأسلوب النفي لإبراز هذه المفارقة الأليمه بينه و بين المجتمع الذي يعيشه.

3 ـ تساؤلات النصّ الشعري

من الوسائل التعبيرية التي تسهم في اتساع فضاءات الدلالة في النصّ الشعريّ ما يسمّى بالتساؤلات، التي تشكّل سلاسل بارزة في النصّ، و تحقق مدا انفعاليا و حراكا دلاليا في جسده، و هي تأتي ضمن قائمة عريضة جعلت سعي الخطاب يتجه إلى معادلة: «الذات» أمام «الواقع»(حسونة،2006: 115-116)
فالتساؤلات الشعرية«قد شكّلت مرتكزا أساسيا في كثير من النصوص الشعرية و كوّنت خزانا زاخرا بالدلالات و الإشارات، و غدت تستغرق نصوصا شعرية بأكملها»(العلاق ، 1972: 92).
فأدوات الاستفهام و النداء- تمرق من حدودها الضيقة و تتجاوز- في نسق أبيات- وظيفتها المحدودة و كأنّها مراوحة بين الخارج في تساؤل تخاطبي، و بين الداخل في تساؤل ذاتي(عيد، 1995: 210).

فتوظيف صيغة الاستفهام من الخصائص البارزة لشعر الغربة و هي الأساس في البناء« إذ أن الشاعر المغترب يعاني مصيرا مجهولا بين هجرة، و سجن، و وطن ضائع، و قيم عربية إسلامية زائلة، و لا يدري سوى أنّه يرسل ذلك الاختناق في شكل أسئلة حيرى، تنم عن عميق الإحساس بالغربة التي فرضت عليه...»(بوقرورة،د،ت: 233).

تواترت التساؤلات الشعرية في ديوان« أغاني المدينية الميتة» 64 مرّة. تواترت من بين أدوات الاستفهام « ماذا» أكثر من الأدوات الأخرى حيث تكرّرت (29) مرّة في كلّ الديوان.

تقع تساؤلات النصّ في الخطاب الشعري عند بلند الحيدري من خلال ديوان« أغاني المدينة الميتة» مثل أساليب النفي بين جدلية الذات و الواقع. فينطلق الشاعر خلال هذه التساؤلات، من موقف تقابلي من قبل الذات نحو الواقع. فهذا الواقع ليس الواقع العراقي فقط بل واقع الوجود و الإنسانية. تدور أكثر هذه التساؤلات حول تلك الفكرة الوجودية حول الإنسان و الوجود و الإله. ففي قصيدة« الصورة» نرى أنّ الشاعر استعان بأسلوب التساؤل للتعبير عن هذه الفكرة. فيتواتر أسلوب التساؤل الشعري خمس مرّات في هذه القصيدة:

« هذا السنا المنسل في السكون
كأنّه
هجس في الظنون
ما خلفه...؟
أي لظى مجنون
في المخدع المعفر الجبين
يصيح بالإنسان:
ما الإنسان
ما الروح
ما الإله
ما الإيمان
بوارق ليست لها ألوان»(الحيدري، 1980: 283).

تبرز في هذه الفقرة ظاهرة التكرار في الصيغة التساؤلية التخاطبية الممتدّة رأسيا أربع مرّات في توالي حرف « ما» الاستفهامية و يعرض الشاعر فيه، كلّ ما يتعلّق بالوجود من الإنسان و الروح و الإله و الإيمان. فالمفارقة بين ذات الشاعر الذي يغترب عن الواقع، و بين الواقع الذي لا يناسب رؤيةَ الشاعر يؤدّي إلى التجاء الشاعر إلى هذه التساؤلات المعبّرة عن هذه المفارقة بين الطرفين.

و كذلك في قصيدة« في الليل» نرى توظيف هذا الأسلوب مستهدفا المضامين الرئيسة للفلسفة الوجودية:

« يصيح بي هاجس كالعقل مشدوها
يارب...
لِم كانوا...؟
لم كان للأرض تاريخ
و أزمان
و لِم يؤبد هذا القيد ماضيها
....
أليس في قلبك الربي إنسان»(المصدر نفسه، 299).

فتوظيف التساؤلات الشعرية في ديوان « أغاني المدينة الميتة» يصل إلى حدّ، يتكرّر بعض هذه التساؤلات بصورة منظّمة و تكوّن الإطار الرئيس للقصيدة. ففي قصيدة «ثلاث علامات»، يتكرّر أسلوب التساؤل الشعري« أترى» في ثلاث مواقع رئيسة من القصيدة فيعمل كأعمدة للإطار الأصلي للنصّ:

أ ترى جار علينا...؟
أترانا قد أضلّتنا خطانا.... فانتهينا
....
أترانا...
قد أضلّتنا خطانا... فالتقينا
...
أترانا قد أضلّتنا خطانا فالتقينا و افترقنا؟/(المصدر نفسه، 292-294).

أما أكثر تساؤلات بلند الشعرية فتدور حول العبثية و اليأس، فهذه التساؤلات توحي اليأسَ و العبثية في كلّ ما يرتبط بهذا الواقع، فإذا كان ظاهرة الحنين إلى الواقع من أشكال التساؤلات الشعرية في الشعر العربي المعاصر(حسونة،2006: 123) فلا نرى ملامح من هذه الظاهرة في تساؤلات بلند الحيدري من خلال ديوانه« أغاني المدينة الميتة».

ففي قصيدة« خداع» تتكثّف التساؤلات الشعرية الموحية إلى العبثية و اليأس حيت تتواتر خمس مرّات في القصيدة:

« و الدرب يبدو كما نراه
ماذا وراه...؟
هذا التلفّت للحياة... ماذا
وراه..؟
ها أنت أنتِ

و لست أنتِ
دنياك بعض دجى و صمت
هذا الدجى...ماذا وراه...؟
ماذا وراه.../ أنظل نغرق في الضلال
و من خلال
عطش الرمال إلى الحياة
أ تظلّ تخدعنا الحياة...!؟ (الحيدري، 1980: 329).

و كذلك في قصيدة« حلم» نرى هذا الإيحاء إلى العبثية و اليأس في تواتر التساؤلات الشعرية:

« أنت يا من تحلمين الآن
ماذا تحلمين...؟
بالدروب الزرق
ثم ماذا...؟
أنت يا من تحلمين الآن
ماذا تحلمين...؟
و غدا إذ تدركين الفجر
ماذا تدركين..؟(المصدر نفسه، 314-315).

فهذه التساؤلات الشعرية التي نشأت عن المفارقة بين ذات الشاعر و الواقع الذي يعيشه لم تحتفظ بتلك المعيارية أو التقليدية خاصّة فيما يتعلّق بمعاني أدوات الاستفهام و طبيعته، وإنما شكّلت ثيمة فنية لا يمكن للنصّ أن يستغني عنها دون أن يفقد بعضا من براعته و فنيّته.

4 - الإيقاع و قيمته الأسلوبي

إنّ الميزة الإيقاعية البارزة في ديوان« أغاني المدينة الميتة» هي أنّ الشاعر في أكثر قصائده يوظّف المقاطع الطويلة في قوافي الأبيات. و قد يعود السبب في توظيف هذه المقاطع إلى أنّ رؤية الشاعر الوجودية للكون و الإنسان و الحياة، تتميز بالحزن و الشعور بالعبثية. فالتعبير عن هذا الشعور بالانكسار و الحزن و العبثية يلائم القوافي التي تُختم بالمقاطع الطويلة و المختومة بالسكون.

ففي قصيدة« كبرياء» تُختم الأبياتُ بقوافي طويلة و ساكنة:« لا تدركين، آخرين، سنين، حزين، متشرّدين، خائفين، مهين، الحزين، السنين، لا تدركين، تسألين، الآخرين»(المصدر نفسه، 260-262).

و كذلك في قصيدة« عقم» نشاهد مثل هذه القوافي فالشاعر يتحدّث عن السكون الذي يسيطر على الحياة فيستعين بمثل هذه القوافي الطويلة الساكنة:
« نفس الطريق/ نفس البيوت/ يشدّها جهد عميق/ نفس السكوت/ كنا نقول:/ غدا يموت و تستفيق/ من كل دار / أصوات أطفال صغار/ يتدحرجون مع النهار على الطريق/ و على الطريق/ نفس الطريق/ نفس البيوت يشدّها جهد عميق»(المصدر نفسه، 265-267)

فالقافية المتجلية في تكرار « الطريق» أربع مرّات، و في تكرار« عميق» مرّتين، و في «تستفيق»، تتميز بطول هجاء «-ِيق» و سكون« القاف» مع الشدّة التي تُسمع في صوت « القاف»، و كل هذه الميزات تتلائم و الشعور بالسكوت و العمق.

و في قصيدة « ساعي البريد» تُلاحظ هذه الميزة في القوافي حيث تبرز القافية في« البريد، البعيد، جديد(مرّتين)، الطريد، يستعيد، بعيد، تريد»(المصدر نفسه، 272-274).

ففي هذه القصيدة، « ساعي البريد» رمز للواسط الذي يريد أن يُعيد الشاعر المغترب إلى المجتمع لكنّ الشاعر لا يرى شيئا جديدا في هذا المجتمع فكلّ شيء على حاله السابقة:
«ساعي البريد / ماذا تريد...؟ أنا عن الدنيا بمنأى بعيأ/ أخطأت.../ لا شكّ، فما من جديد»(المصدر نفسه، 272).

فطول هجاء«-ِيد» و سكون « الدال» يوحي حالة الحزن النفسية و الشعور بالسكوت في الحياة المتكرّرة التي لا جديدَ فيها فكلّ شي مازال على عهده في هذا المجتمع.

و في قصيدة« دروب» يشير الشاعر إلى عدم اكتراثه بما يجري حوله فتتجلّى القافية في ألفاظ« الطريق، عميق، ضيق، السحيق، تستفيق، البعيأ، تريد، جديد)(المصدر نفسه، 304-305).
« ملء الطريق/ صمت عميق/ ينهد عن قلق و ضيق/ و هناك في الأفق السحيق/ سبل تنام/ و تستفيق/ أما أنا/ فلقد تعبت و ها هنا/ سأنام/ لا أهفو و لا تهفو منّي»(المصدر نفسه، 304-305).

فالشاعر لا يهفو من شخصّ و لا يهفو شخص منه، فهو يرجّح السكون و النوم على كلّ شيء؛ فحرف المدّ في القوافي(-ِيق) و حركة السكون على « القاف»، يدلّ على هذا السكون و الصمت عند الشاعر.

فالقوافي في أكثر قصائد ديوان « أغاني المدينة الميتة» تتميز بطول المقاطع الأخيرة و حركة الساكن. فالقصائد التي تتميز قوافيها بهذه الميزة هي:«أعماق، و غدا نعود، وحدتي، القصر، صراع، الجرح المرائي، برمثيوث، حلم، حب قديم، يا صديقي، العطر الضائع».

5 ـ التكرار و قيمته الأسلوبية

ظاهرة التكرار من الظواهر الأسلوبية الهامّة في الشعر العربي المعاصر و لها دلالات معنوية تتخطى وجودها اللغوي . التكرار فضلاً عن كونه خصيصة أساسية في بنية النص الشعري [فإن له] دوراً دلالياً على مستوى الصيغة والتركيب فهو أحد الأضواء اللاشعورية التي يسلطها الشعر على أعماق الشاعر فيضيئها(راضي جعفر، 1999: 99).
ظاهرة التكرار من أكثر الظواهر الأسلوبية في الخطاب الشعري عند بلند الحيدري في « أغاني المدينة الميتة». فكلّ الخصائص الأسلوبية التي سبق ذكرُها يدخل تحت ظاهرة التكرار. فتواتر أسلوب النفي و أسلوب التساؤلات الشعرية و الألفاظ المهيمنة، جزء من أجزاء ظاهرة التكرار في ديوان بلند الحيدري. لكنّ ما نقصده هنا بظاهرة التكرار هو تكرار العبارات أو الأفعال في القصائد.
ففي قصيدة« العبث» يُلاحظ تكرار الفعل في أبرز صورة، فالأفعال التي ذكرت في بداية القصيدة، تكرّرت في نهايتها أيضا:

« و ستبتغين.... و ترفضين
و ستضحكين.... و تحزنين
و لكم سيحملك الخيال...
و تحلمين»(الحيدري، 1980: 256)

فتتكرّر هذه الأفعال في نهاية القصيدة أيضا:

« و ستبتغين.... و ترفضين
و ستضحكين.... و تحزنين
و لكم سيحملك الخيال...
لكم سيحملك الخيال
و تحلمين»(المصدر نفسه، 257).

فتكرار هذه الجملات قد تدلّ على شدّة تأكيد الشاعر على عبثية الحياة. و الأفعال المضارعة في القصيدة توحي النموّ و الحركية في القصيدة. فتوالي هذه الأفعال يدلّ على العمل الإنساني المستمرّ في الحياة حيث يبتغي و يرفض و يضحك و يحزن الخ، و يتناسق هذا التوالى مع صيغة الأفعال المضارعة التي تدلّ على النموّ و التطوّر، و في المقابل جاء تكرار هذه الجملة مرّتين في القصيدة لتدل على شدّة رفض الشاعر هذا الجهدَ الإنساني المستمرّ في الحياة.

و قد يتكرر اسم أو عبارة في المواضع المختلفة من القصيدة ليشارك من جهة في التكوين الإيقاعي للقصيدة و من جهة أخرى لتوحي بدلالات خاصّة.
ففي قصيدة« عبودية» تكرار لفظة« عبد» في بداية القصيدة و الوسط و النهاية له وظيفة تكوينية و دلالية.

«عبدٌ...!
أكاد أثور.......لكنّي
أحسّ الغل في أذني
يولول هازئا
منّي
و يصرخ ضاحكا..............عبدُ
عبدٌ..!»(المصدر نفسه، 319)

و :

أنا ربي و شيطاني
أتحسب أيها القيدُ..؟
فتمتم ساخرا ...عبدُ؟
عبدٌ
....»(المصدر نفسه، 320).

فتكرار لفظة« عبد» مع الصوت الشديد للمقطع الأخير منه« دُن» كأنّه ضربةٌ قاسية يوقعها الدهرُ على رأس الشاعر مذكّرا بأنّه ليس إلا عبدا في هذا العالم. كما أنّ تركيب الجمليتين« يصرخ ضاحكا» و « فتمتم ساخرا» يزيد على السخرية من الشاعر و يساعد على شدّة الوقع.
فالتكرار أسلوب شائع في ديوان« أغاني المدينة الميتة» فتكاد لا تخلو قصيدة من ظاهر التكرار إمّا في أساليب النفي و إمّا في التساؤلات الشعرية و إمّا في الألفاظ و الجملات.

6 - العنصر المهيمن(the dominat)

العنصر المهيمن ميزة أسلوبية هامّة طرحه الشكلانييون و قد استخدمه بشكل خاص اللغوي" جاكبسون" حيث عرّفه بأنّه« المكوّن البؤري لعمل فني: إنه يوجد المكونات الأخرى و يحددها و يحولها»(بخوش، 2011).
لقد دافع جاكبسون عن العنصر المهيمن باعتباره المكوّن المركزي في العمل الفنّي، فهو يحكم المكونات الباقية، و يحددها و يحولها. إن العنصر المهيمن هو الذي يكفل كمال البنية. و إذا تجاوزنا العمل الفردي، « ربما نبحث عن العنصر المهيمن، ليس فقط في عمل شعري لفنان فرد، و ليس فقط في قانون

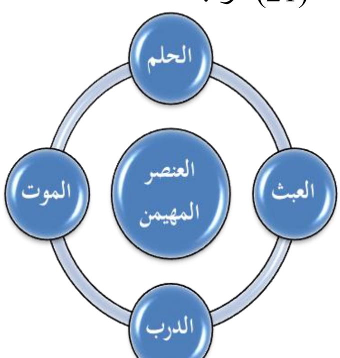
شعري، أو مجموعة من المعايير في مدرسة شعرية معينة، بل أيضا في فن فترة معينة إذا نظرنا إليها باعتبارها كلا لقد هيمنت الفنون التشكيلية على عصر النهضة و هيمنت الموسيقى على الفترة الرومانسية، و هيمن الفن اللفظي على الجماليات الواقعية(كنتب بينيت كلر، 1977: 153).

فالشكلانيون يعطون بعدا جوهريا لمفهوم المهيمن باعتباره ظاهرة مركزية في أي عمل أدبي؛ فهو الذي يضمن تماسک العناصر الفنية و يتحكم في توزيعها و ترتيبها و ظهورها. و من ثمة يساهم في تماسک البنية الفنية للعمل الأدبي و ترابطها.

فلتحديد النعصر المهيمن في ديوان ما، يجب أوّلا أن نستنبط الرؤية الرئيسة للشاعر في ديوانه ثمّ أن نحدّد الألفاظ أو العبارات التي تتجلّى فيها تلك الرؤية، و لتَكن هذه الألفاظ و العبارات الأكثرَ تواترا في الديوان.

أما في ديوان« أغاني المدينة الميتة» كما أكّد عليه الكثير من الباحثين، فالاغتراب هو الذي يشكّل الرؤية الرئيسة للشاعر. أما الألفاظ و الأوصاف التي تعبّر عن هذه الرؤية في أحسن صورة، فهي« الموت»، و « العبث» و مشتقاته، و « الحلم» و مشتقاته، و « الدرب» و مترادفاته(الطريق، المسير).

فيتكثّف ديوان« أغاني المدينة الميتة» بهذه الألفاظ حيث يتواتر « الموت» (27) مرّة، و العبث و مشتقاته(6) مرّات، و « الحلم» و مشتقاته(38) مرّة، و « الدرب» و مترادفاته(21) مرّة.



الشكل(1): الألفاظ و الأوصاف المهيمنة في ديوان« أغاني المدينة الميتة»

فهذه الألفاظ و الأوصاف هي التي تكوّن العنصر المهيمن في ديوان الشاعر. فعلاوة على التواتر العالي لهذه الألفاظ، اختيار الشاعر عناوين« العبث» و « الدروب» و « الحلم» لثلاث قصائده، يدلّ على هيمنة هذه الألفاظ على الديوان.

و من بين هذه الألفاظ الأربع، يشكّل ثلاث منها(الموت و العبث و الحلم) العناصر الرئيسة في الفلسفة الوجودية. فمسرح الوجودية مسرح الموت و العبثية و الحلم. فالموت عنصر وجودي عالجه الفلاسفة الوجودية و عبّر عنه الأدباء الوجوديون بقلق و اضطراب فلا يخلو أثر أدبي متأثّر بالفلسفة الوجودية، من حديث الموت(برقاوي،1984: 20-25). ففي قصيدة« وحدتي» نرى هذا القلق الوجودي في الشاعر أمام الوحدة و الموت:

« هكذا أنت نموت/ عشبة صفراء في ضفة موتي/ و حديثا مسرفا بالهمس/ كالهجس/ كصمتي/ هكذا أنت نموت/ من سكوتي/ من خطى تعبر ليلي في خفوت»(الحيدري، 1980: 278).

أما « العبث» فمسرح الوجودية مسرح العبث و الإنسان في الفلسفة الوجودية ألقيت في هذا العالم دون أي خيار كما أنّ الموت يأتيه دون أن يكون مخيّرا فيه. فهذا الاعتقاد يدخله الشعور بالعبث و التكرار و الملل في الحياة((برقاوي،1984: 20-25).

فلفظة« العبث» و إن تتواتر ستّ مرّات فقط لكنّ الحديث عن العبثية يغلب على كلّ مضامين الديوان. ففي قصيدة« العبث» يتكثّف النصّ من هذا العنصر الوجودي الهامّ:

«و ستبتغين... و ترفضين/ و ستضحكين... و تحزنين/ و لكم سيحملك الخيال../ و تحلمين/ لكن... هناك/ هناك في العبث الذي لا تدركين» (المصدر نفسه، 256).

و « الحلم» أيضا من الألفاظ و الأوصاف المتواترة في ديوان الشاعر و قد يعود السبب في التوظيف المكثّف لهذه اللفظة و مشتقاتها، إلى أنّ الروح الجماعية تضعف في الشاعر الوجودي و تتزايد الروح الحالمة الفردية عنده. فالحلم و الواقع نقتطان تتقابلان عند بلند الحيدري. فالشاعر يلتجأ إلى الحلم أكثر من الواقع ففي قصيدة« الشيخوخة» تتكرّر لفظة« الحلم» و مشتقاتها (ستّ) مرّات. فالشاعر يلتجأ إلى المرأة و الحبّ لكن في الحلم لا في الواقع:

« شتوية أخرى/... و هذا أنا/ هنا/ بجنب المدفأة/ أحلم أن تحلم بي امرأة/ أحلم أن أدفن في صدورها/ سرّا/ فلا تسخر من سرّها/ أحلم أن أطلق في منحنى/ عمري سنّي/..../ شتوية أخرى/ و هذا أنا/ أنسج أحلامي و أخشاها»(المصدر نفسه، 306).

و أخيرا لفظة« الدرب» و مشتقاتها(الطريق و المسير) و إن لا تدخل في النظرة الأولى، ضمن الألفاظ و العناصر الوجودية لكنّها عنصر يرمز إلى صلب النظرية الوجودية أي إلى الغاية و الهدف من الحياة. فلفظة« الدرب» في ديوان « أغاني المدينة الميتة» يعني غالبا مسير الحياة. فالدرب هو

المسير و الرؤية و الاعتقاد الذي يختاره الشاعر لحياته. ففي قصيدة« مدفن الظلّ» نرى هذه الدلالة للفظة « الدرب»:
« فإذا الأرض/ كلّها في سكينة/ و إذا الأفق مطرح لخيالي/ أتبنّى فيه رؤى مجنونة/ إن ترآى الوجود/ يوما بدربي/ عقّ وجهي،/ فلم أصافح يمينه»(المصدر نفسه، 246).
و في قصيدة« الطاحونة» تتكرّر هذه الدلالة:
« تلك هي الأرض/ فلا تعجبي/ إن مرّ بي الفجر، و ما مرّ بي/ قد كان لي/ دربٌ/ و كانت روءى/ تواعدا و الأمس في مأرب»(المصدر نفسه، 252).
و في قصيدة« ثلاث علامات» نرى نفس الدلالة:
« أ ترانا.../ قد أضلّتنا خطانا... فالتقينا/ في دروب لم يسر فيها صبانا/ و افترقنا»(المصدر نفسه، 292).
فهكذا نرى أنّ توظيف لفظة « الدرب» و مشتقاتها، يرجع إلى تلك الرؤية الوجودية عند الشاعر عن مسير الحياة و غايتها.
أما الوظيفة التي يقوم بها العنصر المهيمن المتمثّل في هذه الألفاظ و دلالاتها، فهي تنسيق الألفاظ و العبارات و الأساليب الأخرى حول هذا العنصر.
فمن حيث الألفاظ و العبارات فالمعجم اللغوي للشاعر في هذا الديوان يدور كلّه حول الدلالات و الإيحاءات السلبية المرتبطة بالدلالات السلبية للألفاظ المهيمنة في الديوان. فالمفردات و العبارات التي لها إيحاءات سلبية ملائمة للألفاظ المهيمنة في الديوان، هي:
(مسكينة- جئت يوما نتنا حالما- عقّ- ضحكة ملعونة- صرت كالموت عابثا أتنزّى- الصمت- خطاه الطويلة المسكونة- مدفن الظلّ- خريف- فقرة جرداء كالخيبة- أمنيات عقيمة- صرخة مكتومة- أحلامي المجنونة- هدأة ملعونة- تعبثُ- مهرب- صمت عميق غبيّ- الأبد الأسود- طاحونة- كان صمت بيننا يسخر منا- صمت وديع- مدفني الرطب الوحيد- ملاجئ المتشرّدين- اللصوص الخائفين- داري المخيفة كالوباء- العيون المتجمدات- عيون غائرات- السأم العنيد- قفرة جرداء لم تحلم بنبت- كم مرغ الدهر بها عصوره- يا للعبث المتعب- ما أقبح آلامهم- سيسخرون بأمسنا- أخاف أن تسخر عيناها من صلعة حمقاء في رأسي- سيضيع عطرك في الفراغ- سئمت- هذا السنا المنسل في السكون- حواء ذات الأعين الشريرة- في صمتها القارس- لم أزل طربا بعاري- حقد و ضغينة- كان شيء مؤلم في ناظرينا- أيام سجن- هذا الدجى ماذا وراه؟- الجرح المرائي- تدفن الموتى لياليها- عبد- أ تظل تخدعنا الحياة- الأزقات الضريرة- ينهد- الغلّ- الظلّ الشريد- شيخوخة- فلا تسخر من سرّها- تمتم ساخرا- صمت عميق ينهد عن قلق و ضيق).

أما من حيث الأساليب التي تتناسق مع الألفاظ المهيمنة فالإيقاع و أساليب النفي و التساؤلات الشعرية و التكرار كما أُسلف ذكرُه، تتناسب و تلك الدلالاتَ حول العبثية، و عالم الحلم و الموت و مسيرة الحياة. فهذه الظواهر الأسلوبية تنمّ عن تلك المفارقة و التناقض بين ذات الشاعر الذي يفرّ من الواقع و يعتقد بعبثيّته و يلتجأ إلى الحلم و يعيش دائما اضطراب الموت و مواجهة مسير الحياة، و بين الواقع الذي يعيشه. فهكذا يعمل العنصر المهيمن المتمثّل في ألفاظ(الموت، و الحلم و العبث و الدرب) كعنصر موحّد بين الظواهر اللغوية و الأسلوبية الأخرى.

استنتاج

انتهت هذه الدراسة بعد مقاربتها الأسلوبية للخطاب الشعري عند بلند الحيدري من خلال ديوانه« أغاني المدينة الميتة»، إلى النتائج التالية:

- برزت أهم الظواهر الأسلوبية في اختيار العناوين و أساليب النفي و التساؤلات الشعرية و الإيقاع المتمثّل في القوافي و أسلوب التكرار و العنصر المهيمن. فتضافرت جميع هذه الوسائل التعبيرية على تجلية رؤية الشاعر و توضيحها.
- جاء اختيار عنوان الديوان و الكثيرة من عناوين القصائد، ملائمة مع الرؤية الفكرية في خطاب الشاعر الأدبي. فعنوان« أغاني المدينة الميتة» و عناوين« مدفن الظلّ، طاحونة، عقم، عبث، لن أراها، وحدتي، عبودية، العطر الضائع، خداع، الخطوة الضائعة، ضياع، صراع» كلّها دلّ دلالة واضحة على رؤية الشاعر السلبية بالنسبة إلى الواقع الذي يعيشه.
- أدّى الصراع القائم بين ذات الشاعر و واقعه المحبط إلى الإكثار من أساليب النفي في خطابه الشعري حيث تواترت هذه الأساليب 112 مرّة في الديوان. فالشاعر من خلال هذه الأساليب ينفي واقع مجتمعه و يسخر منه و يتهكّم به.
- يكتنز هذا الديوان بكم هائل من أساليب تساؤلات النصّ الشعري، بلغ ترددها 64 مرّة. فأكثر هذه التساؤلات تظهر في الصيغة التساؤلية التخاطبية الممتدّة رأسيا يعرض الشاعر فيها، كلّ ما يتعلّق بالوجود من الإنسان و الروح و الإله و الإيمان، كما أنّ غالبية هذه التساؤلات تدور حول العبثية و اليأس في كلّ ما يرتبط بالواقع الذي يعيشه الشاعر. فيقع توظيف التساؤلات الشعرية مثل أساليب النفي تحت تأثير جدلية العلاقة بين الذات و الواقع. فهذه العلاقة تفرز قلقا

نفسيا يتجسّد في أشكال تعبيرية متنوّعة، من أبرزها أسلوب النفي و أسلوب التساؤلات الشعرية.

و لم تحتفظ هذه التساؤلات بتلك المعيارية أو التقليدية خاصّة فيما يتعلّق بمعاني أدوات الاستفهام و طبيعته، وإنما شكّلت ثيمة فنية لا يمكن للنصّ أن يستغني عنها دون أن يفقد بعضا من براعته و فنيّته.

- أما من حيث الخصائص الأسلوبية للإيقاع، فالميزة البارزة في ديوان« أغاني المدينة الميتة» هي أنّ الشاعر في أكثر قصائده يوظّف المقاطع الطويلة الساكنة في قوافي الأبيات. و قد يعود السبب في توظيف هذه المقاطع إلى أنّ رؤية الشاعر الوجودية للكون و الإنسان و الحياة، تتميز بالحزن و الشعور بالعبثية؛ فالتعبير عن الشعور بالانكسار و الحزن و العبثية يقتضي غالبا القوافي التي تُختم بالمقاطع الطويلة و المختومة بالسكون.
- من الميزات الأسلوبية الأخرى للخطاب الشعري عند الحيدري هي ظاهرة التكرار. فأسلوب التكرار من أكثر الأساليب إشاعةً في ديوان« أغاني المدينة الميتة» فتكاد لا تخلو قصيدة من ظاهرة التكرار إمّا في أساليب النفي و إمّا في التساؤلات الشعرية و إمّا في الألفاظ و الجملات.

و قد يقوم ظاهرة التكرار في أغلب قصائد هذا الديوان بوظيفتين. الأولى: المشاركة في تكوين الإطار الظاهري للقصيدة و تنسيقه، و الثانية: حمل و إيحاء دلالات خاصّة تتناسق مع رؤية الشاعر.

- أدّت ظاهرة التكرار في المعجم اللغوي عند الشاعر، إلى سيطرة بعض المفردات ذات الدلالات المفتاحية على بقية الأبعاد اللغوية و الأساليب التعبيرية؛ لأنّ هذه المفردات تعبّر عن صلب رؤية الشاعر في خطابه الشعري؛ و لهذا يمكن تسمية هذه المفردات على أساس النظرية الشكلانية بالعنصر المهيمن. فأكثر المفردات تواترا في خطاب الشاعر الشعري هي: «الحلم و مشتقاته» و «الموت و مشتقاته» و «الدرب و مترادفاته» و «العبث و مشتقاته».

سيطر العنصر المهيمن المتمثّل في هذه الألفاظ على المعجم اللغوي للخطاب الشعري عند الشاعر فجاءت أكثر الألفاظ و العبارات ذات دلالات سلبية لتلائم مع دلالات الألفاظ المهيمنة كما أنّ الظواهر الأسلوبية البارزة مثل أساليب النفي و التساؤلات الشعرية و الإيقاع البارز المتمثّل في القوافي و ظاهرة التكرار برزت متناسقة مع دلالات الألفاظ المهيمنة.

المصادر

1 - ابن ذريل، عدنان(2002)، النصّ و الأسلوبية بين النظرية و التطبيق، الاتحاد كتاب العرب.
2 - بخوش، علي(2011)، إستراتيجية التلقّي في ضوء النظرية الشكلانية، قسم الأدب العربي، كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الإجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة،

(http://www.adablabo.net/bakhouche.htm

3 - برفاوي، أحمد(1984)، من فلسفة الوجود إلى البنيوية، الطبعة الأولى، لبنان، دار الميسرة.
4 - بليت، هنريش(1999)، البلاغة و الأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة و تقديم و تعليق: محمد العمري، المغرب، أفريقيا الشرق.
5 - بوقرورة، عمر(د،ت)، الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث(1945-1962)، منشورات جامعة باتنة.
6 - حسونة، محمد إسماعيل(2006) تساؤلات النصّ الشعري- دراسة تحليلية أسلوبية، مجلة الجامعة الإسلامية(سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد الرابع عشر، العدد الأوّل، صص: 115-130، يناير.
7 - حمداوي، جميل(1997)، السيميوطيقا و العنونة، الكويت، عالم الفكر.
8 - الحيدري، بلند(1980)، الديوان، الطبعة الثانية، بيروت، دار العودة.
9 - الجرجاني، عبد القاهر(لاتا)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مصر، مكتبة الخانجي.
10 جيرو،بيير(1994)، الأسلوبية، ترجمة: منذر عياشي، الطبعة الرابعة، مركز الإنماء الحضاري.
11 للراجحي، عبده(د.ت)،علم اللغة و النقد الأدبي، مجلة فصول، المجلد الأول، العدد الثاني.
12 واضي جعفر، محمد(1999)، الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر مرحلة الروّاد، دمشق، اتحاد الكتاب العرب.
13 عبد المنعم الخفاجي، محمد(1992)، الأسلوبية و البيان العربي، الطبعة الأولى، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية.
14 عزام، محمد(1989)، الأسلوبية منهجا نقديا، دمشق، منشورات وزارة الثقافة.
15 للعلاق، علي جعفر(1972) الشعر و التلقّي، ط1، دار الشروق للنشر و التوزيع.
16 عياشي، منذر(2002)، الأسلوبية و تحليل الخطاب، الطبعة الأولى، مركز الإنماء الحضاري.
17 عياد، شكري، قراءة أسلوبية لشعر حافظ، مجلة فصول، المجلد الثالث، العدد الثاني.
18 عياد، محمود(1981)، الأسلوبية الحديثة- محاولة تعريف، مجلة الفصول، المجلد الأول، العدد الثاني، الهيئة المصرية العامّة للكتاب.

19 عيد، رجاء(1995)، القول الشعري" منظورات معاصرة"، منشأة المعارف بالإسكندرية، مركز الدلتا للطباعة.
20 فضل، صلاح(1985)، علم الأسلوب، ط1، بيروت، دار الآفاق الجديدة.
21 كوهين، جان(1986)، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي و محمد العمري، المغرب، دار توبقال.
22 كنت بينيت كلر، تودوروف(1977)، القصّة الرواية المؤلف دراسات في نظرية الأنواع الأدبية المعاصرة، ترجمة: خيري دومة، الطبعة الأولى، القاهرة، دار شرقيات.
23 للمسدي، عبد السلام(د.ت)، الأسلوبية و الأسلوب، الطبعة الثالثة، الدار العربية للكتاب
24 للهنداوي، حسين(2009)، بلند الحيدري و إغراء الفلسفة، مجلة نزوى، العدد الثاني و الخمسون، عمان، مؤسسة الصحافة و النشر و الإعلان.

الإعلام والاتصال الجماهيري

الاعلام العربي في ظل الأزمات

الخطاب المرئي والتفاعلية مع احداث الثورات العربية

د. حسين الانصاري*

الاعلام العربي في ظل الأزمات

الخطاب المرئي والتفاعلية مع احداث الثورات العربية

د. حسين الانصاري*
السويد

<u>مشكلة البحث واهميته</u>

في ظل الظروف الحاضرة التي يشهدها العالم العربي وهو يعيش حالة من النهوض والتغيير عبر تواصل حالة الوعي والمطالبة بالحقوق المشروعة والمساهمة في صناعة القرار السياسي وتجاوز الماضي وما خلفه من ارث ثقيل وتراكم لعديد الاشكاليات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي دفعت بالشعوب الى رفض الواقع والثورة ضد الانظمة الفاسدة التي ظلت تتربع على عرش السلطة لعقود طويلة وحرمت شعوبها من فرص العيش الكريم وتعطيل مشاريع التنمية البشرية ومواكبة مستجدات العصر

ومع مجريات الاحداث والازمات التي تعصف بالشارع العربي هذا العام ، كان الاعلام وعبر مختلف وسائله المكتوبة والمسموعة والمرئية يتصدى لتطورات هذه الازمات ،يعاين الاحداث ويحلل المشاهد ويتابع التفاصيل من اجل ان يقدم مادة تتسم بالاحاطة والشمولية واقتناص المعلومة ذات الاهمية والانية ،لمواكبة الاحداث وتطوراتها

ولان ما حصل في الثورات العربية من متابعة اعلامية واساليب تغطية لابرز المواقف التي صنعتها ارادة المواطن العربي كما جرى في تونس ومصر وليبيا والان في اليمن وسوريا وغيرهما، قد منح الاعلام قدرا اكبر لتحمل مسئولياته ومساهمته الفاعلة في التأثير على الرأي العام لاسيما وان المشهد الاعلامي يشهد تطورا متواصلا اثر معطيات ماجاءت به ثورة المعلوماتية وتقنيات الاتصال ومانجم عنهما من اثار انعكست بشكل مباشر على المشهد الاتصالي بمجالاته كافة

، وهو مانراه عبر التدفق المرئي على الشاشات وانتشار الاقمار الفضائية التي اتسعت لها الفضاءات المفتوحة او الاستخدام الواسع لشبكات الانترنيت وما اتاحته من استخدام لعديد الاجهزة والادوات والألات التي باتت تساهم في تسهيل عملية الاتصال وتوفير المعلومات ومعالجتها وخزنها واسترجاعها حيث اصبح بأمكان الانسان في العالم ان يكون قريبا من المعلومة التي يريد وفي اي وقت يشاء وعبر ايسر الطرق وهذا ما اتاحه مجتمع المعلوماتية من

شيوع الثقافة الرقميةالتي انعكست نتائجها على وسائل الاتصال الحديثة التي الغت حدود الزمان والمكان وجعلت الكونية مدارا يستجيب لهذه المعطيات والتحولات الهائلة التي تركت بصماتها واضحة في ارجاء المعمورة جراء الطفرة التكنولوجية المذهلة وما رافقتها من تغير في المفاهيم والتوظيفات والاستيراتيجيات في الحقول الاعلامية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية التي من شانها ان تعيد بناء وترتيب عناصر مكوناتها واعادة صياغة العقول بعد خلخلة المنظومة القيمية والمعرفية للمجتمعات التي تلقت صدمة العولمة وما لحق بها من تبدلات تحت ظل النظام العالمي الجديد.
((وكان نصيب الاعلام والاتصال في هذا التأثير من التحولات التكنولوجية التي ميزت العقود الثلاثة الاخيرة للقرن الماضي واضحا" ومباشرا" حيث انه مهد الطريق لبروز ظاهرة العولمة عبر معطيات
التراسل الهائل ورقمنة النصوص والصوت والصورة وانتشاراقمار الاتصالات وثورة الهاتف المحمول وتعميم المعلوماتية في قطاعات انتاج السلع والخدمات_ وتصغير الحواسيب وربطها داخل شبكة كوكبية
قد مكنت من خلق انقلاب ضخم وشامل في نظام العالم.)) (1)
ونظرا للدور الذي يلعبه الاعلام في تحقيق هذا الانقلاب والتحول العالمي اصبح الاهتمام به من الاولويات والاسس التي تستند اليها كل البرامج والخطط الهادفة نحو هذا التوجه وبما يحقق التاثير على الراي العام وتشكيل اتجاهاته ،

ان فعالية الاعلام تقترن بارتباطها المباشر مع المجتمع وحجم نشاطه واتساع وظائفه وطرق تداوله بما يحقق للفرد المشاركة في تلقي الخطاب الاعلامي والمساهمة في صياغته وهذا ما جعله يتجاوز حدود الاتصال الى مستوى انتاج المعرفة والتثقيف واعادة بناء الوعي .والتفاعلية مع اهداف الرسالة الاعلامية المطلوبة
ويكبر هذا الدور المتبادل اثناء الازمات التي تحصل في المجتمعات ولعل ما يحصل الان من ثورات يصبح مؤشرا حقيقيا وواقعيا لتحديد العلاقة بين الخطاب الاعلامي واهميته في تغطية هذا الحدث الكبير والدور الذي لعبه في عملية مواكبة الحدث وكشف الحقائق وتوجيه الرأي العام والكيفية التي ميزت الاداء الاعلامي
سنحاول هنا ان نلقي الضوء على حالة التفاعلية بين الاعلام العربي والازمات ، وسنتخذ من احداث الثورت العربية انموذجا محاولين الاجابة عن عدد من التساؤلات المطروحة حول الدور الذي لعبه الاعلام المرئي في ظل الاحداث ؟ وكيف تم التفاعل معها عبر الخطاب المرئي المتلفز ؟ وهل

استطاع اعلامنا ان يواكب حقيقة ماجرى بخطابه الاعلامي ؟ وما الاساليب التي استخدمها الاعلام في تغطية الاحداث؟ هل تواصلت فاعليته بنفس الوتيرة لمابعد الحدث ام اكتفى بما تحقق من نتائج على صعيد انفراج الازمة ؟ واخيرا هل ادى نجاح الثورات العربية الى احداث نقلة واضحة في مجال حرية التعبير ؟ هذه المحاورستكون مدار بحثنا هذا

اهداف البحث

يهدف البحث الى تحقيق مايلي

اولا : توضيح دور الخطاب المرئي في التغطية الاعلامية للثورات العربية واهميته في تشكيل اراء واتجاهات الجماهير

ثانيا : تحديد السمات والملامح التي ميزت انواع التغطية الاعلامية

ثالثا:تأشير مواضع الخلل والتقصير التي يعاني منها الخطاب المرئي في تغطية احداث الازمات ومحاولة تجاوزها في المستقبل

رابعا: توضيح دور الاعلام لمرحلة مابعد انتهاء الازمة وكيفية مساهمته في رسم الملامح المستقبلية لها

حدود البحث

تقتصر حدود البحث على تناول الخطاب المرئي للقنوات الفضائية العربية التي ركزت جهودها على عملية التغطية الاعلامية الاخبارية لاحداث الثورات العربية.

منهج البحث

اعتمد الباحث المنهج التحليلي الوصفي في رصد الظاهرة وجمع المعلومات حولها من خلال ما اتيح له من مصادر ومعلومات ومتابعة بغية تحليلها وتقديم الحلول المناسبة لها

فرضيات البحث

اولا: ان الدور الاعلامي للخطاب المرئي يساهم بقدر كبير في معالجة الازمات والتقليل من تأثيرها او تحقيق نتائج افضل من شأنها ان تنعكس على حياة الفرد والمجتمع

ثانيا:عندما يسود مبدأ الحيادية والمهنية والمصداقية في التغطية الاعلامية للاحداث يكون الخطاب اكثرتفاعلية وتأثيرا تشكيل اتجاهات الرأي العام

مصطلحات البحث

التفاعلية (Interactive)

)إنتاج مضامين إعلامية جديدة تقوم على مبدأ إحداث فضاءات للحوار والنقاش وإبداء الرأي، من منطلق أن للمتلقي حق الكلام في المسائل التي تتعلق بمجتمعه جميعها، وهو المنطلق الذي يمكن التأسيس عليه لتعزيز جهود الإصلاح المختلفة، ومنه الإصلاح المُراد إحداثه في قطاعات الحياة المختلفة، وتحفيز قواعد إسناد تلك الجهود ودفعها، أو تقبلها في أقل تقدير، وعدم التصدي لها أو عرقلة تنفيذها تمسكاً بالنهج التقليدي السائد)(2.(

وتعرفه الباحثة فاطمة التريكي بقولها :(انه العلاقات المتبادلة كفعالية انسانية تستثمر ثورة التقنيات ووسائلها كالبرامج التلفزيونية والانترنت مثلا كمنبر للتعبير والأي والتفعل الثقافي كما تستثمر الصحف وسيلة ميسرة للمعلومات والافكار والثقافات)(3)

ولأن ثورة التقنيات الرقمية والاتصال لها تأثير كبير على الحياة الإعلامية والأدبية والفنية، نلمس اليوم المبدع العربي مساهماً في هذا الخضم لخلق تفاعل ثقافي وفكري وأدبي راق وجميل، ليوطد التبادل الثقافي مع الآخر، وييسر الإطلاع المشترك على نتاج بعضهم البعض،لإيجاد موطيء قدم في الثقافة العالمية، بدءا ً من التعريف بالنتاج الفكري والإبداعي العربي وصولا ً إلى الإفادة من العلوم والمستجدات الحضارية، وأن تعدد الصفحات التفاعلية في المواقع الإكترونية يتيح المشاركة أكثرفي حلقات النقاش، والتصويت والبرامج المباشرة والمراسلة،

اما الباحث فيعرف التفاعلية ضمن عنوان البحث هذا (انها العلاقة المتبادلة بين المشاهد والبرامج المرئية المنتجة للتلفزيون تحديدا والتي يمكن من خلالها تطوير عملية التواصل وفق اتجاه مزدوج او متعدد الاتجاهات)

وان التفاعلية مع البرامج التي قامت بتغطية احداث الثورات العربية قد كانت بنسبة اكبر مما كانت عليه سابقا العامل الذي جعل المشاهدين يساهمون بشكل مباشر اوغير مباشر في انتاج المعلومة وتوجيه الخطاب الاعلامي من خلال الاراء والتعليقات على الحدث مباشرة مما يعكس ردود فعل الشارع و سلوكيات الجمهور المتفاعل.

الخطاب الاعلامي

هو: الصيغة التعبيرية التي تستهدف مخاطبة جمهور واسع عبر وسيلة اعلام جماهيرية مقروءة أو مسموعة أو مرئية، لذا فهو يعتمد على منتج النص

ومستقبله،ليتحقق هدف الرسالة التي يتضمن،لذا يعتبر" ممارسة اجتماعية متغيرة " لأنه يتعرض دائماً - وبالضرورة - للتغيير والتطور.
ويجمع الباحثون بأنه " ليس شيئاً واحداً، بل خطابات عدة، بحسب المناظير المختلفة لموجه كل خطاب "(4) فالخطاب الرسمي الحكومي، مثلاً، يتبنى مقولات وشعارات تعبر عن مصالح الحكومة ، والحزبي يمثل ايديولوجية الحزب، وثمة خطاب لليمين يختلف عن خطاب قوى اليسار فالخطاب الإعلامي ،هو: " المادة المكتوبة أو المذاعة أو المرئية، التي تقيم علاقة جدلية مع المجتمع ، تعكس الواقع وعلاقات القوة المهيمنة في المجتمع ، وتسهم في بنائها عبر عمليات ادراك الواقع، وتحديد الهويات الاجتماعية ، واختيار المفردات، ويتم ايضاً عبر عمليات التناص والتفاوض، ولاسيما بين منتج الخطاب والجمهور المستقبل له "وهكذا فهو : عملية مستمرة ومعقدة تتفاعل فيها وعبرها قوى ومتغيرات محلية ودولية تعكس أوضاع المجتمع وثقافته والمرحلة التاريخية التي يعيشها" (5)

الأزمة

_نتيجة لتنوع المجالات التي تتعلق بالازمات اصبح من الصعب الاحاطة بهذه المصطلح من زاوية واحدة فهناك المجال الاقتصادي الذي ينظر للازمة من حيث اثارها الاقتصادية وانعكاسات ذلك على محددات هذا المجال فيما يتعلق بالتضخم والبطالة والانكماش وعجز الميزانية وبالتالي البطء التنموي
وفي المجال السياسي ترتبط الازمات بعديد الظواهر التي تنتج بسبب فشل النظام السياسي بتحقيق برامجه المعلنة او الشعارات التي نادى بها مما يؤدي الى خلل في البنية الاجتماعية وغياب حقوق المواطن وانتشار الفساد بين مؤسسات الدولة وفرض الرقابة والهيمنة والملاحقة مما يقود الى نمو الازمة وتناميها بين افراد المجتمع والعمل على التخلص من هذا النظام بشتى الطرق والامكانات المتاحة لايجاد البديل المناسب لاهداف الجماهير .
ومن الناحية الاجتماعية
تعرف الأزمة بأنها : " حدوث خلل خطير ومفاجئ في العلاقات بين افراد المجتمع وارتباك النظام الاجتماعي وخلخلة المنظومة القيمية السائدة وظهور ممارسات وسلوكيات غريبة تستدعي معالجتها لاعادة التوازن الاجتماعي ويقدم " وليم كونت " التعريف التالي للأزمة: ((الأزمة هي تلك النقطة الحرجة واللحظة المناسبة التي يتحدد عندها مصير تطور ما)). (6) ويعرف " جوناثان روبرت " الأزمة بأنها : (مرحلة الذروة في توتر العلاقات في بنية إستراتيجية وطنية أو إقليمية أو محلية) .(7)
أو هي تلك النقطة الحرجة واللحظة الحازمة التي يتحدد عندها مصير

تطورها، إما إلى الأفضل وإما إلى الأسوأ، الحياة أو الموت، الحرب أو السلم لإيجاد حل لمشكلة ما أو انفجار.(8)
ويعرفها جمال الدين حواش بأنها (موقف مفاجىء يؤدي الى اوضاع غير مستقرة وتحدث نتائج غير مرغوب هيها في قت قصير ويستلزم اتحاذ قرار محدد للمواجهة في وقت تكون الاطراف المعنية غير مستعدة للمواجهة)(9)
ومن هنا يمكننا القول ان الازمة عبارة عن حدث مهم يتسبب في خلق متغيرات كبيرة على صعيد الواقع المحلي او الاقليمي والدولي تبعا لنوع الازمة وتأثيراتها في قطاع محدد او تشمل عموم المجالات الحياتية وهو مايجعل الاعلام يتعاطى مع مختلف مراحلها وتطوراتها ومتابعة نتائجا وتأثيراتها

اما الثورات العربية فهي ظاهرة نهوض ووعي شعبي للمطالبة بالحقوق الشرعية للمواطن العربي تلك التي تقرها الشرائع والدساتير الوطنية والدولية والتي يتجاوزها النظام الحاكم مما ينتج عنها معاناة اجتماعية واقتصادية وثقافية وتهميش لفئات الشعب الذي لم يعد يتحمل حالة استبداد وظلم السلطات مما يدفعه ذلك الى الثورة لتغييرالنظام واستبداله بنظام جديد عن طريق الانتحابات الحرة طامحا بتحقيق الاهداف التي جاءت الثورة من اجلها

الأزمات والاعلام

إن حدوث الازمات يأتي نتيجة مخاضات عسيرة ومعاناة تقود الى تصاعد حالات الصراع الى اقصى مداه مما يولد حالة من التناقض بين الواقع وبين ماينبغي ان يكون وتختلف الازمات تبعا لنوع الصراع وتضاد الارادات بين طرفين واختلاف المصالح وتنوع الشعوب والثقافات والسياسات ، إن الازمات سمة الحياة ولابد من حدوثها لان الفعل الانساني دائما يسعى الى التغيير نحو حياة افضل وهذا ماتتسم به المجتمعات الدينامية التي دائما تسعى لفرض ارادة التغيير والتجديد ومواكبة منطق العصر .
وحالما تبدأ الازمة بالتنامي لا بد وان يرافقها مواكبة اعلامية تتناسب وحجم هذه الظاهرة وقوة تأثيرها وكيفية مواجهتها والتفاعل معها بما يجعل المتلقي في حالة تواصل واحاطة بما يدور حوله ، لان امتلاك المعلومة يشكل جزءا كبيرا من امتلاك القوة والسيطرة على مجريات الازمة بغية التعامل معها وفق افضل السبل وايجاد الحلول الناجعة مع الاخذ بالاعتبار عاملي الزمان والمكان. وقد ظلت الشركات الاعلامية الغربية الكبرى تفرض هيمنتها في مجال التغطية الاعلامية للازمات بل للاحداث العالمية المهمة وتقوم بصناعة خطابها وفقا لمصالحها واهدافها ومرجعياتها مما جعل الاعلام مما جعل

المواطن العربي اسير هذه الحملات ومتأثرا بها
ولعل ازمة حرب الخليج واحتلال العراق التي قادتها الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها والتي رافقتها تغطية اعلامية غير مسبوقة توافقت مع اهدافها ومخططاتها في المنطقة لذلك كان الخطاب الاعلامي وافدا من مصدرواحد وكانت قنواتنا الاعلامية العربية مجرد تابعا للألة الاعلامية الغربية،
وفي هذا المجال تكون تجربة الاعلام العربي حديثة العهد مقارنة مع الاعلام الغربي في التعامل مع الازمات او الثورات والتي تبدوانها تجارب سوف تستمر بفعل استمرار الازمات القائمة على مختلف المجالات ، والتي تتصدرها اليوم الثورات العربية التي اطاحت بعدد من الانظمة الحاكمة في المنطقة وغيرت مسار تأريخها لتعيد رسم خارطة جديدة لسياساتها ومستقبل اجيالها .
لكن حدث الثورات العربية جاء مختلفا هذه المرة بمستوى شموليته وعمق تأثيره ونتائجه، وقد كانت مساهمة الاعلام العربي لاسيما القنوات التلفازية الى جانب الوسائل الالكترونية والمتمثلة بمواقع التواصل الاجتماعي والمدونات التي كانت لها دورا مهما في التغطية الاعلامية لهذه الثورات وسرعة التفاعل مع نبض الشارع وردود فعل الجمهور .

سخونة الحدث والمنافسة الاعلامية

لم تشهد التغطية التلفزيونية حدثا اكبر مما حصل وما خلقته الثورات العربية ، فقد تظافرت جهود الاعلام العربي على المستوى الوطني والاقليمي والدولي لاسيما القنوات الناطقة باللغة العربية وبمختلف توجهاتها سواء الحكومية منها او المستقلة والمعارضة ، وقد اثمر هذا التنوع الاعلامي في تأطير الحدث بعديد المضامين والرسائل الاعلامية والمواقف التي حرصت القنوات على ايصالها للجمهور العربي ، كما ان تواصل فعل الثورات دفع هذه القنوات الى المنافسة في اقتناص المشهد المعبر والساخن من ارض الحدث وقد كانت المنافسة جلية بين قناتي الجزيرة والعربية لما يتوفر فيهما من امكانات تقنية ومادية وبشرية حيث يعمل في هاتين القناتين نخبة من الاعلاميين من ذوي الخبرات والكفاءات كما ان وجود المراسلين في مناطق الاحداث عزز عملية التواصل ومتابعة مايجري اولا بأول (ان التفاوت في الاداء الاعلامي بات واضحا من خلال التعاطي مع ما حدث من ثورات ، فما قدمته قناتي الجزيرة والعربية مثلا لايمكن مقارنته بالقنوات العربية الاخرى من ناحية الموقف والوضوح والمساندة والمواكبة لهذه الثورات)(10)

اما الملاحظة الثانية التي ظهرت بوضوح اثناء التغطية الاعلامية هي حالة التنافس بين الاعلام الرسمي التابع للسلطات الحكومية والاعلام المستقل ، فكما هو معروف سعى الاعلام الرسمي على مر العقود التي سبقت قيام الثورات على حجب واحتكار ووضع القيود الصارمة امام تداول المعلومات وكشف الحقائق امام المشاهدين، بل وصل الحد به الى اشاعة حالة من التجهيل واستغلال الفئات المتدنية التعليم من اجل فرض صورة واحدة للنظام الحاكم والتطبيل له والغاء اي محاولة اعلامية مناهضة لهذه التوجهات
ورغم اتساع حجم ظاهرة العولمة وثورة الاتصال التي ساهمت في خلق الفضاء المفتوح الا إن الاعلام الرسمي كان لها بالمرصاد فقد سعى الى حجب الكثير من المواقع ومراقبة ماينشر او يبث كما انه مارس دورا في شيوع ثقافة الاستهلاك والتسطيح لاشغال المواطن عن حقيقة مايجري حوله من فساد وبطالة وهموم الفقر والمرض وغياب الحريات و العدالة وخراب شامل لبنية المجتمع وتخلفه عن ركب التطور ومسايرة عجلة التنمية والبناء .
ان ماكان يشاهده المواطن هي صورا بعيدة عن الحقيقة لانها صورا يتم التلاعب بها فهي تخضع لاعادة تشكيل ورسم ابعاد تتناسب ورغبات صناعها ، ان مقارنة بسيطة لاعلام ماقبل الثورات وماهو عليه اثناءها يكشف لنا بوضوح مستوى الفارق الكبير بين عالم الصورة الافتراضي وحياة الواقع المرير ، ان الاعلام العربي الرسمي كان يعيش حالة خارج العصر لاهيا بمتطلبات السلطة ومتناسيا حاجة المواطن وغليان الشارع العربي
ان الثورات العربية كانت نقطة التحول في بنيةالاعلام العربي الذي استمد من قوة الجماهير شجاعة مضافة منحته هذا الحضور ، حيث ان فعل الجماهير الثائرة كان اقوى من كل الاسلحة وصار صوت المواطن البسيط اقوى من مكبرات الصوت لانه الصوت الطبيعي النابع من صدق الواقع وقوة الحقيقة التي لايمكن ان تحجبها كل وسائل التكنلوجيا او اسلحة وكواليس الانظمة وزيف صورها المصطنع .
(لقد لعب الاعلام المرئي المتلفز دورا بارزا في تعزيز الحياة السياسية في العالم العربي ، بل ساهم في حركية النشاط الجماهيري وكسر الحدود الضيقة ،فتح الافاق واسعة لمناقشة القضايا المسكوت عنها والتي تهم الشعب انه ادى الى ظهور مصطلحا جديدا يمكن ان نطلق عليه تسمية -الدبلوماسية الشعبية (11))
لكن حضور العين الراصدة للاعلام الجديد التي تحققت بفعل استخدامات التكنلوجيا الحديثة قد فوتت الفرصة على الاعلام الحكومي ، فلم تعد مركزية الاعلام ولا امتلاك رأس المال الكبير والتمويل ووجود اجهزة الرقابة نافعة امام المارد الاعلامي الجديد حيث اصبح بأمكان اي مواطن ان يصور مشهدا

مهما وعن بعد بعدسة هاتفه الجوال او بكاميرا صغيرة

الخطاب المرئي واساليب التغطية الاعلامية

رغم حالة التطور والتنوع الواسع في وسائل الاتصال مازال الخطاب المرئي يتصدر واجهة المشهد الاعلامي ويفرض سطوته على مختلف فئات الجمهور لما يتوفر عليه من امكانات تعبيرية وتواصلية جذابة عبر ماتمنحه الصورة من ابعاد وملامح اضافية من شأنها ان تعيد صياغة الواقع وتقديم الصورة وفق ما يرغب القائمون عليها في ايصال الافكار وتجسيد الرؤى ورسم المواقف الى جانب قدرتها في الحضور الأني والتفاعل المباشر وسرعة نقل الحدث. كل هذا يجعل من الاعلام المرئي خطابا متعدد القراءات والاغراض والتوصيل والتأثيركونه يمثل رسالة ووسيطا حاملا للشفرات والرموزالصارخة والفاضحة.

كما يتسم الخطاب الاعلامي المتلفز بعلاقة مشتركة في اغلب الاحيان تجمع بين اللفظي والبصري ، هذه العلاقة التي تتصف بالمفارقة بين الكلمة المتقلبة المعاني والمتجددة مع كل سياق والصورة التي تستطيع ان تتفرد بقدرتها التعبيرية وتتجاوز ثرثرة الكلام المنطوق او المكتوب.

لكن لو حاولنا ان نستقرىء بنية الخطاب الاعلامي المتلفز الذي اقترن مع احداث الثورات من ناحية توظيف البصري باللفظي لوجدنا انه في كثير من المشاهد جاءالصوت داعما للصورة ومانحا اياها قوة وتعبيرا

فالمشاهد التي كانت ترصد الحدث في ساحة التحرير في القاهرة وتنقل حجم الحشود الثائرة كانت اصوات المتظاهرين وصراخات احتجاجهم المرافقة تدعم الصورة بقوة مضاعفة ،

وكذلك الحال مع الصور التي كانت تبث من المدن التونسية او المصرية او الليبية او اليمنية وغيرها والتي تحتشد بجموعها هاتفة بأسقاط الانظمة ، كان الصوت مدويا لايمكن للمتلقي الا التفاعل معه والتأثر به فالصوت هنا يساهم في تكاملية بنية المشهد ويغنيه بلاغة وتعبيرا،حيث يتحول الخطاب برمته الى وسيط مختزن بالطاقة البصرية والصوتية كاشفا بوضوح عن جوهره ودلالاته. اي ان الخطاب المرئي لم يتخل عن اللغة المنطوقة امام الصورة لان بعض المشاهد او اللقطات المتلفزة لا تستطيع ان تعرض رؤية متكاملة عن بنية الحدث الشمولية لذا كان التعليق المرافق يضفي خطابا مزدوجا منه ما يرتبط بالايديولوحي او المنظار الذهني او الاحتمالي.

واحيانا كان الخطاب يتسم بالرمزية من خلال الرسوم والشعارات والصور والأعلام التي كانت ترفع اثناء التظاهرات

فحرق الدمى والكتابات الساخرة التي تعتمد روح النكتة والتورية والاشارات

اضافة الى استخدام المواد البسيطة في ايصال جوهر الخطاب، لقد اصبح البعض من هذه الرموز ايقونيا واصبحت الشفرات الايقونية مقياس العلامة بما تحدثه من إنطباع عن الواقع ، بعد ان كان القياس الوحيد هومحاكاتها الواقع ، ان الرموز التي كان يتضمنها الخطاب المرئي او ما ينقله ضمنا كانت تعبر عن مرجعيات واقعية بوضوح .

تميز الجانب الاخراجي بأستخدام اللقطات العامة البانورامية لتوضيح حجم الحدث وتبيان كم الحشود من الجماهير الغاضبة في الساحات والشوارع ، واحيانا نجد استخداما للقطات المتوسطة والقريبة لاسيما حين يكون هناك حدث مهم كما حصل في حالة الاشتباكات بين المتظاهرين والشرطة او القيام بحالات القنص من اعلى السطوح والشرفات او الدخول الى خيام المتظاهرين وكشف تفاصيل الرموز والصور والشعارات المرفوعة وغيرها.

لقد ساهم الخطاب المرئي في تأجيج حالة الغضب والتمرد على الواقع السائد من خلال عرض الكثير من مشاهد العنف التي كان يمارسها امن النظام واعوانه وهم يواجهون المتظاهرين العزل بالاسلحة والعصي الكهربائية واستخدام العنف غير المبرر ، وقد استطاعت عدسات الكامرا ان تسجل العديد من المواقف التي تجسد حالات القمع والانتقام والقتل العمد بدم بارد كما حصل لمشهد قتل الشاب المصري الذي كان يواجه شرطة النظام المصري السابق بصدره العاري في مدينة الاسكندرية او المشهد الذي يعرض الشاب الراحل بوعزيزي بعد ان احرق نفسه احتجاجا على ممارسات النظام التونسي وكان شرارة الثورة ومشعلها ، ولو نستعرض المشاهد التي تنضوي تحت استخدام العنف لوجدنا الكثير ولكن الاعلام ركز على عرض المشاهد المعبرة كما في مشاهد رشق المصلين بخراطيم المياه القوية وهم يؤدون الصلاة بأيمان وثبات في ساحة التحرير بالقاهرة ، او مشاهد استخدام سيارات الامن المركزي لتفريق المتظاهرين والقيام بالدهس المباشر دون مبالاة لموت البشر ، او استخدام الخيول والجمال لذات الغرض و هناك مئات المشاهد التي تعكس حالات استخدام العنف والتي كان لعرضها على الشاشات له اثره على المتلقين في التحشيد والتعبئة وبث روح الحماس والاصرار وتعميق الارادة على مواجهة الظلم وطغيان الانظمة المتسلطة حتى سقوطها الواحد اثر الاخر .

اما بالنسبة للتغطية الاعلامية داخل الاستوديوهات واعني بها هنا المقابلات والحوارات والتعليقات التي كانت تتم مرافقة للحدث او بعد ه فقد تنوع مستوى الاداء بخصوص الاختيارات للشخصيات والضيوف التي كان يتم الاتصال بها واستضافتها فقد توزعت مابين الجمهور العام والبسيط وبين الشخصيات السياسية والثقافية والاعلامية ولكن الفرق بين قنوات الاعلام

الرسمي والقنوات المستقلة او تلك التي حاولت ان تميل بكفتها لصالح الجماهيرفأن الامر كان واضحا حيث ان معظم القنوات كانت تنتقي الضيوف ممن لديهم ذات التوجهات التي يهدف اليها الخطاب المرسل ووفقا لشروطه الايديولوجية المرسومة من قبل صناع المشهد او تتفق مع وجهة نظر القناة سواء كانت للاعلام الرسمي او للاعلام الاخر وهذا يؤكد الى تمت الاشارة اليه بضعف الحيادية في اعلامنا المرئي او في عموم التغطية التي رافقت فعل الثورات ولاتزال .

ولو اردنا مزيدا من التأكيد لما نحن فيه لوجدنا ان بعض القنوات البارزة عمدت الى تصنيع مايشبه الدعاية -برومشن- وقد اختارت بعض المشاهد من خطب الرؤساء ومساعديهم اللذين كانوا يسخرون من شعوبهم وشباب الثورات كما فعلت مع خطاب زين العابدين بن علي حين يقول – الان قد فهمتكم – او خطاب حسني مبارك وهو يعد المتظاهرين والمحتجين بعدم ترشحه لانتخابات 2014 او من خطاب القذافي الذي يهدد فيه المتظاهرين – دار دار وزنقة زنقة - والذي نال انتشارا كبيرا وتحول الى موضوعات ساخرة في وسائل اعلامية اخرى كالرسوم والاغاني والرقصات ،وقد كان لهذه المشاهد المتلفزة والمصنوعة وفق رؤية معينة تعبر عن وجهة نظر الوسيلة الاعلامية وانحيازها الواضح لصالح كفة الشعب اثرها في التفاعلية مع المتلقين والتأثير على الرأي العام .

ومن ناحية التوظيف والتبادل الاعلامي بين مختلف الوسائل الاتصالية فقد استثمر الخطاب المرئي مختلف الاشكال التعبيرية من اشرطة فديو مصورة بكامرات عادية وبسيطة الى التسجيلات الصوتية والصور الفوتغرافية الرسوم الكاركاتيرية وما الى ذلك بغية تقديم كل ما يتوفر حول الاحداث ومستجداتها.

لكن الجانب الاكثر اهمية والذي يسجل للاعلام العربي المرئي لاسيما قناتي الجزيرة والعربية هو حالة التواصل المستمر والنقل المباشر لكل ما كان يجري من احداث سواء في الاماكن المركزية كما في ساحة التحرير بالقاهرة او من شارع الحبيب بورقيبة بتونس او الساحة الخضراء بطرابلس او بنغازي وسرعة المتابعة للاحداث التي كانت تجري في المدن الاخرى ايضا وهذا جعل المتلقي في حالة تواصل مع تطورات الحدث ومجرياته وهي المرة الاولى التي يبادر فيها الاعلام العربي بهذا المستوى الكبير من التحشيد الاعلامي والمواكبة للاحداث ، وقد استطاعت هاتين القناتين الى جانب بعض القنوات ان تكون حاضرة وسط الاحداث وقادرة على نقل وتسجيل مايجري بشكل مباشر ودون رتوش مما جعل خطاباتها اكثر مصداقية وتأثير بل تحولت في بعض الاخيان الى مصادر ومرجعيات لتبادل الاخبار عبر

الوكالات والقنوات العالمية .
وامام هذا الحضور المميز نستطيع ان نشير الى فشل الاعلام الرسمي في منافسة القنوات غير الحكومية وعدم قدرتها على صياغة خطاب منافس او مقنع فما كان يقدم من قبل الاعلام الرسمي لايتعدى سوى بعض الخطب لرؤساء الدول او مساعديهم واحيانا بعض الردود والتوضيحات من قبل الناطقين بأسم الحكومة او من ينوب عنهم من شخصيات واعلامي النظام اللذين ظلوا يدافعون عن هذه الانظمة الديكتاتورية ويشيدون بها حتى قبيل لحظات من انهيارها الكامل فقد كانت الخطابات الموجهة عبارة عن تحذيرات وتخويف للناس الثائرين واطلاق بعض الصفات عليهم مثل زمرة من المخربين او المتأمرين او كما وصفهم البعض بنعوت رديئة كالجرذان او الوحل الوسخ مثلا ، وفي بعض الاحيان لجأ الاعلام الرسمي الى توظيف اصوات بعض المؤسسات والشخصيات الدينية او الثقافية والفنية كالازهر ووجوه من الفنانين المعروفيين لتبيض وجه النظام لكن باءت كل هذه الجهود المنحازة بالفشل امام سطوة الاعلام غير الرسمي او بما يمكن ان نطلق عليه – اعلام المواطن -

التغطية الاعلامية في ظل الثورات العربية

الخطاب المرئي ومرحلة ماقبل الثورات

مارس الاعلام المرئي قبل اندلاع الازمات دورا اعتياديا فقد كان يقترب من النقل الاخباري والمتابعات لما كانت تقوم به الحركات الثورية من تحضيرات او اعتصامات وتجمعات ومسيرات واطلاق نداءات ومطالبات من الدولة بالعمل على تلبية مطالبها ، وقد كانت تصريحات التنظيمات المعارضة المتواجدة بالخارج هي السائدة والمباشرة والجريئة كونها تتمتع بقدر من حرية التعبير في البلدان التي تتواجد فوق اراضيها لاسيما العواصم الغربية ، كما ان منظمات الدفاع عن حقوق الانسان هي الاخرى ساهمت بنوع من المطالبات بضرورة الحرص على احترام حقوق الانسان .
هذه التسريبات الاعلامية لم تكن تصدر من الاعلام الرسمي بل من القنوات غير الرسمية المستقلة منها والخاصة او من بعض القنوات العالمية التي توجد لها مقرات او مراسلين في عواصم الثورات ،
كان الاعتماد ايضا على الخطاب الالكتروني وما تنتشر فيه من مشاهد مرئية عما يحصل من مواقف وتجاوزات او تصويرا لحالات المواجهة بين المتظاهرين ورجال الامن وغيرها ، وقد كان الاعتماد على المواقع الاتصالية لان رقابة الحكومة كانت تمنع القيام بتصوير او نشر اي حالة او

موقف يتعرض الى سياسة النظام او انتقاده ، لذا كانت عملية تكميم الافواه وخنق الحريات هي احد اسباب الاحتقان لاسيما بتونس وليبيا بينما كانت فرص التعبير في حال افضل بمصر وهذا مانلمسه من خلال الكم المعلوماتي الذي توفر لدى المواطن من قبل الاعلام وصحافة المعارضة ، اما في ليبيا فقد كان النظام يطبق قبضته الحديدية على وسائل الاعلام ولم يسمح الا للاعلام الرسمي الذي كان ينطق بأسم القائد ولجانه.

اذن نحن امام مستويات مختلفة للخطاب الاعلامي وحرية التعبير وتداول المعلومات بين نظام واخر وهذا الحال انعكس على واقع الخطاب المرئي بشكل عام قبيل اندلاع الثورات ، فقد ساير الاعلام بدايات حالات الاحتجاج وبدء التظاهرات بقدر من التحفظ والحيادية وكان دوره هنا يكاد لايتعدى حدود العرض المباشر للظاهرة دون تعليق او ابداء وجهات نظر مع او ضد اي طرف من اطراف الازمة واكتفى الاعلام المرئي بدور ابلاغي للاحداث .

إذن نحن امام اتجاهات اعلامية متنوعة فالبعض كان حياديا وتعامل مع نشوء الازمات بطريقة ايجابية وواقية دون الانحياز لطرف على حساب الاخر والبعض الاخر تعامل بشكل تحليلي ابتعد عن جوهر الازمة ودوافعها واسبابها وكرس خطاب تبريري واضح الانحيازانشغل بتقديم التبريرات والاحكام الجاهزة مما كان له اثرا في تشويش الجمهور (لقد افرزت الاحداث العربية انماطا من اعلام الازمات تراوحت بين المحايد ، السلبي ،

<u>التغطية الاعلامية اثناء قيام الثورات</u>

عندما تصاعدت احداث الثورات واتسع حجم نشاط المتظاهرين والمعارضة اختلفت المعالجات تماما وتغير اسلوب التعامل من قبل سلطات الانظمة الحاكمة اذ شعروا بخطورة الامر وجدية الموقف عندها ارادوا فرض سيطرتهم البوليسية من جديد فتدخلت قوات الشرطة والامن المصري وكذلك كان فعل الامن التونسي لكن الوضع في ليبيا كان استخدام التهديد والعنف منذ البداية ومع تصاعد وتيرة الاحداث كان لابد من الاعلام ان يواكب ذلك لذا تحول الخطاب المرئي الى مستوى اخر حيث استمد نشاطه من قوة الفعل المتحقق على ارض الواقع ، فنزل الاعلاميون الى مواقع الاحداث وراحوا يسجلون بعدساتهم واجهزتهم كل جديد ويتابعون مجرى الاحداث ، هنا اتخذ الخطاب اتجاها مختلفا عما كان عليه في المرحلة السابقة اذ اصبحت الاراء المطروحة اكثر عمقا وتحليلا واتفاقا مع مايجري في الشارع لاسيما خطاب بعض القنوات كالجزيرة والعربية وغيرها ممن جندت طاقمها لهذا الحدث وبات المحور المركزي في خارطة البث ، كانت المشاهد المصورة من

مواقع الاحداث ترافقها التعليقات والاراء التي كانت تقدم من المحللين والمراسلين والضيوف وكانت هذه بمجملها تشكل مواقف دعم للخطاب المرئي وتوجهاته في محاولته لاسناد المتظاهرين ورص الصفوف وتنظيم القدرات

حيث لعب الاعلام دورا ابلاغيا وتوجيهيا واسهم في توفير المعلومات الانية امام المشاهدين بما جعلهم يتخذون الاحترازات مما قد يحدث وهو ماحصل فعلا بتونس عندما حاول النظام اعتماد مبدأ التخويف واشاعة الفوضى من خلال حرق وتخريب المصالح العامة او مداهمة البيوت والاحياء ، اذ سرعان ماتم تشكيل ماسمي باللجان الشعبية للدفاع والحماية الذاتية من قبل اهل الحي او المتساكنين وهذا الاجراء زاد من حدة التلاحم بين صفوف الشعب عندما شعروا انهم جميعا امام خطر واحد ، وقد افاد الثوار في مصر من هذه التجربة وكذلك انسحب الحال على الثورة الليبية واليمنية والسورية ايضا.

وفي هذه المرحلة استطاع الخطاب المرئي من تأجيج مشاعر المشاهدين وذلك من خلال المشاهد المؤثرة التي تتوفر على قدر كبير من الدراما الانسانية والتراجيدية احيانا ، اذا كانت العدسات بالمرصاد لتسجيل افعال العنف والضرب والانتقام حيث مشاهد الدم والجراح او القتل والدهس او عبر مشاهد استعراض الحشود المليونية الغاضبة وهي تهتف بصوت واحد الله واكبر وليسقط النظام .

في هذه المرحلة برز دور قناة الجزيرة وازداد مستوى الاهتمام بما كانت تقدمه نتيجة تعرض مكاتبها للغلق او منع مراسليها من متابعة الاحداث وممارسة عملهم ووصل الامر بحجب الاشتراك وقطع البث كما حصل ذلك في مصر حين اقدمت السلطات على عزل القناة من القمر الاصطناعي -نايل سات – لكن هذا السلوك جاء بنتائج عكسية ومنح الجزيرة اهتماما مضافا من قبل المشاهدين والمتظاهرين الذين سرعان مابادروا الى اعادت البث عبر ترددات القناة الجديدة ونصب شاشات كبيرة في مواقع الاعتصام وساحات التجمع.

ان الخطاب المرئي هنا قد تجاوز حدود الحيادية تماما وانتمى الى صفوف الجماهير واتفق مع مطالب الشعوب حيث افرزت المعطيات والتحليلات في الخطاب الاعلامي الى ابراز دور الشعب وقوته في مقارعة الانظمة التي اخذت تضعف وتتراجع وهي في طريقها الى الزوال ، هنا كان الخطاب المرئي في حالة اداء عالية وبقدرات تعبيرية هائلة صارت الصورة اكثر وضوحا والصوت اكثر قدرة على الوضوح بعد ان كان حياديا ومرمزا وايحائيا حسب .

واذا تجاوزنا الخطاب المرئي العربي وانتقلنا الى الخطاب المرئي الغربي نجده لم يكن بذات المستوى في متابعة الحدث ومعظم ماكان يبث يأتي لاحقا للحدث وليس مواكبا له ، وحتى بالنسبة للتعليقات وتصريحات المسئوولين الغربيين كانت تصدر من خلال بوصلة المراقبة لطرفي الصراع وينتظرون اين تميل الكفة ؟ الا بأستثناء بعض التصريحات التي كانت اكثر وضوحا وانتماءا لارادات الشعوب وهذا ملمسناه من خلال تصريحات المسئوليين الفرنسيين او من خلال نداءات ممثلي منظمات حقوق الانسان.

التغطية الاعلامية لما بعد الثورات

اثر تحقق الثورات وسقوط الانظمة الحاكمة والانتقال الى مرحلة مابعد الثورة شهد الخط البياني للتغطية الاعلامية في الخطاب المرئي تراجعا ملحوظا حيث انخفض مستوى المتابعة وتم اختصار مدة التغطية من وقت البث العام الى ادنى مستوى مما ادى الى حالة شبه انقطاع للمستجدات وتفاصيل مابعد الازمة

ان تحقق عملية التغيير وسقوط الانظمة الحاكمة ليست نهاية المطاف بل انها المرحلة الاكثر اهمية (لان الثورة هي مجرد بداية لمرحلة كاملة في اعادة البناء لكن اعلامنا المرئي كان مهتما بالاقل اهمية وليس الاهم) (13)

حيث ان الاعلام هنا ينبغي ان يكون اكثر فعالية نتيجة الفرص الجديدة المتاحة وتوفر عامل الامان الى جانب متابعة تطورات الاحداث وتقديم البرامج والخطط التي ستكون بديلا في المرحلة المقبلة لاسيما فيما يتعلق بكشف البرامج التي تقدمها الاحزاب او الشخصيات التي ساهمت بكفاءة في عملية التغيير ليكون دورها واضحا امام الجماهير كي لا تحصل خروقات ويتسلم مقاليد السلطة ممن لايستحقون ذلك او من ذوي الكفاءات المتدنية وهنا ستنكفىء الثورة وتعود الى خط البداية .

اما بالنسبة للاعلام الرسمي للدول التي نجحت فيها الثورات فنجده سرعان ما ينقلب من حالة الدفاع عن النظام الى مدافع عن الثورة ومكتسباتها بغية التكييف مع سلطة الثورة فهو اعلام منافق وتابع ولايمتلك من المصداقية بشىء سوى انه اعلام سلطوي يعبر عن مصالح من سيقود وهذه تكاد تكون سمة عامة لاعلامنا الرسمي العربي و اشكالية كبرى من اشكاليات الاعلام

اشكاليات الاعلام العربي

وامام حجم الاشكاليات التي يعاني منها الاعلام العربي يبدو ان هذه المعالجة لاتقدم حلولا" ناجعة ولايمكن ان تخلق بديلا حقيقيا ومواكبا لما يسود عصرنا الحالي من تطورات متسارعة وتبدلات جوهرية في بنية الخطاب الاعلامي وما نواجهه من تحديات شرسة واختراق ثقافي واتساع حجم الفجوة بيننا وبين

الاخر، كل هذا يستدعي منا وقفة موضوعية وفهما عميقا لواقعنا من الداخل واعادة نظر بمجمل القراءات السياسية لخطابنا الاعلامي بغية تأشير مواضع الخلل ودراسة الظاهرة وتحديد اسباب تعثرها والعمل على وضع الشروط الكفيلة باعادة ربط هذا الخطاب بالمجتمع وتنظيم علاقته مع النظام السياسي الجديد والمنظومة التشريعية وملكية وسائل الاتصال اضافة الى ايجاد سبل النهوض الحقيقية له واعادة الثقة بينه وبين متلقيه من خلال اعتماد البرامج والافكار الجديدة والحرص على تحلى الخطاب الجديد بالتعبير عن حاجات الجمهور كونهالفاعل الحقيقي في صنع احداث الثورات لذا على الاعلام ايصال المعلومة الصادقة الملتزمة بقضاياه وهمومه وآماله بعيدا عن الصيغ التقليدية او التضليلية والانحيازية في توجيه الخطاب وبمستوى من المهنية العالية للعمل الاعلامي والراي الحر.

إن الازمات التي تحدث هي اشبه بأختبارات لتقييم إداء الاعلام ووضعه أمام تحديات مستمرة لاعادة الثقة مع المتلقي من خلال الممارسة الاعلامية لتقديم رسالة تتسم بالمصداقية والمهنية والحيادية ورسم صورة ذهنية لدى الجمهور من شأنها ان تحقق حالة التفاعلية المتبادلة . وهذا ينطبق على صورة اعلامنا العربي

فلا سبيل للاصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي بعد الثورة دون اصلاح للاعلام وتغير منهجيته واساليبه واهدافه بما يبلور خطابا جادا وصادقا يسعى لتحقيق التوازن المطلوب ويكون مؤهلا لاقامة حوار متكافئ ومنسجم مع الواقع الجديد ونواميسه ، وهذا ما يجعله قادرا على صناعة القبول من خلال التزامه بالمستوى الاخلاقي في عرض الحقائق والدفاع عنها و تقديم صورة حقيقية عن انساننا العربي الذي انتفض مطالبا بحقوقه والحفاظ على كرامته بعيدا عن التشويه والتحريف والمبالغة التي مالبث الاعلام السلطوي يروج لها ويعمل على ترسيخها في اذهان وعقول الرأي العام .

ازاء هذا الواقع ولمواجهة التحديات التي تحدق بنا لابد من الاعتراف بقصور سياساتنا الاعلامية العربية رغم ماقدمه الاعلام من مبادرات ومساهمات شكلت حضورا لافتا لكن بنسبة قليلة وممثلة ببعض القنوات المعروفة في مستوى مهنيتها وحجم انتشارها ، ومادام العالم العربي يشهد التواصل في الازمات وهي ميزة المجتمعات الدينامية الساعية نحو التغيير ومواكبة البلدان المتحضرة في البناء والتقدم والتنمية الشاملة يكون من الضروري تأشير مواضع الخلل , تلك التي افقدت خطابنا الاعلامي العربي عناصر الحضور والمواجهة والقوة والتاثير والمنافسة ودفعت به لمزيد التراجع والتخلف امام عصر اتصالي يتطور وواقع كل شيء فيه يتغير وبسرعة

فائقة.

نتائج البحث

لقد افرز لنا البحث العديد من النتائج ومن اهمها مايلي :-

1- يزداد حجم الدور الاعلامي وخصوصا الخطاب المرئي اثناء الازمات وتتسع اهميته في المشاركة بصناعة الاحداث والمساهمة في زيادة حركية نشاط الجماهير وتشكيل اتجاهات الرأي العام.
2-استطاع الخطاب المرئي المتلفز ان يفرض وجوده ويستقطب اهتمام الجماهير لما يتوفر عليه من امكانات تعبيرية وسرعة متابعة في تغطية الاحداث تفصليا ومن موقع الحدث.
3-تفاوت مستوى التغطية الاعلامية المرئية بين القنوات التلفزيونية العربية من حيث الاداء والمهنية ومواكبة الاحداث ميدانيا وقد برزت في ذلك قناتي الجزيرة والعربية .
4-فشل الاعلام الرسمي المرئي في منافسة الاعلام الحر والمستقل ، وظل حتى نهاية الاحداث اعلاما تابعا يعبر عن ايديولوجيا النظام ،اعتمد خطابا تبريريا مزيفا واحكاما جاهزة على الاحداث.
5-تنوع اداء الخطاب المرئي في التغطية الاعلامية وفقا لمراحل الاحداث مستمدا قوته من سخونة الحدث ومشاركة الجماهير الواسعة فيها وقد اتسم الاداء لمرحلة ماقبل الثورة بالحيادية والمتابعة الاخبارية التقليدية ، لكن تصاعد دوره واتسع حجم نشاطه وخرجت بعض القنوات عن حياديتها والتقت مع اهداف الثوار والمتظاهرين .
6-تراجع اداء الخطاب الاعلامي المرئي في فترة مابعد الثورات من حيث مواكبة التطورات والمساهمة في رسم افق المستقبل امام الجماهير واقتصر نشاطه على السائد من الاحداث .
7-لم يتخل الخطاب المرئي في التغطية الاعلامية بأعتماده على الوسائل الاتصالية المجاورة مثل مواقع الاتصال الاجتماعي والصحافة المكتوبة ،الى جانب برامج الحوارات والتعليق على الاحداث والتسجيلات الصوتية .
8-هناك علاقة ارتباطية بين مصداقية الرسالة وجديتها والتزامها بالاخلاق الاعلامية وبين درجة التأثير على المتلقين.
9-لم تخل بعض التغطيات الاعلامية المرئية من المبالغة والتهويل والانتقائية او بث اخبار من مصادر غير موثوقة مما ادى الى حالات من التشويش

الاعلامي .
10- كان لاختيار بعض المشاهد واللقطات المأساوية او الساخرة واعادة بثها اثرا في تعبئة الجماهير وتحفيزها بأتجاه المزيد من التفاعل مع الاحداث والمساهمة في الوقوف الى جانب الجماهير وثورتها .

التوصيات

1- مع استمرا حالة الازمات التي تمثلها اليوم الثورات العربية نءصي القائمين على التغطية الاعلامية في القنوات التلفزيونية واداراتها ضرورة تهيئة كوادر متخصصة واحترافية في مجال اعلام الازمات من محررين ومصورين ومراسلين اكفاء ليكونوا في مستوى مواكبة الاحداث من حيث الاداء المهني والاندفاع والحضور الميداني في مواقع الاحداث
2- وضع الخطط الموضوعية والواقعية في معالجة الازمات من حيث التغطية الاعلامية المرئية والابتعاد عن حالات الارتجال وتجاوز الصورة التقليدية حيث اظهرت التغطية السابقة حالات من التلكوء من قبل المراسلين او حدوث رداءة في الصوت او الاعتماد على الاستوديو واستقبال الصور الجاهزة من الوكالات الاعلامية الاجنبية، لان وجود القناة في ارض الحدث يتيح للمشاهدين حالة من التفاعلية وملامسة الجو العام للاحداث

المقترحات
نقترح على الاتحاد العام للاذاعلت العربية القيام بمبادرة عقد ورشة عمل خاصة حول البرامج والاتجاهات والاساليب والاداء في التغطية الاعلامية للازمات في العالم العربي ، يدعى لها ممثلي القنوات التلفزيونية الرسمية والخاصة بغية الاطلاع على واقع التغطية الاعلامية والافادة من التجارب المتقدهة في هذا الاتجاه

المصادر والاحالات

_*اكاديمي عراقي استاذ في الجامعة العربية لشمال امريكا
-1يوسف سلامة ، مجلة الوفاق العربي ، العدد 13 يوليو 2000 ص 46 السنة الثانية تونس
-2فهد حسام الساموك ، التفاعلية الاتصالية وتسويق جهود اصلاح التعليم/ نماذج نظرية وتطبيقية مقترحة(،
-3فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي ،المركز العربي ،الدار البيضاء-بيروت 2006 ص 73-79
-4محمد شومان، الخطاب الإعلامي غموض المفهوم واختلاف أدوات التحليل، غوغل
-5المصدر السابق
-6حمد جلال عزالدين ، ادارة الازمة في الحدث الارهابي ، اكاديمية نايف للعلوم الامنية ، الرياض، 1989.
-7أحمد عامر ، مقدمة في إدارة الازمات ،1979
-8اديب خضور ، الاعلام والازمات ، اكاديمية نايف العربية للعلوم الامنية ، ط3 ، الرياض ، 1999.
-9جمال الدين محمد حواش ، ادارة الازمات والكوارث ، ضرورة حتمية ، القاهرة ، المؤتمر الثالث لادارة الازمات 1998.
-10خولة مطر ، أفاق الاعلام العربي في عصر الثورة ، الورشة الاقليمية ، القاهرة ، 27سبتمبر2011
-11علي الجابري -مدونة فوق الخط الاحمر 15-1-2011
-12طه بن محفوظ ، اعلام الازمات ، تخطيط وسمعة وصورة ذهنية ، موقع عكاظ
-13سليمان جودة ، الشرق الاوسط ، هل هي ثورة وهل هو اعلام ؟ 2، ماي 2011

التاريخ

الحياة الخاصة للإمبراطور الروماني تيبيريوس

أشرف صالح محمد سيد

الحياة الخاصة للإمبراطور الروماني تيبيريوس
(42ق.م –37م)
The private life of Roman Emperor Tiberius(42 B.C.-37)

Ashraf Salih Mohamed Sayedأشرف صالح محمد سيد
عضو هيأة التدريس الجامعة الاسكنديناڤية –النرويج

ملخص:

تتناول هذه الدراسة الإمبراطور الروماني تيبيريوس خلال الحقبة (42ق.م –37م)، وبمعنى أدق حياة هذا الإمبراطور منذ مولده حتى وفاته، فمنذ أكثر من ألفي عام اعتلى عرش روما إمبراطور جديد هو ثاني الأباطرة الرومان؛ أسمه تيبيريوس كلوديوس، وعدد رعاياه مائه مليون نسمة. ولقد كان طاغية بخيلاً، منحرفًا، سفاكًا للدماء، ولكن الإمبراطورية الرومانية استقرت في عهده وازدهرت اقتصادياتها.

وقد تعرضت الدراسة بشكل مركز إلى مولد تيبيريوس وتربيته ونشأته، وثقافته، وملامح شخصيته، ثم انعزاله في جزيرة رودس والظروف التي دفعت به نحو عرش الإمبراطورية بعد وفاة أول الأباطرة الرومان أوجستس (أوغسطس)، مع عدم إغفال أهم الأحداث خلال فترة توليه العرش ثم تقاعده في جزيرة كابري، وأخيرًا نهاية حياته بعد فترة حكم استمرت ثلاثة وعشرين عامًا(14م – 37م) كان فيها أقدر حاكم للإمبراطورية الرومانية على وجه الإطلاق.

Resume:

This study deals with the Roman Emperor Tiberius during the era (42 BC- 37), and more precisely The life of the Emperor from his birth until his death. For more than two thousand years, ascended the throne of Rome, second Roman emperors; named Tiberius Claudius. The number of roman nationals was more than one hundred million people. Tiberius was a miserly tyrant, skewed, a serial

killer, but the empire settled and flourished their economics during his reign.

The study focused on the birth of Tiberius, his education, upbringing, culture, features of his character, isolation on the island of Rhodes and the circumstances that led him towards the throne of the empire after the death of the first Roman emperors Augustus. Also the most important events during the period he assumed the throne and then his retiring on the island of Capri, and finally his death after the reign lasted twenty-three years (14-37). So he was the best ruler of the Roman Empire.

مقدمة:

واقع الأمر؛ إن الرومان وتاريخهم الطويل الممتد كان ذا أهمية كبيرة جعلت الكثير من الباحثين والمفكرين، فضلاً عن المؤرخين يلتفتون إليه، ولم يكن ذلك إلا لما يحفل به التاريخ الروماني من خبرات في الحكم والسياسة، مما لعب بدوره دون شك في تنوع جوانب الاهتمام والدراسة في التاريخ الروماني. ولما كان التاريخ الروماني من صنع القادة الغزاة والأباطرة الطغاة كان من الضروري الاهتمام بدراسة هذا الجانب، بما يحويه من حياة هؤلاء الأباطرة الخاصة وظروف نشأتهم وتربعهم على عرش الإمبراطورية إلى معاركهم وفتوحاتهم وسياستهم وغير ذلك.

ومن الجلي البين؛ أن هناك العديد من الدراسات التي ألفت عن الإمبراطورية الرومانية باللغة العربية واللغات الأجنبية، وقد تناولت المؤلفات العربية تاريخ الأباطرة الرومان بصورة جمعية ومفصلة من ناحية السياسة الداخلية والخارجية والعلاقة بمجلس الشيوخ ناهيك عن المعارك والحروب، ومن بين الصفحات كانت توجد تلميحات لحياتهم الخاصة، وعلى النقيض أفردت الأقلام الغربية مؤلفات كاملة عن كل إمبراطور على حدا ومن بين هؤلاء الأباطرة تيبيريوس.

ومن ثَم فإن هدف إعداد هذه الدراسة هو تقديم صفحات تعكس الحياة الخاصة لهذا الإمبراطور وليس الأحداث التاريخية، فقد ولد هذا الرجل وسط مأساة ضخمة وعاش حتى سن الكهولة وفي نهاية عمره كان مكروهًا من كل إنسان على قيد الحياة، أساءت السلطة الرومانية كثيرًا إلى سمعته بوجه

خاص كما لم تفعل مع أي إمبراطور روماني أخر، بالرغم من أنه كان جديرًا بمنصبه، وأعتقد في رأيي المتواضع إن حياة تيبيريوس الخاصة كان لها أكبر الأثر على أفعاله الشاذة في الإمبراطورية من هتك للأطفال، وعلاقات شاذة بالجواري والغلمان، حتى مخادع الجنس في جزيرة كابري.

المولد– التربية – النشأة

قبل مولد تيبيريوس Tiberius بخمسمائة عام كانت روما تقع تحت الحكم الجمهوري، حيث كانت معظم طبقات الشعب حرة وعدد السكان بلغ ما يزيد عن النصف مليون نسمة. وكان جايوس يوليوس قيصر (102 ق.م – 44 ق.م)([1]) يسعى نحو أن يكون ملكًا، ولكنه استطاع أن يكون إمبراطور فكان أول صاحب لهذا اللقب. ولكنه قُتل بخناجر أنصار الجمهورية، مما أشعل أكبر حرب أهلية في تاريخ روما استمرت ثلاثة عشر عامًا.

وفي خضم تلك الأحداث وبعد انتصار جيوش المنتصرين على الجمهوريين في معركة فيليبي، أو بالأحرى بعد مرور شهرين وفي 16 نوفمبر 42 ق.م[2] ولد تيبيريوس Tiberius في عالم مليء بالأحداث الكثيرة حيث سُرقت الكثير من المدن وبيعت شعوب كاملة في سوق العبيد[3] وينتمي والدي تيبيريوس Tiberius إلى أسرة"Claudian" تلك الأسرة العريقة التي كان تاريخها هو تاريخ روما نفسها[4] كانت والدته اسمها ليفيا دروسيلا Livia Drusilla (58ق.م – 29م) قد ولدته في الثالثة عشر من عمرها، وكان زوجها هو ابن عمها. وكانت ليفيا جميلة وذات عينين حنونتين، كما كانت تمتاز بتواضعها وبعدها عن الفضائح، وكانت تمتلك كل الفضائل المطلوبة في السيدة الرومانية النموذجية في ذلك الوقت. وكان لدى ليفيا(600) من العبيد وبالرغم من ذلك كانت تُصرف الساعات في متابعة كافة التفاصيل والإشراف عليها في شئون البيت.[5]

ومما يذكر؛ أن ليفيا Livia عندما كانت حاملاً في تيبيريوس فإنها كانت تحتفظ ببيضة مخصبة بين ثديها. وعندما كانت تنام فإنها كانت تعطي البيضة لواحدة من الجواري لكي تدفئها على نفس الصورة. وكان هدفها هو تبين نوع ومصير جنينها.وعندما فقست البيضة وخرج منها كتكوت ذو عرف جميل شمل الابتهاج البيت كله، فقد كان الكتكوت علامة على أن المولود سوف يكون ذكرًا، وكان العرف علامة على أنه سوف يكون رجلاً عظيمًا[6] تلك كانت ليفيا Livia والدة تيبيريوس Tiberius سليلة أسرة من أكبر أسر روما. أما والد تيبيريوس Tiberius فيدعى تيبيريوس Tiberius كلوديوس نيرو الأكبر،شغل عدة مناصب كبيرة في حكومة روما، وكان قائدًا لأحد أساطيل يوليوس قيصر، كما كان من كبار كهنة الديانة الأوليمبية.

وقد قضى تيبيريوس Tiberius الابن أول سنتين من عمره مع أبويه في المنفى، حيث هاجر تيبيريوس Tiberius الأب من روما بعائلته واستقر في مدينة بيروجيا التي تقع في جبال الابنين، على أنه ارتحل بعد ذلك لعدة مناطق ثم عاد لروما ثانيةً[7] . وفي عام38 ق.م طلبت ليفيا Livia من تيبيريوسTiberius الأب أن يطلقها حتى تستطيع الزواج من أوكتافيانوس[8] Octavianus وعندما توفى تيبيريوس Tiberius الأب، كان عمر أبنه الأكبر تسع سنوات. حيث ذهب تيبيريوس Tiberius في ذلك الوقت وشقيقه دروسوس Drusus [9] - كان عمره خمس سنوات – ليعيشا مع أمهما ليفيا في قصر أوجستس (أوغسطس) Augustus.[10]

وعلى الرغم من أن تيبيريوس Tiberius كان قد تلقن العلم والدين والأدب على أيدي أساتذة ممتازين من الإغريق والرومان، فإنه حصل على أساتذة أعرق وأفضل في قصر أوجستس Augustus في ذلك الوقت، حيث كان الراجح أنه هو أفضل الصبية في روما كلها في العلم والأدب. وكان السبب في إصرار أوجستس Augustus على تعليم تيبيريوس Tiberius و دروسوس ومارسيللس[11] على أعلى مستوى هو أنه كان يرى أن الإمبراطورية قد أصبحت ملكًا خالصًا له وبالتالي فإن حاكمها من بعده يجب أن يكون أحد ورثته، وكان هؤلاء الثلاثة هم ورثته الطبيعيون.وبالرغم من تفوق تيبيريوسTiberius في التحصيل عن دروسوس Drusus إلا أن أوجستس Augustus كان يميل لدروسوس Drusus لأنه شخصية مقبولة وأكثر مرحاً من هذا الولد الخجول ثقيل الكلام تيبيريوس Tiberius.

وبهذا قضى تيبيريوس Tiberius هذه السنوات من عمره حتى بلغ الثالثة عشر عندما كان أوجستس Augustus قد حصل على النصر النهائي واستولى على مصر، وانتحر انطونيوس وكليوباترا[12] ولعله من الواضح؛ أن هذه السنوات الأولى من عمر تيبيريوس Tiberius كانت بمثابة الدرج الذي يرتقيه نحو العرش، فهو لأبوين من أكبر الأسر الرومانية، ثم تزوج والدته من الإمبراطور، ووفاة والده وذهابه في التاسعة من عمره للعيش في قصر أوجستسAugustus وتلقيه التعليم هناك والعناية به كأحد ورثة العرش.

الثقافة والملامح الشخصية

فقد كان تيبيريوس Tiberius طويل القامة شديد البأس، حلو الملامح، ولكن حب الشباب ضاعف من حيائه، وسماجة طباعه، وإحجامه وحبه للعزلة. ويمثل رأسه الجميل المحفوظ في متحف بوسطن في صورة قس شاب عريض الجبهة، واسع العينين غائرهما، ذو وجه يدل على الحزن وعميق

التفكير، وقد بلغ من جده ووقاره في شبابه أن أطلق عليه بعض المجان اسم "الرجل العجوز".[13]

يستطيع أن يكون شرساً إذا غضب، وكان أقرب إلى العزلة والانطواء دائماً منذ صغره، كما كان يفتقر إلى الحب، وكان صبوراً قليل الكلام حريصاً فيه وهو ما زاد من كره البعض له،حيث أنه كان يتوقف وسط الجملة لكي يبحث عن اللفظ المناسب لما يقصده.

وقد قطع تيبيريوس Tiberius شوطاً في التعلم أولاً على يد أساتذة روما ثم في قصر أوجستس Augustus، ولقد كان لديه قدرة مبكرة على الخطابة ذوت بسبب ميله للعزلة والبعد عن الناس. تعلم تيبيريوس Tiberius من أوجستس Augustus كيف أن المصلحة وحدها هي المقياس الصحيح للعلاقات. وكان تيبيريوس Tiberius يجيد الإغريقية ويحب الأدب الإغريقي،كما درس الكثير من علوم عصره مثل علم تفسير الأحلام وعلم الفلك. وكان ينظم بعض الشعر ويجيد الكتابة والخطب والرسائل.[14]

كما أنه تمرس أيضًا بطقوس الديانة وأساليب الحكم. وكان عالمًا ضالعًا في الأدب اليوناني واللاتيني[15] وعلم الطب وعلم قراءة الطوالع.وكان شغوفًا بالرسم والنحت واتخذ بطانة من الشعراء وعلماء الرياضة، واهديت إليه المؤلفات والأشعار.[16] وقد تدرب على القتال وهو ما يزال صبيًا، إلا أنه كان يطمع في أن يكون رجلاً عظيمًا وكان يرغب في أن يتبع الطريق التقليدي لذلك وهو الجندية – في ذلك الوقت –ومن بعدها ينتقل إلى المناصب القيادية في حكومة روما.

وفي عام 27 ق.م كان تيبيريوس Tiberius في الخامسة عشر من عمره، وكان فتى طويلاً قويًا عريض الأكتاف، وكانت الطراوة تبدو على ملامحه، ولقد تنبأ واحد من معلميه وهو تيودروروس الجادراني بمستقبله حين قال عنه أنه"طين معجون بالدماء".[17] كان تيبيريوس Tiberius يعيش بين جنوده عيشة متواضعة، فكان يشاركهم متاعبهم ولا يميز نفسه عنهم بمظاهر الرخاء والرفاهية التي كان يتمسك بها القواد الآخرون،فكان ضباطه يألفونه ويمازحونه. وكان ينتقل على ظهور الخيل ويأبى أن يستخدم المحفة التي يحملها العبيد، وكان يأكل كالجنود وهو جالس، حيث أن النبلاء الرومان كانوا يأكلون وهم مستلقون على بطونهم فإذا فرغوا من الطعام تحولوا إلى أحد الجانبين.[18]

وقد أخذ من التربية كل ما يستطيع أن يأخذه عن الرومان واليونان والبيئة والتبعة، وأتقن اللغتين اليونانية والرومانية وآدابهما، وكتب الأغاني الشعرية، ودرس التنجيم و"غفل عن الآلهة". وكان يحب أخاه الأصغر دروسوس رغم أنه كان أحب منه إلى الشعب؛ وكان زوجًا مخلصًا وفيًا لـ

فيبسانيا Vipsania ، مكرمًا لأصدقائه إكرامًا لم يكن يترددون معه في أن يهدوا إليه الهدايا وينتظروا منه أن يهدي إليهم أربعة أمثالها. وكان أقسى قواد زمانه وأقدرهم، فنال بذلك إعجاب جنوده وتعلقهم به، لأنه كان يعني بكل شؤونهم مهما صغرت، ولأنه كان يكسب المعارك بفنه أكثر مما يكسبها من دماء جنده.[19]

وكان لدى تيبيريوس Tiberius جواريه المخصصات لتعليمه فنون الجنس وتدريبه عليها، وأيضًا العبيد المخصصون لتدريبه على فنون القتال. ويعتقد أن؛ هذه الخبرة السابقة لتيبيريوس Tiberius وميله للعزلة والانطواء ما جعله متهكم وكثير المجون، فقد كان يهوى هتك الأطفال ويطارد سيدات روما بعروض قذرة وكان يتمتع بتعذيب الآخرين فيكونون وقود لمزاجه الدموي.

وكان يؤمن ببعض الحكم الخاطئة الواضح أنها كانت نتيجة خبراته وظروف حياته،ومن هذه الحكم"ومن بعدي فلتأكل النيران الأرض".[20] و "كان منطويًا على نفسه، صبورًا". على حد قول ستونيوس "إذا ما وجهت إليه وإلى أسرته الشتائم والافتراءات والمطاعن".وكان يقول في ذلك " إن البلد الحر يجب أن تطلق فيه حرية القول والفكر".[21] وقد عاش تيبيريوس Tiberius حتى سن الثامنة والسبعين، ولكنه لم يحصل على السعادة في تلك السنين الطويلة إلا لمدة أثنى عشر عامًا فقط، وهي المدة التي قضاها مع فيبسانيا Vipsania زوجته. ومع ذلك؛ فإن طبيعته الانطوائية لم تتغير وظل يعيش وتحدث بنفس ذلك البطء الذي كان يثقل على الناس، وكان تعليق أوجستس Augustus على ذلك هو "يا لروما المسكينة التي سوف يحكمها هذا الإنسان الكئيب".[22]

وفاة أوجستس

لما كان تيبيريوس Tiberius يريد أن يكون عظيمًا، وأراد أن يتبع الطريق التقليدي لذلك وهو الجندية – كما أسلفنا الذكر-فقد تولى حكم بلاد الغال وراء الألب 19ق.م[23] ثم في سن الخامسة والعشرين حصل تيبيريوس Tiberius على قيادته الأولى، وكانت مهمته تتمثل في استعادة الشعار الروماني الذي كانت إحدى الكتائب قد فقدته في معركة الجيش الفارسي.ولم تكن المهمة صعبة فقد أبرم تيبيريوس Tiberius الصفقة مع الفارسيين وحصل على هذا الشعار، وكان شعار النسر وأرسل به إلى روما.

راح تيبيريوس Tiberius يبحث عن مجد آخر ولم يتوقف عند هذا الحد.ففي عام 12 ق.م ساعد أخاه دروسوس Drusus في حملاته على ضفاف الراين والدانوب ثم طلب لنفسه قيادة القوات المقاتلة في بانونيا[24]

وأجيب لطلبه وأصبح جنرالا.وعاد إلى روما منتصرًا ومعه العديد من الأسرى والكثير من الغنائم، واستقبله الشعب في روما بالاحتفالات والورود والهتاف.[25]

عقب ذلك؛ أرغمه زوج أمه الإمبراطور أوجستس Augustus على أن يطلق المرأة التي أحبها وهى فيبسانيا أجريبينا ليتزوج من جوليا Julia (39 ق.م –14م) وكانت ابنة الإمبراطور وأرملة أجريبا[26] Agrippa ولكي يهرب من هذه الزيجة ومن رغبة الإمبراطور أوجستس Augustus، انعزل وهو في السادسة والثلاثين من عمره في رودسRhodes.[27] حيث بدأ إقامته هناك في هذه الجزيرة الإغريقية وظل بها خلال الفترة (12 ق.م – 2م)، وقد أعجبته فوجد فيها ما كان ينشده ويريده من هدوء وفنون.[28]

كان تيبيريوس يجتمع بأهل الأدب والفن والفلسفة في قصره بالجزيرة ويتناقشون ويعرضون أفكارهم وإنتاجهم، حتى أنه ليعد من القلائل الذين جمعوا أفضل ما في الحضارتين الإغريقية والرومانية. وفي هذه الجزيرة كان يستمتع بكل ألوان الجنس، وكان يمضي وقتًا منظمًا بين المكتبة[29] والتجول في المدينة والحمام والحوار مع منجم أو فيلسوف،وعلى الرغم من هذه الحياة التي تمتلئ بالراحة والرفاهية والنظام كان تيبيريوس Tiberius تعيسًا لأنه يعيش بلا عمل وبلا هدف.[30]

في هذا الوقت وصلت أنباء بالحكم على جوليا بالنفي في جزيرة بانداتاريا النائية من قبل الإمبراطور أوجستس Augustus بعد أن وجه لها سيل من الشتائم.[31] وقد فرح تيبيريوس Tiberius ولكنه لم يعود، ووقتها كان أوجستس Augustus قد بلغ سن الشيخوخة والضعف وفي حالة وفاته واعتلاء أحد أشقائه العرش فإن مصير تيبيريوس Tiberius المحتوم كان هو الإعدام. وكان لهذا أثره علي تيبيريوس Tiberius الذي أنزعج وراح يستعين بالمنجمين يطلب منهم أن ينبأوه بمصيره. فقد كان في جزيرة رودس Rhodes برغبته ولكن أوجستس Augustus استصدر أمر بعدم عودته لروما، وذات ليلة عندما طلب تيبيريوس Tiberius من منجمًا يدعى ثراثيليس أن يستنبأ النجوم عن الأخبار، ظهرت في الأفق سفينة ودخلت الميناء ومعها رسالة هي أمر من الإمبراطور أوجستس Augustus بعودة تيبيريوس Tiberius إلى روما.[32]

عاد تيبيريوس Tiberius إلى روما في السنة الثانية الميلادية حيث وصلت أنباء في نفس السنة من مرسيليا، وكان لوشيوس – ابن جوليا – قد ذهب إليها في مهمة رسمية، فوصل نبأ بمرضه ثم نبأ أخر بوفاته. وقد أرسل الإمبراطور الابن الباقي لجوليا وهو جايوس لمنطقة ليشيا ولكنه مات أيضاً.ولهذا وفي العام الرابع بعد الميلاد تبنى الإمبراطور أوجستس

Augustus تيبيريوسTiberius رسميًا، وبذلك أصبح هو ولي العهد الشرعي.[33]

وعندما بلغ أوجستس Augustus السبعين من عمره اشتعلت ألمانيا بالثورات من جديد، فبعث بقائد يدعى فاروس وزوده بثلاث من أقوى كتائبه(18000رجل)ولكن قُضي على الجيش تمامًا وانتحر فاروس.[34] وتصدى تيبيريوس Tiberius للمهمة بعد أن لجأ أوجستس Augustus لضرب الألمان، وقام ابن أوجستسAugustus بالتبني بتجنيد كتائب جديدة وقام بتدريبها وقادها في حملة ضارية،واستطاع أن يعاقب قبائل الألمان أشد عقاب، واعترف أوجستس Augustus وقتها أنه لولا ما فعله تيبيريوس Tiberius لما أمكن إنقاذ الإمبراطورية.[35]

ولقد توفي أوجستس Augustus في مدينة (نولا) ولا يُعرف من قرر أو أمر بقتله، ربما ليفيا أو تيبيريوس Tiberius ولكن كل الاشتباه يقع على تيبيريوس Tiberius حيث قرر تاكيتوس في حولياته ذلك بأنه أول جريمة للإمبراطور الجديد "Primum facinus novi pricipatus".[36] وعلى أية حال؛ فقد قام تيبيريوس Tiberius بدفن أوجستس Augustus في احتفال مهيب في تمام الساعة الثالثة بعد الظهر من يوم 19 أغسطس 14 م.[37]

ونقرأ في ديو كاسيوس أن الوصية التي كانت محفوظة لدى عذارى معبد فيستا[38] قد أحضرت وفحصت أختامها، ثم قرأت في اجتماع مجلس الشيوخ. ونصت الوصية أن يرث تيبيريوس ثلثي تركة أوجستس وأن ترث ليفيا الثلث الباقي، وقد استمع تيبيريوس للجملة الافتتاحية للوصية والتي يقول فيها أوجستس "حيث أن القدر القاسي حرمني من ولدي جايوس ولوكيوس فليكن تيبيريوس قيصر وريثي".[39]

وظهر تيبيريوس أما مجلس الشيوخ بعد أربعة أسابيع من وفاة أغسطس، وطلب إليه أن يقرر إعادة الجمهورية، وقال للأعضاء إنه لا يصلح لحكم تلك الدولة المترامية الأطراف، وإن خير طريقة لإدارة أعمال المصالح المختلفة التي تشرف على الشؤون العامة في مدينة احتوت هذا العدد الجم من الرجال النابهين ذوي الأخلاق العالية أن يتولاها جماعة مؤتلفون من خير المواطنة وأعظمهم كفاية.[40]

ولم يجرؤ أعضاء المجلس على أن يصدقوا ما يقوله لهم، فحيوه كما حياهم بطأطأة رؤوسهم، وما زالوا به حتى قبل أن يتولى السلطة التي قال عنها "إنها استرقاق مبهظ مذل" على أمل أن يسمح له المجلس في يوم من الأيام أن يعتزلها ليحيا حياته الخاصة متمتعًا بالحرية. وهكذا مثلت الرواية من كلا الجانبين أحسن تمثيل.وما من شك في أن تيبيريوس كان يريد أن

يتولى الزعامة و إلا لوجد سبيلاً إلى الفرار منها، وأن مجلس الشيوخ كان يخشاه ويبغضه، ولكنه كان يرهب عودة جمهورية تقوم، كما كانت تقوم الجمهورية القديمة، على جمعيات تعد من الوجهة النظرية مصدر السلطات جميعها، وكان يرغب في نظام أقل ديمقراطية من هذا النظام السالف الذكر لا أكثر منه.[41]

تولي العرش

كان ابن أوجستس Augustus بالتبني في السادسة والخمسين من عمره حين تولى العرش، وكان أقرب إلى التعاسة منه إلى السعادة وكانت واجباته تثقل عليه. فكان عليه أن يحضر المحاكمات ويرأسها وكان عليه أن يدير شئون الكهنة والمعابد وذلك بصفته الكاهن الأكبر. وبذلك بدأ تيبيريوس Tiberius حياته الجديدة كإمبراطور، ولكي يأمن على عرشه وحياته فإنه راح يبحث عن الأشخاص الذي يحتمل أن يتطلعوا إلى العرش، ثم أخذ يقتلهم واحد بعد الآخر. وعلى يده بدأ عهد السلام الروماني Pax Roman حيث أعلن أنه "لا غزو ولا توسع بعد اليوم".

وقد كان يريد بذلك أن تستقر قوات الاحتلال الروماني في المستعمرات وأن تحمي عملية جباية الضرائب وتؤمنها. كما أقر تيبيريوس Tiberius بحرة الحديث والمجادلة وأعتبر ذلك جزءا أساسي من دعائم الحكومة،ومن الواضح أن تيبيريوس Tiberius اقتفى اثر سياسة أوجستس Augustus باستثناء الإنفاق ببذخ فقد كان معتدلا في الإنفاق على نفسه وعلى مرافق الدولة،وأوقف فرض أي ضرائب جديدة كما حسن في نظام تحصيل الضرائب الأصلية فنظم الضرائب في الولايات حتى راحت أكداس الذهب تتدفق على روما.واحتفظ السناتو Senate (مجلس الشيوخ) آخر الأمر بالإشراف على المبالغ التي كانت تدفعها المدن في الولايات التابعة للسناتو إلى خزانة الشعب الروماني.[42]

وفي السنوات الأولى لحكمه حاول أن يكون ديمقراطيا ويتجنب تدمير القيم الجمهورية، فعامل السناتو Senate (مجلس الشيوخ) باحترام ورعاية وكان يحضر كل اجتماعاته، وجعل من السناتو Senate أسمى اجتماعا للعدالة. وكان يحضر اجتماعات المجلس، ويحيل إليه "حتى أصغر الأمور ليحكم فيها"، ويجلس فيه ويتكلم كأنه عضو عادي لا أكثر، وكثيرًا ما كان يقترع مع الأقلية، ولم يحتج يومًا من الأيام إذا وافق المجلس على قرارات تتعارض مع رغبته التي أبداها جهرة.[43] على أنه رفض اقتراحًا من السناتو Senate بتسمية أحد الشهور باسمه كما حدث لشهري يوليو و أوجستس

Augustus، وكان تعليقه على الاقتراح هو"ماذا سوف تفعلون إذا بلغ عدد القياصرة ثلاثة عشر؟.."[44]

وهكذا؛ ازدادت أهمية مجلس الشيوخ في بداية عصر تيبيريوس وأصبح يزداد قوة يومًا بعد يوم، حتى أن تيبيريوس كان يستشير المجلس في المسائل الدينية فكان غيورًا على دين الدولة وكثيرًا ما كان يعارض في العبادات الأجنبية[45] التي ازداد تسللها إلى المجتمع الروماني.[46]

وبعد فترة قصيرة جدًا من وصول تيبيريوس Tiberius للعرش حدثت فتنة الجيش، حيث احتشدت فرق الجيش في بانونيا وأرض الراين، تحتج على طول مدة الخدمة، وعدم دفع الأجور، ونظام الإرغام على العمل بالضرب والتعذيب. وأرسل تيبيريوسTiberius ابنه دروسوس Drusus إلى بانونيا ليقمع الفتنة هناك، كما أرسل جيرمانيكوس Germanicus إلى الراين.[47]

ومع تتابع الأعباء على تيبيريوس Tiberius فإنه اعتمد على أحد قواده وهو سيجانوس Sejanus (أو سيانوس) L.Aelius Sejanus ووثق به وجعله قائدًا للحرس البرياتوري Praetorian ولما كان تيبيريوس Tiberius شكاكا بطبعه فأعطى كل ثقته له ولم يثق بأحد غيره، حيث أصبح سيانوس Sejanus هو عينيه وأذنيه ومساعده الأول ومستشاره الأمين عدة سنين.[48]

ولما ضاق الإمبراطور بالحال في الإمبراطورية راح يبحث عن المتعة، فأخذ يعيش الليل أكثر ما يعيش النهار، بالإضافة إلى متعة الحديث مع المنجمين وبعض المناقشات في الأدب الإغريقي، والمتعة الكبرى كانت في الجنس. ولما كان تيبيريوس Tiberius يطلب لنفسه تابعًا يستطيع أن يأتمنه على الكثير من المهام التي كانت تثقل عليه، فاستطاع سيجانوس أن يكون هو ذلك التابع هو مستشاره كما سبق الذكر.

أما سيجانوس هذا كان السبب في تسميم علاقة الإمبراطور ليس فقط مع السناتو Senate (مجلس الشيوخ) بل أيضًا مع أسرة الإمبراطور نفسها. فقد كان يتطلع إلى التزوج من العائلة الإمبراطورية وينتظر أن يرث العرش، وكانت الخطوة الأولى هي إغراء ليفيا زوجة دروسوس Drusus. وعندما مات الوريث الشرعي لعرش الإمبراطورية في 23م وهو دروسوس Drusus الأصغر ابن تيبيريوس Tiberius، قَبل الإمبراطور أن يتبنى أولاد جيرمانيكوس[49] Germanicus مما أوغر صدر صديقه الماكر سيانوس.[50]

ولكي يفسح هذا الماكر الطريق أمامه للعرش أخذ في إزاحة كل المنافسين المحتملين من الطريق، فدبر مؤامرة حاول فيها تشويه سمعة أجربينا Agrippina وتدبير موتها هي وأبنائها الثلاثة (أولاد جيرمانيكوس)، وبالفعل اتهمها سيانوس عام 26م بأنها تآمرت لقتل الإمبراطور. وكان هذا

وجه سيانوس الحقيقي الذي لم يراه تيبيريوس Tiberius، أما الوجه الآخر فكان على النقيض تمامًا، حيث استطاع سيانوس أن يكشف عدد من المؤامرات وأن يبلغ الإمبراطور عنها، فكسب أخيرًا ارتياحه وكان رفيقه الدائم على المائدة.

وعندما انهار ملعب مدينة فيدينيا أثناء حفلة مصارعات لم يصب الإمبراطور ولا صاحبه بأذى،على أن سيانوس كسب عرفان الإمبراطور حيث أنه في الطريق إلى جزيرة كابوري (كابري) Capri كان تيبيريوس Tiberius يتناول الطعام في بيت واحدًا من أثرياء الريف يُطلق على البيت أسم الكهف لأنه بالفعل كان داخل كهف فانهار وحمى سيانوس الإمبراطور بجسده من الحجارة المتساقطة وأنقذ حياته.[51]

وفي عام 26م انعزل تيبيريوس Tiberius عن روما في جزيرة كابوري Capri بالقرب من Naples. وفي كابري [52] Capri كان الإمبراطور قد بلغ السابعة والستين من عمره. وبدأت صورته تتغير إلى الأسوأ، فراح يعب من المتعة بشراهة لأنه شعر أن العمر يكاد أن يفلت من يديه، فكانت الشيخوخة قد بدأت تترك بصماتها عليه فبدا وزنه يهبط وراحت البقع تكسو وجهه، وصار إمبراطور على هذه الجزيرة. أما مقاليد الحكم فكانت في يد سيانوس حيث ركز الإمبراطور كل همته في كابري Capri، فبنى هناك أثنى عشرة فيلا وحدائق ومخازن للخمر وكهوف صناعية وبحيرات وكذلك مخادع للجنس.[53]

وكانت الرسل تبحث في أنحاء الإمبراطورية عن الراقصين والراقصات وتبعث بهم على كابري Capri، فلم يكتفي تيبيريوس Tiberius بالاستمتاع مع الجواري بالجنس ومع السبايا والصبية وإنما كان يمارس الجنس مع الأطفال الذين كان بعضهم لم يبلغ الفطام،كما راح يهتك أعراض السيدات الرومانيات من النبيلات.وقد تحدثت قصص كثيرة عن حياته العابثة في كابري Capri، ولا شك في أنه لم يتمتع بقواه العقلية كاملة في السنوات الأخيرة من حياته.[54]

وفي اليوم الأول من سنة 31م سمح تيبيريوس Tiberius للسناتو بأن ينتخبه قنصلاً للمرة الخامسة، وكان للإمبراطور الحق في اختيار القنصل الثاني فاختار سيانوس Sejanus.كان هذا الاختيار تشريفًا له، ثم أعلن الإمبراطور عن أسم خليفته على العرش وهو جايوس"كاليجولا" Gaius "Caligula"(37م –41م) الابن الثالث لأجريبينا[55] ،ولذلك جن سيانوس Sejanus غضبًا وقرر في الحال تدبير مؤامرة ضد حياة جايوس وقتل تيبيريوس Tiberiusوالاستيلاء على العرش بالقوة.

ولكن سرعان ما فتح تيبيريوس Tiberius عينيه على ما يجري حوله وبالذات مخططات صديقه سيانوس Sejanus الذي يثق فيه.[56] أرسل الإمبراطور ماكرو Naevius Macro إلى روما ليأخذ مكان قائد الحرس البرياتوري ويسلم السناتو Senate (مجلس الشيوخ) رسالة طويلة،بدأت بحمد لطيف وثناء على سيانوس Sejanus، وكان هذا الثناء نقد بتوبيخ[57] انتهى بأن سيانوس Sejanus خائن متآمر وسرد الأدلة على ذلك، ثم أمر بعزله وإلقاء القبض عليه ومحاكمته.[58] وأدان السناتو Senate (مجلس الشيوخ) سيانوس Sejanus وحَكم بإعدامه،وكان ذلك قرار حاكم من السناتو Senate، فاحتفل الإمبراطور بهذه المناسبة السعيدة في الفيلا رقم عشرة في جزيرة كابري Capri.[59]

الجدير بالذكر؛أن تيبيريوس Tiberius لم يثق في أحد بعد ذلك وزاد شكه في كل من حوله وازدادت أنشطة الوشاة والمخبرين Delatores وهم المواطنين الذين يطمعون في مكافأة مالية للإعلان عن مؤامرات ضد العرش.كان هذا النظام هو السبيل لمعرفة الخيانة خلال فترة حكم تيبيريوس Tiberius.[60]

أما بالنسبة لجيرمانيكوس Germanicus ابن أخيه، وهو الشاب الوسيم الذي تبناه بعد موت دروسوس Drusus، كسب بعض المعارك في ألمانيا ورغب أن يواصل الزحف عليها ليفتحها. وكان من رأي تيبيريوس Tiberius عدم التورط في هذا الفتح، فأغضب بذلك الشعب ذا النزعة الاستعمارية. وإذ كان جيرمانيكوس حفيد ماركس أنطونيوس فإن الذين كانوا لا يزالون يحلمون بإعادة الجمهورية قد اتخذوه رمزًا لقضيتهم.[61]

وبدأت المشاكل بعد أن نقله تيبيريوس Tiberius إلى بلاد الشرق لتنظيم شئون الولايات الشرقية الرومانية، فزار مصر ثم عاد لسوريا وفي إنطاكية فاجئ المرض جيرمانيكوس ومات وظنت روما كلها أن الإمبراطور قد أمر بأن يدس له السم في الطعام، واتهم بهذه الجريمة أكنيوس بيزو أحد الموظفين المعينين من قِبَل تيبيريوس Tiberius في آسية الصغرى. وحاكمه مجلس الشيوخ، وأيقن الرجل أن مجلس الشيوخ سيدينه فانتحر لكي يحتفظ بأملاكه لأسرته.[62]

ولم تكشف المحاكمة عن شواهد تدل على ارتكاب تيبيريوس Tiberius لهذه الجناية أو تثبت براءته منها، وكل ما نعرفه أنه طلب إلى مجلس الشيوخ أن يمكن بيزو من أن يحاكم محاكمة عادلة، وأن أنطونيا أم جيرمانيكوس ظلت إلى آخر أيام حياتها أخلص أصدقاء تيبيريوس Tiberius.[63]

واضطر تيبيريوس Tiberius أمام تدخل الجمهور الثائر المهتاج في هذه القضية المشهورة، والقصص البذيئة التي كانت تذاع عن الإمبراطور،

ودسائس أجربينا أرملة جيرمانيكوس وإثارتها الناس عليه،اضطر تيبيريوس Tiberius أمام هذا كله أن يلجأ إلى قانون الخيانة العظمى Lex de Maiestas.[64] وهناك مَن يرى أن تيبيريوس Tiberius حاول أن يكفر عن خطاياه ضد أسرة جيرمانيكوس [65] Germanicus فنقل إلى قصره في جزيرة كابري Capri الابن الثالث لذلك القائد، وكان هو الولد الوحيد الذي بقى من أجربينا Agrippina.

وعندما بلغ الإمبراطور السبعين من عمره، كانت الشيخوخة قد بدأت تتغلب عليه،فازدادت نحافة جسمه أما وجهه فقد كانت تكسوه البقع والتشوهات،وكانت التماثيل التي تصنع له تصوره في وجه مبتسم وكأنه أصغر سنًا، وكان ذلك منافي للحقيقة.أما هو فلم يكن يتردد في اصطياد أفراد حاشيته وأصدقائه ليصبحوا وقود لمزاجه الدموي الرهيب.وبلغ من قسوته أنه كان يحرم على أقارب ضحاياه أن يبكوهم أو يحزنوا عليهم،فقد كانت السجون في كابري Capri مليئة على الدوام وعمليات التعذيب والإعدام تدور في كل الأيام وحتى أيام العطلات والأعياد ورأس السنة.[66]

لم يكتفي الإمبراطور بأنواع التعذيب المعروفة، وإنما كان يستدعي الخبراء والعارفين في ذلك الفن ويكلفهم بابتكار أنواع جديدة منه، وكان هو نفسه يبتكر أنواع جديدة عندما كانت ابتكاراتهم لا ترضيه. ومثال ذلك؛ أنه كان يدعى عنده من يريده هو بعينه وذلك ليشرب معه النبيذ ويظل يشربون حتى الثمالة، ثم يأمر بربط عضوهم الذكري التناسلي بنوع من الحبال المتينة القوية وأن يُحكم الربط، فيظلوا في هذا العذاب إلى أن تنفجر المثانة ويموتون.[67]

أما عن شئون الحكم وإدارة الإمبراطورية؛ فإن تيبيريوس Tiberius قد أعطى مقاليدها لماكرو Macro وتفرغ تمامًا لأقبية التعذيب ومخادع المتع في كابري Capri.ولكنه وضع أسسًا ممتازة لإدارة الإمبراطورية، فقد كان يقظًا قادرًا على الحكم،حيث راحت في عهده الأموال تتدفق على الخزانة، فقد أزاد أجور ورواتب الحكام مما جعلهم يؤدون واجباتهم بدقة ويشعرون بالاستقرار في مناصبهم، كما أنه وفر على الخزانة معاشات الجنود.[68]

كما شجع اجتماعات Concilia وحرم Gallic Cities من استخدام العملات الفضية لكي يكون سك العملة في الإمبراطورية على نسق واحد لتيسير التعاملات والتبادل التجاري في كل المناطق بها، كما اتفق على طريق فسيح وكوبري لإزالة الحدود والموانع وتشجيع السفر والعلاقات والاتصالات والتجارة.[69] ومما لاشك فيه؛ أن تيبيريوس Tiberius كان محبوبًا من سكان الولايات لأنه حاول تخفيف عبء الضرائب عنهم، إلا أن كان مكروهًا من غالبية سكان روما لبخله الشديد.على أنه خلق جوًا من الفساد والذعر بين

الناس في السنوات الأخيرة لحكمه بسبب ما أصابه من شك دائم وزيادة نشاط المخبرين Informers.

وعلى أية حال؛ كان الرعايا يعيشون في أمان في عهده وكانت حدود الإمبراطورية آمنة مستقرة ما بين نهر الراين في أوربا ونهر الفرات في أسيا،وبالرغم من الحياة التي كان يعيشها بما فيها من عبث،فقد استطاع أن يتخلص من أعداؤه وأن يحقق الكثير من الأعمال للإمبراطورية. وكان أوضح هذه الأعمال هو تخفيف عبء الضرائب عن كاهل الرعايا، وعدم فرض ضرائب جديدة مع العمل على تحسين الضرائب الأصلية، وهو ما لم يضر بالخزانة التي خرجت من عهده مليئة بسبب اعتداله في الإسراف. وحسبنا أن نذكر شاهدًا على هذا؛ أن تيبيريوس الذي وجد حين اعتلائه العرش في خزانة الدولة مائة مليون سسترس ترك فيها حين وفاته2.700.000.000سسترس فكان هذا هو ما تميز به تيبيريوس Tiberius عن سائر الأباطرة.[70] فقد كان تيبيريوس لا يرغب في الإنفاق على الحروب أو حفلات الملاعب ، وإنما كان يقصر نفقاته على ملذاته فقط.

الواقع أن؛ تيبيريوس Tiberius لم يدخر جهدًا في العناية بجميع شؤون البلاد الداخلية والخارجية. وكان يكتب للولاة الذين يريدون أن يجبوا من الضرائب أكثر مما كان مفروضًا على ولايتهم يقول لهم: "لقد كان من واجب الراعي الصالح أن يقص صوف غنمه لا أن يجزها".[71]

نهاية حياته

وبعد سائر الأعمال التي قام بها تيبيريوس Tiberius في الإمبراطورية كلها،تتالت العلامات والدلائل على قرب ساعته ونهاية حياته. فقد ظهر طائر العقاب "فوينكس" في مصر وهو طائر لم يظهر للناس إلا بين مئات السنين،كما أن الإمبراطور وجد ثعبانه المفضل ميتًا ذات صباح،[72] وعلامات أخرى كانت كلها تنذر بدنو أجله.

ولقد تلقى الإمبراطور دعوة لحضور حفلة للمتصارعين في إحدى المدن فعبر إليها،وفي أثناء الحفلة أراد أن يظهر بصحته وذلك بعد ظهور علامات الشيخوخة والكبر عليه، فتناول بعض الحراب وقذف بها خنزيرًا بريًا. ولكن قذف الحراب كان أكبر من طاقته، فلا يتناسب ذلك المجهود مع كبر سنه فكان نتيجة ذلك أن انخلع كتفه، ونُقل تيبيريوس Tiberius إلى بيت قريب وراح يلفظ أنفاسه الأخيرة.

وقال طبيب البلاط أنه لن يستطيع العيش أكثر من يومين،[73] وانتشر هذا النبأ على الفور فطار كاليجولا - وريثه على العرش – إلى هناك وانتزع الخاتم من إصبع تيبيريوس Tiberius،ثم خرج يتلقى التهاني على كونه الإمبراطور الجديد، وكان ماكرو Macro هو أول المهنئين لكاليجولا على

هذا المنصب. وفجأة انقلب الحال؛ فقد فتح تيبيريوسTiberius عينيه وأفاق مما كان فيه،فلم يكن الرجل الذي يموت بهذه السهولة،وراح يطلب شيئًا يأكله. وعندما علم كاليجولا بما حدث هرب وراح يبحث عن مكان يختبأ فيه، فلم يتوقع مصير آخر لنفسه غير الموت.[74]

وكان هناك من لا يعجبه ما حدث وهو ماكرو Macro الذي اندفع لحجرة تيبيريوس Tiberius، حيث رآه جالسًا على الفراش يزمجر غاضبًا ويتساءل "من الذي سرق خاتمي وأين الأطباء والحاشية وأين الطعام الذي طلبته؟ .."[75] وكان جواب ماكرو Macroبيديه،حيث اندفع نحو الفراش وجمع عدد من البطاطين ثم ألقى بها فوق رأس تيبيريوس Tiberius وراح يضغط عليه بكل قوته،ولم يتركه إلا بعد أن تأكد من أنه لن يعود بعد ذلك مرة أخرى للحياة.[76]

وهكذا؛ في 16 مارس[77] عام 37م مات الإمبراطور تيبيريوس Tiberius كلوديوس نيرو قتيلاً،عن عمر يناهز الثامنة والسبعين بيد أخلص أتباعه،فكان ماكرو Macro هو الذي أسدل الستار على حياته.[78] ولم يخف السناتو Senate ارتياحه العميق عندما استقبل نبأ موت الإمبراطور تيبيريوس في السادس عشر من مارس عام37 م بعد بلوغه العام الثامن والسبعين. بينما حزن أصدقائه المقربين مثل اليهودي هيرودس انتيباس أمير ربع الجليل بفلسطين، الذي علق على موت الإمبراطور بقوله " أن الليث لن يزأر بعد اليوم".[79]

وبهذا توفي أحسن المصلحين الرومانيين الذي خرجت له المظاهرات في روما بعد سماع خبر وفاته تهتف في فرحة وتطالب أن يلقوا به في النهر " ألقوا بتيبيريوس اللعين إلى نهر التيبر". وبينما كانت الاحتفالات بتأبين تيبيريوس Tiberius جاءت الأنباء الرهيبة من كابري Capri، حيث كان هناك عدد من الضحايا الذين ينتظرون الإعدام، فقد ظن الجميع عندما أعلن موت تيبيريوسTiberius أن نجاة هؤلاء الضحايا مؤكد،ولكن الموظفون الموكلون بتنفيذ الإعدام كان لهم رأي آخر.

حيث أفتى هؤلاء بأن الذي يملك حق العفو عنهم هو الإمبراطور تيبيريوسTiberius وقد مات، أما كاليجولا فأن مراسم ارتقائه العرش لم تكن قد تمت ولذا فإنه لا يملك حق العفو عنهم، وفي المواعيد المحددة تم إعدام الضحايا واحد بعد الآخر وصاح الشعب "لقد مات السفاح ولكن قسوته لم تموت معه".[80] على أية حال؛ لقد كان تيبيريوسTiberius إمبراطورًا جديرًا، وفي رأي المؤرخ مومسن"أنه أقدر حاكم للإمبراطورية الرومانية على وجه الإطلاق".[81]

خاتمة

وهكذا؛ مضت الحياة الخاصة للإمبراطور الروماني تيبيريوسبعد أن تركت لنا عدة نقاط هامة من الممكن إبرازها على النحو التالي:

أولاً:استطاع تيبيريوس أن يحول الدولة الرومانية من الحكم الجمهوري إلى الحكم الملكي المطلق. فقد ثبت قواعد الحكم وحقق السلم والاستقرار لسائر شعوب الإمبراطورية، وكانت الضرائب في عهده معتدلة لأنه لم يفرض على الرعايا أية ضرائب جديدة، فخرجت الإمبراطورية من عهده بخزانة مليئة واقتصاد مستقر.

ثانيًا:كان عهده من أفضل عهود الإمبراطورية، حيث كان سائر الرعايا يعيشون في أمان، وكانت روما مزدهرة وهادئة.ولعله من الواضح أن تيبيريوس كان إداريًا ممتازًا، فقد تميز عهده بأنه أفضل بكثير من عهود سائر الأباطرة، وإن كان متهكم وكثير المجون،وقام بتعذيب الكثيرين وهتك الأعراض، وتميز بالقسوة وعدم الرحمة، فهذا لا يحول كونه حقق الكثير للإمبراطورية التي كانت تعيش في عهده في سلام ورفاهية.

ثالثًا:وإن كان التاريخ قد سجل له الأعمال القاسية التي قام بها،فلم يغفل كونه رجل سلام صنع السلام الروماني وترك إمبراطورية مستقرة موطدة الأركان، مما أعطى للعالم القديم استقرار أتاح الفرصة للإنتاج وللتقدم الحضاري. كماتميز تيبيريوس عن الأباطرة الطغاة مثل كاليجولا ونيرون بأنه كان أرحم منهم، ليس بمعنى الرحمة في حد ذاتها، وإنما بمعنى أن قسوته كانت أقل بكثير مما فعلوه من مذابح رهيبة.

رابعًا:جعل المؤرخان تاكيتوس و سوتيونيوس من تيبيريوس في فترة حكمه الأخيرة طاغية عنيفًا وعربيدًا، وبذلك حُجبت الصورة الحقيقية لخدماته التي قدمها للإمبراطورية، فقد كان حاكمًا يشعر بالمسئولية إداريًا ناجحًا في إدارة الشئون المالية للدولة، وإن كان تفتيره في إنفاق الأموال العامة قد جعل منه شخص غير محببًا بالنسبة لغوغاء المدينة، ولكنه في الواقع كان بالنسبة لأهل الولايات بركة ورحمه.

وأخيرًا؛ إن الإمبراطورية الرومانية التي نجحت أن تفرض سلطانها لعدة قرون على مساحة هائلة من الأرض تمتد من الفرات شرقاً إلى بريطانيًا غربًا، ومن الدانوب شمالاً إلى النوبة جنوبًا، وتحتوى شعوبًا ذات حضارة عظيمة، وجماعات ضاربة في التخلف، تستحق منا الدراسة والتأمل لكل صغيرة وكبيرة حتى اضمحلال الإمبراطورية وسقوطها.

[1] يوليوس قيصر: ولد في عائلة عريقة من الأشراف الرومان، عايش في مرحلة مراهقته عهد الحرمان (الحرمان من حماية القانون) الذي فرضه ماريوس صهر أبيه. كما عايش عهد ديكتاتورية سولا وأوائل عهد بومبي Pompey ويعتبر يوليوس قيصر من أبرز الشخصيات العسكرية الفذة في التاريخ وصاحب ثورة تحويل روما من جمهورية إلى مملكة و كان إمبراطورا لها وخلفه العديد من الأباطرة والحكام الذين تبنوا أسمه وأبرزهم أبنه (بالتبني) أغسطس قيصر وغيره.

[2] الواقع أن المؤرخين الرومان ديو كاسيوس و سوتيونيوس وتاكيتوس كتبوا عن تيبيريوس، ويقول سيوتونيوس:"أنه من المحتمل أنه ولد في 16 نوفمبر/ تشرين الثاني 42ق.م في البلاط أو في "Fundi

Warrington,Classical Dictionary, P.508; N.S. Gill, Tiberius - Roman Emperor :

http://ancienthistory.about.com/od/tiberius/p/Tiberius.htm(Cited in 30/9/2007)

[3] ارنست ماسون،الإمبراطور الرهيب تيبيريوس، تعريب جمال السيد، ب.ط ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة 1985، ص16.

[4] يذكر تاكيتوس عن هذه العائلة أنها أحد أهم وأفخر الأسر النبيلة في هذه الفترة راجع:

Tacitus, Caius Cornelius:(56-120), The Reign of Tiberius, Out of the First Six Annals of Tacitus; With His Account of Germany, and Life of Agricola, and edited by Arthur Galton, 1750, THE ,Translated by Thomas Gordon ANNALS, BOOK I; Helichelhiem &Yeo ,A History of the Roman People, U.S.A 1962, P.308

[5] ماسون ، الإمبراطور الرهيب، ص 14.

وعن حياتها راجع مقال بعنوان " Livia" على الرابط:

http://www.livius.org/li-ln/livia/livia.html(Cited in 9/10/2007)

[6] ماسون، المرجع السابق، ص 15.

[7] راجع مادة تيبيريوس على موقع الإمبراطورية الرومانية بشبكة الإنترنت على الرابط:

http://www.roman-empire.net/emperors/tiberius.html(Cited in 8/10/2007)

[8] عقب مقتل يوليوس قيصر عام 44 ق.م تعاون أوكتافينوس (الذي عُرف فيما بعد باسم أوغسطس) والقائد ماركوس أنطونيوس (كان من أعوان قيصر) على القضاء على قتلة قيصر وأتباعهم. ثم دب النزاع بين هذين الرجلين واشتد الخلاف بينهم وبلغ نهايته عام 31ق.م عندما تمكن أوكتافيانوس من هزيمة أنطونيوس وكليوباترا في معركة أكتيوم Actium البحرية التي ضمت بعدها مصر إلى الإمبراطورية الرومانية. وعاد أوكتافيانوس إلى روما وغدا سيد الموقف، وكان عليه أن ينظم تلك الدولة التي أنهكتها الاضطرابات والحروب الأهلية والتي ترامت أملاكها شرقًا وغربًا. أنظر: شحاتة محمد إسماعيل، دراسات في التاريخ الروماني،القاهرة 1984، ص146.

[9] دروسوس (38 – 9 ق.م): شقيق الإمبراطور تيبيريوس. أنظر:

http://www.livius.org/do-dz/drusus/drusus1.htm(Cited in 9/10/2007)

[10] من الأفضل أن يكتب"أوغسطس" "أوجستس"، كما تُنطق في اللاتينية وهكذا نتفادى الخلط بين لفظة (أغسطس) العربية التي نُشير بها إلى الشهر الثامن من التقويم الإفرنجي وبين لقب هذا القائد الفذ.

[11] مارسيللس: ابن أكتافيا (شقيقة أوغسطس) من زوجها الأول وهو غير مارك أنطوني.

[12] ماسون، الإمبراطور الرهيب، ص 33.
[13] ول ديورانت، قصة الحضارة، المجلد الرابع، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار الجيل، بيروت1988، ص3334.
[14]ماسون، الإمبراطور الرهيب، ص 43.
[15] Classical Dictionary, P.508.
[16] مصطفى كمال عبد العليم، محاضرات في تاريخ الإمبراطورية الرومانية، مكتب الحرمين، كلية الآداب- جامعة عين شمس، القاهرة 1999، ص 41.
[17] ماسون، الإمبراطور الرهيب، ص 34.
[18] نفس المرجع، ص 50.
[19] ديورانت، قصة الحضارة، م4،ص 3334.
[20] ماسون، الإمبراطور الرهيب، ص 68.
[21] ديورانت،المرجع السابق، ص 3336.
[22] ماسون، المرجع السابق ، ص 12.
تعليق أوجستس على تيبيريوس طريف بعض الشيء؛ لأنه من خلال الإطلاع على سيرة أوجستس نجده يوصف هو الآخر بأنه كان كئيب.
[23] الموسوعة العربية الميسرة، إشراف محمد شفيق غربال، القاهرة 1959، ص 567.
[24] بانونيا: تقع على الشاطئ الشرقي من البحر الأدرياتيكي، حيث توجد يوغسلافيا وبلغاريا الآن.
[25] لقد تولى تيبيريوس قيادة حملات مختلفة في ألمانيا واليريكون.أنظر:
Classical Dictionary, P.508.
[26] الموسوعة العربية، نفس المكان.
http://www.livius.org/jo-jz/julia/julia03.html(Cited in 9/10/2007)
[27] راجع مادة تيبيريوس على الرابط:
http://www.bbc.co.uk/history/historic_figures/tiberius.shtml(Cited in 8/10/2007)
[28] ماسون، الإمبراطور الرهيب، ص 58.
[29] كانت مكتبة القصر حافلة بعدد ضخم من كتب الجنس والأدب المكشوف التي كان يستوردها من أنحاء الإمبراطورية.
[30] ماسون، المرجع السابق،ص 59.
[31] السبب في ذلك؛ أن جوليا كانت تجوب شوارع روما مع صديقاتها وكن يعرضن أنفسهن على عابري السبيل كالبغايا، وكن يمارسن مع عابري السبيل أحد أنواع العلاقات الجنسية في ركن من شارع أو تحت ظلال البواكي. ولمزيد من التفاصيل عن سلوك جوليا المشين راجع: ماسون، المرجع السابق، ص 62.
[32] ماسون، المرجع السابق، ص 62.
[33] يروي لنا سويتونيوس عن الاجتماع الطويل الذي دار بين أغسطس وتيبيريوس في حجرة نوم الأول، ولما خرج تيبيريوس من الحجرة علق أغسطس ساخرًا وهو يقول: مسكين الشعب الروماني الذي سوف تطحنه فكان بطيء الحركة. راجع:
سيد أحمد علي الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري،دار النهضة العربية، الطبعة الثالثة، القاهرة 1996، ص131 حاشية (1).
Oxford: Illustrated Encyclopedia, Volume3, New York 1993, P.356
[34] ماسون،الإمبراطور الرهيب، ص 71.
[35] وكان اختيار أغسطس لتيبيريوس اختيارًا حكيمًا، ولكنه جاء بعد فوات الفرصة. فقد تولي تيبيريوس رياسة الدولة في آخر الأمر كان قد بلغ الخامسة والخمسين من عمره، وكره المجتمع، ولم يعد يرى في السلطان سعادة. لمزيد من التفاصيل راجع: ديورانت، قصة الحضارة، ص3333.
[36] Helichelhiem &Yeo , Roman People,P.310.
[37] ماسون، نفسه، ص 76.

الجدير بالذكر؛ أن أغسطس لم يرتكب عملاً واحدًا غامر فيه، وكانت نصيحته الدائمة لمعاونيه تلك الحكمة الإغريقية "أسرعوا لكن ببطء"Speude Bradeos. راجع: الموسوعة العربية، المجلد الثاني، دار الفكر، دمشق؛ محمد الزين، دراسات في تاريخ الرومان، دمشق1983؛ سيد الناصري، الإمبراطورية الرومانية، ص36 حاشية (1)، ص123، ص124.

[38] من المعروف أن الإمبراطور قيصر أوغسطس كان قد أودع عند راهبات الربة العذراء فستا وثائق الدولة ومن بينها سجل أعماله الذي أوصى بنشره على الشعب الروماني بعد مماته، وذلك بنقشه على عمودين من النحاس يقاما أمام ضريحه كما ذكر المؤرخ سوتيونيوس.راجع: سيد الناصري، الإمبراطورية الرومانية، ص75 حاشية(2).

[39] مصطفى كمال، الإمبراطورية الرومانية، ص42 – 43.

[40] ديورانت، قصة الحضارة، ص 3335.

[41] ديورانت، نفس المرجع والمكان.

[42] رستوفتزف، الإمبراطورية الرومانية ، ص 124.

[43] ديورانت، المرجع السابق، ص 3336.

يرى البعض أنه؛ كان يجب على تيبيريوس أن يكون أكثر حكمة في تعامله مع السناتو (مجلس الشيوخ) فيحتفظ لنفسه بالمشاكل الهامة ويضع لها الحلول بنفسه، ويترك الأمور المعقدة للمجلس حتى يتطلب الموقف وجوده بينهم أثناء المناقشات. راجع:

White –Kennedy, Roman history’s life & literature, London 1942, P.124.

[44] ماسون، الإمبراطور الرهيب، ص 86.

الواقع أن؛ بفضل اختيار أغسطس لخليفته قبل مماته ومشاركته الحكم معه، استمرت الأمور هادئة بعد موت أغسطس، وانتقل الحكم في هدوء إلى تيبيريوس. راجع: سيد الناصري، الإمبراطورية الرومانية، ص 129.

[45] لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع راجع:

Russell, John Earl, Essays on the rise and progress of the Christian religion in the west of Europe : from the reign of Tiberius to the end of the Council of Trent, Longmans, Green, London 1873.

[46] مصطفى كمال، الإمبراطورية الرومانية، ص 44- 45.

[47]Helichelhiem& Yeo, Roman People, P.310

[48] لقد كان سيانوس عديم الرأفة وقاس وما لبث أن بدأ فيضان محاكمات الخائنون، وقد استخدم هذه المحاكمات لطرد وإبعاد الأعداء المحتمل الاشتباه فيهم. الواقع أن هذه المحاكمات هي التي جعلت ذاكرة فترة حكم تيبيريوس فاسدة. راجع:

Universal Encyclopedia, P.2860

[49] ويرى مارانون G.Maranon أن مرض جيرمانيكوس وموته ليس له علاقة بما أشيع من أن السم قد وضع له في الطعام وأن تيبيريوس برئ من ذلك، وأنه يرجح أن جيرمانيكوس مات متأثرًا بالملاريا أو بداء السل الذي ظهرت عليه أعراضه والتي وصفها سويتونيوس وهو لا يدري. راجع: سيد الناصري، الإمبراطورية الرومانية، ص 138 (1). ولمزيد من التفاصيل أنظر:

G.Maranon, Tiberius: A study in the resentment,1956.

Helichelhiem& Yeo, Roman People , P.311-312

[50] محمود إبراهيم السعدني، معالم تاريخ روما القديم منذ نشأتها وحتى نهاية القرن الأول الميلادي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة 1991، ص 176.

[51] وتوجد إشارة إلى أن هذا الانهيار كان مدبر، راجع: السعدني، تاريخ روما، 258.

[52] جزيرة كابري: جزيرة إيطالية تقع على الجانب الجنوبي لخليج نابولي Naples ، كانت كمنتجع ومنطقة للتمتع بالجمال منذ زمن الجمهورية الرومانية . راجع:

(Cited in 10/10/2007) http://en.wikipedia.org/wiki/Capri

[53] ماسون، الإمبراطور الرهيب، ص 104.

[54] الموسوعة العربية، ص 567.

[55] الإمبراطور الثاني بعد تيبيريوس هو جايوس قيصر أوغسطس جيرمانيكوس، المعروف بـ"كاليجولا" وهو الاسم الذي أطلقه جنود أبيه عليه وذلك لأن أمه أجربينا اعتادت أن تلبسه لباس الجنود الرومان وهو صغير بما في ذلك النعل العسكري وهو باللاتينية Caligula. وعن أعمال الإمبراطور كاليجولا راجع:

Jona Lendering, "Caligula" http://www.livius.org/caa-can/caligula/caligula.html (Cited in 9/10/2007)

[56] السعدني، تاريخ روما، ص 177.

[57] Helichelhiem& Yeo, Roman People , P.312

[58] السعدني، تاريخ روما، ص 258 – 259. وعن المحاكمات الإجرامية والتشريع الإجرامي تحت حكم تيبيريوس راجع:

F. B. Marsh, The Reign of Tiberius; C.E. Smith, Tiberius; R.S. Rogers, Studies in the Reign of Tiberius, Criminal Trials and Criminal Legislation under Tiberius. http://web.ics.purdue.edu/~rauhn/Hist_416/hist420/Emperor_Tiberius_notes.htm(Cited in 8/10/2007)

[59] لم يستغرق السناتو Senate وقتًا طويلاً في محاكمة سيانوس وإعدامه،حتى أن الجماهير مثلت بجثته في الشوارع ثلاثة أيام بل وأعدمت أسرته معه في نفس اليوم. راجع: سيد الناصري، الإمبراطورية الرومانية، ص141؛ السعدني، تاريخ روما، ص 177.

[60] السعدني، المرجع السابق، ص 177- 179.

[61] ديورانت، قصة الحضارة ، ص 3338.

[62] ديورانت، نفس المرجع والصفحة.

[63] ديورانت، نفس المرجع والصفحة.

[64] قانون الخيانة العظمى:أصدره قيصر والذي ينص على الجرائم التي ترتكب ضد الدولة.

[65]كان جيرمانيكوس قبل موته يعتقد أن بيسو أو زوجته بلانكينا Plancina (صديقة ليفيا الحميمة) قد دست له السم في الطعام. راجع: سيد الناصري، الإمبراطورية الرومانية، ص 137، نفس الصفحة حاشية (3).

[66]ماسون، الإمبراطور الرهيب، ص 116- 117.

[67]مجتبي العلوي، مقال بعنوان" قراءة في كتاب"، مجلة النبأ، العدد 56، محرم1422هـ/ نيسان 2001م. ولمزيد من التفاصيل عن التعذيب (المفهوم والأساليب) في اليونان وروما، راجع هذه الدراسة: براين إينز، تاريخ التعذيب، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى، بيروت 2000.

[68]Helichelhiem& Yeo, Roman People,P.314

[69] Helichelhiem& Yeo, Ibid.

[70]تلك الزيادة في الأموال كانت على الرغم من هباته الكثيرة للأسر والمدن التي حلت بها الكوارث. راجع: ديورانت، قصة الحضارة، ص 3337.

[71]من الملاحظ؛أن سياسة تيبيريوس إزاء الولايات كانت متشددة مع الولاة حيث كان لا يثق في ذمتهم، فكان معظمهم من رجال السناتو أما في مصر فكانوا من الفرسان.

فاروق حافظ القاضي، مصر في عصر الرومان، جامعة عين شمس، القاهرة 1999، ص 32.

[72]ماسون، الإمبراطور الرهيب، ص 122.

[73]Tappan, Story of the Roman, P.180

[74] Ibid. Loc.Cit.

[75]ماسون، المرجع السابق، ص 125.

[76] Universal Encyclopedia, P.2867.

وهذا ما أورده المؤرخ تاكيتوس، وهناك من يرى أنه موته قتيلاً مجرد احتمال، راجع:الموسوعة الكاثوليكية:

http://www.newadvent.org/cathen/14717b.htm (Cited in 8/10/2007)

أو أنه مات بالسم على يد كاليجولا، راجع: مقال (ن.اس. جيل) بعنوان " تيبيريوس:الإمبراطور

الروماني"
http://ancienthistory.about.com/od/tiberius/p/Tiberius.htm(Cited in 30/9/2007)

[77]قيل أنه توفي في 15 مارس وبعض المصادر ذكرت أنه توفي في 16 مارس وهذا هو الراجح.

[78]ماسون، المرجع السابق،ص 126.

[79]سيد الناصري، الإمبراطورية الرومانية، ص 141، ص 141 حاشية (4).

Suetonius, De Vita Caesarum, 2 Vols., trans. J. C. Rolfe (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1920), pp. 291-401;

Garrett G. Fagan: Pennsylvania State University, Tiberius (A.D. 14-Cited in (37), An Online Encyclopedia of Roman Emperors, .)22/12/2001

[80]السعدني، تاريخ روما، ص 179.

[81] Helichelhiem& Yeo, Roman People , P.315

وهناك من يرى أن تيبيريوس برغم بعض نواياه الحسنة، لم يكن من الأباطرة الناجحين، راجع :

Sinnigen, W.dbook, A., A History of Rome, 6th edition, London 1977, P.287.

الفلسفة

الفلسفة والنظرية النقدية ... من كانط إلى مدرسة فرانكفورت

قراءة استكشافية في المنطلقات والواقع الإعلامي

الفلسفة والنظرية النقدية ... من كانط إلى مدرسة فرانكفورت
قراءة استكشافية في المنطلاقات والواقع الإعلامي

الأستاذ بن دريس أحمد
قسم علوم الإعلام والإتصال
كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية
جامعة وهران/ الجزائر

تمهيد

يعرف **البروفيسور جون سيمونس** النظرية النقدية بأنها كل اتجاهات الفلسفة المعاصرة تقريبا، فلا توجد فلسفة غير نقدية ،ومن لايمارس النقد لايتقدم ولا يتطور ،وبالتالي فهي تعني الاتجاه الماركسي وما بعد الماركسي ،والاتجاه البنيوي وما بعد البنيوي ،والاتجاه التفكيكي على طريقة **دريدا** وجماعته ،وتيار التحليل النفسي والتيار السيميائي والألسني الحديث الهادف إلى تحليل الخطاب بشتى أنواعه...

في الواقع أن الأب المؤسس للتراث النقدي في الفلسفة هو **ايمانويل كانط** وبالتالي فينبغي أن ننطلق منه لكي نفهم معنى النظرية النقدية ،وحتى عناوين كتبه الأساسية تحمل مصطلح النقد وتضعه في الصدارة ،نذكر من بينها كتابه الشهير والأساسي "نقد العقل الخالص"،وكذلك" نقد العقل العملي "...الخ وكان **كانط** يحب أن يدعو فلسفته بالفلسفة النقدية .

لكن الذي يعنيه بهذا المصطلح ؟هو ما يلي :القيام بتحليل نقدي لإمكانيات العقل البشري وعدم إمكانياته ...بمعنى :إلى أي مدى يمكن للعقل البشري أن يفهم الظواهر ويفسرها ؟ وأين تنتهي حدود العقل البشري؟وكان جواب **كانط** هو أن العقل يستطيع أن يفهم عالم الظواهر الطبيعية المحسوسة عن طريق استخدام المنهجية العلمية من فيزيائية ورياضية على **طريقة نيوتن** ، ولكنه لا يستطيع أن يفهم أبعد من ذلك – فما وراء الظواهر

المحسوسة يوجد عالم ميتافيزيقي ...وهذا العالم لا يمكن للعقل البشري أن يصل إليه ،إلا عن طريق التخمينات والتأملات ...وبالتالي يفضل أن يكتفي العقل البشري بمعرفة ما تمكن معرفته ومن الأفضل أن يعرف حدوده وإمكانياته [i] .

وقد يقول قائل :ولكن **كانط** يحجم العقل البشري ويحتقره إذ يضع له حدودا لا ينبغي أن يتعداها ؟ ولكن الواقع أن العكس هو الصحيح ،فانشغال العقل بمعرفة ما يمكن معرفته أفضل له من تضييع الوقت فيما يتجاوز حدوده وطاقته، والدليل على ذلك أن العقل العلمي- الفلسفي الذي أسسه **نيوتن وكانط** هو الذي صنع كل الحضارة الحديثة ،وأدى إلى التقدم التكنولوجي والطبي والصناعي الهائل في الغرب ،وبالتالي أدى إلى تحسين وضع الإنسان وتسخير الطبيعة لمصالحه ومنافعه بعد أن كانت تخيفه وترعبه في القرون السابقة .

لقد ثار **كانط** على الفلسفة الدوغمائية الميتافيزيقية التي كانت سائدة في عصره والتي كانت تعتقد بإمكانية معرفة ما وراء الظواهر المحسوسة ،وقال لجميع الفلاسفة السابقين :كفوا عن هذا الهراء...كفوا عن التهويم في متاهات الميتافيزيقا وما الذي سيحصل بعد الموت ،واهتموا بمشاكل هذه الحياة الأرضية ومشاكل المجتمع المحسوسة فهي الشيء الوحيد الذي يمكن أن تعرفوه بعقولكم ،وأما الباقي فهو من اختصاص الدين والتأملات الميتافيزيقية ولذلك قال كانط كلمته الشهيرة :"حيث تنتهي حدود العلم تبتدئ حدود الإيمان ".

بعد كانط جاء تلميذه هيغل الذي خرج عن فكر أستاذه وانتقده ،وأدى ذلك إلى توسيع الفلسفة النقدية لكي تشمل مجالات أخرى غابت عن ذهن كانط ،فقد ركزت الفلسفة الهيغيلية على مسائل المجتمع والتاريخ والسياسة وكيفية تنظيم المجتمع الحديث أكثر مما ركزت الفلسفة الكانطية ،ورأى هيغل أن الحرية تعني تحقيق الروح في التاريخ أو تحقيق الإنسان لذاته في المجتمع وعلى هذه الأرض ،والحداثة تعني الحرية ...ولذلك فإن الثورة الفرنسية كانت ذات أهمية كبرى في نظر هيغل ،فلأول مرة الإنسان يصبح حرا بعد أن كسر قيود وأصفاد العالم الإقطاعي – اللاهوتي – المسيحي القديم .وقد قال هيغل بأن الحرية لايمكن أن تتوافر للمواطنين إلا بعد تشكيل الدولة الدستورية الحديثة ذات القوانين الواضحة التي تنطبق على الجميع.

ثم جاء بعده ماركس لكي ينتقد أستاذه هيغل ...حيث ركز نقده على مثالية هيغل ،على الرغم من أنه أخذ عنه المنهج الجدلي في التفكير،إلا أنه قلبه ضده ...فهيغل كان يقول بأن الوعي هو الذي يشترط الوجود الإجتماعي أو يتحكم به ، أما ماركس فيقول بأن الشروط المادية والإجتماعية هي التي

تشكل وعي الفرد أوتتحكم به ...فالإنسان ابن ظروفه التي يولد فيها ،وليس هو الذي يوجد الظروف ...وكان نقد ماركس يتركز على استلاب العمال في المجتمع الصناعي الرأسمالي كما هو معروف.

ننتقل الآن إلى نيتشه الذي كان معاصرا لماركس دون أن يعرفه وربما دون أن يسمع باسمه ،والوقع أنه كان نقديا بمعنى آخر مختلف تماما ،فقد ركز نقده على الوضع الثقافي لأوربا لاعلى الوضع المادي ،كما ركز على المسيحية وقيمها الإستلابية بحسب رأيه ،وكذلك انتقد قيم الحداثة والمجتمع الصناعي الصاعد في عصره ،باختصار فإن نيتشه انتقد كل شيء ودعا إلى تغيير كل القيم السائدة ...ولكن من الصعب فهم نيتشه أو حتى ماركس بدون خلفية فلسفية كبيرة ،وقل الأمر ذاته عن هيغل وكانط وغيرهما من كبار الفلاسفة .

ثم جاء بعده ماكس فيبر عالم الإجتماع الألماني الشهير، وقد انتقد الرأسمالية بطريقة مختلفة تماما عن طريقة ماركس، فالرأسمالية في نظره كانت تعني عقلنة الإقتصاد ، مثلما أن الدولة الحديثة تعني عقلنة السياسة ولكن الرأسمالية قد تنسى المبادئ الأخلاقية ولا تعود تفكر إلا في زيادة الإنتاج والربح وهذا هو الخطر الذي يهددها في الواقع .

الفكر الآخر الذي سار في طريق النقدية هو فكر مدرسة فرانكفورت الألمانية والتي دعت نفسها بالمدرسة النقدية وبلورت بعد الحرب العالمية الثانية مايسمى بالنظرية النقدية ، ولكنها اتخذت هنا معنى خاصا ،معنى مختلفا عن كانط ،فالنقد أصبح يتركز الآن على هذا العقل الغربي الذي أسسه كانط قبل 150 سنة والذي أدى إلى مجازر الحرب العالمية الثانية وتجاوزات الرأسمالية وعربدتها .

وبالتالي فإن المؤسسين الكبيرين لمدرسة فرانكفورت أي هوركايمر وأدو رنو ركزا نقدهما على عقل التنوير أو بالأحرى على انحرافه عن مقاصده الأولى ، فقد تحول إلى عقل أناني ،بارد ،لايفكر إلا في مصلحة الرأسماليين والغربيين المستعمرين والمهيمنين على العالم ،إنه العقل ذو البعد الواحد كما يقول هربرت ماركيوز العقل الذي أصبح مجرد أداة فعالة في يد الرأسمالية والمجتمع الإستهلاكي الحديث،وهو مجتمع لايؤمن بأية قيمة أخرى عدا قيمة الربح والفائدة واللذة الحسية والتوسع والسيطرة [(2)] .

لقد سادت النظرية النقدية في فترة كانت فيها الثقافة الجماهيرية تنتشر بشكل كبير بين الأوساط الإجتماعية، مع انحسار بعض الثقافات السائدة ، ومع بروز ملامح السلعية والربحية في الثقافة كمنتوج،وليس كمقوم إجتماعي أساسي كما ظهرت في ظل ظهور الأنظمة التسلطية التي تبحث عن لسيطرة،بمختلف الوسائل والإمكانات ، وما ساهم أيضا في بروز مدرسة

فرانكفورت هوا لأفكار والنظريات التي ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية والتي تسعى إلى تفسير الظواهر الإعلامية المختلفة في إطار الدراسات الإجتماعية المختلفة،كدراسة الحملات الانتخابية والدعاية السياسية التي تستهدف الجمهور ،بناءا على هذا ما هي أهم الخلفيات لتي ساهمت في بروز مدرسة فرانكفورت؟

خلفيات ظهور النظرية النقدية عند مدرسة فرانكفورت

في بداية القرن العشرين قامت الحرب العالمية الأولى ، والتي كانت بحاجة إلى صفوف كثيرة من المقاتلين على مختلف الجبهات ، ما جعل القائمين على شؤون الحرب يعملون للبحث عن أفضل السبل لإقناع الجماهير للالتحاق بجبهات القتال ، فتم اللجوء إلى وسائل الإعلام الجماهيري المتوافرة آنذاك ، والتي شكلت الأداة المناسبة والأكثر ملائمة لتنفيذ هذه السياسية ...

هذه البدايات جعلت من الباحثين الذين جاءوا من حقول أخرى تنتمي إلى ميادين ...علم الإجتماع ،التاريخ ، السيكولوجيا ...و ما كانوا قد خصصوا حقلا علميا يسمى "علوم الإعلام والإتصال "بعد، هؤلاء الباحثين ومن خلال ملاحظاتهم العميقة واكتشافهم للتأثير الكبير لوسائل الإعلام المنتشرة آنذاك جعلهم يصنفون تأثيرات وسائل الإعلام ومن خلالها الدعاية إلى جملة من النظريات الخاصة بالتأثير المباشر في الإعلام الجماهيري .

حيث كانت البداية مع ظهور نظرية الرصاصة السحرية ...أو الإبرة تحت الجلد Magic Ballet Theory التي اعتبرت الفرد يعيش معزولا عن المجتمع ، الأمر الذي يجعله يستجيب لأوامر وتوجيهات وسائل الإعلام بشكل يخضع لآلية المثير- الإستجابة ، والتي اعتبرها ديفلر نظرية صحيحة لأنه حسبه جاءت منسجمة مع النظرية العامة للسوسيولوجيا والسيكولوجيا السائدة مع بدايات القرن العشرين.. بينما الثنائي ولف وَ ماكسويل فيعتبران النظرية السحرية غير علمية لأنها نشأت في مناخ يخاف من انعكاسات الإعلام ولم تنشأ من معارف متحقق منها ميدانيا .

بعد هذه النظرية ظهرت صيغة لازويل والتي سمحت بتجاوز النظرية السحرية في الثلاثينيات حيث اعتبر الفعل الإتصالي مرتكزا على الإجابة على هذه الأسئلة ...من؟ يقول ماذا ؟ بأي وسيلة ؟ لمن ؟ بأي تأثير ؟ ...من هنا أثبت أن الجمهور يستطيع التكيف مع المواقف الإتصالية التي يتعرض لها ، وهذا من خلال الأبحاث الأمبريقية التي أظهرت نتائج تتعارض بشكل كبير مع نظرية الرصاصة السحرية ...وكما سبقت الإشارة فإنه اتضح أن للجمهور سلطة أن يقرر بناءا على رغبته في أن يخضع للرسائل الإعلامية أم لا .

وفي سياق متصل مع هذا ظهرت نظريات التأثير الانتقائي (الاصطفائي)والتي تشكلت في ثلاث مضامين الأول منها تأسس على الفروق الفردية والثاني على التباين الاجتماعي والثالثة على مستوى العلاقات الإجتماعية

نظرية الفروق الفردية : أثبت أن الشخص يتميز بسيكولوجية مختلفة عن الآخرين ويمتلك بنية معرفية خاصة به كما يملك قدرات متميزة على اكتساب معارف واستيعاب أفكار وآراء وقيم وميول وقدرات خاصة به .كل هذا جعل من التأثيرات مختلفة باختلاف هذه الفروق وتبين أن طبيعة ودرجة تعرض الجمهور للمواد الإعلامية ترجع في جزء كبير منها إلى خصائص سيكولوجية لأفراد هذا الجمهور.

نظرية التباين الإجتماعي : أو نظرية الاستخدامات و الإشباعات ، فإنها اعتبرت أن الجمهور الإعلامي يتصرف بشكل إيجابي مع الوسائل الإعلامية ...فالجماهير هم أناس فاعلون يختارون المضامين والرسائل الإعلامية التي يفضلونها وهذا على خلاف النظرية السحرية التي اعتبرت الجمهور كتلة خاملة تتلقى بسلبية رسائل الإعلام، هذا ما يثبت وجود دور قوي جدا للمتغيرات المعرفية والثقافية في عملية التأثير...

نظرية العلاقات الإجتماعية : فهي تركز على دور قائد الرأي Opinion Leaders في توجيه الرسائل الإعلامية بمختلف أشكالها ، إذ أنهم يتعرضون أكثر من غيرهم للإعلام ويتمتعون في الوقت نفسه بسلطة كبيرة على الأوساط الإجتماعية ، من خلال مشاركتهم الواسعة في الحياة العامة و الإجتماعية ، الأمر الذي يمكنهم من نشر الموضوعات التي تأثروا بها داخل مجموعاتهم .

الثقافة الجماهيرية الماهية والخصائص

إذا كان القرن الثامن عشر قد سيطر عليه النقاش حول مفهوم "فلسفة الأنوار "وكذلك مفاهيم "الديمقراطية" و"مستقبل العلم" وهذا بعد ظهور عدة اكتشافات علمية وكذلك نظريات معرفية ،فإن من بين ما نوقش مع بداية القرن العشرين هو مفهوم "الإعلام الجماهيري "وهذا بعد اكتشاف وسائل الإعلام الجماهيرية كالإذاعة ،التلفزيون وقبلها السينما ،هذه الوسائل قضت على العراقيل المادية والجغرافية في نشر الثقافة والإعلام ،كما جعلت المادة الإعلامية في مستوى مختلف الفئات والطبقات الاجتماعية .

هذه الخصائص التي أكسبت وسائل الإعلام الجماهيرية قوة تأثيرية بالغة ،لم يكن مفعولها يقتصر على فرد أو جماعة معينة فقط ولا على مجال معين بل إن آثارها شملت مختلف الميادين الإجتماعية ،الإقتصادية ، السياسية والثقافية وأصبحت هناك جماهير كبيرة تقدر بملايين القراء والمستمعين أو

المشاهدين تتعرض لرسائل إعلامية موحدة ،كما أصبح الجمهور ومع مر الزمن هدفا تقصده هذه الوسائل الإعلامية ...وهو ما جعل البعض يبدي تخوفه من انصهار الثقافات القومية والشعبية في إطار نمط ثقافي معين يتمثل في ذلك الذي تبثه وسائل الإعلام الجماهيرية.

الأمر الذي أدى إلى إثارة نقاش حاد وكبير حول موضوع الثقافة الجماهيرية ،حيث شمل النقاش أيضا مفهوم الثقافة نفسه الذي أصبح في مواجهة متغيرات جديدة كتقنيات الإتصال الحديثة ،مفاهيم الغزو الثقافي ،الإمبريالية الثقافية ،السلعة الثقافية ...الخ ، هذه المتغيرات جعلت المفهوم التقليدي للثقافة يستدعي إعادة النظر والإثراء ...إذا من خلال ما سبق ما هي الثقافة الجماهيرية ؟ ما هي خصائصها ؟وكيف نظر النقاد إليها ؟...

ف **ريمون رويه** يرى أن لكلمة الثقافة ثلاثة معان كلها ترتبط بالعقائدية أو الإعتقاد، فهي مثلا حسب الأنثروبولوجيين جملة من العقائد ،وضروب السلوك والتقاليد والتقنيات التي تنتقل في درب الوراثة غير – البيولوجية ،درب الوراثة الإجتماعية ،فالثقافة تتميز ،على قدر سواء ،بعادات الطعام وسبل تنويم الأطفال وبالعادات الجالية والأخلاق السياسية (3).

والثقافة بهذا المفهوم هي امتداد واسع منتشر عبر فضاءات متعددة سمحت بتوسيع المفهوم العام للثقافة على اعتبار أنها جماهيرية ،إذ أنها أضحت تظهر في مختلف المجالات على أسس مختلفة ومتباينة ،عاملها المشترك في كل الحالات التساؤل عن هذه الثقافة أهي راقية أم هابطة ؟وللوصول إلى هذه النقطة نتساءل ما هي الثقافة الجماهيرية ؟

إن مفهوم الثقافة الجماهيرية ارتبط حسب العديد من الباحثين والمفكرين بظهور المجتمع الجماهيري والذي يعني تعدد الاختصاصات المهنية و الذي يرجع **دوركايم** ظهوره إلى تقسيم العمل .فالثقافة الجماهيرية هي تلك المحتويات التي تبثها وسائل الإعلام الجماهيرية في المجتمع الصناعي التقني ومفهومها أوسع من المجتمع الجماهيري .

و كإجابة عن ماهية الثقافة الجماهيرية نورد التعريف الذي وضعه **إدغار موران** Edgar Morin للثقافة الجماهيرية في قوله إنها "إنتاج ثقافي منتج وفقا لأسس جماهيرية ومنتشرة بواسطة تقنيات التوزيع الجماهيري"وهنا إشارة واضحة إلى سعة الجمهور الذي تتوجه إليه هذه الثقافة ،وكذلك ارتباطها بوسائل الإعلام و الإتصال الجماهيرية .ومن هنا يمكن لنا القول أن الثقافة الجماهيرية ،هي الشكل الثقافي الذي يشمل جمهورا واسعا يتعالى على الإختلافات الثقافية العرقية واللغوية ،بغض النظر عن محتوى هذا النوع من الثقافة يمكن القول كذلك حسب الأستاذ محمد بدر الدين أنها النمط الثقافي الأكثر انتشارا .

أما عن أهم خصائص الثقافة الجماهيرية فإنها تتفرع إلى عدة نقاط وهي كما يلي :

- الثقافة الجماهيرية ثقافة عالمية وهذا من حيث الانتشار والتوجه وكذلك تشابه القيم التي تنقلها هذه الثقافة من مجتمع لآخر وهذا من دون أن تقف في وجهها الحدود السياسية أو الجغرافية.
- إنها تؤثر على الثقافات الأخرى مثل الثقافة الشعبية والقومية التي تكون الشخصية الأساسية لكل مجتمع .
- تعبر عن تبعية ثقافية تتجسد في العلاقة بين الدول المنتجة لها والدول المستهلكة.
- من حيث المضمون نقدم الثقافة ترفيهية بسيطة وسطحية و خيالية.
- إنها ثقافة استهلاكية وتتميز بطابع نمطي أي تعمل على إنماء وإرساء نمط معين من الثقافة.

مجموع هذه الخصائص جعل الثقافة الجماهيرية تأخذ طابعا متميزا عن الأنواع الثقافية الأخرى، كما ولد عند البعض تحفظات بشأنها، عبر عنها البعض الآخر في كونها تمثل أحد مظاهر أزمة الإنسان المعاصر، إذ أن التطور الحاصل والمستمر في وسائل الإتصال الجماهيري وكذلك وسائل إنتاج الثقافة تمخض عنه تراكم كبير في السلع الثقافية ،وهذا بدوره شجع على نمو صناعة التسلية والترفيه نموا كبيرا .

كما ظهرت بموازاة سوق السلع الصناعية سوق أخرى للسلع الثقافية تحتكرها مجموعة من الشركات العملاقة ،هذا مع الإشارة إلى أن التطور في حجم الإنتاج الثقافي لم يصاحبه تطور نوعي لهذا الإنتاج ،فأصبحت مناقضة تماما لثقافة النخبة أو المستوى العالي للثقافة [(4)] ، من خلال كل هذا ظهر مفكرون ينتمون إلى عدة حقول و تيارات حاولوا إبراز أهم تحفظاتهم اتجاه الثقافة الجماهيرية ...

الفكر الاجتماعي والإعلامي لمدرسة فرانكفورت

هي أحد المدارس التي قامت مبكرا على فكرة الماركسية الجديدة ،ابتداء من عام 1923في معهد الدراسات الإجتماعية بفرانكفورت وأصبحت معروفة باسم مدرسة فرانكفورت Frankfurt School وقام بإعلاء فكرتها كل من **ماكس هوركايمر** Max Horkheimer **وتيودور أدورنو** Thedor Adorno وربطت هذه المدرسة بين النظرية الماركسية النقدية وتحليل الأدبيات الإنسانية Humanist Literary Analysis وروجت لأشكال متنوعة من الثقافة الرفيعة مثل السنفونيات والفنون الكلاسيكية الأدبية ،ورأت أن الثقافة الرفيعة شيء يملك كل مقومات كماله.و لا يمكن أن يستخدمها

الصفوة لمجرد تعزيز قوتهم الشخصية ،ولذلك فإنهم شككوا في تقديم هذه الثقافة من خلال وسائل الإعلام وإن ما تقدمه وسائل الإعلام هو عبارة عن أعمال وضيعة ،أو تشويه للأعمال الراقية هدفها إلهاء الناس عن البحث عن الحقيقة ،وضربوا مثلا كذلك بالتحليل النقدي للثقافة النازية والطرق الخاصة بتحريف الثقافة الرفيعة التي أقامها هتلر وأجهزة دعايته .

وبالتالي فإن هذه المدرسة رأت أن تقدم الثقافة الجماهيرية أو المستويات المتدنية للأعمال التي تقدمها وسائل الإعلام هي التي تدعم الصفوية أو الأبوية التي تفرضها السلطة أو القوى المهيمنة على المجتمع .

وهذه الآراء هي التي تفسر –من وجهة نظرهم – الفشل الواضح للتغيير الثوري الإجتماعي الذي توقعه ماركس وذلك لتأثير البنية الفوقية على وسائل الإعلام وتوجيهها في الطريق الخطأ ،لأن أفكار الطبقة المهيمنة أو المسيطرة في توجيه وسائل الإعلام أصبحت هي الأساس في عملية الإفساد وهضم حقوق الطبقة العاملة .فمن خلال التجارة العالمية ،والثقافة الجماهيرية ينجح الإحتكار الرأسمالي في تحقيق أهدافه ،وحيث تكون السلعة هي الأساس فإن الثقافة يمكن تسويقها أيضا لتحقيق الربح ،وتعمل بالتالي من خلال مفهوم صناعة الثقافة Culture industry على ترسيخ الأفكار الخاصة بسيطرة الطبقة المالكة أو الهيمنة على المجتمع بمفهومه الرأسمالي .

وحيث توصف عناصر هذه الثقافة الجماهيرية وإنتاجها في إطار الخصائص السلعية أصبح إنتاج هذه السلع الثقافية يتوقف على قيمتها التبادلية في السوق وليس قيمتها في الإستخدام ،وقد تم فرض هذه السلع بواسطة نظام صناعي تحكمه الأخلاقيات الرأسمالية وسيطرة منطق الربح.

وتتأثر كثير من البحوث الأمريكية في الوقت الحالي باتجاهات مدرسة فرانكفورت ،خصوصا بعد أن انتقلا هوركايمر و أدورنو للإقامة في الولايات المتحدة الأمريكية واستمروا في إنتاجهم العلمي بالتعاون مع الباحثين في الدراسات الإجتماعية والإعلامية . وتتفق أفكار هذه المدرسة في نقدها للثقافة الجماهيرية مع نظرية المجتمع الجماهيري ،الذي أدى قيامه إلى انهيار التقاليد العامة واختفاء سلطتها على الفرد ،مما أدى إلى الإهتمام بذاتية الفرد والتأكيد على حريته وحقوقه ولذلك تهتم هذه المدرسة بحقوق الأفراد في الإرتقاء بأذواقهم وخبراتهم ومعارفهم من أجل بناء أصلح للبشرية ،والثقافة الجماهيرية لا تصلح أداة لذلك لأنها ليست إبداعا فرديا ،ولكنها سلعة مصنعة بشكل جماهيري تستجيب للإحتياجات العامة ولا يستجيب لها الجمهور بشكل نقدي بل يسعى من خلالها إلى الرضا اللحظي أو المتعة الوقتية التي تخدر الناس وتجعلهم يهربون من واقعهم ولا يدركونه ،وبالتالي فإنها لا تستهدف تحقيق الكمال والإرتقاء بالذوق العام بقدر ما تهدف إلى

تحقيق الرواج والإنتشار بين الناس ،شأنها شأن الإنتاج الجماهيري Mass production الذي يتسم بالنمطية والتماثل ورخص ثمنه وهبوط مستواه.

ويرى أصحاب هذه المدرسة أن الثقافة الجماهيرية والتي تعبر عن الثقافة الشعبية Popular culture وإن كانت تستمد أفكارها منها في بعض الأحوال،هذه الثقافة الجماهيرية قد فرضها من أعلى أصحاب المراكز والطبقات المسيطرة للمحافظة على الوضع القائم (5) .

إن فكر مدرسة فرانكفورت بصفة عامة هو مزيج من الفكر الإجتماعي لدى ماكس فيبر ،وفكر كارل ماركس الذي يرى الثقافة ناتجا فرعيا أو بنية فوقية لطور الإنتاج ،ومدرسة فرانكفورت تريد إخراج الحداثة الغربية من أزمتها الراهنة وذلك بتخليص النموذج الماركسي من محوريته الإقتصادية (6) .

المدرسة أسستها المجموعة النقدية التي تدير معهد فرانكفورت للأبحاث السوسيولوجية (INSTITUT FUR SOZIAL FORSCUNG) الذي تأسس في العام 1923 وأصبح مركزا مهما اكتسب هويته المحددة ، إثر تعيين ماكس هوركايمر Max Horkheimer مديرا له ،وبقدوم النازية ،اضطر المعهد الذي غدا يعرف بمدرسة فرانكفورت إلى الإغلاق وهاجر ممثلوه الأساسيون إلى باريس ثم نقل المعهد أعماله مؤقتا إلى جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة الأمريكية ،وعاد المعهد إلى ممارسة نشاطه في العام 1950 مقدما أطروحات نظرية متميزة تنبئ عن أصالة وتفرد ،وتسعى إلى تمتين الموقف النقدي اتجاه العلم والثقافة عبر اقتراح سياسي بإقامة تنظيم عقلاني للمجتمع باستطاعته تجاوز أزمة العقل (7).

واستطاع فريق المدرسة بتوظيف المنهجية التطبيقية الأمريكية أن يقدم أهم أطروحاته عن الشخصية السلطوية Authoritarian personality والثقافة الجماهيرية Mass cultureوتعتبر المدرسة النقدية بشقيها الأول أي الفلسفي والثاني أي اللسانيات و الإتصال أداة نقد كل من المنطق والثقافة والفلسفة في الغرب ،بالإضافة إلى المحاولة تشكيل نظرية براغماتية عالمية تخص علم الكلام و الإتصال غير المشوه في المجتمع (8) .

لقد تحدث منظروا مدرسة فرانكفورت الثلاثة : هوركايمر وأدورنو وماركيوز عن مفهوم الهيمنة أي الطريقة التي تهيمن بها النسق أو السلطة وتجبر فيها الناس وتستغلهم وتخدعهم من أجل ضمان تجددها واستمرارها وتشجب النظرية النقدية الفصل والتعارض الحاصلين بين الفرد والمجتمع ،معتبرة إياهما حصيلة تاريخية للإنقسام الطبقي ، مؤكدة انحيازها إلى النقد الجدلي الاقتصادي السياسي،لذلك تعد نقطة البداية بالنسبة لهذه النظرية تحليل نظام الإقتصاد التبادلي : بطالة ،أزمات اقتصادية ،عسكرية ،إرهاب ،شروط

حياتية للجماهير ،كل ذلك لا يعقل أن يؤسس على العوامل **التقانية** البحتة ،كما كان يمكن أن يحدث في الماضي ولكن على العلاقات الإنتاجية التي لم تعد موائمة للوضع الحالي حسب الدكتورة فريال مهنا[9].

من جهة أخرى تنتقد هذه النظرية القيود التي يتم وضعها في الدراسات الفئوية الساعية نحو دقة شكلية والخاضعة للمنطق الأداتي(الأدوات) أوكما يسميه الدكتور جمال العيفة بالعقل الأداتي Instrumental reason [10] حيث تم التطرق إلى هذا المفهوم واستكشاف كنهه في سلسلة المؤلفات أبرزها ماكتبه **هوركايمر و أدورنو** معا في مؤلف "جدل الفكر التنويري " وكتاب "أفول العقل " لهوركايمر وكذا كتاب ماركيوز "الإنسان ذو البعد الواحد " الذي صدر سنة 1964 حيث يعتبرون العقل الأداتي هو أسلوب التفكير المهيمن في العالم الحديث ،حيث أن العلاقات بين البشر تبدو كما لو أنها علاقات بين أشياء وأن نظرة البشر لأنفسهم ولغيرهم تغدو كنظرتهم لأشياء مادية ،وأن العالم الإجتماعي أصبح يبدو كما لو أنه طبيعة ثابتة لا تتغير [11].

فالعقل الأداتي معني كليا بالأغراض العلمية حيث يفصل الواقعة عن القيمة ،إذ أن اهتمامه ينصب على اكتشاف كيف تصنع الأشياء وليس ما يجب صنعه ...وبهذه الطريقة تكون مدرسة فرانكفورت قد بينت أن المجتمع القائم هو مجتمع لاعقلاني أو قمعي ،لأنه يسلب أو يدمر السمتين الأساسيتين للحياة الإنسانية وهما قدرة الإنسان على تحويل بيئته وقدرته كذلك على القيام باختيارات عقلانية جماعية تتعلق بحياتنا جميعا.ومن أبرز أدواته في ذلك وسائل الإتصال الجماهيري التي استطاعت أن تقوم بأكثر من هاتين الوظيفتين في العديد من المجتمعات و الدول المتقدمة والنامية على حد سواء مستفيدة من التطور الهائل في تكنولوجيا المعلومات ...لأجل هذا يدعوا منظروا المدرسة إلى تقويض ذلك النسق (الإتجاه) المهيمن قدر الإمكان وذلك بتبني الرأي النقدي عنه وإظهار ثغراته وتناقضاته... [12].

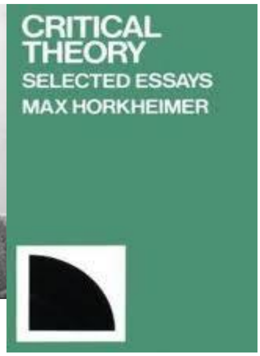
دائما ضمن نطاق المبادئ الأساسية للمادية الماركسية تظهر توجهات علماء مدرسة فرانكفورت من هوركايمر إلى أدورنو ،ومن ماركيوز إلى هابرماس في السعي لمواجهة الموضوعات الجديدة المرتبطة بالديناميات المجتمعاتية في تلك الفترة ،كالحكم الاستبدادي والصناعة الثقافية وتحولات الصراعات الإجتماعية في المجتمعات الصناعية المتقدمة ،في هذا الشأن يقول روسكوني إنه من خلال ظواهر البنيات الفوقية للثقافة والسلوك الإجتماعي ترمي النظرية النقدية إلى اختراق معنى ظواهر البنيات التحتية للمجتمع المعاصر "الرأسمالية والتصنيع"،ويرى ماركوس أن الأهداف الخاصة للنظرية النقدية هي تنظيم الحياة بحيث يرتبط قدر الأفراد ليس

بالصدفة أو بالضرورة العمياء لعلاقات اقتصادية منفلتة ،وإنما يرتبط بالإنجاز المخطط للإمكانيات الإنسانية . ومن بين أهم عناصر تفكير النظرية النقدية بالنسبة لوسائل الإعلام، يبرز قبل أي شيء التحليل الذي صاغته حول الصناعة الثقافية.

رواد مدرسة فرانكفورت وأنصارها

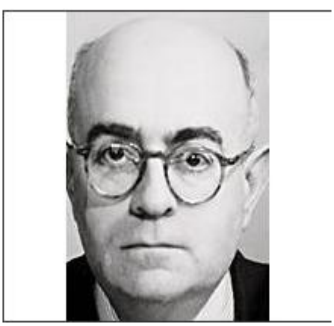
تضم هذه المدرسة عددا من الفلاسفة والنقاد والأدبيين وعلماء المجتمع والنفس والإقتصاد والسياسية أبرزهم





Max Horkheimer

- ماكس هوركايمر Max Horkheimer ولد سنة 1895 وتوفي سنة 1973 ويعتبر مؤسس المدرسة النقدية من أهم مؤلفاته CRITICAL THEORY و ECLIPSE OF REASON [13] .

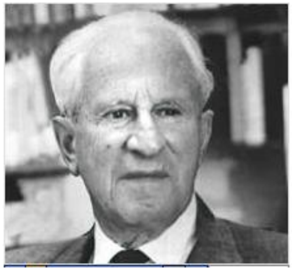


Theodor Wiesengrund

- تيودور أدورنو Theodor adorno ولد سنة 1903 وتوفي سنة 1969 كانت حياته حافلة بالإنجازات،أهمها تلك التي ظهرت بعد تنقله إلى الولايات المتحدة وانضمامه إلى فريق جامعة كولومبيا " وتحت ضغط الحاجة الماديّة والمنافسة الشديدة اضطرّ أدورنو إلى إنجاز بعض الأعمال التي كان يعرضها عليه

معهد البحوث الذي كان يشرف عليه الماركسي النمساويّ باول ف. لازارسفيلد. وكان لبعض البحوث التي تتناول مسائل تأثيرات وسائل الإعلام الجديدة مثل الإذاعة أن سمحت لأدورنو بالعودة إلى الاهتمام ب"الموسيقى الاستهلاكيّة" كما كان يسمّي موسيقى الجاز التي لا يحبّها، وأن يظلّ حتّى الستّينات يعود إلى تناول هذا الموضوع بالنقد الشديد".ويعتبر بحق المنظر الأول بعد **هوركايمر** للفكر النقدي المعاصر ،فهو إلى جانب نقده للثقافة الجماهيرية فإنه يتناول مفهوم" السعادة" والذي هو أيضًا موضوع للمناقشة التي جرت بين أدورنو وهوركايمر سنة 1956. ومن خلال استعادة العديد من الموضوعات التي وقع تناولها منذ 1939 في حياة المنفى الأمريكي حيث يظلّ **أدورنو** يستعيد على الدوام انعكاسات المجادلات الحاسمة حول مسائل و دور النظريّة وتطبيقاتها العمليّة، ومفهوم الهويّة داخل المجتمع الرأسمالي البرجوازي، وإمكانيّات التغيير الاجتماعي. أمّا بخصوص الدور الحاسم الذي لعبه كلّ من **والتر بن جامين وماكس هوركايمر** في حياة وفكر **أدورنو** فإنّ هذا يعبّر عنه الكاتب الأمريكي **كلا وسن** في كتابه المتضمن لسيرة **أدورنو** كالآتي: "(...) **بين صورتيهما تبدو ملامح أدورنو جليّة؛ معالم مميّزة لا يخطئها المرء، ومع ذلك لا يمكن تصوّرها دون الصفات المشتركة.** [(14)]".

- والتربنجامين Walter Benjamin ولد سنة 1892 وهو كاتب و ناقد أدبي ألماني ذو أصول يهودية ومنظر ماركسي في علم الجمال وانتحر مع بداية الغزو الألماني إلى فرنسا سنة 1940.من مؤلفاته كتاب (المؤلف كمنتج) صدر سنة 1934 .
- إريك فروم Erich Fromm ولد سنة 1900 وتوفي سنة 1980 وهو محلل نفساني ذو أصول ألمانية ،حاول توظيف المنهج التحليلي المطبق في علم النفس على الظواهر الاجتماعية والثقافية ،هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1934 له العديد من المؤلفات والبحوث منها (الخوف من الحرية)كتبه سنة1941وكتاب (الخطاب المنسي) الذي صدر سنة 1951ومؤلف (فن الحب) الذي صدر سنة1956.



Marcuse Herbert

- هربت ماركيز Herbert Marcuse ولد سنة 1898 وتوفي سنة 1979 وهو فيلسوف أمريكي له مؤلفات كثيرة منها (الإنسان المتعدد الأبعاد) الذي صدر سنة 1964 وقدم بحثا بعنوان البطولة والحضارة صدر سنة 1955



Habermas, Jürgen

- **يورغن هابرماس Habermas, Jürgen** الذي ولد سنة 1929 وهو عالم إجتماع وفيلسوف ألماني،في اواسط الخمسينات،عاش هابرماس حدثا يحدد بشكل حاسم توجهاته الفلسفية، فقد التقى بتيودر ادورنو، أحد رموز مدرسة فرانكفورت، ومنه تعلم كيف يستعمل الأدوات الماركسية لتحليل الواقع الراهن، كما ساعده على اكتشاف فرويد الذي لم يكن قد قرأه حتى ذلك الحين.،وهو أكبر نقاد الحداثة وأكثرهم تأثيرا وممثلا للحداثة الجديدة كما تطرحها مدرسة فرانكفورت ،والتي يسميها جون فرانسوا ليوتار

ب"مابعدالحداثة " والتي تمثل حركة فكرية تقوم على نقد ورفض الأسس التي ترتكز عليها الحضارة الغربية الخديثة كما ترفض المسلمات التي تقوم عليها هذه الحضارة [15]،ويمثل السجال الفكري بين هبرماس وليوتار رائد تنظير مابعد الحداثة واحدا من أبرز ملاحم المشهد الثقافي العالمي ومن أهم مؤلفاته (الفضاء العمومي) الذي صدر سنة 1962 ومؤلفه (النظرية والتطبيق)الذي صدر سنة 1963 ،ومؤلفه المهم (نظرية الفعل الإتصالي) الذي صدر سنة 1981)،والذي يقترح فيه هابرماس مفهوماً للفلسفة من عصر الحداثة عقب انهيار الرؤى الدينية والميتافيزيقية، كما يقترح أيضاً طريقة جديدة للتفكير في ماهية الحقيقة، خصوصاً بعد أن حرّرت من نفوذ السلطة العليا، وفي هذا الكتاب، لا يبرز هابرماس كفيلسوف فقط، إنما كمثقف يمتلك وعياً سياسياً وعالياً .

وخلال السنوات الأخيرة، أهتم **يورجن هابرماس** بالعولمة مخصصاً لها العديد من المقالات والمحاضرات، وهو يقول: " **إن مسألة الأمن العالمي في عصر الصورايخ العابرة للقارات وانحسار الأسواق الوطنية نتيجة رأسمالية أسقطت الحدود والعراقيل بين الدول وغيرت وجه العالم بصورة منقطعة النظير، و قد أحدث هذا الوضع الجديد تغيراً مهماً في العلاقات الدولية وباتت الحدود بين الدول التي كانت تحرس بشكل مشدد أحياناً، مفتوحة أو شبه مفتوحة أمام الأفكار والسلع وغير ذلك، لذا بإمكاني أن أقول إن السياسة الخارجية الكلاسيكية لم تعد موجودة، أما السياسة الخارجية الجديدة، فتمتزج بالسياسة الثقافية وبالسياسة الاقتصادية ،إلى جانب كل هذا، حدثت تغيرات أخرى، فالأمم المتحدة مثلاً ابتكرت مفاهيم جديدة في السياسة العالمية مثل (حرب عدوانية) و(جريمة ضد الإنسانية)، و(حقوق الإنسان)، مساعدة على بعث محاكمة دولية لمحاكمة رؤساء دول شخصيات سياسية وعسكرية كبيرة متورطة في حروب عرقية، أو في جرائم ضد أقليات ،و هناك مشاكل أخرى كانت مهملة، قفزت إلى الواجهة الأولى وأصبحت تحظى باهتمام عالمي مثل المحافظة على الطبيعة على سبيل المثال لا الحصر، كل هذه المتغيرات على المستوى السياسي والاقتصادي، فتحت أمام العالم آفاقاً جديدة لم يعرفها من قبل أبدا، و على الفلاسفة والمفكرين أن يواكبوا مثل هذه المتغيرات وإلا فإنهم مهددون بفقدان الدور المناط بعهدتهم منذ عهد الإغريق وحتى هذه الساعة"** [16] ،وقد تحصل هابرماس على جائزة السلام الألمانية على هامش دورة المعرض الدولي للكتاب لعام 2001.

الصناعة الثقافية والثقافة ذات البعد الواحد:

كما هو معلوم ركزت أعمال مدرسة فرانكفورت في أحايين كثيرة على الثقافة واعتبرتها عامل اندماج ،وهذا من خلال ماكتبه كل من **هربرت ماركيوز** في مؤلفه "الإنسان ذو البعد الواحد" وكذا تحليل تيودور أدورنو "للصناعة الثقافية CULTURE INDUSTRY في كتابه جدل الفكر التنويري الذي صدر سنة 1972 ،حيث تم التركيز على الطريقة التي تنتج بها الثقافة (حاجات زائفة) بدل الحاجات الحقيقية التي تنبع من القوى المبدعة والعقلانية ،والتي تمكننا أيضا من تعميق علاقاتنا من الآخرين وتثريها ،بينما الحاجات الزائفة هي إفساد للحاجات الحقيقية [17].

كما يشير **أدورنو** من خلال أفكاره المعروضة في مؤلف جدل لفكر التنويري إلى أن الثقافة في النظام الرأسمالي وجدت لإنتاج شعور زائف بالأمان والاستقرار ويتم خلق هذا الشعور بطريقتين :

- توحيد المواصفات القياسية لمنتجات الثقافة سواء كانت أخبارا أو أشرطة أو أغاني أو تمثيليات حيث تتشابه الحبكات والأنغام والإيقاعات وأدوار اللعب في أسسها الأولية.
- ترك الإنطباع من خلال هذه المنتجات بحرية الإختيار وبأنها تعبر عن معاني فردية [18]

فمصطلح الصناعة الثقافية الذي جاء به **أدورنو** جاء نتيجة البحث عن توضيح ملائم لتحولات التقدم الثقافي إلى ما هو مضاد له أي التخلف الثقافي ،على قاعدة تحليل خصائص الظواهر الإجتماعية في المجتمع الأمريكي بين الثلاثينيات والأربعينيات .

ويميز كل من **أدورنو وهوركايمر** بين الثقافة الجماهيرية والصناعة الثقافية ،إذ يقولان ،إن حقيقة الصناعة الثقافية مختلفة تماما عن الثقافة الجماهيرية ،فهذه الصناعة ،بأفلامها وإذاعتها وصحفها ومجلاتها ،تشكل نظاما ،وكل قطاع فيه متناغم مع نفسه ومع الآخرين جميعا ،أو البحث عن أسلوب التفكير المهيمن لترسيخ مبادئ العقل ألأداتي المذكورة آنفا .

نظام الصناعة الثقافية يسهر فيه العاملون على البحث عن المفاتيح التقنية التي تراعي حسب هوركايمر السوق الجماهيرية مع التعرف على أذواق الجمهور وحاجياته (الرديئة والهابطة) لتهيمن عليه ،وتصبح التقنية صاحبة سلطة على المجتمع ،يقول **أدورنو** "إن العقلانية التقانية اليوم هي عقلانية السيطرة نفسها " [19].

كل هذا على اعتبار أن كل ما تقدمه الصناعة الثقافية من إنتاج جديد ليس سوى إعادة تقديم وبأشكال مختلفة، لأشياء دائما متطابقة...هذا التغيير أو الشكل المختلف يخضع لمفهوم الزيادة الربحية (الربح)،أو بمعنى آخر المجتمع لا ينظر إلى وسائل الإعلام باعتبارها أداة تحقق غاية ومصلحة

اجتماعية لفائدة كل أفراد المجتمع كوسائل للتثقيف ونشر الوعي ،بل هي مجرد أدوات لتحقيق أكبر قدر ممكن من الربح عن طريق بث مضامين الإثارة والانفعال .

فمثلا في نظام الصناعة الثقافية، يغطي سير العمل أو يقع الاهتمام على كل عنصر من عناصر الرواية التي تتطلع إلى أن تصبح فيلما سينمائيا ،إلى غاية آخر مؤثر صوتي ،وينظر السينمائيون بعين الريبة إلى أي مخطوط لا يجدون فيه مسبقا إمكانية تصنيفه في رأس قوائم الكتب الأكثر مبيعا BEST-SELLER لهذا فآلة الصناعة الثقافية كما قالت فريال مهنا تدور في مكانها وهي التي تحدد الإستهلاك وتستبعد كل ما هو جديد ،يدخل في إطار الإبداع والابتكار يبدو في البداية كخطر لا فائدة ترجى منه ،وهذا بحكم التغييرات والتحسينات التي وضعتها الآلة على المنتج حتى يلقى الإستقبال من قبل المستهلك دون معارضة ودون نقد أو اعتراض .

وذهب فرانسيس فوكوياما إلى أبعد من هذا حينما يصرح في كتابه نهاية التاريخ والإنسان الأخير أن الصناعة الثقافية تتعلق بقدرة الجماعة على خلق مجتمع مدني في صحة جيدة بصفة مستقلة ،حيث توضع في الميزان قدرات الشعب على تطبيق ما يسميه توكفيل "بفن التجمع " " l'art de l'association" بعيدا عن كل تدخل للدولة [20].

ويصرحون أن الثقافة الجماهيرية تخلق قوالب ثقافية مشتركة ومقننة STANDARAIZATION تقنينا شديدا،بحيث تسهل تحكم الدولة المركزية التسلطية في الجماهير ،وبحيث تؤدي إلى بروز ظاهرة الفيلقة كما يسميها خلدون حسن النقيب ،أي التشابه الكبير في أنماط المعيشة وفي الأذواق العامة ،وفي الإتجاهات الإجتماعية ،نحو السلع التي هي الصفة المميزة للثقافة الإستهلاكية ،ويمكن مشاهدة ظاهرة الفيلقة في أنماط المعيشة ،حيث يساق الناس كالفيالق والكتائب العسكرية ،في العمل والمأكل والمشرب والملبس ،فأغلب السكان يذهبون إلى العمل في وقت واحد تقريبا ،ويتركونه في أوقات متقاربة ،ويأكلون وجبات متشابهة ،ويلبسون حسب متطلبات (الموضة) التي تتغير بانتظام من صرخات وصيحات و صرعات ...الخ، ويمكن أن تلاحظ بسهولة هوس عامة الجماهير في اقتناء سلع متشابهة، والحرص المفرط على أن تكون من ماركات متشابهة.

وهم في هذا كله يحرصون على اقتناء ما يدل على مركز اجتماعي أعلى مما يشغلونه فعلا ،وعلى مستوى وطراز معيشة غير ميسر لهم في الواقع ،بأشكال يمكن تفسيرها بمصطلح الحرمان النسبي ،ولكن لاحظ أن الجماعة أو الجماعات المرجعية لعامة الجماهير لم تعد أبناء الذوات وأبناء الأعيان وأهل الحسب والنسب وهي الجماعات التي كانت سائدة في السابق

حسب رأي خلدون حسن النقيب ،وإنما أصبحت الجماعات المرجعية ما يطلق عليها في وسائل الإعلام (بالناس الحلوين) (Beautiful people) أو الشلة النفاثة (Jet set) من فنانين وممثلين مرموقين ورياضيين وساسة ،والأغنياء الحديثي النعمة ،من السماسرة وقابضي العمولات الذين أفرزتهم الطفرات الإقتصادية،والذين لا يتورعون عن النصب و الإحتيال في الوصول إلى الثروة والمال[21].

الأمر الذي أدى إلى انتشار محتويات الذوق المتدني law-tast contentالذي قد يكون حسب عبد الحميد محمد كل ما يوزع على نطاق واسع ويتعرض له جماهير المتلقين ولكنه يثير استياء النقاد ،مثل الدراما التلفزيونية التي تؤكد على الجريمة والعنف ...أو أي محتوى آخر يسهم في تدهور أو انخفاض مستوى الذوق والأخلاق أو يثير القيام بسلوك غير مقبول اجتماعيا [22] .

الفرد في عصر الصناعة الثقافية:

في عصر الصناعة الثقافية الفرد لا يقرر باستقلالية :فالصراع بين الإندفاعات والوعي يتم حله بالانتساب اللآنقدي للقيم المفروضة :إن ما كان الفلاسفة يطلقون عليه يوما ،حياة،انكمشت داخل فلك الخاص ،ثم داخل الإستهلاك فحسب،والذي هو ليس سوى ذيل للعملية المادية للإنتاج ،بدون استقلالية وبدون جوهر[23] .

ويجد الإنسان نفسه تحت رحمة مجتمع يتلاعب به كيفما شاء ،فالمستهلك ليس سيدا ،كما تحاول الصناعة الثقافية إظهاره ،إنه ليس موضوع هذه الصناعة بل أداتها ،وحتى إذا اعتقد الأفراد بأنهم تخلصوا ،في الوقت الحر ،من الآليات الإنتاجية الصارمة ،فالحقيقة أن المكننة تحدد ،بشكل تكاملي ،صناعة منتجات الترفيه ،وما يستهلك من هذه المنتجات في أوقات الفراغ ما هو إلا نسخ مكررة ومعادة الصناعة من قبل العملية الإنتاجية نفسها ،والمضمون المزعوم هو عبارة عن واجهة باهتة ،والذي يطبع التلقي بطابعه هو التسلسل الآلي لعمليات مضبوطة ،ويمكن التحرر من العملية الإنتاجية في المصنع وفي المكتب ،فقط من خلال التكيف الخامل كما يسميه هوركايمر وأدورنو[24] .

ويقول أعضاء مدرسة فرانكفورت إن عملية الترفيه،تعني ،في هذه الحالة ،الموافقة و الرضى ،وتعني في كل مرة عدم الإضطرار إلى التفكير ،نسيان الألم ،حتى في المكان الذي يمكن إظهاره .القاعدة الأساسية في هذه الصناعة هي العجز،وهي فعليا الهروب :ليس كما تزعم ،الهروب من الواقع المر ،وإنما الهروب من آخر تفكير مقاومة يمكن أن تكون تلك الصناعة قد تركته. إن التحرر الذي وعد به الترفيه هو التحرر من التفكير ،كإنكار له

...فالصناعة الثقافية حسب فريال مهنا أصبحت استبدادية وجعلت من" رسالة الطاعة اللا تفكيرية"،القيمة السائدة والغازية .

و كلما بدا جمهور وسائل الإعلام العصرية أكثر لا تمايزا وأكثر تبعثرا، كلما اتجهت وسائل الإعلام نحو اقتناص "تكيفه"...فيصبح الفرد حسب أدورنو دمية تتلاعب بها القواعد الإجتماعية .فنفوذ الصناعة الثقافية ،في كل مظاهرها ،تحمل نحو تشويه فردية المتلقي نفسها :فهو كالسجين الذي ينهار تحت التعذيب وينتهي إلى الاعتراف بأي شيء ،حتى بالذي لم يفعله ،حتى المقاومة عند المتلقي يتم تدميرها بفعل الكمية الهائلة من القوة التي تضغط عليه (القيم والمبادئ التي تشكل البنية الإجتماعية الجديدة من وسائل الإعلام) ،كما يؤدي نفوذ الصناعة الثقافية إلى خلق الضمير القلق الذي تتنازعه الرغبات فهو بين البحث عن المقاومة والقوة الضاغطة و الإستسلام،هذا على اعتبار أن النظام (الرأسمالي) الذي ينتج الثقافة يولد شخصيات نرجسية ضعيفة يستبد بها القلق والتطلع إلى القدوة القوية للإقتران بها في ظل غياب القدوة بالبيت ،فإن الفرد ينشدها في العالم الخارجي ،وقد تكون مطربا مشهورا أو رياضيا ،ويحدث ذلك عن طريق ما يسمى بالتقمص الوجداني"Empathy " حيث يلجأ الأفراد إلى تقمص

" أدوار لشخصيات شاهدوها في التلفزيون أو السينما أو إحدى وسائل الإعلام الأخرى في الغالب تكون هذه الشخصيات من عالمي الرياضة والفن.

في السياق ذاته فإن منتجات الصناعة الثقافية ،تشل،بتركيبتها الموضوعية،التلقائية والخيال ،فهي تمنع النشاط العقلي للمتلقي ،فالمتلقي يجب أن يعمل حسب ما يمليه عليه عقله ،إذا لم يكن يريد أن تفوته الوقائع التي تمر أمامه بسرعة ،فالمنتج يقدم وصفة لكل رد فعل ،وبما أنها مصنوعة خصيصا لاستهلاك مشتت الفكر وغير عميق ،فإن هذه المنتجات ،تعكس ،في كل واحدة منها ،نموذج الآلية الإقتصادية التي تسيطر على فترات العمل وأوقات الفراغ ،وكل منها تعيد طرح منطق الهيمنة من خلال محاولة البحث أو بيان كيفية التغلغل أو النفاذ إلى أعماق النفس البشرية باستخدام تقنيات التحليل النفسي بكثافة ،بحيث تجعل الفرد يبحث عن أي شيء في

المنتجات الثقافية لإشباع رغباته بناءا على الإتجاهات العامة للفكر الرأسمالي، في هذا الصدد يرى ماركيوز أن توجه الأفراد نحو إشباع الرغبات الجنسية وغير الجنسية (الرغبة بصفة عامة) في كل مرة تظهر ،يؤدي إلى انهيار الحضارة والثقافة والمجتمع ،لأن الحياة على هذا الشكل تتحول إلى فوضى لتبادل النزوات والرغبات .في هذا الاتجاه يدعو **أدورنو**

الفرد إلى ضبط نفسه وكبت رغباته وتوجيه طاقاته الوجهة المناسبة ،أي توجيهها إلى نشاطات اجتماعية مفيدة .

إن ما تنشره وتبثه الصناعة الثقافية منظم من قبلها بهدف استلاب المتلقين في مستويات سيكولوجية متعددة في آن معا.فما تقدمه وسائل الإعلام هو عبارة عن أعمال وضيعة أو تشويه للأعمال الراقية هدفها إلهاء الناس عن البحث عن الحقيقة ،الأمر الذي يدعم الصفوية والأبوية التي تفرضها السلطة أو القوى المهيمنة على المجتمع [(25)]،هذا ويمكن أن تكون الرسالة الخفية أكثر أهمية من تلك الظاهرة ،وبما أن هذه الرسالة المستترة تمر في غفلة من الوعي ،فإنه لن يتم تفاديها من قبل المقاومات السيكولوجية أثناء عمليات الإستهلاك ،ومن المحتمل أن تخترق أدمغة المتلقين[(26)].

إن التلاعب بالجمهور، الذي تتبعه وتحققه الصناعة الثقافية كشكل من أشكال السيطرة على المجتمع ،يمر ،إذن عبر الوسيلة الإعلامية من خلال تأثيرات تتحقق في مستويات مستترة للرسائل .فهذه الأخيرة تتظاهر بقول شيئ ،ولكنها ،في الحقيقة تقول شيئا آخر ،وتتظاهر بأنها خفيفة ومسلية ،ولكنها ،بوضع نفسها أبعد من معرفة الجمهور ،فإنها تؤكد على تبعيته.والمتلقي،من خلال المواد التي يتابعها ،يجد نفسه باستمرار وبدون أن يدري ،خاضعا لشرطية امتصاص الأوامر والوصفات والأحكام الغيابية بالأبعاد[(27)] .

الثقافة الجماهيرية بين واقع الحال والنقد الفلسفي

تعرضت أغلب المضامين الإعلامية والثقافية التي تبثها وسائل الإعلام الحديثة إلى انتقادات عديدة من قبل العديد من الفلاسفة والمفكرين والأكاديميين الباحثين من منطلق أن لهذه المضامين آثار سلبية على الفرد والمجتمع وعلى صيرورة الحياة اليومية بشكل عام .وقد تركز النقد في أغلبه على مدرسة فرانكفورت وروادها الذين حاولوا بكل الطرق والوسائل التصدي لهذا النوع من الثقافة ، إلى جانب بعض المفكرين الفرنسيين وحتى الشرقيين من خارج هذه المدرسة .

ويقسم **الدكتور جمال العيفة** نقاد الثقافة الجماهيرية إلى مجموعة من التيارات منها تيار النقد النخبوي للثقافة الجماهيرية الذي يتزعمه المؤرخ الفرنسي **دي توكفيل** "De Tocqueville " الذي قام برصد مجموعة التغيرات التي حصلت في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ، حيث تغيرت العلاقة بين الزبون والحرفي ، فبعدما كان مباشرة أصبح هناك وسائط بينهما ...وذلك من خلال استعمال تقنيات الإشهار والتسويق أو كما يسميه توكفيل الإنتاج على نطاق واسع (Mass production) وكحل لذلك، اعتبر هذا المفكر أن الثقافة الراقية الحقيقية هي التي لا يمكن أن تكون

إلا ثقافة نخبة ضيقة بإمكانها أن تستوعب ما يقدم لها ،...و يرى أن الحل الوحيد هو الرجوع إلى ما قبل الثورة الصناعية وما قبل المجتمعات الجماهيرية، إلى جانب هذا فقد اعتبر بعض المفكرين والأدباء منهم **إليوت وأورتيغا**...الثقافة الجماهيرية بمثابة انحطاط للثقافة الراقية أو النخبوية وانعكاس للقوة المتنامية للجماهير [28].

تيار آخر وهو تيار النقد الثقافي الديمقراطي هذا الذي ظهر داخل الولايات المتحدة الأمريكية من خلال كتابات **دوايت** ماكدونالد Dwight Mc Donald الذي وصف الثقافة الجماهيرية بأنها هابطة واستغلالية "مفروضة من فوق يضعها الفنيون المستأخرون لرجال الأعمال وجمهورها مستهلك سلبي ،إنها ثقافة تزدري الخيال والحساسية والتأمل ،وهي تجعلنا مهووسين بالتكنيك ،ومعذبين بالحقائق " .

أما **إدغار موران** Edgar Morin وهو مفكر فرنسي حاول دراسة الثقافة الجماهيرية كظاهرة اجتماعية شاملة في مقاربة له نشرها في كتابه روح العصر L'esprit du temps وربطها بالمفهوم العلمي للثقافة كظاهرة أنتروبولوجية ،ولقد اهتم **إدغار موران** على الخصوص في دراساته بالسينما والصورة وتأثيرهما على الإنسان ،ومادامت السينما خيال فيه نوع من الواقعية ،فقد تناول **إدغار موران** هذه الخاصية فتوصل إلى أن الوسائل الإعلامية تبث أشياء كثيرة لها علاقة بالثقافات المختلفة ،ومن بينها النوع المعتمد على الخيال الذي يُحدث في الإنسان احتياجا يتصف بنوع من التخدير، ويُكون بالتالي في الإنسان موقفا ثقافيا.

ثم جاء **كلود ليفي ستروس** وانتقد العرقية المركزية الأوربية وقال بأنه توجد ثقافات أخرى في العالم غير الثقافة الغربية وبالتالي ينبغي أن نأخذها بعين الاعتبار ،إذا ما أردنا تشكيل فلسفة إنسانية متكاملة تشمل جميع شعوب الأرض وليس فقط شعوب أوربا وأمريكا ،وانتقد **ليفي ستروس** العنصرية في محاضرة مشهورة ألقاها في اليونسكو بداية الخمسينات[29].

إن الإهتمام بالسلوك الجمعي Collective Behavior في المجتمع الذي كان يمثل بيئة مثالية مناسبة لظهور المجتمع الجماهيري وهو الولايات المتحدة الأمريكية ،قاد إلى ظهور كتابات جادة تتناول الثقافة الجماهيرية Mass Culture بشكل مستقل عن الثقافة الشعبية Popular Culture ،ولكن هذه الدراسات حسب خلدون حسن النقيب تركزت على دراسة السلوك الجمعي ،والثقافة الجماهيرية باعتبارها نتاج النضال السياسي للقوى العاملة بشكل منفصل عن كونها نتاجا ضروريا لتطور نمط الإنتاج الرأسمالي [30].

فقد انصب اهتمام هؤلاء الكتاب على حقيقة أن نضال القوى العاملة البرجوازية أو الطبقة الوسطى الأوربية والطبقات العاملة،قد تكل بتحويل جموع الشعب من الرعاع دون حقوق مدنية وسياسية ،إلى جماهير من المواطنين كاملي الأهلية ،لقد امتد هذا النضال طوال القرن التاسع عشر ، واستغرق عددا من الثورات : من انهيار الدولة **البونابارتية** إلى **الحرب العالمية الأولى** التي كانت نقطة التحول الرئيسية في ظهور المجتمع الجماهيري ،كما تمثل **كتابات نيتشه** الهجوم الأرستقراطي الأول لمجيء (بعبع) الجماهير حسب تعبير **خلدون حسن النقيب** والخلفية الأساسية **لكتاب أورتيغا** المعنون **مجيء الجماهير** ....كل هذه الكتابات تمثل حسب خلدون حسن النقيب المنطلق الأساسي لكتابات **مدرسة فرانكفورت الألمانية** ابتدءا من **الشخصية التسلطية لأدورنو** وجماعته ،إلى الإنسان ذو البعد الواحد **لماركيوز و أدورنو و هوركايمر** في **جدلية التنوير** و **هابرماس** في **أزمة الشرعية.**

وقد كان تركيز مدرسة فرانكفورت وغيرها من الكتابات في علم الإجتماع وعلم النفس الغربيين متصلا في حقيقة الأمر ليس بالسلوك الجمعي (سلوك الأفراد في جماعات) بشكل خاص ،وإنما هو منصب على الجانب السلبي في هذا السلوك ،في فترة انتشر فيها التعليم الرسمي الحديث بشكل واسع خارج حدود الأرستقراطية،من أبناء علية الطبقات الوسطى إلى عموم الشعب ،ثم إلى التأثير البالغ لوسائل الإعلام والتواصل الجمعي ،من صحافة ومسرح في البداية إلى صناعة كتاب لجيب ،ثم الإذاعة والسينما منذ قبيل الحرب العالمية الأولى .

ويضاف إلى هؤلاء النقاد الباحث نعوم تشو مسكي الذي يحلل التناول الإعلامي لمختلف الأوضاع العالمية الحالية خاصة الحرب على الإرهاب التي أضحت حسبه لا تفرق بين البريء والمضمون بسبب الثقافة الجماهيرية التي تخضع ذهن الفرد إلى الإدراك الإنتقائي ،وتدعيم اتجاهات الثقافة المعارضة حتى ولو كانت في غير الصواب ،من خلال توجه وسائل الإعلام الدعائية الحكومية خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية إلى صناعة القبول أو ما يسميها **وولتر ليبمان** بالثورة الجديدة في فن الديمقراطية وهذا لصناعة الإجماع أي الحصول على موافقة الشعب على أمور لا يريدها وذلك بفضل التقنيات الجديدة للدعاية [31].

المدرسة النقدية بين النقد والعودة

تعرضت أعمال المدرسة النقدية وأفكارها إلى النقد والرفض في بعض الأحيان من العديد من الإتجاهات أهمها اتجاهين أساسيين هما علماء الإجتماع والماركسيون وكان أساس النقد للفريقين واحدا حسب جمال العيفة

رغم أنهما استخدما مصطلحات متباينة حيث يعتبران أن أفكار المدرسة النقدية "تأملات فارغة " و لا يمكن اختبارها ولا إخضاعها للواقع نظرا لصياغتها بمصطلحات غامضة ويقال أن "تعميماتها مجردة وتأملية " ،وهي مرتبطة بالثقافة العالية وقاعدتها هي الجامعة ،فضلا عن أن صلتها بالممارسة السياسية الفعلية معدومة [32]

كما اعتبر البعض الآخر أعمال هذه المدرسة ترفا فكريا زائدا عن الحدود المنطقية للتحليل،ويتم التدليل على ذلك لكون أغلب منظري هذه المدرسة يناقشون أشياء لم تحصل في الواقع ،كما اكتفت هذه المدرسة بذكر المساوئ ولم تحاول تقديم البديل للثقافة الجماهيرية السائدة ،ولا حاولت تقديم حلول لمعالجة الواقع الموجود...من جهة أخرى اعتبر بعض الباحثين الدراسات التي قام بها رواد المدرسة النقدية أثمرت الكثير من الأفكار والفروض القابلة للقياس في لمستقبل ،ولكنها لم تؤدي إلى نتائج علمية مؤكدة بسبب اعتمادها على تأملات ظنية عامة على مستوى الوحدات الإجتماعية الكبرى ،أو على النماذج الفكرية الافتراضية أو النظرية لبعض الأنماط المثالية [33] .

فالنظرية النقدية تتعارض جذريا مع لفروع العلمية ،فهي تعتقد أن مناهج البحث الأمبريقي لا تخترق موضوعية الوقائع و لا بنية ومؤثرات جذورها التاريخية ،وإنما ،تنتج فتات الكل الاجتماعي في سلسلة من الأشياء الملصقة اصطناعيا بعلوم متخصصة عديدة ... وتبدو أبحاث الإعلام الجماهيري مفتقرة للكفاية، لأنها تقتصر على دراسة الشروط الراهنة، منتهية بالرضوخ لاحتكار الصناعة الثقافية.وهي تهتم بصورة جوهرية بكيفية التلاعب بالجماهير وبكيفية التوصل، بأفضل الطرق،إلى أهداف معينة ،داخل إطار النظام القائم [34]

ويرى نقاد النظرية النقدية أن هذه الأخيرة تغلب أهمية المقاربة النظرية التحليلية على المقاربة الأمبريقية ،...فبالنسبة للنظرية النقدية فالأمر يتعلق بأدوات لإعادة إنتاج جماهيري ،تطرح ،عبر الحرية المظهرية للأفراد ،علاقات القوة للجهاز الاقتصادي والاجتماعي القائم.إضافة إلى أن المسافة بين النظرية النقدية وبين البحوث الإدارية الإعلامية اتسعت أكثر مما يسمح به الإختلاف الموضوعي الذي يمكن أن يسمح بالتعايش بل والتضافر،في سبيل تحقيق إحاطة شاملة بإشكاليات الإعلام الجماهيري [35]

ومن النقاد العرب للنظرية النقدية نجد زكي نجيب محمود الذي انخرط في أواخر الستينات في خط هذه المدرسة لكنه أنكره حينما ظهرت الإتجاهات الواقعية في الدراسات السوسيولوجية ـ الفلسفية ويرى فيها غلوا يأخذ بالقشور دون الإستقرار على اللب ،ويعتبر أنصارها مجرد أشخاص

قابعين في بروج عاجية لا يملكون أي سلطة على أفكارهم و لا على اتجاهاتهم ، في اتجاه متصل نجد الفيلسوف المصري عبد الرحمن بدوي يحمل المدرسة النقدية مسؤولية التأخر الحاصل في مجال الدراسات النقدية خاصة ما تعلق منها بالسياسة،واعتبر الباحثين العرب الذين انخرطوا في تيار هذه المدرسة بالتبعة الذين لا يرجى منهم شيء أمثال طه حسين وفؤاد زكريا ...[36]

لكن نجد في طرف آخر العالم الوضعي بول لازارسفيلد يحاول في محاوراته المختلفة إنصاف المدرسة النقدية رغم البون الشاسع بينه وبين الأفكار التي تحملها هذه المدرسة ، فهو يقول في شأنها"إن النقد الحضاري لا يمكن أن يخرج رابحا من هذه المهمة ولكننا دونه نظل طريقنا " [37]

الخاتمة

على عكس أصحاب النظريات البنائية الوظيفية ،الذين يرون أن العلاقة بين وسائل الإعلام في المجتمع وباقي النظم الإجتماعية الأخرى هي علاقة متوازنة تقوم على الاعتماد المتبادل ،وأن المحتوى الذي تنشره أو تذيعه هذه الوسائل يحافظ على توازن واستقرار المجتمع الكل ،لأنه يلبي حاجات الجماهير التي تعتبر العنصر الأساسي من عناصر النظام الإعلامي .

على عكس هذه الرؤية فإن النظرية النقدية ترى أن وظيفة وسائل الإعلام هي مساعدة أصحاب السلطة في المجتمع على فرض نفوذهم، والعمل على دعم الوضع القائم.و لذلك كانت دراساتهم النقدية للأوضاع الإعلامية وانتشار الثقافة الجماهيرية بديلا للثقافة الراقية أو الرفيعة التي ترقى بأذواق الجماهير، لوضع تفسيرات خاصة بانتشار صور المحتوى الذي تنشره وسائل الإعلام للترويج لمصالح الفئات أو الطبقات المسيطرة على المجتمع.

وتبقى بهذا المدرسة النقدية قطبا فكريا أثار العديد من التساؤلات في مختلف الميادين خاصة منها الإعلامية ، إذ تعتبر بحق القفزة النوعية نحو التوجه إلى النقد ،أو ما تسمى بالإبستومولوجيا المتطورة لنقد الظواهر الإجتماعية والإعلامية ، ولازالت هذه المدرسة رغم ما حام حولها من شكوك وأفكار نقدية ،تشكل مرحلة مهمة من مراحل الفكر الإنساني الذي يؤمن بالنقد لتحقيق التقدم .

(1) ريمون رويه، **الممارسة الأيديولوجية** ، تر:عادل العوا ، منشورات عويدات ، بيروت – باريس ،ط:1، 1978،ص 72

(2) ملحق جريدة الرأي، **فضاءات**، الصادر يوم السبت 16 نوفمبر 2002 ، ص02

(3) كمال عبد اللطيف ،**نقد المركزية الثقافية الغربية** ،مجلة العربي ،العدد439 ،جوان 1995 ،الكويت ، ص 73

(4) محمد بدر الدين ،**الثقافة الجماهيرية...أو أزمة الإنسان المعاصر**، مجلة الوحدة تصدر عن المنظمة الوطنية للشبيبة الجزائرية ،فيفري 1990، ص30

([5] محمد عبد الحميد، **نظريات الإعلام واتجاهات التأثير**،عالم الكتب، ط:2،القاهرة،2000، ص 151

([6]) راسل جاكوبي، **نهاية اليوتوبيا:السياسة والثقافة في زمن اللامبالاة** ،تر:فاروق عبد القادر ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت ،سنة 2001،ص 39

([7] فريال مهنا، **علوم الإتصال والمجتمعات الرقمية**،دار الفكر :دمشق-دار الفكر المعاصر: بيروت ،ط:2002،2،ص171

([8]) جمال العيفة،مرجع سابق، ص85

([10]) فريال مهنا، مرجع سابق، ص 172

([11]) جمال العيفة،مرجع سابق، ص 90

([12]) عبد الواحد خالد الحميد،**مفهوم التصنيع الثقافي وأهميته الإقتصادية:نحو توسيع مفهوم التصنيع الثقافي** ،مؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي ،إدارة البرامج والثقافة والإتصال ،تونس ،سنة 2000، ص 15

([13]) هربرت شيلر ،**المتلاعبون بالعقول** ،تر:عبد السلام رضوان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت ،سنة 1999،ص 114

([1]) http://www.universalis.fr/encyclopedie/max-horkheimer/

([14]) دتليف كلاوسن ، **تيودور ف. أدورنو آخر العباقرة**، تر: علي مصباح، دار فيشر للنشر، مبادرة لمؤسسة الثقافة الألمانية الفيدرالية بالتعاون مع معهد جوته ومعرض الكتاب فرانكفورت،فرانكفورت ،سنة 2003 ،ص 21

([15]) أحمد أبوزيد ، **البحث عن مابعد الحداثة** ،مجلة العربي ،ع:506 ،يناير 2001 ،ص17

([16]) إصدارات دار الفكر ، **جائزة السلام الألمانية لهابرماس: فيلسوف حركات الاجتماعية الجديدة هابرماس.. فيلسوف أنتجته الحرب** ،موقع دار الفكر ،صفحة من إصداراتنا ، 2005

([17]) هبر ماس ، **القول الفلسفي للحداثة** ،تر: حافظ الجمالي ، وزارة الثقافة السورية ،دمشق ،1995، ص428

([18]) ايان كريب،**النظريةالإجتماعية من بارسونزإلى هابر ماس**،ت محمد حسين غلوم،سلسلة عالم المعرفة ع:244 ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت :مطابع الوطن ،1999 ،ص 322-327

([19]) عبد النبي عبد الفتاح،**تكنولوجيا الإتصال والثقافة بين النظرية والتطبيق**،العربي للنشر ،القاهرة ،سنة 1990، ص37

([20]) فرانسيس فوكوياما ، **نهاية** التاريخ **والإنسان الأخير** ، تر:مطاع صفدي ،بدون طبعة ،بيروت،مركز الإنماء القومي ،1993، ص210

([21]) البطريق نسمة ،**التلفزيون والمجتمع والهوية الثقافية** ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ،سنة 1989،ص 117

([22]) عبد الحميد محمد ، **نظريات الإعلام واتجاهات التأثير** ،ط:1،دار عالم الكتب ،1997،ص 136

([23]) T.Adorno,"**Résumé uber Kulturindustrie ,in Ohne Leitbild,Parva Aesthetica"** Suhrkamp, Frankfut,1967, trad.Riassunto sull'industria culturale,in petronio ,G.Letteratura di massa,Letteratura di Cosumo,Ed Lateraza,Bari,1979,pp,5-15

عن كتاب:فريال مهنا، مرجع سابق، ص175.

([24])خلدون حسن النقيب، مرجع سابق، ص176

([25]) عبد الحميد محمد، مرجع سابق، ص 136

([26]) المرجع نفسه ،ص 138

([27]) Adorno, **Television and the Patterns of Mass Culture**, Quarterly of Film, Radio and Television, vol.8, 1954, trad.Televisione e Modelli di Cultura di Massa, Ed, Hoepli, Milano, 1969, pp.379-393

عن كتاب:فريال مهنا، مرجع سابق، ص179

(28) جمال العيفة،**الثقافة الجماهيرية** ،منشورات جامعة باجي مختار ،عنابة (الجزائر)،2003،ص77

(29) ملحق جريدة الرأي، **فضاءات**، الصادر يوم السبت 16 نوفمبر 2002 ،ص02

(30) خلدون حسن النقيب،**الدولة التسلطية في المشرق العربي المعاصر "دراسة بنائية مقارنة"**،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط:2 ، بيروت،1996، ص251

(31) نعوم تشومسكي ،**هيمنة الإعلام الإنجازات المذهلة للدعاية** ، تر: ابراهيم يحيى الشهابي ، دار الفكر ، ط:1،دمشق ،2003، ص 15

([32]) جمال العيفة،مرجع سابق، ص100

([33]) المرجع نفسه ،ص101

([34]) Adorno, **»Esperienze Scientifiche di uno studio Europeo** « comunità , n°165,in M.Wolf , cit ., p.92

عن كتاب:فريال مهنا، مرجع سابق، ص180

([35]) المرجع نفسه،ص 186

([36]) محمد بركة ،**الفيلسوف عبد الرحمن بدوي..تحول إلى الإسلام فانفض من حوله الجميع** ،ملحق جريدة الرأي ،فضاءات الرأي،الصادر يوم السبت 14 ديسمبر2002،ص 06

([37]) محمد الجوهري وآخرون ،**علم الإجتماع ودراسة الإعلام والإتصال** ،دار المعرفة الجامعية ،القاهرة ،سنة 1992،ص36

الفنون

أخناتون وأوزيريس بين المثالية والإصلاح في مسرح باكثير
دراسة نقدية تحليلية

الدكتورة نورة السفياني

أخناتون وأوزيريس بين المثالية والإصلاح في مسرح باكثير
دراسة نقدية تحليلية

د . نورة السفياني

البطل الأسطوري و تاريخ المسرحية

يحتل البطل الأسطوري مكانة خاصة في الفن المسرحي ،و يمكن القول إن متابعة توظيفه في المسرح العالمي في وسعها أن تقدم لنا صورة واضحة تبرز تطور الفن المسرحي بعامة وأهم المراحل التي مر بها والتغيرات الفنية التي طرأت عليه؛فمن البطل الإغريقي في مواجهة غير متكافئة مع الآلهة المزعومة وأنصاف الآلهة إلى البطل الديني الأخلاقي الذي يدخل في صراع مع الشر والشيطان والرذيلة ،وبعد أن خرجت أوربا من ظلمتها وأقامت نهضتها الأدبية على بعث التراث اليوناني أعادت الكلاسيكية تقديم أبطالها الأسطوريين الذين لم يقفوا في مواجهة أقدارهم كما فعل اليونان،بل عاشوا صراعا مع ذواتهم وما يصطرع فيها من تطلعات ورغبات في نصرة للخير والواجب . لكن البطل الأسطوري وجد فرصته الكاملة لدى شكسبير والرومانسيين فقد تمكنت التراجيدية الشكسبيرية من عرض مكنونه الداخلي وتكوينه النفسي والعاطفي،وشهدنا سقوطه المدوي بسبب خطأ ارتكبه يكشف عن ضعفه البشري،بيد أن هزيمته المرة تفتح أعيننا وقلوبنا على عظمة النفس الإنسانية في قوتها وضعفها.وتسير أوربا بعد النفحة الإيمانية التي تضوعت في أيدي الرومانسيين بخطى حثيثة نحو صنع الإنسان الإله كما تقول الذي بإمكانه السيطرة على واقعه ممجدة فيه الثورة على ذلك الواقع بهدف السيطرة عليه. وتتغير كثير من المفاهيم والقوانين ،وينزل البطل الأسطوري من عليائه ،وينخرط في صفوف الناس الاعتياديين والمكافحين من أجل لقمة العيش،بل إننا نجده يميل إلى العزلة ويعبر عن نفسه في أسلوب فانتازي يخرج من غياهب اللاوعي ومتاهات اللاشعور.و يلحظ أنه في جميع المراحل التي مر بها البطل المسرحي والبطل الأسطوري على وجه الخصوص ظلت هناك علاقة تربط بينه وبين الجانب الأخلاقي من خلال الصراع بين الخير والشر حسب مفهومهما في كل عصر.والواقع " أننا نجد المسرحيين بوجه خاص أخلاقيين ووعظيين حتى لو أنكروا ذلك،ومن الصعوبة بمكان أن نجد كاتبا واحدا لا يعتمد في عمله المسرحي على حكاية أخلاقية قديمة.وقد تطلع بعضهم إلى المدينة الفاضلة والمجتمع المثالي وهو أمر إيجابي يمكن أن يفهم ضمن الاتجاه الأخلاقي في الكتابة المسرحية." [1]

البطل المثالي والأمر المطلق :

لن يجد أصحاب الاتجاه الأخلاقي فرصة جيدة لتفريغ طاقتهم الإصلاحية أفضل من البطل المثالي الذي يتميز عادة بنوع من الفردية ويمثل وجها من وجوه البطولة بقصد أو بدون قصد. وليس من المستغرب أن ترتبط المثالية بنوع من التطرف وربما يكون ذلك هو ما يصنع منهم أبطالا يندفعون خلف تصوراتهم المثالية ويكافحون من أجلها بعزيمة لا تلين ولا يوهنها سخرية الآخرين من اعتقاداتهم غير الواقعية.وكما يقول أحد الدارسين فإن إيمان المثالي عادة ما يتميز بأنه لا متناهي؛ فالحقيقة التي يؤمن بها هي كل الحقيقة ،والجمال الذي يستشعره هو الجمال الحق ،والخير الذي يعتقده هو الخير المحض .[2]وقد ربط الفلاسفة قديما وحديثا بين أنواع من المثالية وفكرة التمركز حول الذات ، وكيف تعلق وجود الشيء على إدراك العقل له أيا كان هذا العقل .[3]

ومن هنا كان من الطبيعي أن تتوثق العلاقة بين المثالية والأدب،ومنذ أن وضع أفلاطون كتابه (الجمهورية الفاضلة) والجهود تتوالى من الفلاسفة والأدباء لصنع مدنهم الفاضلة وإنسانهم المثالي.ومن السمات البارزة في مسرح الكاتب الحضرمي علي أحمد باكثير(1910-1969م) مثاليته بالمعنى الخلقي و الإنساني،حيث يتحلى أبطاله عادة بروح التسامح والمحبة والإيثار والتسامي على الرغبات ومغالبة الضغينة والأحقاد،ويتعاملون مع أعدائهم بالروح التي يعاملون بها القريب والصديق فأهدافهم عليا وتطلعاتهم إنسانية،وهم ثابتون على مبدئهم لا يتراجعون ولا يتبدلون. وقد أشتهر بعض كبار المسرحيين بمثاليتهم ومنهم إبسن الذي جاء مسرحه المثالي في قالب شعري ورمزي،وقدم رؤيته في صورة متنامية لا تبرز نفسها إلا من خلال علاقات متداخلة يختلط فيها إيمانه بأبطاله وصلابة موقفهم مع انتقاده لهم وامتعاضه منهم ومن تزمتهم،وبين الإيمان بهم والشك فيهم يدخل إبسن القارئ طرفا في جوهر الصراع.بينما أخذت مثالية باكثير شكلا راسيا حادا يندفع إلى الأمام ويكشف عن نفسه في وضوح وثبات.هذا على الرغم من أن هناك شيئا مشتركا بين الكاتبين وهو أن بعض شخصياتهم المثالية تؤمن بالقانون الذي أطلق عليه كانت مسمى الأمر المطلق categorical imperative واعتبره شرطا لكل المبادئ والأحكام الخلقية،بل إنه الأصل الذي تصدر عنه جميع القوانين،ويعني به القانون الذي لا تتوقف فيه أفعالنا على تحقيق نتائج معينة،بل يطبق لذاته.ونحن لا نحرص على أن نطابق بينه وبين أفعالنا لأنه يشبع رغباتنا أو يحقق سعادتنا الشخصية ــ وإن كان له أن يفعل ذلك ــ وإنما لأنه يمكن أن يصنع قانونا عاما صالحا

للبشر جميعا،ولا يستطيع الالتزام بهذا القانون إلا الذين يملكون من الإرادة والعقل القدر الذي يدركون به أهمية سن قانون أو مبدأ .[4]إن الذين يأتمرون بمثل هذا القانون ينطلقون إلى أهدافهم العليا لا يفكرون في النكوص ولا يقبلون المساومة أو أنصاف الحلول رغم كل الصعوبات والمآزق.

الأخناتونية بين المثالية والرومانسية:

وجد باكثير المثالي بغيته في أخناتون الملك الفرعوني الشاب الذي عاش حياة حافلة بمواقف البطولة والتضحية والجهاد في سبيل المثل العليا في الحياة والسعي لإدراك الحقيقة الخالدة. وكان لباكثير أفضلية السبق في الكتابة عن هذه الشخصية التاريخية وتقديمها على خشبة المسرح ، وتوالت بعد ذلك الأعمال المسرحية لعدد من المؤلفين العرب عن أخناتون .ولابد هنا من ذكر أمر لم أجد إشارة إليه عند من كتبوا عن الأعمال الأخناتونية المسرحية العربية ،وهو وجود مسرحية عنوانها (أخناتون) كتبت في عام 1926م باللغة الإنجليزية للكاتبة البريطانية إدلايد إدن فيللبوتس[5] Adelaide Eden Phillpotts .بينما كتب باكثير مسرحيته (أخناتون ونفرتيتي)في عام 1949م، وليس من المستبعد اطلاع باكثير على المسرحية الإنجليزية[6] وإفادته منها خصوصا أن باكثير دأب في مسرحه الأسطوري بالذات على اختيار شخصيات تمت معالجتها على أيدي كتاب آخرين كما فعل مع أوديب وفاوست وأوزيريس .والواقع أن الكاتبة الإنجليزية اعتمدت في كتابتها للمسرحية على سيرة أخناتون وأناشيده المأثورة عنه ، وركزت على تطلعاته الدينية، واهتمت بالجانب الأسري في حياة ذلك الملك من خلال علاقته بأمه و زوجه وبناته ،كما برز في المسرحية وجه أخناتون الشاعر الإنسان . وكانت كل هذه الجوانب ضمن اهتمام باكثير وعنايته بعيدا عن الوجه الملكي الأسطوري لأخناتون. أما مفترق الطرق بين الكاتبين فقد كان التحديد الصارم من قبل باكثير لشخصية رئيس الكهنة ومعاونيه وإظهارهم ممثلين للشر ورموزا للفساد ، بينما قدمت فيللبوتس رئيس الكهنة حريصا على مصلحة الجهة التي يمثلها ،لكنه في الوقت نفسه يخفي إعجابا وحبا لأخناتون فهو يدرك عظمة إنسانيته المفرطة التي تأسر لب ذلك الكاهن ويخفيها بين جوانحه .

ويحدد باكثير هدفه من كتابة المسرحية وهو أن "نتعظ فيما نتعظ به من أحداث تاريخنا الأكبر وسير رجالنا وأبطاله بحياة جدنا هذا العظيم وما أصابه من نجاح وإخفاق فنتعلق بأسباب الأول ونتقي مهاوي الثاني."[7]ورغم أهمية هذا الهدف بالنسبة لكاتب إصلاحي مثل باكثير،فإننا نجده انحاز في

توظيفه إلى خدمة العمل الفني وليس العكس،وشغلنا بمتابعة أخناتون الشخصية القلقة الحائرة وهي تعيش صراعها الداخلي والخارجي.وقد قاده القلق العارم الذي اصطلى به إلى عالم الاستبطان وتأمل الذات والوجود ،وإلى أن يكون صاحب دعوة يجاهد في سبيلها ويصر عليها غير عابئ بخطر يتهدده أو يعرض مملكته للسقوط.وما إن يتولى الحكم حتى يتخذ خطوته الأولى لتحقيق مثله العليا فيبني مدينته الفاضلة (أخياتون) المدينة الحلم التي سيعيش الناس فيها في حب وسلام حيث لا كذب ولا رياء أو عداوة أو بغضاء.

لقد بشر المثاليون في فلسفاتهم بالسلام وإشاعة المساواة في الحقوق والواجبات بين الأفراد والأمم ودعوا إلى بناء المدن الحدائق،كما طالبوا بإلغاء الجيوش وإنهاء الحروب، وهذا ما كان يهدف إليه أخناتون ويتطلع إليه :

يوم لا يبغي المصري على السوري ، ولا يزهي المصري على النوبي ، وتلغى الحرب الزبون يوم يعدو الناس جميعا وهم إخوة مؤمنون [8]

وهنا " تظهر فكرة الأخوة العالمية في فلسفة أخناتون لأول مرة في التاريخ الإنساني عندما يذكر أن هناك نيلا للمصريين تحت أبصارهم،بينما هناك نيل آخر من الماء الحي في السماء لجميع الغرباء من الأقطار الأخرى ."[9] ويلحظ كيف كانت شخصية أخناتون تتطور في خط مستقيم من الشاب الرومانسي رقيق الشعور ومرهف الحس إلى المثالي الخيالي،ثم إلى الداعية المبشر بالسلام والمجاهد في سبيل عقيدته ودعوته الجديدة.والواقع أن عمل الكاتب المسرحي لا يمكن أن يقتصر على تسجيل تاريخ شخصية عظيمة فهذا أمر يهم المؤرخين أكثر من غيرهم ،أما الأديب فهو يأمل من استعانته بالتاريخ أن ينجح في تحقيق قدر من الاتساع والشمولية ليخرج من محدودية الزمن والمناسبة لأن "العمل الفني ليس تعبيرا فرديا لمحتوى نفسي،بل هو في الوقت نفسه علامة ، بنية وقيمة ، يمكن أن يفسر من قبل المتلقين. إذا لم يؤخذ في عين الاعتبار هذا الطابع الرمزي للعمل الفني،فإن هذا الأخير سيفهم على أنه بناء شكلي أو كانعكاس للاستعدادات النفسية للمؤلف؛وعلى وجه الدقة قيمته الرمزية هي ما يعطي طابعا اجتماعيا للفن،وعبر تحليله السميولوجي يمكن التغلب على شكلية الطرق الحالة الملازمة للذات." [10]

أخناتون والبعد التراجيدي:

بدا واضحا منذ بداية المسرحية زهد الكاتب في صفة أخناتون الملكية أو الفرعونية، كذلك لم يدع مجالا للحديث عنه بطلا أسطوريا ،بيد أن

مثاليته المتطرفة أوطيبته المطلقة كما صورها باكثير تجعلنا نتساءل إلى أي حد يمكن اعتباره بطلا تراجيديا ؟ وهل كان ينوي باكثير نقل هذه الشخصية ذات البعد التاريخي الأسطوري إلى حيز التراجيديا ؟ الواقع أن أخناتون باكثير يملك من الأسباب ما يجعل منه بطلا تراجيديا بامتياز فهو غارق في ذاتيته"ومندفع بإرادة وتفكير ذاتيين ؛ بمعنى أن إرادته وتفكيره مبنيان على شعوره بنفسه كوجود مستقل عمن حوله وما حوله ،بل لاشك أيضا أن تفكيره وإرادته يمثلان جذور هذا الإحساس الفردي بكل عمقها وبساطتها...والنتيجة الفاجعة في التراجيديا هي إرادة صدمة لإرادة الإنسان لذاتية الإنسان.وقد تكون نابعة من شيء في ذات الإنسان.ففن الشاعر التراجيدي لابد أن يقرب هذه النتيجة من محور عمله وهو الذات.ولكنها تظل بالرغم من ذلك خارجة من الذات لتكتسب تأثيرها الفاجع.هناك إذا توتر بين الذات والخارج،بين السبب والنتيجة."[11]وربما تكون هذه الذاتية والاحتكام إليها السبب الرئيسي وراء شقاء أشهر أبطال المسرح التراجيدي من أمثال هملت وماكبث والملك لير.فعلى سبيل المثال لم تكن النبوءة المفجعة وحدها في أوديب سوفكليس هي التي جعلتنا نتعاطف معه بقدر ما أحزننا النهم الذي استولى عليه لمعرفة الحقيقة والسير في اتجاه دون أن يعلم أن فيه حتفه والقضاء على كل ما غنمه.

كذلك حرص باكثير على إحاطة أخناتون بهالة روحانية فهو يوحى إليه كما يقول وينفذ إرادة الرب كما تحكي لنا أمه الملكة تي :

ما كنت بحاسبة أن يبلغ بابني الأمر إلى أن يزعم أن الرب يخاطبه، وبأمر الرب يقول ويفعل ، في إخلاص قوي ليس يبالي فيه بذكرى أب أو مشورة أم ، ولا يخشى من صغير ولا من كبير [12]

وتنتابه حالات من الهذيان يسميها رؤيا تنفلت فيها روحه من قيود الزمان والمكان،ويخاطب الأرواح وتتداح أمامه هالات النور وتفتح له مغاليق الأسرار،فهو يرى من ستشرق بأنوارهم البشرية من أصحاب الرسالات من الأنبياء والرسل :

(ينهج) عجبا يا رب .. ما كانت إلا رؤيا لا بأس علي ..أريني أنظر إلى عينيك ، (يمسك ذقنها وينظر مليا في عينيها) عجبا !إن عينيك تتسعان وتتسعان .. وتتسعان ..كأن الكون الواسع والزمن اللانهائي داخل عينيك ! ما هذا أرى ؟ هذا أحد الرجلين ، جميل الوجه شديد الأدمة ، تقطر جمته كالخارج من ديماس ، يحمل في يمناه الفجر وهذي مصر تضيء بنوره ! اغمرني يا نور ..فض يا نور على قلبي ! [13]

والواقع أن هناك من الدارسين من ربط بين البطولة والصبغة الدينية أو السماوية ؛ورأى أن الأبطال يمتازون عادة بأنهم أشخاص لهم معتقدات دينية يجاهرون بها ويصرون عليها ويؤمنون بفحواها على نحو يتسم بالعمق والجدلية،بل إن بعضهم يحرص على إظهار علاقته اللا محدودة بالعوالم السرية ، وعادة ما تكون تلك المعتقدات هي التي تقرر ما يقومون به بعد ذلك من أفعال وأقوال."[14]وقد منحه باكثير قدرات روحية خارقة فهو يبصر الأرواح ويعرف مستقرها ومستودعها .هذه الطبيعة الخارقة والاتصال بعالم الأسرار والغيبيات هي من سمات البطل في التراجيديا الإغريقية ، كذلك تميز شكسبير باستغلال هذا العنصر وتوظيفه على الوجه الأكمل عندما نجح في بث الإحساس " بوجود قرابة بين تلك القوى الخارقة وبين انفعالات البطل "[15] و هكذا يبلغ البطل حدا من الصفاء النفسي والقوة الخارقة مما يمنحه القدرة على أن يرى ما لا يراه الآخرون .

سقوط أخناتون :

لابد أن نذكر هنا أن باكثير كتب هذه المسرحية في بداية انفتاحه على المسرح الشكسبيري ، ومن المتوقع أن نجد آثار هذه العلاقة في بناء شخصية أخناتون.ومن المعروف أن صراع البطل الإغريقي تمحور في صراعه مع القدر أو الآلهة ،وهكذا وضع البطل في مواجهة غير متكافئة بين هذه القوى وبين ذاته أو تكوينه النفسي والأخلاقي.وتكفل شكسبير بنماذجه الرائعة من تغير طبيعة هذا الصراع وتوسيع المواجهة بالاعتماد على العالم الداخلي للبطل،ودفع القدر والقوى الخارجية إلى الخلفية أو أكثر من ذلك بقليل ،ومن هنا أتيحت له الفرصة كاملة لتصوير عالمهم الداخلي وما يعتمل فيه من مشاعر قوية يسميها برادلي القوى الروحية "فأغلبهم كانوا يندفعون في اتجه واحد،ويعجزون عن مقاومة هذا الميل أو القوة التي تجذبهم في ذلك الاتجاه،ويغدو الوجود بأكمله يساوي عندهم ذلك الإحساس أو التصور أوعاطفة واحدة تتملك أنفسهم أو تهزها بعنف وتقودها إلى حتفها."[16]وهذا هو الوضع المأساوي الذي عاشه أخناتون.لقد كان من الطبيعي أن يتطلع ماكبث إلى الملك وتحدثه نفسه بتولي العرش،ولم يكن من المستغرب لشاعر وفيلسوف مثل هملت أن يتلقى صدمة مقتل والده غدرا على يد عمه بالتفكير العميق والغوص في داخل ذاته حتى يفهم حقيقة ما يدور خارجها،ولكن خطأ

الاثنين تمثل في تماديهما في ذلك وترك هواجسهما وعواطفهما تقوداهما إلى حتفهما .

كذلك لم يكن خطأ أخناتون في مثاليته أو إيمانه بالحب والسلام،بل تجسدت سقطته في تغافله عن منطق الأشياء واعتقاده أن الكلمة الطيبة والنوايا الحسنة تكفي وحدها لحسم نتيجة الصراع بين الخير والشر."والواقع أن التراجيديا تركز عموما على البطل الفرد في وحدته الوجودية وفي صدامه مع المطلق سواء كان نظاما كونيا أو ناموسا أخلاقيا.ورغم أن مصير الجماعة يرتبط بمصير الفرد في التراجيديا باعتباره بطلا يشغل مركزا مرموقا في الجماعة إلا أن التراجيديا لا توحد بين الفرد والجماعة كما تفعل الملاحم،فقد يسقط البطل التراجيدي نتيجة اختلافه مع القانون السائد،ولكن الجماعة لا تسقط معه،بل تبقى لتحافظ على سيادة هذا القانون ولتختار بطلا جديدا يتزعمها."[17]ولهذا عندما اندفع أخناتون المثالي للدفاع عن الكاهن أس الشر والفساد تلقى الضربة القاتلة من قائده المخلص حور محب من باب الخطأ،وكانت ضربة موفقة من باكثير أبرزت مثالية أخناتون المتطرفة ، كما دلت بقدر من المفارقة على أن القوة الراشدة واليقظة والحزم التي يمثلها القائد حور محب تعرف طريقها جيدا."وهكذا تكون المفارقة سلاحا ذا حدين وتستحق الاهتمام،فمن ناحية تعد نوعا من المعالجة التهكمية لادعاءات المثاليين وفرارهم من المواجهة،وهي بهذا تحد من مبالغاتهم وانفعالاتهم العاطفية.كما أنهامن ناحية أخرى توجد قدرا من الواقعية عن طريق تقرير الموقف الإيجابي البناء للمثالية والمثاليين." [18]فانشغال الملك الشاب بتأملاته ونزهاته القمرية ومناقشة الكتب والأشعار أدى إلى انصرافه عن شؤون مملكته مما تسبب في ضعفها وسقوطها قطعة بعد أخرى.وهاهي ذي زوجه نفرتيتي تشكو إلى أمه الملكة تي من أحواله الغريبة :

هو يا مولاتي خلق غريب ليس له في الناس ضريب ، يهتم بأشياء لاتهم الناس ويحقر ما يا يهتم به الناس . تأتيه رسائل عماله في ممالكه بالشام يريدون نجدته ضد الثائرين العصاة وضد الحيثيين العتاة الذين علا شأنهم وغدوا خطرا يتهدد أملاكه فيرد إليهم رسائل ينصحهم فيها بلزوم السلم وينذرهم أخطار الحرب وسخط الرب . وتجئ رسائل أخرى فيهملها من دون جواب . يقضي الساعات الطوال بدار الضيافةعند صحابته العلماء الذين دعاهم من الآفاق يباحثهم في أديناهم وعقائدهم . [19]

ومن هنا يسند باكثير في ذكاء شديد مهمة إيقاظ أخناتون من أحلامه إلى صهره الأحمق سمنقارا،هذا في الوقت الذي يتكاتف فيه كل من حوله على إخفاء حقيقة تدهور الأوضاع عنه رحمة به وشفقة :

سمنقارا : لا تثق برجالك يا مولاي فهم إما كذاب أو خوان . [20]

ونتذكر هنا كيف ترك شكسبير مهمة إيقاظ بعض أبطاله في مسرحه العظيم إلى الحمقى والمجانين وكيف أجرى على لسانهم أصدق القول وأبلغه.والذي يعزز إدانة باكثير لمثالية أخناتون وتخليه عن إدارة شؤون مملكته إلى الأوهام والأحلام سقوط تلك الصاعقة في بستانه،وهو أمر رأى فيه ذلك الملك آية على رحمة ربه به وبشعبه،بينما يعد في الحقيقة رمزا لضربة القائد حور محب ودلالة على قرب موت أخناتون ورحيله،وقد ذكر ذلك بنفسه دون أن يشعر في خطبته المهمة التي يقول فيها:

أخناتون: ربي ما أعظم إحسانك ! ما أوسع رحمتك الشاملة! نار منك خرت على بستان لأخناتون ولكن غيثا منك انهل لينقذه منوباء الحمى شعب أخناتون بأسره . ألإخناتون إذن أن يثور على ربه من جراء حقل طوته النار ولم تطوه وهو أولى بها في ثورته وجحوده ؟ شكرا لك يا ربي ! ما قيمة بستاني إن قيس إلى شعبي ؟ الآن فهمت لماذا كان أخي "حامل الشمس" يحمل سيفا في يسراه! أن رحمتك العظمى رحمة الجراح الذي يبتر العضو كي ينقذ الجسم من قرحة ساعية حكمة غابت عني فأنهار لها صرح أعمالي . [21]

لقد أدرك أخناتون الحقيقة بعد فوات الأوان مثل غيره من التراجيديين،ودفع حياته ثمن سعيه وراء يقين كرس نفسه له ليكتشف في نهاية الطريق أنه محض سراب.وفي تقرير بعض الحقائق الإنسانية تحت تأثير ألم التجربة المعاشة ومرارة الحقيقة يتكشف مقدار الخطأ وفداحة ما يرتكبه بعض الأبطال المميزين رغم عظمتهم وحب من حولهم لهم.وهذا ما يخلق ذلك الألم الممض أو الإحساس بالشمولية وما يعتبره بعض الدارسين جوهر التراجيديا ."ويبقى النص الدرامي خالدا،إذا توافر على ما سمى بالروح الشمولي،وذلك بانتمائه كنص إلى زمنه التاريخي،وفي نفاذه إلى أجواء و(فضاءات) معاصرة متوالدة مستقبليا إن كل مرحلة تحتاج إلى تقديم ماهو غير قابل للنقل (خارج الزمن) ضمن الزمن ضمن ما هو قابل للنقل،وبالطبع،فإن كل شيء هو لحظة يطوقها التاريخ .ولكن في كل لحظة يوجد التاريخ كله."[22] ووفق باكثير عندما لم يسع إلى تأكيد الصبغة الدينية لأخناتون إلا بطريقة مبهمة

ومفتوحة لأكثر من احتمال.فهو يتلقى الوحي من النظر إلى عيني نفرتيتي في الوقت الذي يقر فيه بأن المرأة لا تصلح لتلقي الوحي :

أخناتون : ويح الأنثى ! لا تكون الأنثى قط رسولا [23]

لا شك أن شخصية أخناتون بنيت بناء تراجيديا ما في ذلك شك ونجح الكاتب في ذلك إلى حد كبير،ولكن هل كان سقوطه مدويا مثل غيره من أبطال التراجيديا،بكل تأكيد لا وذلك لسببين : السبب الأول أن أخناتون بدأ راضيا بقدره كل الرضى في لحظاته الأخيرة تواقا لملاقاة ربه وفك أسره المادي وقيوده البشرية :

أخناتون : (يلتفت إلى الملكة) فيم تبكين يا روحي ؟
ألأني منطلق من هذي القيود ؟ صبرا ! لن يطول البين ...
غدا نلتقي في دار الخلود [24]

أما السبب الثاني فهو يتعلق بطبيعة شخصية ذلك الملك الذي آمن بالحب والسلام والمساواة ومات في سبيل عقيدته،وقد وجد المسرحيون صعوبة في نقل الشخصيات المثالية ذات الصبغة الدينية إلى الحيز التراجيدي وذلك" لأن الطيبة معرضة لأن تكون غير متحركة ولا ميالة للقتال،وهي برفضها الرد على الهجوم تجعل الفعل ساكنا،بالإضافة إلى أن موت الشهيد لا يمثل لنا هزيمة الفرد بل انتصاره، وهذا الموت هو نتيجة صراع يقف فيه الفرد في مستوى القوى العلوية،ونتيجة لهذا فإن الإحساس بالمعاناة يضيع بسبب الانتصار الخلقي.. إن أقل مسحة دينية في المسرحية من تلك الأديان التي تقدم الجنة للبطل التراجيدي تعويضا له تكون مدمرة للأثر التراجيدي ." [25]وربما لهذا اعتمد إبسن في تقديمه الشخصيات المثالية المأساوية على إشاعة أجواء التراجيديا عن طريق شخصيات أخرى مساندة للبطل،وعلى حشد عدد من الرموز والخلفيات الموحية كما فعل مع القسيس براند ذلك المثالي المتشدد، كما اعتمد على نسيج المسرحية ذاتها واللغة التي كتبت بها ، هذا في حين كتب باكثير مسرحيته شعرا ،لكنها افتقدت الشاعرية المطلوبة واللغة الموحية خصوصا بعض المقاطع التي جاءت على لسان أخناتون الشاعر الرومانسي.ولاشك أن باكثير سجل نجاحا مهما وانجازا عظيما عندما وظف الشعر لخدمة الموقف الدرامي والحدث والشخصية وليس العكس،وخرج توظيف الشعر في مسرحيته على نحو غير مسبوق من الغنائية إلى الدرامية.وإذا كان أخناتون قد استغرقته دعوته إلى أتون وإلى الحب والسلام، واستحوذ عليه إشباع نهمه المعرفي والشاعري،فإن بطل أسطورة أخرى سيسلك طريقا آخر لإسعاد الآخرين وتحقيق تطلعاته المثالية وثورته على الشر والفساد.

<u>أوزيريس المثالي الإصلاحي :</u>

جدد باكثير علاقته بالحضارة الفرعونية ومعطياتها عن طريق أشهر أساطيرها على الإطلاق إيزيس و أوزيريس في مسرحية بعنوان (أوزيريس) التي تصور الصراع بين الخير والشر ممثلا في أوزيريس الملك الصالح وأخيه الشرير ست.وكتب مسرحيته في عام 1959م ، وسبقه إلى ذلك المسرحي العربي الكبير توفيق الحكيم حين كتب مسرحيته (إيزيس) في عام 1955 قدم فيها هذه الأسطورة الشهيرة بعيدا عن أجوائها الخرافية والأسطورية بعد أن أنزلها إلى أرض الواقع وخيم على المسرحية إسقاطات سياسية وقتية وآراء عن لعبة السلطة ونظام الحكم .

أما باكثير فقد قدم بطله الأسطوري بصفته الإنسانية والأسطورية معا محافظا على ملكيته وحضوره المهيب؛ فعباراته قصيرة وأحاديثه مختصره، ولم تفلح محاولات ست لجره إلى دائرة الصراع،فهو مشغول بمشاريعه الإصلاحية وبناء مجتمعه الراقي الكامل :

ست : ما أبرك يا أوزيريس برعاياك و ما أجدر ألسنتهم أن تلهج ليلا ونهارا بالثناء عليك . أوزيريس : هذا واجبي نحوهم يا ست ،وحسبي جزاء منهم أنهم يسمعون لي ويعملون بنصائحي وإرشاداتي.. إن الله خلقني وألهمني الحكمة والعلم واستخلفني على هذا الوادي الأمين . فكيف أشكر نعمه هذه إن لم أسع جهدي لتعليم عباده هؤلاء وإرشادهم إلى طرق الخير والمدنية والفلاح حتى تستنير عقولهم وتزكو نفوسهم ويرفع عيشهم ويحيوا حياة أرقى وأكمل . [26]

ويعبر هذا التوجه من قبل أوزيريس عموما عن الاتجاه البناء في المثيولوجيا المصرية واحتفائها بالحياة والأحياء،ومن دلائله اهتمامهم بالتحنيط وفكرتهم عن إعادة البعث والتجدد والنماء بصور أخرى انتصارا للحياة على الموت.وكما يذكر أحد الدارسين فإن أسطورة أوزيريس تتضمن إشارة إلى العقلية الإيجابية للمخيلة المصرية من خلال ما نراه من اهتمام ذلك البطل بالفلاحة والزراعة وتعريف المجتمع بالوسائل الكفيلة لإنجاح ذلك مثل المحراث والمجرفة.وتبدو خصوصيته الإصلاحية في اهتمامه بتعليم المجتمع طرق المحافظة على بقائه عن طريق تعلم النظام وسن قوانين النظام المدني .[27]و هنا يكمن الفارق بين غلبة الصفة الدينية لأخناتون والطابع الإصلاحي لأوزيريس،ويشترك الاثنان في الروح التجديدية والوقوف في وجه السائد والمألوف،وتكريس الذات لتجسيد الرؤى والأفكار حتى لو لقيت معارضة من الآخرين.لقد تجلت مثالية أخناتون في دعوته إلى السلام وإيمانه المطلق أن الكلمة الطيبة وحدها قادرة على هزيمة الشر،بينما كانت مثالية أوزيريس إيجابية تحاول القضاء على الشر بالعمل ونشر الخير والمشاريع الإصلاحية، أما التعرض لإيذاء الشر ووحشيته فهو إيذان بانتشار الخير وعموميته

وانتصاره العظيم؛فالبعث لا يكون إلا بالتضحية والفداء،والحل في نظره للقضاء على الشر إنما يكون باتساع دائرة الخير وازدياد رقعته وأنصاره."فالواحد لابد أن يقسم في أجزاء كثيرة وبهذا يمكن بعدها أن تتحد الجزء في الكل. ويبدو تمزيق أوزيريس و أودنيسوس مخالفا لما حدث في أساطير أخرى فلم يسع هؤلاء الأبطال لحتفهم، بل قتلهم الأشرار، وهذا يتضمن تأكيدا على عظم حجم المعاناة في التضحيات العظيمة ."[28]وأوزيريس مثل أصحاب النزعة المثالية الحقيقية يرى أن الخير إنما يقصد لذاته فهو الهدف المطلق والغاية الأسمى :

ست : هأنذا قد أردت الدخول فأغلق دوني . أوزيريس : إن الخير يا أخي ينبغي أن يطلب لذاته ، لا أن يتخذ وسيلة لغرض آخر. فاعمل بوصيتي هذه لعلك يوما أن تصلح. [29]

ونجح باكثير في تصوير ثبات أوزيريس على مبدئه من خلال جمل حوارية قصيرة، ولكنها تنطق بالحزم والحسم،وتشي بوضوح رؤيته وحصانتها ضد التأثيرات الخارجية حتى لو كان مصدرها إيزيس.ومن هنا فإن غدر أخيه الشرير به لا ينال من هذه العقيدة ،فقد وضع ست أخاه الملك في تابوت ورماه في البحر للتخلص منه ،ولكن إيزيس الأسطورية تتمكن بتعاويذها وصلواتها من بعث الحياة في جسده، وتظن أنه بعد أن تأكد بنفسه من نوايا أخيه السيئة سيهب للانتقام منه والقضاء عليه،بيد أنها لا تظفر منه سوى بعبارات الترحم على حاله وحال أخيه (ياويلتاه ..أما بقي من عدل في الأرض .. لطفك يا إلهي بعبيدك ..أن حديثك هذا ليقطع قلبي ..)ويبدي أوزيريس حيال تحريض إيزيس له بالانتقام من أخيه صلابة المثاليين وثباتهم على مبدئهم فهم يرون ما لا يراه الآخرون."ويمثل أوزيريس هنا ذلك الصنف من الأبطال الذين لقوا التعذيب والإهانة من معاصريهم ، لكنهم حظوا بعد ذلك بالتبجيل والتقديس خلال العصور، ونظر إليهم على أنهم القادة الذين أخرجوا مجتمعاتهم من الفوضى إلى النظام،وأصبح ينظر إليهم بعد مرور تلك الفترات الزمنية البعيدة على أنهم معجزات إلهية تمكنت من نقل التضحية من أجل الذات إلى التضحية المقدسة من أجل الآخرين."[30]

و أدار باكثير الحوار بحرفية واقتدار أظهرت مثالية أوزيريس المتطرفة من وجهة نظر إيزيس الواقعية الواعية لخطورة ست وطبيعته الإجرامية، وكانت بالفعل في واد وزوجها في واد آخر، وعندما ضيقت الخناق عليه ناصحة إياه بقتال أخيه رأى أن الحل هو أن يترك الحكم له مقابل وعود من ست بترك الفساد والإفساد !

أوزيريس : أما من سبيل غير الحرب؟ إن الحرب شر مستطير يا إيزيس،وسيصلى بنارها كثيرون من هذا الشعب المسكين

إيزيس : شر لابد منه من ورائه الخير. أوزيريس : لعلنا نجد منها بدا يا إيزيس . إيزيس : كيف ؟ أوزيريس: سأبعث لأخي ست ليكف عن الظلم والفساد ويردع رجاله عنهما كما وعدني من قبل،فإن فعل تركته في الحكم إيزيس : عجبا لك يا حبيبي كيف تطمع في مثل هذا من ذلك المجرم ؟ إنه سيقهقه ضاحكا من رسالتك أوزيريس : أن لم يستجب لنصحي فسيكون لي معه شأن آخر . إيزيس : ذلك الشأن الآخر هو الذي سيكون ..فلا تضيع نصحك سدى ولا وقتك ...لن يجدي معه غير الحرب . أوزيريس : (بصوت حزين) إن لم يكن من الحرب بد فوا شقائي !(يستر وجهه بيديه كأنه يتقي رؤية أمر فظيع .) 31

وقد دفع موقفه هذا بعض الدارسين إلى القول إن أوزيريس اتسم بالسلبية على يد باكثير، يقول الدكتور الحجاجي:"يبدو دور أوزيريس دور الرجل السلبي الذي كان في مقدوره أن يمنع هذا الظلم،لكن طيبته تدفعه إلى ترك أخيه يقوم بأعماله الشريرة ويصبح الخير بالصورة التي يقدمها المؤلف هو الغفلة والعجز عن تحقيق العدالة."[32]ولكن أوزيريس المثالي الإصلاحي كان يحقق تلك العدالة على طريقته الخاصة ومن منظوره الذي يرى أنه كلما ازداد طغيان الشر كلما ازدادت التضحيات ،والتضحية العظيمة هي التي ستؤذن بالبعث العظيم وتجدد الحياة والأحياء.ولم يكن في مقدور باكثير أو غيره تقديم روح التضحية الأوزيريسة على نحو مغاير فهذا أمر في غاية الخطورة،ولكن الكاتب سجل إدانته المبطنة لموقف أوزيريس من أخيه عن طريق إيزيس ــ كما فعل الحكيم قبله ــ وإصرارها على الوقوف في وجه ست قبل أن يقضي على أوزيريس.ويصدق حدسها إذ ينقض ست وأعوانه على أوزيريس، ويتمكنون من قتله وتقطيعه إربا وتفريق أشلائه في أنحاء متفرقة حتى لا تتمكن إيزيس من جمعها وإنقاذه مرة أخرى.وموت أوزيريس بهذه الطريقة يعرضه إلى أشد أنواع العذاب والتضحيات،لكن تلك الأشلاء تنبت وتنمو في أماكن سقوطها وتزهر وتثمر خيرا وعطاء.وكان أوزيريس "البطل الذي يموت ليبعث في عالم أرحب والمجتمع الذي يتخلص من بطله الفاني ليجدد حياته بروح فتية روح الخير التي تمزق أو تدفن لتظل حية وتؤتى ثمارها الطيبة.ولكن في داخل هذا الشكل المستقر المحافظ كان المضمون يثور ويتجدد فحين شعر الإنسان بفرديته أصبحت تضحية الفرد فاجعة،وشجب المعنى الاجتماعي الكوني لهذه التضحية وهو تجديد حياة الجماعة وحياة الطبيعة.وبعد أن اكتشف الإنسان فكرة الخير والشر لم يسترح من القلق ولم يقبل أن يكون نصيب الملك الخير -إله الزرع ومعلم المدينة هو القتل

والتمزيق ، فحكم بهما على عدوه .....فالحكم بالخير والشر كما أسلفنا ثمرة من ثمار العقل الفردي الذي لم يعد ذائبا في الجماعة،وهذا هو الفرق بين الأعمال يقبل عليها الإنسان نتيجة لحكم خلقي باستحسانها وبين الأعمال التي يقبل عليها لأنها طقوس أو شعائر "[33]هذا ولا شك أن ست هو الآخر كان مثالا في الشر ؛ لأنه يجمع كل الموبقات والشرور فهو سكير عربيد وفاجر وزير نساء يراودهن جميعا لا يفرق بين السيدة والخادمة،بل إنه لا يجد حرجا وهو يسوق أخاه إلى الموت أن يغازل إيزيس ويظهر رغبته الآثمة فيها رغم سنها المتقدم ، وهي مبالغة غير مقبولة من الكاتب.لقد كان أوزيريس الشهيد الذي ضحي بنفسه من أجل خير بلاده والآخرين،فهو كالبذرة التي يؤدي دفنها في الأرض إلى بعث الخصب والحياة فيها.وبحسب الأسطورة المصرية واستثماراتها المتعددة يكون أوزيريس انتصر مرتين؛انتصر بنجاح مشروعاته الزراعية والإصلاحية،وانتصر بثبوته على مبدئه المتمثل في ترك مقارعة الشر بالشر، والعدول عن ذلك إلى محاولة استمالته وإصلاح فساده بجره إلى دائرة الإصلاح والبناء،وإذالم ينجح ذلك فإن الشر سيقضي على نفسه بنفسه باتساع دائرة الخير من حوله.

<u>حوريس على خطى والده:</u>

ويتجلى مبدأ أوزيريس في الثبات على هذه الرؤية المثالية للصراع بين الخير والشر في صورة ابنه حوريس الذي رغم انتصاره على عمه الشرير يرفض عقابه والانتقام لمقتل أبيه، ويعرض عليه التنازل عن حقه في حكم البلاد بعد أبيه لأن قتله لا يعني الخلاص من الشر أو الفساد

أصوات : أجل اقتله يامولانا وخلصنا من شره حوريس : ويحكم ليس خلاصكم في قتله وقتل أمثاله ، وإنما خلاصكم في نفوسكم وأيديكم ..إن قتله لن يفيدكم شيئا ولن ينقذكم من شر ما هو كائن في ضمير الغيب ....ألا إن في أرحام الأمهات لكثيرا من أمثال ست ومن أمثال أوزيريس ....فكونوا للخير أنصار ا يسد بينكم الأخيار ، ولا تكونوا للشر أعوانا فيسود فيكم الأشرار . تحوت : هذه حكمة أوزيريس قد نطق بها خليفته. [34]

ويترك باكثير الصراع مفتوحا،فهو صراع بين الخير والشر ممتد بامتداد الزمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.وتنتهي المسرحية ونحن نشعر باستمرار المعركة بين كل تلك الإطراف: بين إيزيس التي ترى أن الخير كل الخير هو في القضاء على ست وأعوانه فهذا هو الحل الأمثل لضمان استقرار المملكة وسعادة أفرادها،وبين المثاليين حوريس وتحوت معلمه

ومعلم والده من قبله.أما ست أو الشر فهو يمر بلحظة ضعف ومهادنة فيلوذ بالصمت.وكما فشلت إيزيس في إقناع أوزيريس بالتحول عن مبدئه وترك مثاليته المسالمة،كذلك تخفق مع ابنها حوريس الذي أثبت بالفعل أنه ابن أبيه،وتنتهي المسرحية بكلمات حوريس أو أوزيريس المثالي الصلب العنيد :

حوريس :كلا يا أماه لم يذهب دم أبي هدرا. لقد أراد هذا الشرير أن يمحو أوزيريس من الوجود فاغتاله وقطعه إربا إربا وفرق أشلاءه فإذا حكمة الرب تجعل من هذه المحنة نعمة على أوزيريس بخلود الذكر ، وعلى مصر بالنماء والازدهار ، إذ حلت بركة يلك الأشلاء على أرجاء الوادي فزادته خصبا على خصب . وكذلك حكمة الرب جل جلاله يخرج من الشر خيرا ، ومن الموت حياة ، ومن الظلام نورا. [35]

ولا شك أن من الأمور اللافتة في المسرحية الفاعلية الكبيرة وأهمية الدور المتنوع الذي قامت به إيزيس، مما يجعل من الأولى أن تسمى المسرحية باسمها،بينما كان أوزيريس يخطر في المسرحية بخفة كأنه طيف.ومثلت إيزيس كما ظهرت عند باكثير دور القوة اليقظة الواعية المؤمنة بوجوب التصدي للشر والوقوف في وجهه بكل الوسائل،وكانت بذلك تمثل وجها مقابلا لعقيدة أوزيريس المسالمة كم ظهرت في المسرحية.فهل كان ذلك يعد إدانة مبطنة من الكاتب لمنطق المهادنة الأوزيريسية ،خاصة أن المسرحية تنتهي دون أن يعاقب ست على أفعاله وهذا مخالف للأسطورة ؟ ومهما كان قصد الكاتب فإن هذا ينسجم مع الدلالة الرمزية لقطبي هذه الأسطورة الشهيرة .فقد اعتبر أوزيريس رمز قوة الخصب المنجبة بينما كانت إيزيس رمزا لقدرة استقبال تلك القوة و البذرة الإلهية و المحافظة عليها، أو كما رأى آخرون أنهما رمز لاتحاد الطبيعة وروحها.[36]بيد أنه لابد من الإشارة هنا إلى أن الأمور كانت محددة في المسرحية أكثر مما ينبغي رغم أن باكثير حافظ على القالب الأسطوري واعتمد عليه في بناء الحبكة والحدث والشخصية.

خاتمة :

لقد قدر للمسرحية أن تعيش مرحلة جديدة من عمرها على أيدي أصحاب الفلسفة المثالية الواقعية عندما التحمت الدراما الحديثة بقضايا مجتمعاتها وهمومها الخاصة وتمت مناقشة قضايا إنسانها في المساحة الممكنة بين الواقع والمثال.ومهما اختلفت توجهات أولئك المثاليين ،فإن تقديم الشخصية المثالية المتطرفة على خشبة المسرح يظل أمرا محفوفا بالمخاطر،ويحتاج قدرا من الفنية والرؤية المسرحية التي تحسن المراوغة في عرضها لمصداقية الروح الثائرة الثابتة على مبدئها، وتفنيدها ادعاءات

بعض المثاليين وتشددهم في اتجاه نحو أحادية الرأي والانتماء.لكننا من جهة أخرى لا نستطيع أن ننكر أن هذا التعصب للحق ـ كما يرونه ـ هو الذي صنع منهم أبطالا وشخصيات خالدة،لقد قدموا تضحيات عظيمة جعلت تصرفاتهم في أعين معاصريهم خاطئة وغير منطقية،وحملت مجتمعاتهم أوزارها. بيد أنها الثورة على السائد والمألوف ومحاولة تغيير المسار في صراع يتخذ له أسماء عدة وأشكالا مختلفة لكنه يتكشف في النهاية عن الصراع الأبدي بين الخير والشر. وتظل القضية الرئيسة التي تناقشها مسرحيتي باكثير (أخناتون ونفرتيتي) و(أوزيريس) عميقة الصلة بمرتكزات هاتين الأسطورتين الشهيرتين،والتي تمثلت في البحث عن الطريقة المثلى لمواجهة الشر والفساد.فقد اتخذ أخناتون طريق الحب والسلام ودعوة أعدائه بالحسنى وكتابة الرسائل واستبعاد المواجهة المسلحة وإسقاطها تماما من أجندته السياسية،وأدان باكثير على نحو غير مباشر هذه المثالية الأخناتونية والأيمان المطلق بالخيرية وقدرة الكلمة الطيبة والمحبة الأخوية الصادقة على استلال الحقد والضغينة،وتجلى ذلك في تعريض الدولة المصرية إلى التفكك والتدهور والسقوط.و لا شك أنه لم يكن من الصواب التغافل عن منطق القوة وضرورة الاحتكام إليها عند الضرورة ،لكنه كذلك لم يكن من الخطأ الاعتقاد بأن النفس الإنسانية إذا اشتد إيمانها وإخلاصها تصبح قادرة على العطاء ومغالبة شرورها وآفاتها.وإذا كان أخناتون لم ينتصر سياسيا،فإن روحه الإيجابية المسالمة المفعمة بالإيمان الصادق تركت بصماتها لتكون أحد مرتكزات الشخصية المصرية ونقاط قوتها وتمنحها ربما سرها الأعظم ،أما أوزيريس فإن قوة الرمز والدلالة التي يمثلها هذا البطل الأسطوري تجعل من المتعذر على باكثير أو غيره التدخل لاستثمار أي تعديل فيها.فأوزيريس هو رمز الخصب والنماء والقوة الدافعة للطبيعة،وتقوم خصوصيته على الثورة على الشر والفساد بانتهاج سبيل الإصلاح والبناء وتقديم التضحيات العظيمة التي ستكون السبب في البعث والنماء ،وهو انتصار للحياة والأحياء وبهذا يهزم الشر والموت ولا يتمكنان من تحقيق أهدافهما.وترك لإيزيس مواجهة الشرير ست بكل وسيلة ممكنة يمكن لها أن توقفه عند حده وتنال منه ،وتكاد تنجح في القضاء عليه لولا تدخل ابنها حوريس الذي يعتنق عقيدة أبيه في الإصلاح ويرى أن مواجهة الشر تكون بتوسيع دائرة الخير،أما هزيمة الموت فهي تتحقق بالتضحية والفداء التي ستؤذن بالبعث والتجدد والنماء.لقد كانت إدانة باكثير لأخناتون واضحة رغم تعاطفه معه وتقديره لشاعريته وأهدافه السامية،أما أوزيريس فقد وقف ضده ومعه في الوقت نفسه،ويبدو أن السبب يعود إلى المنهج الإسلامي الذي عرف

عن الكاتب احتكامه إليه والذي يؤمن بوجوب التصدي للشر والاستعداد لمجابهته، لكنه في الوقت نفسه يبارك يد السلم والمصالحة والبر الإحسان.

فهرس المراجع :

1- Peacock,Ronald."Drama and the Moral Connexion," In The Modern Language Review .Vol. 78, No. 4, Oct.(Modern Humanities Research Association ,1983). p. xxxii.

2- Farber, Marvin, ed . Philosophic Thought in France and The United States. (New York: Buffalo: NY , 1950). p.416.

3- عطية ، أحمد عبدالحليم. القيم في الواقعية الجديدة (القاهرة : دار الثقافة العربية 2008م) ص 36

4- الطويل ، توفيق .الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها (القاهرة : دار النهضة العربية)ص 396- 397

5- ماري إدن فيللبوتس (1896 – 1960) هي ابنة الكاتب البريطاني إدن فيللبوتس الروائي و الشاعر والمسرحي . تميزت مثل والدها بإنتاجها الغزير فلها أكثر من مائتين وخمسة وعشرين مؤلفا في الرواية والشعر والمسرح . ورغم أنها لم تحظى باهتمام النقاد فقد اتسمت كتاباتها بالإشراقة والجاذبية .

6-ترجم المسرحية إلى العربية الدكتور عبدالخالق محمود ولا يعرف تاريخ الترجمة ، ولكن باكثير كان يعرف الإنكليزية وهو متخصص في الأدب الإنجليزي .

7 - باكثير، علي أحمد . إخناتون ونفرتيتي (القاهرة : دار مصر للطباعة 1981م)ص 12

8- المرجع نفسه ، ص 120

9- أبو قحف ،محمد محمود .الفلسفة والحضارة : مدخل إلى التفكير الفلسفي والحضاري من العصور القديمة حتى الفلسفة الحديثة والمعاصرة (القاهرة : الغريبة 2006) ص 115

10- نابيس ، كارمن بوبيس. علامات العمل الدرامي، ترجمة خالد سالم (القاهرة : مركز الحضارة العربية 2003م) ص 103

11- عياد، شكري محمد . البطل في الأدب والأساطير (الجيزة : دار أصدقاء الكتاب للنشر والتوزيع 1997م) ص68-71

12- إخناتون ونفرتيتي ، ص 80

13_ المرجع نفسه ، ص97

14- Carlyle,Thomas.On Heroes and Hero Worship and the Heroic in History. (New York: Frederick A. Stokes & Brothe,1888).p.3

15- نيكول ، ألاردس . علم المسرحية ، ترجمة دريني خشبة (القاهرة : مكتبة الآداب) ص 159

16- Bradley, A. C. Shakespearean Tragedy.(New York: St. Martin's Press,1966). pp.18-20

17- صليحة ، نهاد .المسرح بين الفن والفكر .(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب 1986م) ص133
18- Lakich, John J. "The Ideal and Reality in The French Theater of The 192O'S"و In Modern Language Review.Vol.31.Issue1(New York: Binghamton,1970).p.71.
19- إخناتون ونفرتيتي ، ص112-113
20- المرجع نفسه ، ص 155
21- المرجع نفسه ، ص162
22- مهدي ، عقيل . في بنية العرض المسرحي (بغداد : مطبعة أسعد) ص34
23- المرجع نفسه ، ص144
24- المرجع نفسه ، ص163
25- بروكس ، كلينيث ، روائع التراجيديا في أدب الغرب ،ترجمة محمود السمرة (بيروت : مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر 1964) ص246
26- باكثير، علي أحمد . أوزيريس . (القاهرة : دار مصر للطباعة 1985م) ص 17 - 18
27-Laude, Patrick. Divine Play , Sacred Laughter, And Spiritual Understanding. (USA:Macmilian,2005).p.58
28- Wilhelm Friedrich Hegel, Georg. The philosophy of History. Translator J.Sibree (Ontario: Batoche Books,2001).p.228
29- أوزيريس ،ص 24
30-Kearney, Richard .Strangers. Gods and Monsters: Interpreting Otherness. (Taylor&Franc,2002).p.30.
31- أوزيريس ، ص 82-83
32- الحجاجي، أحمد شمس الدين. الأسطورة في المسرح المصري المعاصر 1933-1970.(القاهرة : دار المعارف 1984م) ص375
33- عياد ،شكري محمد .البطل في الأدب والأساطير ، ص 140
34- أوزيريس ، ص111
35- المرجع نفسه ، ص 112
36- Farber, Marvin, ed . Philosophic Thought in France and The United States. p.230.

خصائص النساء المهجورات و مشكلاتهن في الأردن

-دراسة حالة محافظة جرش **نموذجا**-

خصائص النساء المهجورات و مشكلاتهن في الأردن

-دراسة حالة محافظة جرش **نموذجا**-

الدكتور:علاء زهير الرواشده- أستاذ علم الاجتماع المساعد
الدكتوره: اسماء ربحي خليل العرب- أستاذ علم الاجتماع المساعد
الدكتور : عمر ربابعة – أستاذ الإدارة التربوية المساعد
جامعة البلقاء التطبيقية/ /قسم العلوم التربوية والاجتماعية

الملخص

تهدف الدراسة إلى معرفة أهم خصائص النساء المهجورات والمشكلات التي تعاني منها، سواء أكانت مشكلات اقتصاديه ،نفسيه واجتماعيه ،إضافة لمعرفة أهم أسباب الهجر و أهم الآثار الناتجة عنه. وتكون مجتمع الدراسة من جميع النساء المهجورات و المنتفعات من صندوق المعونة الوطنية في محافظة جرش، واعتمدت الاستبانة والمقابلة أداة لجمع المعلومات، وطبقت على عينة مسحية بلغ حجمها (40) امرأة مهجورة, وتوصلت الدراسة إلى أن هناك مشاكل اجتماعية تواجهها المرأة المهجورة إلا أنه ليس لها تأثير كبير في علاقاتها وتعاملها في مجتمعها إلى حد ما وهناك مشاكل اقتصاديه عديدة تعاني منها متمثله في تلبية المتطلبات الأساسية للأسرة تؤثر عليها إلى درجه كبيرة ومشكلات نفسيه لها الأثر الأكبر عليها وعلى أبنائها.وتوصلت الدراسة إلى مجموعه من التوصيات أهمها :توعية المجتمعات العربية الإسلامية بشكل عام والمجتمع الأردني بشكل خاص بمفهوم المرأة المهجورة وحقوقها الواجبة على مجتمعها تجاهها .و العناية التامة بقضايا المرأة بشكل عام والمرأة المهجورة بشكل خاص.

ABSTRACT

(Abandoned women (characteristics and problems))
In Jordan – Case study

Dr. Ala'a Al- Rawashdeh

This study aims to identify the problems and characteristics of abandoned women, whether economic problems, psychological, or social. Ones , in addition to identify the most important reasons and effects for abandon and . This study applied to all abandoned women beneficiaries of the National Aid Fund in the governorate of Jarash using the questionnaire , personal interview as tools to collect data and was applied on survey sample consisted of 40 abandoned women ,
One of the findings of the study that there are social problems facing women abandoned but it has no significant impact on the relations and dealings in their society to a certain extent and there are many economic problems suffered by abandoned women regarding securing the main needs for family which affects them greatly and psychological problems with greatest impact on them and on their children.

The study suggested a set of recommendations including:
1. Educate Muslim societies in general and Jordanian society, in particular regarding the concept of abandoned women and their rights and duties of their socites towards them .
2.Paying Full attention to women's issues in general and abandoned women in particular

ـ المقدمة

اهتم الإسلام بالأسرة وذلك لأن الأسرة هي اللبنة الأساسية في بقاء المجتمع وتماسكه حيث وضع القرآن الخطوط الرئيسية والقواعد الأساسية لمشروع الإصلاح الإنساني الشامل انطلاقاً من كونية هذا الدين وشموليته للكون والحياة والإنسان.
قال تعالى " والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة" (سورة النحل، 72)
وقوله تعالى " هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها"
(سورة الأعراف، 189)
بمثل هذا الأسلوب الهادئ والمناجاة القلبية الرقيقة تذوب كل الحساسيات وتختفي جميع التشنجات فتلين المواقف وتزول الحواجز المادية لتخاطب العقل والضمير والوجدان، ويحدث التفاعل المطلوب المفضي إلى التلاحم والانصهار في بوتقة الصفاء والود والإخلاص.
لذلك تمكنت المرأة من وضع قدميها على الطريق والإمساك إلى جانب الرجل بعجلة القيادة التي طالما تفرد بها وحده إلى مرفأ النجاة.
ولأن المرأة دورها كزوجة في أسرتها وهي النصف الثاني المكمل للحياة الزوجية فقد تتعرض إلى فقد زوجها بأي شكل من الأشكال، ونحن في هذه الدراسة نتعرض إلى الزوج الذي يهجر زوجته، ولهذا فإن بناء الأسرة كله إذا فقد إحدى عنصريه
(الزوج والزوجة) يتعرض إلى هزات عنيفة تؤدي بإحدى أركانه إلى مشاكل كان بغنى عنها خاصة إذا كان الزوج هو الذي يهجر زوجته ويتركها هي وأولادها في التخبط العشوائي ومواجهة المشاكل التي تتعرض لها بفقد زوجها ، سواء كانت مشاكل نفسية أو اقتصادية أو اجتماعية وغيرها من المشاكل، لتحولها إلى زوجة تعاني ما تعانيه من مشكلات من وحده وغربة وغير ذلك.
وقد جاءت هذه الدراسة للوقوف على أهم خصائص الزوجة المهجورة و المشكلات التي تعاني .

- **مشكلة الدراسة :**

تكمن مشكلة الدراسة في الكشف عن أهم خصائص الزوجة المهجورة و المشكلات
التي تعاني منها مثل المشكلات الاجتماعية و النفسية و الاقتصادية. اضافة لاسباب الهجر وآثاره.

- **أهداف الدراسة :**

تهدف هذه الدراسة في التعرف إلى ما يلي:

1. الخصائص الاجتماعية للنساء المهجورات.
2. التعرف على أهم المشكلات التي تعاني منها النساء المهجورات.
3. التعرف على أهم الآثار المترتبة على هجر الزوج لزوجته ومدى تأثيرها على أفراد الأسرة.
4. معرفة أهم الأسباب التي أدت إلى هجر الزوج زوجته وغيابه عن أسرته.
5. علاقة بعض الخصائص الاجتماعية للنساء المهجورات بمشكلاتهن

- **تساؤلات الدراسة : تأتي هذه الدراسة للإجابة عن التساؤلات التالية:**

- ما الخصائص الاجتماعية للنساء المهجورات؟
- ما أهم المشكلات التي تعاني منها النساء المهجورات.؟
- ما أهم الآثار المترتبة على هجر الزوج لزوجته ومدى تأثيرها على أفراد الأسرة.؟
- ما أهم الأسباب التي أدت إلى هجر الزوج زوجته وغيابه عن أسرته؟
- ما علاقة بعض الخصائص الاجتماعية للنساء المهجورات بمشكلاتهن ؟ وتحديدا:

1. هل هناك علاقة بين الوضع الاقتصادي للأسرة وسبب هجر الزوج لزوجته؟

2. هل هناك علاقة بين عمر الزوجة ومستواها التعليمي وهجر زوجها لها؟

3. هل هناك علاقة بين عدد أفراد الأسرة والمشاكل التي تعاني منها الزوجة المهجورة؟

*** أهمية الدراسة ومبرراتها :**

تنبع أهمية هذه الدراسة من اهتمامات علم الاجتماع المرأة و الخدمة الاجتماعية في مجال الأسرة . حيث للخدمة الاجتماعية دور كبير وفعال في دراسة أهم المشكلات التي تعترض المرأة ، وهذه الدراسة (النساء المهجورات) هي مشكلة من المشاكل التي تتعرض لها المرأة، حيث تتناول الخدمة الاجتماعية هذا الموضوع في المجال الأسري كون هذا الموضوع يمس الأسرة بالدرجة الأولى والمجتمع بالدرجة الثانية، و يتمثل دور الخدمة الاجتماعية في:-

1. تقديم النصح والمشورة لأسرة المرأة المهجورة.
2. مساعدة المرأة المهجورة وعائلتها على حل المشكلات التي تقف عائق في وجه سعادتهم.
3. عقد دورات تدريبية و توعية للنساء المهجورات والمجتمع الذي يعيشون فيه.

. كما أن حرمان المرأة من حقوقها في الرعاية يسبب لها العديد من المشكلات ، مما يدفعها للعزلة و الوحدة و الاكتئاب و الإحساس باليأس و القلق النفسي، وتنبع أهمية الدراسة من أن المرأة هي الفئة الأكثر أهمية في إعداد أبناء المجتمع نحو التغيير والتطور, وإن مشكلات المرأة – على اختلاف صورها – تعد ظاهرة علمية تعاني منها شتى المجتمعات البشرية ، كما أنها تشكل مصدر قلق واهتمام لدى الباحثين. ويوجد تفاوت كبير في معرفة المجتمعات للمرأة المهجورة وعلى الأخص المجتمع الأردني، حيث هناك جهل بمصطلح المرأة المهجورة ؛ من تكون هذه المرأة؟ وما هي المشكلات التي تعاني منها ؟.

علماً بأن هذه الدراسة على درجة عالية من الأهمية حيث أنها تدرس واقع المرأة المهجورة في المجتمع الأردني، وهي من أوائل الدراسات في ذات المجال. وهذه الدراسة لا يمكن تعميمها إلا على مجتمع الدراسة والمجتمعات المتشابهة.

و تظهر أهمية الدراسة ومبرراتها من خلال ثلاث محاور أساسية:-

1. **المحور الاجتماعي**:العمل على تغيير نظرة المجتمع المحلي للمرأة المهجورة والمحاولة على التقليل من النظرة الدونية لها وتحويلها إلى نظرة

تتناسب مع وضع المرأة وفهم الأسباب التي أدت إلى ذلك ومساعدتها بالدعم المعنوي على الأقل.

2. **المحور النفسي**:يشتمل على كيفية تعامل المرأة المهجورة مع المشاكل التي تمر فيها في تعاملها مع نفسها ومجتمعها والآخرين.

3. **المحور الاقتصادي**:يشمل التعرف على مصدر الدخل بعد الهجر وأثره على المرأة المهجورة وأفراد الأسرة.

- الإطار النظري للدراسة والدراسات السابقة.

- المقدمة:

الأسرة هي الوحدة البنائية للمجتمع وكل إنسان ينتمي إلى أسرة ما ، لأن الإنسان كائن اجتماعي يعيش أفراده في جماعات. والزواج هو بداية تكوين الأسرة ،حيث يرتبط رجل ما بإمرأة استيفاءً لاحتياجاتهم وغرائزهم. (كمال، 2005م، ص 7)

إن أخطر ما تعانيه الأسر هو التفكك الأسري، وأكبر أسبابه سوء الخلق والأدب بين الزوجين، لذا فلا يجوز لزوجة أن تسيء خلقها مع زوجها أو تسيء الأدب معه ، كما لا يجوز للزوج فعل ذلك ، ولا يجوز رد الإساءة بمثلها في الحياة الزوجية والأسرية ، وإلا أصبحت الحياة فيها حياة انتقام وثأر والله عز وجل يقول:

((ومن آيته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة)).

إن حسن الخلق والأدب بين الزوجين حو المحقق للمودة والمحبة والرحمة بينهما وبين ذريتهما ، فلاشك في ثبوت وجوبهما وجوباً حتمياً على المسلمين والمسلمات عموماً وعلى الزوجين خصوصاً. (العك، 2005م، ص 11-12)

ولا ينازع أحد في أهمية الدور الذي تلعبه الأسرة في المجتمع واللبنة الأساسية في صرح بنائه، ولا يكون هناك تطور في المجتمع إلا إذا كانت الأسرة سليمة متماسكة، يسود أفرادها الوئام والمودة والسلام وتفيض على أعضائها مشاعر الحب والرحمة ويتمتع كلا الأبوين بصحة جيدة عضوية ونفسية ويكون دخل الأسرة مناسباً يكفل لأفرادها حداً أدنى من الرخاء.

وللأسرة عدة مقومات يجب أن تتوافر فيها لتكون أسرة صالحة منها:

1. توفر مستوى معيشي وأسباب الاستقرار العائلي وذلك من حيث المأوى وموارد الدخل ونظام الأمن العام.

2. سلامة الأسرة من حيث الوراثة والصحة العامة والفضائل الأخلاقية.

3. اكتمال هيئة الأسرة من حيث وجود الأب والأم والأبناء ،وانعدام أي عنصر من هذه العناصر يضر بوحدة الأسرة ويقضي على الوظائف الطبيعية الاجتماعية التي كان يؤديها.

4. تكامل كيان الأسرة حيث توحد الاتجاهات والمواقف بين عناصرها وتوحد الأهداف في العمل والتضامن لإبعاد أي خطر يهدد كيان الأسرة. (الخشاب، 1966م، ص 96) .

والمرأة تعتبر أهم عناصر هذه الأسرة ، لذا وجب احترامها و حمايتها والمحافظة عليها من المشاكل والصعوبات التي تعترض طريقها أثناء مسيرتها في الحياة الزوجية و الأسرية .

ولعل من أهم هذه المشاكل التي يمكن أن تعطل مسيرة المرأة في الحياة الزوجية والأسرية ، والتي تعتبر من المشاكل المعاصرة في هذا الوقت والمنتشرة عند بعض الأسر في الوطن العربي، مشكلة (الهجر) أو (هجر الزوجة).

تعاني بعض النساء من مشكلة اجتماعية كبيرة تعرف بالتعليق أو الهجران من قبل الزوج، الذي يترك المرأة ويرحل إلى حيث يشاء، أي أنه يرحل إلى حياة جديدة أو يرحل إلى سكن مستقل وفي كل الأحوال يهجر المرأة مع أبنائها لتبقى هي والصغار يكابدون الحياة.

هجر الزوجة الذي قد يكون معنوياً أو مادياً، فقد يكون معنوياً عندما يتمثل في الإخلال بواجب الرعاية والتوجيه والتربية النفسية والعاطفية لأعضاء الأسرة وخاصة الزوجة.

وقد يكون مادياً يتمثل في الإخلال بواجب الإنفاق على الأسرة مما يعرض أمنها واستقرارها للخطر لعدم حصولها على متطلباتها الأساسية التي تكفل الاستقرار والدوام وتقع على عاتق الزوجة لتوفير تلك المتطلبات الأساسية كالمأكل والمسكن والعلاج وكافة المتطلبات الضرورية للمعيشة. (شكري، 1981م، ص 87)

والخلل في بناء الأسرة قد يكون نتيجة الطلاق أو الوفاة أو هجر الزوج لزوجته أو غياب أحد الزوجين عن المنزل بصورة دائمة. (كمال، 2005م، ص 37)

ونحن في دراستنا هذه حاولنا الكشف عن بعض الأسباب التي أدت لحدوث هذه
المشكلة والتعرف على المشكلات والآثار الناجمة والمترتبة عن الهجر مع محاولة الوصول إلى مقترحات وحلول لهذه المشكلة المعاصرة.

- **المفاهيم والمصطلحات النظرية:**

المشاكل الاجتماعية: هي التباين أو التناقض بين ما هو موجود في المجتمع وبين ما ترغب مجموعة هامة من هذا المجتمع بصورة جدية أن يكون به، ويتأثر هذا التناقض عن طريقين إما برفع المستويات التي تكون لها فاعلية وعمومية في المجتمع أو باستمرار انحطاط الظروف الاجتماعية التي تؤدي إلى زيادة هذا التناقض أو التباين. (خولي وآخرون، 2004م، ص 100)

المشاكل الأسرية: قد تعرف بأنها نقص في إشباع حاجات الأسرة مما يؤدي إلى أنماط من السلوك الخاطئ الذي يخالف حاجات المجتمع . (كمال، 2005م، ص 36) **ويمكن تعريفها أيضاً:** أنها حالة يعاني فيها أحد أفراد الأسرة أو الأسرة ككل من مشاكل قد تؤدي إلى ضعف بناء الأسرة وضعف أدائها لوظائفها . (رشوان،1997م، ص105).

الهجر: البعد أو الابتعاد أو الرحيل . (مكي، 2000م، ص 25)
الغائب: من غادر مكانه لسفر ولم يعد إليه وحياته معلومة. (علي، 2006م، ص 142)

النساء المهجورات:
هن أولئك الزوجات وبخاصة ذوات الأولاد، اللواتي ظلمهن وهجرهن مع أولادهن أقرب الناس إليهن (زوج هذه المرأة وأب هؤلاء الأولاد والبنات) حيث جعلها وجعلهم في آخر قائمته إن لم يكن أخرجهم من قائمته أصلاً. (المنيع،www.googel.com)

- **المشكلات الأسرية :**

لا يوجد فرد أو أسرة أو مجتمع في هذه الحياة إلا وله مشاكله .والمشكلات الأسرية متعددة ومتشابكة ، ولا ترجع إلى سبب واحد بل عدة أسباب وعوامل متداخلة ، ويمكن تصنيف هذه المشكلات الأسرية على النحو التالي:

1. مشكلات قبل الزواج:
ومنها سوء الاختيار الزوجي ، التفاوت وعدم التكافؤ بين الزوجين في الشخصية أو العمر أو في المستوى الاجتماعي.......الخ.
2. مشكلات أثناء الزواج:
ومنها مشكلات تنظيم الأسرة ، والانفصال(الطلاق)، أو تعدد الزوجات ، أو الهجران .
3. مشكلات بعد إنهاء الزواج:
مشكلة الطلاق وما يرافقه من مشكلات مثل(مشكلات الأطفال، والنفقة.... الخ)، والترمل، والعزوبة بعد الزواج(فهمي، 2004م، ص 114-115)

- **الآراء و المواقف من الهجر**

***التشريع الإسلامي:**

سبقت الشريعة الإسلامية القوانين الوضعية في حماية الأسرة من الناحية المادية فألزمت الزوج بالإنفاق على زوجته وأولاده الذين لم يبلغوا سن الرشد.

كما راعت الشريعة الإسلامية الزوجة معنوياً بتقدير حسن معاشرتها وعدم الاعتداء عليها أو على مالها أو مساكنتها والإخلاص لها وألزمت الزوج بذلك ويعد آثماً إذا قصر في كل ذلك.

إذا كان التشريع الإسلامي لم يضع نصاً خاصاً يعاقب على الهجر المالي والمعنوي للأسرة إلا أن القواعد العامة في التشريع الجنائي الإسلامي تعطي للحاكم_تفريد الجاني في غير الحالات المنصوص عليها شرعاً ، إذا كانت هناك مصلحة للمجتمع تبرر ذلك.

الحد المقرر شرعاً للغياب عن الزوجة في حدود أربعة أشهر ، فلا يجوز الزيادة عن هذا الحد إلا برضاها مع أمن الفتنة عليها وعلى الزوج إلا من أجبرته الضرورة على الغيبة الطويلة فإنه معذور إلى زوالها.

كما أن الشرائع الذمية تقرر وتأخذ بالقاعدة العامة بوجوب حماية الأسرة من ناحية

الاحتياجات المادية وإن كان البعض منها قد اعتبر الالتزام بالنفقة التزاماً تبادلياً. (عبد المقصود، 2003م، ص 112)

- **آراء الأئمة في قضية غيبة الزوج وهجره لزوجته**

1. ذهب الشافعية والحنابلة والحنفية في: [عدم التفريق للغيبة وذلك إذا كان له مال تنفق منه لأن غيبة الزوج لاتصلح سبباً يبنى علي التفريق] . (عبد السلام، 1981م، ص 37)

2. المالكية ذهبوا إلى أن :[المرأة إذا غاب زوجها عنها مدة كان لها طلب التفريق منه سواء كانت الغيبة لعذر أم لغير عذر لأن حقه في الوطء واجب مطلق عندهم] . (علي، 2006م، ص142)

***التشريع الفرنسي والبلجيكي:**
يعتبر التشريع الفرنسي والبلجيكي في مقدمة التشريعات الأوروبية التي حرمت هجر العائلة من ناحية مالية أو معنوية. (مكي، 2000م، ص 45)
* **في القانون الأردني** : يفرق بين الزوج وزوجته إذا تقدمت الزوجة بطلب التفريق، فيؤجل أربع سنوات من تاريخ الطلب إلى أن يتم البحث والتحري.
(طه،2002م، ص 84)

- **شروط التفريق جراء الهجر أو الغيبة**

أولاً: أن تكون غيبة طويلة ، وقد اختلف في مدتها:
ـ الحنابلة: إذا غاب الزوج عن زوجته مدة ستة أشهر فأكثر فلها طلب التفريق.
ـ المالكية: سنة فأكثر.
ثانياً: أن تخشى الزوجة على نفسها الضرر جراء هذه الغيبة والضرر هو خشية الوقوع في الزنا.
ثالثاً: أن تكون الغيبة لغير عذر.
رابعاً: أن يكتب القاضي إليه بالرجوع إليها أو نقلها إليه ،أو تطليقها منه، ويمهله
مدة مناسبة إذا كان له عنوان معروف. (علي،2006م، ص 145)
خامساًً: إذا غاب الزوج سنة فأكثر بلا عذر مقبول جاز لزوجته أن تطلب إلى القاضي الطلاق إذا تضررت من بعده ولو كان لها مال تنفق منه.
والمراد بالغيبة: غيبة الزوج عن زوجته بإقامته في بلد آخر غير الذي تعيش فيه الزوجة، وأما الغيبة عن بيت الزوجية وغيبته في بيت آخر في نفس البلد فهو من الأحوال التي تدخل في الضرر. (شلبي ، 1970م، ص90)
سادساً: إذا كان الزوج هجر زوجته ولمدة سنتين في ذات البلد الذي تقيم فيه الزوجة، وجب الطلاق وهذا مطبق في الكويت ومصر كما ورد في القوانين الخاصة لكل من البلدين. (منصور،1997م، ص 276)
*في هجر الزوجة هناك حق للقاضي أن يفرق بينهما، إذا زادت مدة الغياب عن سنة فأكثر فيتولى القاضي ذلك، بطلب من الزوجة بسبب الغيبة إذا كان

هناك أي ضرر نفسي أو اقتصادي يلحق بالمرأة وتقدم الحالات التي يلجأ لها القاضي للطلاق. (سالم ، 1997م، ص 256)

- **الأسباب التي تؤدي إلى هجر الزوج لزوجته:**

هناك أسباب كثيرة تؤدي إلى هجر الزوج لزوجته ،فقد تعطي اهتماماً لعملها وتصرف نظرها عن واجباتها تجاه زوجها وعدم الاهتمام به.حيث تكون العلاقة فيما بينهما علاقة روتينية يقتضي عمل ثلاث وجبات في اليوم والقيام بالواجبات البيتية الأخرى.و تصل إلى العلاقة الجنسية فيما بينهما حيث أمراً لابد منه لإنجاب الأطفال أو لإشباع شهوة غريزية مجرده هذه العلاقة من أي حميمة أو مودة في هذه العلاقة. (الحرستاني وآخرون، 1987م،ص 36)

في بعض الحالات قد تلجأ الزوجة إلى هجر زوجها ويتوجب على الإسلام حمايتها وهو في حال دخولها دين الإسلام وهجرها لأبنائها وزوجها فقد أمر الله عز وجل بحمايتها ونصرها والوقوف بجانبها وتقديم حياة كريمة لها قال تعالى:

" يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن " (الممتحنة ،آية 10)

و من هنا تجب حمايتها ومناصرتها وتمكينها من زواج شرعي جديد وبصداق جديد وهذه الرعاية لم يحصل عليها الرجل في القرن العشرين. (عمر، 1998م، ص22)

وقد وجد أن هناك علاقة قوية بين الرجل والمرأة في الثقافة الريفية ، فالمرأة الريفية ضعيفة بوجه عام (مكسورة الجناح) على حد قولهم تابعة لا حول لها ولاقوه ،مقابل الرجل الذي تعطيه تلك الثقافة السيطرة والحرية فهو السيد وكل شيء في حياة المرأة ولا تكتسب قيمتها الاجتماعية إلا من خلاله ولا يقيمها الناس إلا بعلاقتها به، لكن حين يتخلل التفكك نتيجة هجر الزوج لزوجته لأسباب اقتصادية وعدم مقدرته على الإنفاق أو لجانب معنوي يتعلق بعلاقتهم معاً تاركاً المرأة في حال لا تحسد عليه تفقد قيمتها الاجتماعية. (حسن،2003م،ص 53)

ـ الدراسات السابقة :

تم الاطلاع على مجموعة من الدراسات الاجتماعية التي لها علاقة بموضوع النساء المهجورات و وجد أن هناك إجماع على أن المرأة

المهجورة تعاني من مشاكل كثيرة جراء هجر الزوج لها وأن أكثر المشاكل تأثيراً عليها هي المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والنفسية ،وتبين أن أكثر الأسباب التي تدعو الرجل إلى هجر زوجته الفقر وعدم القدرة على تلبية المتطلبات الأساسية للأسرة ليجد في هجر زوجته سبيلاً للهرب من هذه المتطلبات مخلفاً ورائه زوجته وأبنائه يعانون الكثير من المشاكل .وكذلك عدم مقدرتها هي على تلبية تلك المتطلبات بعد غياب الزوج بسبب عدم توفر الدخل الكافي الذي تعيش منه وأبنائها وعدم توفر المساعدات من الجهات الأخرى ممثلة بالمساعدات المقدمة من الأهل والمجتمع .وفيما يلي عرض لأهم الدراسات :

1- أجرى محمود جميل الربيع دراسة بعنوان **(هجر الزوجة بين الفقه والقانون) 2005م** . تحدث فيها عن ظاهرة الهجر حيث يعد من أخطر الآفات التي تهدد ترابط الأسرة وبالتالي التأثير على المجتمع بأكمل وقيام الزوج بهجر زوجته يتنافى مع الإحصان الذي يعد من أهم مقاصد الزواج ويؤثر عليه بشكل سلبي .وتحدثت الدراسة عن الأحكام الشرعية المتعلقة بهجر الزوجة وبينت مفهومه وقوانين الأحوال الشخصية في بعض البلاد العربية وبينت ضوابطه من حيث الكيفية والمدة والمكان، كما وتحدثت الدراسة عن أهم الأسباب التي تدفع الزوج إلى هجر زوجته وعن كيفية علاج هذه الأسباب.

وتحدثت عن أهم الفروق بين الهجر والغيبة والفقد، وكما بينت الدراسة الحكم الشرعي جواز التفريق بين الزوجين والهجر، ورأي قوانين الأحوال الشخصية في ذلك وأهم الإجراءات المتبعة في المحاكم الشرعية في المملكة الأردنية الهاشمية عند رفع دعوة تفريق للهجر لديها.

2- أجرى علي محمود زقيلي دراسة بعنوان**(التفريق بين الزوجين لغيبة الزوج)2003م**، حيث تعالج هذه الدراسة مشكلة غيبة الزوج عن زوجته مدة طويلة دون أن يترك عنواناً له فينجم عنه ضرر كبير بالزوجة وآثار غير محمودة على الأسرة والمجتمع كما يتحدث الباحث في دراسته عن دور الفقه الإسلامي في معالجة هذه المشكلة حفاظاً على استقرار الأسرة ورعاية مصالح المجتمع وإزالة الضرر وسدّ أبواب الفساد.وكانت من أهم نتائج هذه الدراسة :

1. التفريق بين الزوجين للغيبة: هو حق شرعي تفريقي أعطي للزوجة قضاء لضرر يلحقها من غياب زوجه.

2. يجوز للزوجة أن تطلب التفريق بسبب غيبة زوجها عنها، لأن ذلك يتفق مع مقاصد الشريعة وسياسة التشريع التي تدعو إلى إزالة الضرر ودفعه ، وهو ما أخذ به قانون الأحوال الشخصية الأردني.

3. لم يفرق القانون الأردني بين مفهوم الهجرة والغيبة كما هو رأي القانون المصري، لأن كل غيبة إضرار،وليس كل إضرار غيبة، إذ أن الإضرار قد يأتي في صورة عدم الإنفاق أو الشقاق أو الزواج بأخرى أو الغيبة بغير عذر مقبول.

3- أجرت سوسن محمد العليوي دراسة بعنوان(**أثر هجرة الزوج على الأسرة) 2001 م.** هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على الخصائص الديمغرافية والاجتماعية لمجتمع الدراسة بالإضافة إلى التعرف على أثر هجرة الزوج على كل من:

1. دور ومكانة الزوجة. 2. تربية وتعليم الأبناء.
3.العلاقات الاجتماعية. 4. ممتلكات الأسرة واستثماراتها.

ومن أهم النتائج التي خلصت إليها هذه الدراسة أن متوسط أعمار الأزواج المهاجرين وقت إجراء الدراسة قد بلغ (42.68) سنة وبلغ متوسط مدة الحياة الزوجية للأزواج المهاجرين (16.31) سنة.

كما أظهرت الدراسة بأن هجرة الزوج قد عملت على:

1. زيادة أدوار المرأة ومكانتها.
2. إفراز آثار سلبية على تربية وتعليم الأبناء.
3. تمتين العلاقات الاجتماعية للأسرة مع الأقارب بشكل خاص (أهل الزوج وأهل الزوجة).

4- قام حسين فرحان رمزون بدراسة عنوانها(**التغيرات الاجتماعية والأسرية الناجمة عن هجرة العمال الأردنيين إلى دول الخليج العربي)1997م،** بحثت هذه الدراسة في حقيقة مؤداها أن هجرة ربّ الأسرة للعمل في دول الخليج العربي دون اصطحاب الأسرة، يترتب عليها تغيرات اجتماعية وأسرية عميقة، خاصة فيما يتعلق بالأدوار التقليدية لأفراد الأسرة وما ينجم عن ذلك من اضطرابات في البناء الاجتماعي لأسرة المغترب قد تغيب عن ذهن المغترب أو يقلل من أهميتها وأن غياب ربّ الأسرة للعمل يعني غياب عماد الأسرة وبالتالي اضطراب علاقات الأسرة الداخلية والخارجية وزيادة عرضة أسر المغتربين للمعاناة من العزلة وعدم التعاون مع الجيران والأصدقاء، في مناطق سكناهم.

5- أجرى علي الزغل دراسة بعنوان(**الآثار الاجتماعية لهجرة الزوج الريفي، منفرداً عن عائلته) 1990 م.** حيث هدفت هذه الدراسة إلى التعرف

على بعض الآثار الاجتماعية لهجرة الزوج الريفي منفرداً للعمل خارج الأردن، كما تراها زوجته على العلاقات الزوجية، والسلوك العام للأطفال وتحصيلهم التعليمي وعلاقاتهم مع أقاربهم و الآخرين. وقد شملت الدراسة(216) زوجة مهاجر و (232) زوجة غير مهاجر ريفي من سبع قرى في شمال غرب اربد، اختيرت قراهم على أساس العينة الطبقية العشوائية لتمثل القرى ذات الحجم الكبير والمتوسط والحجم الصغير.
وقد أظهرت نتائج الدراسة أن الآثار الاجتماعية لهجرة الزوج الريفي،منفرداً للعمل خارج الأردن، على العلاقات الزوجية، والسلوك العام والتحصيل التعليمي لأطفاله كانت سلبية إلى حدّ كبير، لاسيما على الأطفال الذكور،ولم يؤثر عامل الدخل على هذه العلاقة.
8- في دراسة اخرى لعلي الزغل بعنوان(**أثر هجرة الزوج للعمل خارج الأردن على بنية السلطة في الأسرة الريفية الأردنية)1989م**، هدفت إلى الكشف عن اثر غياب الزوج المهاجر للعمل خارج الأردن ،على سلطة زوجته في بنية الأسرة ، وخاصة في مجال تأديب الأطفال من عمر 6- 12 سنة فأكثر ، هذه الزوجة قد تعرضت لخبرات ومواقف ومسؤوليات إضافية ألقيت على عاتقها وعليها أن تتصرف في ظلها مع عائلتها.ودلت النتائج على أن زوجات المهاجرين قد حققن اكبر الانتصارات في زيادة سلطاتهن في تأديب أطفالهن.وقد خلصت الدراسة إلى أن غياب الزوج المهاجر، كانت أهم العوامل وراء زيادة سلطة زوجة المهاجر في بنية الأسرة فيها.
9- أجرى علي الزغل دراسة ميدانية بعنوان(**هجرة الأردنيين الريفيين الحاليين للعمل في الخارج)1988م**، حيت تحدثت عن أهم الأسباب التي تدعوا إلى هجرتهم وآثار هذه الهجرة على الزوجة والأطفال ،وتبين أن أهم سبب كان هو السبب المادي الذي يدعوهم إلى الهجرة والابتعاد وأن الزوجة تكون في البداية أكبر داعم ومشجع لكن بعد هجرته وابتعاده وانقطاع أخباره ، تبدأ الزوجة بوضع وسائط الرجوع الزوج بعد الآثار التي ترتبت نتيجة غياب الزوج وانقطاع صلاتهم بالمجتمع المحيط بهم وميلهم للعزلة.

- منهجية الدراسة وإجراءاتها:

- **مجتمع الدراسة :**

تم استخدام منهج المسح الاجتماعي لتحقيق أهداف الدراسة حيث اشتمل مجتمع الدراسة على جميع النساء المهجورات المنتفعات من صندوق المعونة الوطنية في محافظة جرش، والبالغ عددهن (40) ، حسب إحصائية مديرية التنمية الاجتماعية سنة(2008).

- **عينة الدراسة:**

تم تطبيق الدراسة على (30) امرأة مهجورة منتفعة من صندوق المعونة الوطنية، في حين سيتم اختبار ثبات الأداة على (10) نساء .

- **أداة الدراسة :**

تم اعتماد الاستبيان كأداة لجمع البيانات اللازمة من أفراد العينة للتعرف على الخصائص والآثار النفسية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية للمرأة المهجورة

بالإضافة إلى استخدام أسلوب المقابلة الشخصية.وذلك بعد الإطلاع على عدد من الدراسات السابقة، حيث قام الباحث بتصميم استبانة مكونة من اربعة أجزاء تتناسب و إغراض هذا النوع من الدراسات. و اشتملت على:

- الجزء الأول : وتضمن البيانات الشخصية والاجتماعية للنساء المهجورات من خلال تسع متغيرات.

- الجزء الثاني : ويتضمن دراسة المشكلات الاجتماعية و الاقتصادية و النفسية الناتجة عن الهجر من خلال اثنين وعشرين مؤشرا على مقياس ثلاثي(نعم، لا ، احيانا).

-الجزء الثالث :و أشتمل على دراسة اثأر الهجر من خلال تسعة مؤشرات على مقياس ثلاثي(نعم، لا ، احيانا).

- الجزء الرابع: وأشتمل على دراسة أسباب الهجر من خلال سبعة مؤشرات على مقياس ثنائي(نعم، لا) .

وتم جمع البيانات في الفترة الواقعة بين 2008/7/10-2008/11/05 م، وسجلت صعوبة كبيرة في أثناء أجراء الدراسة نظرا لرفض العديد من المبحوثين الإجابة على فقرات الاستبانة. وقد استغرق العمل مدة أربعة أشهر،وتجدر الإشارة إلى أننا قد حصلنا على موافقة رسمية من قبل مديرية التنمية الاجتماعية لتسهيل المهمة ,حتى تأخذ الدراسة الطابع الرسمي متزامنا مع العمل الأكاديمي.

- **صدق الأداة :**

للتحقق من صدق الأداة تم عرض الاستبيان على عدد من المحكمين من ذوي الاختصاص ، وتم إجراء التعديل اللازم للاستبيان بعد الأخذ بآراء المحكمين ووجهات نظرهم وأخذها بعين الاعتبار.

- **ثبات الأداة:**

لإيجاد ثبات الأداة تم تطبيقها على عينة تجريبية مكونة من (10) نساء مهجورات، ومعرفة معامل الثبات للاستبيان للتأكد من قبولها إحصائياً بحيث

تم توزيعها على مرتين بينهما فاصل زمني مقداره أسبوعان.وتم استخدام معادلة
كرومباخ ألفا حيث كانت نسبة الثبات (0,72) وهي نسبة مقبولة .

- **أسلوب التحليل الإحصائي (المعالجة الإحصائية) :**

تم معالجة البيانات باستخدام برنامج التحليل الإحصائي **(spss)** ، وذلك لإيجاد الوسط الحسابي والانحرافات المعيارية ،والنسب المئوية، . وكاي تربيع. للبحث في العلاقات بين متغيرات الدراسة.

عرض النتائج وتحليلها:

فيما يلي عرض نتائج الدراسة الهادفة إلى معرفة أسباب الهجر و خصائص النساء المهجورات، كما يتضمن وصف للمتغيرات الشخصية لأفراد عينة الدراسة من النساء المهجورات مثل العمر، المستوى التعليمي، الدخل الشهري، مكان الإقامة، صفة البيت، الديانة، الوضع المهني، مدة الهجر، معرفة أي معلومات عن مكان الزوج الذي ذهب إليه كما في الجدول رقم (1). وقد تم استخدام برنامج (SPSS) للتحليل الإحصائي لاستخراج التكرارات والنسب المئوية وقيم كاي تربيع لجميع فقرات الاستبانة والمجموع الكلي لهما، واستخراج التكرارات والنسب المئوية للمتغيرات الشخصية لأفراد عينة الدراسة. وفيما يلي عرض النتائج :

المحور الاول : الخصائص والمتغيرات الاجتماعية

- العمر:

يظهر من الجدول رقم (1) أن أعلى تكرار للأعمار التي تتراوح ما بين 40-49 سنة بلغ (13) بنسبة مئوية بلغت (43.3%)، والأعمار من 30-39 سنة بلغ التكرار لها (7) بنسبة مئوية بلغت (33.3%)، وأقل تكرار للأعمار (18-29) سنة و (50 فأكثر) بلغ (5) بنسبة مئوية متساوية بلغت (16.7%).

- المستوى الدراسي:

يظهر من الجدول رقم (1) أن أعلى تكرار للمستوى الأساسي بلغ (8) وبنسبة مئوية بلغت (26.7)، والمستوى الأمي بلغ التكرار له (6) بنسبة مئوية بلغت (20%)، والمستويين الإعدادي والثانوي بلغ التكرار لهما (5) والنسبة المئوية بلغت (16.7%) بشكل متساوي، وأقل تكرار بلغ (3) للمستويين الدبلوم والجامعي بنسبة مئوية بلغت (10%).

- الدخل الشهري:

يظهر من الجدول رقم (1) أن أعلى تكرار بلغ(18) للدخل الشهري (150-300 دينار) بنسبة مئوية بلغت (60%)، والدخل (150-200دينار) بلغ

التكرار له (11) والنسبة المئوية بلغت (36.7%)، وأقل تكرار بلغ (1) للدخل 251-300 دينار بنسبة مئوية بلغت (3.3%).

- مكان الاقامة:

يظهر من الجدول رقم (1) أن أعلى تكرار بلغ(17) للقرية بنسبة مئوية بلغت (56.7%)، المدينة بلغ التكرار لها (11) والنسبة المئوية بلغت (36.7%)، وأقل تكرار بلغ (2) للمخيم بنسبة مئوية بلغت (6.7%).

- نوع السكن:

يظهر من الجدول رقم (1) أن أعلى تكرار بلغ(20) لبيت الإيجار بنسبة مئوية بلغت (66.7%)، والملك بلغ التكرار له (10) والنسبة المئوية بلغت (33.3%).

الديانة:

يظهر من الجدول رقم (1) أن أعلى تكرار بلغ(30) لديانة الإسلام بنسبة مئوية بلغت (100%). وبالتالي فإن جميع عينة الدراسة كانت ديانتهن الإسلام.

- الوضع المهني:

يظهر من الجدول رقم (1) أن أعلى تكرار بلغ(25) للأشخاص الذين لا يعملون بنسبة مئوية بلغت (83.3%)، المدينة بلغ التكرار لها (5) والنسبة المئوية بلغت (16.7%).

- مدة الهجر:

يظهر من الجدول رقم (1) أن أعلى تكرار بلغ (13) بنسبة مئوية بلغت (43.3%) للمدة ما بين 6-10سنوات ،والمدة الأقل من 6 سنوات بلغ التكرار لها (10) والنسبة المئوية بلغت (33.3%)، والمدة أكثر من 15 سنة بلغ التكرار لها (4) والنسبة المئوية (13.3)، وأقل تكرار بلغ (3) للمدة مابين 11-15 سنة بنسبة مئوية بلغت (10%).

- عدد أفراد العائلة:

يظهر من الجدول رقم (1) أن أعلى نسبة مئوية بلغت لعدد أفراد العائلة أقل من 5 أفراد (56.7%)، ثم بلغت النسبة المئوية لعدد أفراد الأسرة من 5-8 أفراد (33.3%)، بينما بلغت أدنى نسبة مئوية لعدد أفراد الأسرة أكثر من 8 أفراد (10%).

- معرفة مكان الزوج:

يظهر من الجدول رقم (1) أن أعلى نسبة مئوية للنساء المهجورات اللواتي لا يعرفن عن مكان الزوج (70%)، واللواتي يعرفن عن مكان الزوج (30%).

جدول رقم(1)
توزيع أفراد العينة حسب الخصائص الاجتماعية وبعض المتغيرات

العمر	**التكرار**	**النسبة المئوية**
18-29 سنة	5	%16.7
30-39 سنة	7	%23.3
40-49 سنة	13	%43.3
50 سنة فأكثر	5	%16.7
المجموع	30	%100
المستوى التعليمي	**التكرار**	**النسبة المئوية**
أمي	6	%20
أساسي	8	%26.7
إعدادي	5	%16.7
ثانوي	5	%16.7
دبلوم	3	%10
جامعي	3	%10
المجموع	30	%100
الدخل الشهري	**التكرار**	**النسبة المئوية**
أقل من 150 دينار	18	%60
150-200 ينار	11	%36.7
251-300 دينار	1	%3.3
المجموع	30	%100

مكان الإقامة	**التكرار**	**النسبة المئوية**
مدينة	11	%36.7
قرية	17	%56.7
مخيم	2	%6.7
المجموع	30	%100

نوع السكن	**التكرار**	**النسبة المئوية**
ملك	10	%33.3
إيجار	20	%66.7
المجموع	30	%100
الديانة	**التكرار**	**النسبة المئوية**
مسلم	30	%100
مسيحي	-	-
المجموع	30	%100
الوظيفة	**التكرار**	**النسبة المئوية**
يعمل	5	%16.7
لا يعمل	25	%83.3
المجموع	30	%100

مدة الهجر	**التكرار**	**النسبة المئوية**
أقل من 6سنوات	10	%33.3
6-10سنوات	13	%43.3
11-15سنة	3	%10
أكثر من 15سنة	4	%13.3
المجموع	30	%100

عدد أفراد العائلة	التكرار	النسبة المئوية
أقل من 5 أفراد	17	%56.7
من 5-8 أفراد	10	%33.3
أكثر من 8 أفراد	3	%10
المجموع	30	%100

معرفة مكان الزوج	**التكرار**	**النسبة المئوية**
نعم	9	%30
لا	21	%70
المجموع	30	%100

المحور االثاني: أهم المشكلات التي تعاني منها النساء المهجورات.

1- أهم المشكلات الاجتماعية:

يظهر من الجدول رقم (2) ما يلي:

1. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (4.20) وهي قيمة غير دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.12)، للتساؤل " هل هناك صعوبة في بناء علاقات اجتماعية؟". وهي تدل على عدم وجود المشاكل الاجتماعية لأثر هجرة الزوج ، حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة نعم (11%) وللإجابة (لا) (14%) وللإجابة (أحيانا) (5%).
2. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (12.60) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " هل تواجهين مشاكل في علاقتك مع الجيران؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (4%) وللإجابة (لا) (19%) وللإجابة (أحيانا) (7%)، وبالتالي لا يوجد مشاكل مع الجيران بسبب هجرة الزوج.
3. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (1.00) وهي قيمة غير دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (1.00)، للتساؤل " هل تواجهين صعوبة في التعامل مع المجتمع المحلي المحيط بك (الجيران/ أهل الزوج/ مكان العمل/ ....)؟". وهي تدل على عدم وجود المشاكل الاجتماعية لأثر هجرة الزوج ، حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة نعم (33.3%) وللإجابة (لا) (33.3%) وللإجابة (أحيانا) (33.3%).
4. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (10.40) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " هل تشاركين بحرية في المناسبات الاجتماعية؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (53.3%) وللإجابة (لا) (6.7%) وللإجابة (أحيانا) (40%)، وبالتالي يوجد للمرأة الحرية في المشاركة في المناسبات الاجتماعية.
5. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (12.60) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " هل يتدخل أقارب الزوج في تربية أبنائك؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (23.3%) وللإجابة (لا) (63.3%) وللإجابة (أحيانا) (13.3%)، وبالتالي لا يتدخل أقارب الزوج بالمرأة.
6. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (12.60) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " هل يتدخل أقارب الزوج في تربية أبنائك؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (13.3%) وللإجابة (لا)

(63.3%) وللإجابة (أحيانا) (23.3%)، وبالتالي لا يتدخل الأهالي في تربية الأبناء.

7. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (9.80) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " هل يعتبر الابن الأكبر نفسه مكان أبيه؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (56.7%) وللإجابة (لا) (33.3%) وللإجابة (أحيانا) (10.0%)، وبالتالي يعتبر الابن الأكبر نفسه مكان الأب.

التساؤلات	الإجابة	التكرار	النسبة المئوية	قيمة كاي	الدلالة الإحصائية
هل هناك صعوبة في بناء علاقات اجتماعية؟	نعم	11	%36.7	4.20	0.12
	لا	14	%46.7		
	أحيانا	5	%16.7		
هل تواجهين مشاكل في علاقتكِ مع الجيران؟	نعم	4	%13.3	12.60	0.00
	لا	19	%63.3		
	أحيانا	7	%23.3		
هل تواجهين صعوبة في التعامل مع المجتمع المحلي المحيط بكِ (الجيران/ أهل الزوج/ مكان العمل/ ....)	نعم	10	%33.3	0.00	1.00
	لا	10	%33.3		
	أحيانا	10	%33.3		
هل تشاركين بحرية في المناسبات الاجتماعية؟	نعم	16	%53.3	10.40	0.00
	لا	2	%6.7		
	أحيانا	12	%40		

هل يتدخل أقارب الزوج في تربية أبنائكِ؟	نعم	7	%23.3	12.60	0.00
	لا	19	%63.3		
	أحيانا	4	%13.3		
هل يتدخل أهلكِ في تربية أبنائكِ ؟	نعم	4	%13.3	12.6	0.00
	لا	19	%63.3		
	أحيانا	7	%23.3		
هل يعتبر الابن الأكبر نفسه مكان أبيه؟	نعم	17	%56.7	9.80	0.00
	لا	10	%33.3		
	أحيانا	3	%10		
هل تواجهين مشاكل (اجتماعية/ اقتصادية) مع أبنائكِ بعد غياب الزوج؟	نعم	26	%86.7	38.4	0.00
	لا	2	%6.7		
	أحيانا	2	%6.7		
هل تتحدثين مع أولادكِ (ذكور/ إناث) في أمورهم الخاصة؟	نعم	19	%63.3	12.60	0.00
	لا	4	%13.3		
	أحيانا	7	%23.3		

8. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (38.4) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " هل تواجهين مشاكل (اجتماعية/ اقتصادية) مع أبنائك بعد غياب الزوج؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (86.7%) وللإجابة (لا) (6.7%) وللإجابة (أحيانا) (6.7%)، وبالتالي يوجد مشاكل اجتماعية واقتصادية مع الأبناء بعد غياب الأب.

9. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (38.4) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " هل تتحدثين مع أولادك (ذكور/ إناث) في أمورهم ؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (63.3%) وللإجابة (لا) (13.3%) وللإجابة (أحيانا) (23.3%)، وبالتالي لا يوجد حوار بين المرأة المهجورة والأبناء.وبلغت قيمة Chi- Square الكلية لمجال محور المشاكل الاجتماعية 16.40 وهي قيمة غير دالة إحصائيا حيث بلغت الدلالة الإحصائية (0.12). إذا لا يوجد أثر للمحور الاجتماعي بدرجة كبيرة.جدول رقم(2)

التكرارات والنسب المئوية وقيمة Chi-Square والدلالة الإحصائية لمدى تأثير الهجر على محور المشاكل الاجتماعية
قيمة Chi- Square الكلية = 16.40 الدلالة الإحصائية لقيمة Chi- Square الكلية = 0.12

2- اهم المشكلات الاقتصادية:

يظهر من الجدول رقم (3) أن قيمة Chi- Square لمعظم الفقرات دالة إحصائيا، وكانت الفروق لصالح الإجابة نعم حيث كانت أغلب التكرارات للإجابة (نعم) أكبر منها للإجابة (لا) مما يشير إلى موافقة أفراد عينة الدراسة على جميع التساؤلات الواردة سابقا. ما عدا على التساؤلين التاليين : (هل تقبلين أية معونة لك من خارج العائلة)حيث بلغت قيمة Chi-Square (2.60) بدلالة إحصائية (0.27)،وهي غير دالة إحصائيا. وبالتالي لا توجد قبول للمعونات المقدمة لأسرة العينة.
وسؤال(هل يساعدكِ أهل الزوج في مصروف الأبناء) لقد بلغت قيمة Chi- Square 20,60 وهي دالة إحصائياً و بدلالة إحصائية (0,00) ولقد كانت لصالح الإجابة (لا) (70,0%) بينما بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (26,7) ، إذاً أهل الزوج لا يساعدوا الزوجة في مصروف الأبناء.
بلغت قيمة Chi- Square (20.86) بدلالة إحصائية (0.00) لمجال محور المشاكل الاقتصادية التي تعاني منها الزوجة وهي قيمة دالة إحصائيا. وبالتالي يكون أثر المشاكل الاقتصادية على المرأة المهجورة كبير جدا.

جدول رقم(3)

التكرارات والنسب المئوية وقيمة Chi-Square والدلالة الإحصائية لمدى تأثير الهجر على محور المشاكل الاقتصادية

التساؤلات	الإجابة	التكرار	النسبة المئوية	قيمة كاي	الدلالة الإحصائية
هل هناك ديوان تراكمت عليكم بعد هجر الزوج؟	نعم	27	%90	19.20	0.00
	لا	3	%10		
	أحيانا	-	-		
هل تعانين من تأمين بعض متطلبات العائلة؟	نعم	26	%86.7	38.40	0.00
	لا	2	%6.7		
	أحيانا	2	%6.7		
هل يساعدكِ أهل الزوج في مصروف الأبناء ؟	نعم	8	%26,7	20,60	0,00
	لا	21	%70,0		
	أحيانا	1	%3,3		
هل يساعدك أهلك في مصروف الأبناء؟	نعم	2	%36.7	19.40	0.00
	لا	21	%70		
	أحيانا	7	%6.7		
هل تقبلين أية معونة لكِ من خارج العائلة ؟	نعم	6	%20	2.60	0.27
	لا	11	%36.7		

	أحيانا	13	%43.3		
إذا كنت غير عاملة: هل لديك اتجاه نحو العمل مهما كان نوعه؟	نعم	22	%73.3	21.80	0.00
	لا	3	%10		
	أحيانا	5	%16.7		
هل اختلف مستوى المعيشة بعد غياب الزوج عنكم؟	نعم	17	%56.7	13.40	0.00
	لا	12	%40		
	أحيانا	1	%3.3		

قيمة Chi- Square الكلية = 20.86

الدلالة الإحصائية لقيمة Chi- Square الكلية = 0.00

3- أهم المشكلات النفسية:

يظهر من الجدول رقم (4) أن قيمة Chi- Square لمعظم الفقرات دالة إحصائيا، وكانت الفروق لصالح الإجابة نعم حيث كانت أغلب التكرارات للإجابة (نعم) أكبر منها للإجابة (لا) مما يشير إلى موافقة أفراد عينة الدراسة على جميع التساؤلات الواردة سابقا. حيث يكون محور المشاكل النفسية هو الأكبر في التأثير على الزوجة.

بلغت قيمة Chi- Square (12.40) بدلالة إحصائية (0.03) لمجال محور المشاكل النفسية التي تعاني منها الزوجة وهي قيمة دالة إحصائيا. وبالتالي يكون اثر المشاكل النفسية على المرأة المهجورة كبير جدا.

جدول رقم(4)

التكرارات والنسب المئوية وقيمة Chi-Square والدلالة الإحصائية لإجاباتهم عن مدى تأثير الهجر على محور المشاكل النفسية

التساؤلات	الإجابة	التكرار	النسبة المئوية	قيمة كاي	الدلالة الإحصائية
هل تشعرين بالوحدة والعزلة؟	نعم	23	%76.7	25.40	0.00
	لا	4	%13.3		
	أحيانا	3	%10		
هل قل اهتمامك بنفسكِ وجمالكِ بعد غياب زوجكِ؟	نعم	17	%56.7	9.80	0.00
	لا	10	%33.3		
	أحيانا	3	%10		
هل تشعرين بالخوف والرهبة بتحملكِ المسؤولية بعد غياب الزوج؟	نعم	%27	%90	43.40	0.00
	لا	1	%3.3		
	أحيانا	2	%6.7		
هل ما زالت علاقتك بالناس من حولكِ قوية؟	نعم	22	%73.3	21.60	0.00
	لا	4	%13.3		
	أحيانا	4	%13.3		
هل ما زالت علاقتك بأهل زوجكِ قوية؟	نعم	7	%23.3	12.60	0.00
	لا	19	%63.3		
	أحيانا	4	%13.3		

هل تؤثر نظرة الناس أو المجتمع لوضعكِ على ثقتكِ بنفسكِ أو على أبنائكِ ؟	نعم	15	%50	6.20	0.04
	لا	4	%13.3		
	أحيانا	11	%63.3		

قيمة Chi- Square الكلية = 12.40 الدلالة الإحصائية لقيمة Chi- Square الكلية = 0.03

المحور الثالث: أهم الأسباب التي أدت إلى هجر الزوج زوجته وغيابه عن الأسرة

يظهر من الجدول رقم (5) ما يلي:

1. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (10.80) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " عدم وجود سكن مستقل عن أهل الزوج ؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (20%) وللإجابة (لا) (80%)، وبالتالي وجود سكن مستقل عن أهل الزوج ليس سبب للهجرة.
2. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (0.53) وهي قيمة غير دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.46)، للتساؤل " عدم معرفة كل من الطرفين (الزوج/ الزوجة) بحقوق الآخرين؟". وهي تدل على عدم وجود سبب للهجر بسبب عدم معرفة كل من الطرفين لحقوق الآخر، حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة نعم (43.3%) وللإجابة (لا) (56.7%).
3. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (8.53) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " فقدان الحب والعاطفة والراحة النفسية في الحياة الزوجية ؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (76.7%)

وللإجابة (لا) (23.3%)، وبالتالي فقدان الحب والعاطفة لدى الزوجان له أثر كبير في الهجرة.

4. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (19.20) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " عملك خارج المنزل وإهمالك لزوجك وأبنائك ؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (10%) وللإجابة (لا) (90%)، وبالتالي عمل المرأة خارج المنزل لا يكون سبب للهجرة.

5. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (16.13) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " فقر الزوج وعدم قدرته على تلبية حاجيات الأسرة ؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (86.7%) وللإجابة (لا) (13.3%)، وبالتالي فقر الزوج له دور كبير لهجرة الزوج زوجته.

6. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (8.53) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " تدخل الأهل (أهل الزوج/ الزوجة) في تربية الأبناء ؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (23.3%) وللإجابة (لا) (76.7%)، وبالتالي تدخل الأهل في تربية الأبناء ليس سبب للهجرة.

7. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (26.7) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " كثرة الغيرة والشك في زوجك؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (26.7%) وللإجابة (لا) (73.3%)، وبالتالي الغيرة والشك في الزوج ليست سبب للهجرة.

بلغت قيمة Chi- Square (24.40) بدلالة إحصائية (0.00) لمجال أسباب هجر الزوج أو غيابه وهي قيمة دالة إحصائيا. وبالتالي يكون معظم الأسباب الواردة في الدراسة سببا للهجرة.

جدول رقم(5) التكرارات والنسب المئوية وقيمة Chi-Square والدلالة الإحصائية لإجاباتهم عن أسباب هجر الزوج أو غيابه

قيمة Chi- Square الكلية = 24.40 الدلالة الإحصائية لقيمة Chi- Square الكلية = 0.00

التساؤلات	الإجابة	التكرار	النسبة المئوية	قيمة كاي	الدلالة الإحصائية
عدم وجود سكن مستقل عن أهل الزوج؟	نعم	6	%20	10.80	0.00
	لا	24	%80		
عدم معرفة كل من الطرفين (الزوج/ الزوجة) بحقوق الآخرين؟	نعم	13	%43.3	0.53	0.46
	لا	17	%56.7		
فقدان الحب والعاطفة والراحة النفسية في الحياة الزوجية؟	نعم	23	%76.7	8.53	0.00
	لا	7	%23.3		
عملكِ خارج المنزل وإهمالكِ لزوجكِ وأبنائكِ ؟	نعم	3	%10	19.20	0.00
	لا	27	%90		
فقر الزوج وعدم قدرته على تلبية حاجيات الأسرة؟	نعم	26	%86.7	16.13	0.00
	لا	4	%13.3		
تدخل الأهل (أهل الزوج/ الزوجة) في تربية الأبناء؟	نعم	7	%23.3	8.53	0.00
	لا	23	%76.7		
كثرة الغيرة والشك في زوجكِ ؟	نعم	8	%26.7	6.53	0.01
	لا	22	%73.3		

المحور الرابع: العلاقة بين بعض المتغيرات و الهجر

1- هل هناك علاقة بين عمر الزوجة وهجر الزوج لها؟

يظهر من الجدول رقم (6) أن أعلى تكرار بلغ للعمر (40-49) (12) وكانت أسباب الهجر كثيرة، ثم بلغ التكرار للعمر (50 سنة فأكثر) (5) لأسباب كثيرة، وكانت معظم العينة لأسباب كثيرة. وبالتالي يوجد علاقة بين عمر الزوجة وهجر الزوج لها.

جدول رقم(6)

التكرارات لإجاباتهم عن أسباب هجر الزوج أو غيابه تبعا لمتغير العمر

	أسباب هجر الزوج أو غيابه			
العمر	أسباب قليلة	أسباب متوسطة	أسباب كثيرة	المجموع
18-29 سنة	1	1	3	5
30-39 سنة	1	3	3	7
40-49 سنة	1	0	12	13
50 سنة فأكثر	0	0	5	5
المجموع	3	4	23	30

2- **- هل هناك علاقة بين المستوى التعليمي للزوجة وهجر الزوج لها؟**

ويظهر من الجدول رقم (7) أن أعلى تكرار بلغ للمستوى التعليمي (الأساسي) (7) وكانت أسباب الهجر كثيرة، ثم بلغ التكرار للمستوى التعليمي (الإعدادي) (5) لأسباب كثيرة، وكانت معظم العينة لأسباب كثيرة وللمستوى التعليمي المتدني. وبالتالي يوجد علاقة بين المستوى التعليمي الزوجة وهجر الزوج لها.

جدول رقم(7)
التكرارات لإجاباتهم عن أسباب هجر الزوج أو غيابه تبعا لمتغير المستوى التعليمي

	أسباب هجر الزوج أو غيابه			
المستوى التعليمي	أسباب قليلة	أسباب متوسطة	أسباب كثيرة	المجموع
أمي	1	1	4	6
أساسي	1	0	7	8
إعدادي	0	0	5	5
ثانوي	0	1	4	5
دبلوم	0	1	2	3
جامعي	1	1	1	3
المجموع	3	4	23	30

المحور الخامس- أهم آثار الهجرة على الأبناء.
يظهر من الجدول رقم (8) ما يلي:
1. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (38.60) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " إخفاء أولادي أن والدهم هجرهم ؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (86.7%) وللإجابة (لا) (10%) وللإجابة (أحيانا) (3.3%)، وبالتالي الأبناء يظهرون أن الأب هجرهم.
2. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (38.60) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " أولادي غير راضين عن الوضع الحالي ؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (86.7%) وللإجابة (لا) (10%) وللإجابة (أحيانا) (3.3%)، وبالتالي الأبناء غير راضون عن الوضع الحالي.

3. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (33.80) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " شعورهم بالنقص عند الاختلاط مع الأطفال الآخرين ؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (53.3%) وللإجابة (لا) (23.3%) وللإجابة (أحيانا) (23.3%)، وبالتالي الأبناء يشعرون بالنقص عند الاختلاط مع الأطفال الآخرين.

4. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (5.40) وهي قيمة غير دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.06)، للتساؤل " معاناة الأولاد من بعض الأمراض: (القلق، الاكتئاب، عدم الاستقرار)؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (13.3%) وللإجابة (لا) (50%) وللإجابة (أحيانا) (36.7%)، وبالتالي لا يعتبر مرض الأولاد سببا للهجرة.

5. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (13.3) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.04)، للتساؤل " كثرة خلافاتهم مع أبناء الجيران والآخرين ؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (13.3%) وللإجابة (لا) (50%) وللإجابة (أحيانا) (36.7%)، وبالتالي الأبناء لا توجد خلافات بكثرة مع الجيران.

6. قيمة **Chi-Square** بلغت (2.60) وهي قيمة غير دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.27)، للتساؤل " قضاء الأولاد (ذكور/ إناث) فترات طويلة؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (23.3%) وللإجابة (لا) (46.7%) وللإجابة (أحيانا) (30%)، وبالتالي لا يعتبر قضاء الأولاد فترات طويلة سببا للهجرة.

7. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (7.20) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.02)، للتساؤل " انخفاض مستوى التحصيل الدراسي للأبناء ؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (53.3%) وللإجابة (لا) (33.3%) وللإجابة (أحيانا) (13.3%)، وبالتالي يوجد انخفاض في نسبة المستوى لتحصيلي للأبناء.

8. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (14.60) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " لجوء الأولاد لعادات سيئة مثل: التدخين وغيرها؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (60%) وللإجابة (لا) (36%) وللإجابة (أحيانا) (3.3%)، وبالتالي أن معظم الأولاد يلجئون إلى عادات سيئة مثل التدخين.

9. أن قيمة **Chi-Square** بلغت (16.80) وهي قيمة دالة إحصائياً وبدلالة إحصائية (0.00)، للتساؤل " عدم إقبال الشباب على الزواج من بناتي ؟". حيث بلغت النسبة المئوية للإجابة (نعم) (36.7%) وللإجابة (لا)

(66.7%) وللإجابة (أحيانا) (6.7%)، وبالتالي لا يقبل الشباب على الزوج من بنات المرأة المهجورة.

بلغت قيمة Chi- Square (9.60) بدلالة إحصائية (0.47) لمجال الآثار المترتبة على الأبناء وهي قيمة غير دالة إحصائيا. وبالتالي يكون معظم الآثار الهجرة تؤثر على الأبناء.

جدول رقم(8)

التكرارات والنسب المئوية وقيمة Chi-Square والدلالة الإحصائية لإجاباتهم حول الآثار المترتبة على الابناء من الهجر

التساؤلات	الإجابة	التكرار	النسبة المئوية	قيمة كاي	الدلالة الإحصائية
إخفاء أولادي أن والدهم هجرهم؟	نعم	26	%86.7	38.60	0.00
	لا	3	%10		
	أحيانا	1	%3.3		
أولادي غير راضين عن الوضع الحالي؟	نعم	26	%86.7	38.60	0.00
	لا	3	%10		
	أحيانا	1	%3.3		
شعورهم بالنقص عند الاختلاط مع الأطفال الآخرين؟	نعم	25	%53.3	33.80	0.00
	لا	2	%23.3		
	أحيانا	3	%23.3		
معاناة الأولاد من بعض الأمراض: (القلق، الاكتئاب، عدم الاستقرار)؟	نعم	4	%13.3	5.40	0.06
	لا	15	%50		
	أحيانا	11	%36.7		

	نعم	4	13.3%		
كثرة خلافاتهم مع أبناء الجيران والآخرين؟	لا	15	50%	6.20	0.04
	أحيانا	11	36.7%		
	نعم	7	23.3%		
قضاء الأولاد (ذكور/ إناث) فترات طويلة خارج المنزل؟	لا	14	46.7%	2.60	0.27
	أحيانا	9	30%		
	نعم	16	53.3%		
انخفاض مستوى التحصيل الدراسي للأبناء؟	لا	10	33.3%	7.20	0.02
	أحيانا	4	13.3%		
	نعم	18	60%		
لجوء الأولاد لعادات سيئة مثل: التدخين والغياب عن البيت؟	لا	11	36.7%	14.60	0.00
	أحيانا	1	3.3%		
	نعم	8	36.7%		
عدم إقبال الشباب على الزواج من بناتي؟	لا	20	66.7%	16.80	0.00
	أحيانا	2	6.7%		

قيمة Chi- Square الكلية = 9.60

الدلالة الإحصائية لقيمة Chi- Square الكلية = 0.47

المحور السادس :العلاقة بين عدد أفراد الأسرة والمشاكل التي تعاني منها الزوجة.

1- المشكلات الاجتماعية:

يظهر من الجدول رقم (9) التكرارات لمحور المشاكل الاجتماعية حيث بلغ أعلى تكرار بلغ لعدد أفراد الأسرة (أقل من 5 أفراد) (10) وكانت للآثار المتوسطة الاجتماعية الناتجة من الهجرة، ثم بلغ التكرار لعدد أفراد الأسرة (أقل من 5 أفراد) و (من 5-8 أفراد) (5) للآثار الاجتماعية الكثيرة الناتجة من الهجرة، وكانت معظم أفراد العينة لأعداد أفراد الأسرة القليلة والآثار الاجتماعية المتوسطة. وبالتالي يوجد علاقة مقبولة بين عدد أفراد الأسرة والآثار الاجتماعية المؤثرة على الزوجة المهجورة.

جدول رقم(9)

التكرارات لإجاباتهم عن أثر محور المشاكل الاجتماعية تبعا لمتغير عدد الأفراد

	محور المشاكل الاجتماعية			
عدد أفراد الأسرة	**آثار قليلة**	**آثار متوسطة**	**آثار كثيرة**	**المجموع**
أقل من 5 أفراد	2	10	5	17
من 5-8 أفراد	1	4	5	10
أكثر من 8 أفراد	1	2	0	3
المجموع	4	16	10	30

2- المشكلات الاقتصادية:

يظهر من الجدول رقم (10) التكرارات لمحور المشاكل الاقتصادية حيث بلغ أعلى تكرار بلغ لعدد أفراد الأسرة (أقل من 5 أفراد) (14) وكانت للآثار القليلة الاقتصادية الناتجة من الهجرة، ثم بلغ التكرار لعدد أفراد الأسرة (من

8-5 أفراد) (4) للآثار الاقتصادية الكثيرة الناتجة من الهجرة، وكانت معظم أفراد العينة لأعداد أفراد الأسرة القليلة والآثار الاقتصادية القليلة. وبالتالي يوجد علاقة ضعيفة بين عدد أفراد الأسرة والآثار الاقتصادية المؤثرة على الزوجة المهجورة.

جدول رقم(10)

التكرارات لإجاباتهم عن أثر محور المشاكل الاقتصادية تبعا لمتغير عدد الأفراد

	محور المشاكل الاقتصادية			
عدد أفراد الأسرة	**آثار قليلة**	**آثار متوسطة**	**آثار كثيرة**	**المجموع**
أقل من 5 أفراد	14	2	1	17
من 5-8 أفراد	3	4	3	10
أكثر من 8 أفراد	2	1	0	3
المجموع	19	7	4	30

3 - المشكلات النفسية:

يظهر من الجدول رقم (11) التكرارات لمحور المشاكل النفسية حيث بلغ أعلى تكرار بلغ لعدد أفراد الأسرة (أقل من 5 أفراد) (9) وكانت للآثار القليلة النفسية الناتجة من الهجرة، ثم بلغ التكرار لعدد أفراد الأسرة (أقل من 5 أفراد) (8) وكانت للآثار المتوسطة النفسية الناتجة من الهجرة، وكانت معظم أفراد العينة لأعداد أفراد الأسرة القليلة والآثار الاقتصادية القليلة والمتوسطة. وبالتالي يوجد علاقة مقبولة بين عدد أفراد الأسرة والآثار النفسية المؤثرة على الزوجة المهجورة

جدول رقم(11)
التكرارات لإجاباتهم عن أثر محور المشاكل النفسية تبعا لمتغير عدد الأفراد

	محور المشاكل النفسية			
عدد أفراد الأسرة	**آثار قليلة**	**آثار متوسطة**	**آثار كثيرة**	**المجموع**
أقل من 5 أفراد	9	8	0	17
من 5-8 أفراد	7	2	1	10
أكثر من 8 أفراد	2	1	0	3
المجموع	18	11	1	30

.

- **النتائج:**

مما سبق يتضح لنا:
- وجود مشاكل اجتماعية واقتصادية ونفسية تعاني منها المرأة المهجورة ،فقد أوضح التحليل الإحصائي أن هناك علاقة بين عمر الزوجة وهجر الزوجة لها وبين المستوى التعليمي للزوجة وهجر الزوج لها.
- أن أثر المشاكل الاقتصادية والنفسية على المرأة المهجورة وأبناءها أثر كبير جداً ، بعكس المشاكل أو المحور الاجتماعي الذي له أثر قليل في حياة المرأة المهجورة.
- أن فقدان الحب والعاطفة لدى الزوجان، وفقر الزوج هما أكثر الأسباب التي دعتّ الزوج لهجر زوجته وعائلته.

ولقد واجهتنا بعض الصعوبات في هذه الدراسة تمثلت في صعوبة الوصول إلى عينة الدراسة لعدم تعاون المسئولين معنا وعدم إعطائنا المعلومات التي نحن بحاجةٍ لها،

علماً بأن هذه الدراسة على درجة عالية من الأهمية حيث أنها تدرس واقع المرأة المهجورة في المجتمع الأردني وهذه الدراسة لا يمكن تعميمها إلا على مجتمع الدراسة والمجتمعات المتشابهة.

- **التوصيات :**

1. توصي الدراسة بتوعية المجتمعات العربية الإسلامية بشكل عام والمجتمع الأردني بشكل خاص بمفهوم المرأة المهجورة وحقوقها الواجبة على مجتمعها .
2. العناية التامة بقضايا المرأة بشكل عام والمرأة المهجورة بشكل خاص فيما يتعلق بشؤون حياتها وعلاقتها بمجتمعها .
3. يجب شمل المرأة المهجورة كفئة تستحق المساعدة من صندوق المعونة الوطنية كغيرها من الفئات (الأرامل، زوجة السجين ، المرأة التي لا معيل لها).
4. تكرار المحاولات البحثية عن المرأة المهجورة في مناطق جغرافية أخرى لاستقصاء اثأر الهجر على المرأة و الأسرة.

- **قائمة المراجع :**

- الحرستاني، وآخرون، عالم المرأة وهموم المرأة المعاصرة، دار عمار، الطبعة الأولى، ، عمان- الأردن، 1987،ص36.
- حسين فرحان رمزون،"التغيرات الاجتماعية والأسرية الناجمة عن هجرة العمال الأردنيين إلى دول الخليج العربي "، رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة الزيتونة، الأردن،1997م،ص67
- الخشاب، مصطفى، علم الاجتماع العائلي، دار القومية للطباعة، الطبعة الأولى، القاهرة، 1966م،ص96.
- رشوان، حسين عبد الحميد،مشاكل وقضايا معاصرة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1997م، ص105.
- الساعاتي، سامية حسن،علم اجتماع المرأة، مكتبة الأسرة، مصر، 2003م، ص53.
- عليوي،سوسن محمد ،"أثر هجرة الزوج على الأسرة"، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، الأردن،2001م،ص142.
- شكري ، علياء، الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، دار المعارف ، الطبعة الثانية، القاهرة،1981م،ص87،37.
- شلبي، محمد، أحكام الأسرة في الإسلام، مكتبة كريديه إخوان، بيروت-لبنان، 1970م.
- طه، أحمد حسن، مدى حرية الزوجين، دار الحكمة ،الطبعة الأولى، لندن،2002م.

- عبد المقصود، أشرف، فتاوى الزواج وعشرة النساء، دار ابن حزم للنشر والطباعة، الطبعة الأولى، ، بيروت- لبنان، 2003م،ص84.
- عبيدات، محمود سالم، التفريق بين الزوجين، المطابع العسكرية، عمان- الأردن،1997م،ص22.
- العك، خالد عبد الرحمن، واجبات المرأة المسلمة في ضوء الكتاب والسنة، دار المعرفة، الطبعة الخامسة، ، بيروت- لبنان، 2005م،ص11-12.
- علي، رمضان، التفريق بين الزوجين جراء الغيبة، دار علاء الدين، مشق،2006م،ص145،142.
.

- علي الزغل،" الآثار الاجتماعية لهجرة الزوج الريفي منفرداً عن عائلته"،مجلة دراسات، المجلد السابع عشر(أ)،العدد الثالث،ص 137 – 138، الجامعة الأردنية، الأردن،1990م.
- علي الزغل،" أثر هجرة الزوج للعمل خارج الأردن على بنية السلطة في الأسرة الريفية الأردنية"، مجلة أبحاث اليرموك: سلسة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص33، جامعة اليرموك، الأردن، 1989م.
- علي الزغل،" هجرة الأردنيين الحاليين للعمل في الخارج"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة،الأردن، 1988م.
- علي محمود زقيلي،" التفريق بين الزوجين بغيبة الزوج"،مجلة دراسات،علوم الشريعة والقانون، المجلد 30، العدد1،ص 110،الجامعة الأردنية،الأردن، 2003م.
- غيث وآخرون، المشكلات الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2004م.
- فهمي، سامية محمد، المشكلات الاجتماعية(منظور الممارسة في الرعاية والخدمة الاجتماعية)، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2004م.
- كمال، طارق، الأسرة ومشاكل الحياة العائلية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،2005م،ص36.
- محمد، محمد عبد السلام، العلاقات الأسرية في الإسلام، مكتبة الفلاح، الطبعة الأولى،القاهرة ، 1981م.
- الربيع ،محمود جميل طايل ،" هجر الزوجة بين الفقه والقانون"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك،الأردن،2005م،ص1
- مكي، محمد عبد الحميد، جريمة هجر العائلة:دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة،2000م،ص25.
- منصور، حسن، المحيط في شرح مسائل الأحوال الشخصية، دار الجامعة الجديدة للنشر،1997م،ص276
- منيع، هيا، المهجورات، صحيفة الرياض/ زاوية أفق شمس، -www.googel.com، ساعة الدخول: 1,05ظهراً، تاريخ :2008/10/24م

الاقتصاد و إدارة الأعمال

الفرص والتهديدات التى تواجه الشركات العربية فى السوق الدولية وعلاقتها بالأداء التصديري: تأطير فلسفى معرفى

أثر السلوك التنظيمي على ظاهرة استخدام العمالة الوافدة في السودان

الفرص والتهديدات التى تواجه الشركات العربية فى السوق الدولية وعلاقتها بالأداء التصديرى: تأطير فلسفى معرفى

Opportunities and threats facing the Arab companies in international markets and its relationship to export performance: philosophical knowledge framework

أستاذ إدارة الأعمال نزار عبد المجيد رشيد البرواري
جامعة دلمون للعلوم والتكنولوجيا- مملكة البحرين
أبريل 2012

مستخلص

يُعد التصدير من الدعائم الأساسية للتنمية الشاملة في الدول على اختلاف درجة تطورها العلمي والتكنولوجي، لاسيما التصدير المعتمد على إستراتيجية واضحة وقابلة للقياس والتقييم من جهة وعلى تنوع الصادرات وعدم الاعتماد الكلي على الهبات الطبيعية كالثروة النفطية. وتبرز أهمية التصدير كسلاح تنافسي استراتيجي بشكل خاص في اقتصاديات الدول النامية ومنها الدول العربية والاقتصاديات الناشئة التي تتطلع جميعا لتحقيق وفورات في العملة الصعبة وتحقيق مدخولات تسهم في مجمل أنشطتها التنموية.

يهدف هذا البحث لعرض وتحليل الفرص والتهديدات التي تواجه الشركات العربية في مجال التصدير على المستوى الدولي وعلاقة ذلك بالأداء التصديري ببعديه الاقتصادي والاستراتيجي .

باستخدام المدخل الفلسفي والمعرفي.

تضمن البحث أربع محاور شملت عرضا للتصدير كمفهوم وأهمية، وتوضيح للفرص والتهديدات ومتغيرات مزيج تسويق التصدير ودعاماتها التكنولوجية والمعرفية، إضافة لعرض مؤشرات الأداء التصديري ببعديه الاقتصادي والاستراتيجي. أُختتم البحث بمحور خامس للاستنتاجات والتوصيات.

Abstract

The export viewed as one of main strategic weapons for all nations and countries, particularly in the economies of developing countries including Arab nations.
This research aims to present and analyze the opportunities and threats facing the Arab companies in the area of export at the international level and its relation to export performance in both philosophical and knowledge dimensions.
The research presents through five perspectives the methodology of the research and the concept&impotance of export and its mix, then clarify the expected opportunities and threats may faces the Arab export companies, a summery and a set of recommendations presented at the end of research.

مقدمة:

ازدهرت التجارة الدولية والعالمية خلال العقود الأربعة الأخيرة بشكل مذهل بشكل يتناغم مع فلسفة أسواق بلا حدود التي أفرزتها العولمة والاتفاقيات الدولية ودور المنظمات العالمية . فمنذ عام 1969 تنامي عدد الشركات متعددة الجنسيات Multi –National companies (MNC) من 7000 إلى أكثر من 63000 وبعضها يمثل عملاق اقتصادي، وتشير الإحصاءات انه توجد 47 دولة فقط ضمن اكبر " 100" اقتصاد في العالم، وتشكل البقية البالغة 53 مرتبة الشركات متعددة الجنسيات . فمثلاً تحقق Exxon Mobil اكسون موبيل عائدات سنوية أكبر من إجمالي الناتج المحلي لكل دول العالم باستثناء 20 دولة . (كوتلر، ارمسترونج،2007، 1074).

كما ناظر استيرادا السلع والخدمات 24% من إجمالي الناتج المحلي GDP على مستوى العالم في 2006 وهو ضعف المستوى الذي كان موجوداً من 40 سنة. وناظرت التجارة العالمية 29% من إجمالي الناتج المحلي للعالم وبزيادة 10% عن سنة 1990.(WTO.2002. 1).

ماتقدم يدلل أن المنافسة العالمية الآن مكثفة. حيث تتوسع الشركات الأجنبية بهجومية في أسواق دولية جديدة، ولم تعد الأسواق المحلية غنية بالفرص كما كانت عليه من قبل. وتكون قلة من الصناعات آمنة من المنافسة الأجنبية، والشركات التي تظل محلية استهدافاً للأمان لن تفقد فرصها في دخول أسواق أخرى فقط ، وإنما تخاطر في فقدان أسواقها المحلية أيضاً، فالشركات المحلية التي لم تفكر في المنافسين الأجانب وجدت هؤلاء المنافسين في أسواقها فجأة.

مشكلة البحث:

تُعد الشركات في الدول المتقدمة ذات إمكانات مالية وتقنية ومعرفية متطورة وخاصة الشركات الرائدة على المستوى الدولي . غير أن المشكلة تبرز في شركات الدول النامية عموماً ومنها الدول العربية على وجه الخصوص، كونها لاتمتلك المقومات والخبرة التي تتمتع بها مثيلاتها في الدول المتقدمة من جهة وان اسهامها في التجارة الخارجية الدولية محدود(اذا استثنينا تصدير النفط والمنتجات النفطية) . وهذه المحدودية تحرم الدول النامية وخاصة العربية من الحصول على العوائد بالعملة الأجنبية لتمويل استيرادها ودعم خطط النهوض التنموي فيها.

لذا بات من الضروري النظر للنشاط التصديري في ضوء فهم ادق وأعمق لتحليل القوى والمحركات الأساسية لمستقبل الأعمال في العالم وانعكاساته على السوق ومحركاته الرئيسية.
وتأسيساً على ذلك فأن المشكلة تتبلور في الآتي:
1.ضبابية الرؤية المستقبلية لنشاط التصدير ودور هذا النشاط في التنمية المستدامة والقدرة التنافسية للدول العربية.
2.القصور في تشخيص وتحليل جذور القوى الفاعلة في النجاح التنافسي لمشاريع ومنتجات التصدير.
3.اقتصار مؤشرات الأداء التصديري على المؤشرات المالية.

أهمية البحث:

1. اغتنام شركات الدول العربية لفرص التنافس التي أتاحها تحرر التجارة العالمية وإفرازات العولمة والتنافسية بشكل أكثر فاعلية ودور تسويق التصدير Exporting Marketing في ذلك.
2. كيفية قيام الشركات العربية بذلك، من خلال تحديد إستراتيجية الدخول الأنسب للدول العربية في الأسواق الدولية ويفترض البحث " إستراتيجية التصدير" ، إضافة لتحديد القوى الرئيسية ومتغيراتها المساهمة في هذه الإستراتيجية.
3. بيان فهم دور مزيج تسويق التصدير وتناغمه مع البيئة الدولية للتصدير.
4. يسعى البحث على الصعيدين الفلسفي والمعرفي لتقديم تصورات للقوى المحتملة كمسببات للقصور في نشاط التصدير للشركات العربية.

أهداف البحث:

1. مناقشة تحليلية للفرص والتهديدات التي تواجه الشركات العربية في مجال التصدير.
2. تحديد مؤشرات الأداء التصديري كدالة للنجاح التنافسي للصادرات.
3. تقديم توصيات كدليل مرشد يمكن أن تستفاد منه الشركات العربية المهتمة بالتصدير.

منهج البحث:

تم اعتماد منهج تحليل المحتوى Content Analysis للنتاج الفكري ضمن محاور البحث، بالإضافة إلى المنهج الاستقرائي الذي ينطلق من الجزئيات المتمثلة بتفاصيل وعناصر محاور البحث بإطارها النظري للوصول إلى الكليات التي تمثلها خلاصة ومقترحات البحث، مع الأخذ بالأسلوب التحليلي للأفكار التي تناولتها المصادر المعتمدة في البحث .

تساؤلات البحث:

1. ماهي التهديدات ونقاط الضعف التي تواجه المنظومة العربية في مجال التصدير؟
2. ماهي الفرص ونقاط القوة التي يمكن استثمارها لتحسين الأداء التصديري؟
3. أي المنتجات تمثل أسبقية تنافسية بمنظور مستقبلي للمنظومة العربية؟
4. كيف تسهم استراتيجيات سوق التصدير (توظيف تسويق التصدير من خلال تكييف عناصر المزيج التسويقي 4 Ps بما ينسجم وتطلعات ورغبات سوق التصدير)؟
5. ماهي مؤشرات الأداء التصديري الاقتصادية والإستراتيجية؟

أنموذج البحث الافتراضي:

انسجاما مع موضوع البحث ومشكلته وتساؤلاته ، افترضنا مجموعة الفرص والتهديدات المبينة في الشكل (1) حيث يمثل العمود الأول مجموعة التهديدات (تمثل بذات الوقت نقاط ضعف يمكن تجنبها او معالجتها) والفرص(تشكل نقاط قوة يمكن استثمارها) ، والعمود الثاني يمثل متغيرات وسيطة لو تم توظيفها بشكل صحيح فأنها توفر أرضية عملية وعلمية لتحقيق متغيرات العمود الثالث المتمثلة بمؤشرات الأداء التصديري الاقتصادية والإستراتيجية.



الشكل (1) أنموذج البحث الافتراضي

المحور الأول:التصدير: أطار نظري عام

أهمية ومداخل تفسير التصدير

يمثل نشاط التصدير مجالا حيويا ضمن أنشطة العديد من منظمات الأعمال في توجهها نحو الأسواق الدولية (التدويل) Internationalization، أو كونه مرحلة من مراحل تطور التسويق العالمي Evolution of global marketing.

ولبيان أهمية التصدير على الصعيد الدولي يشير (أيتزل،وآخرون،2006، 54-55) ، أن الولايات المتحدة تصدر مايزيد عن 10% مما تقوم بإنتاجه سنويا، في حين تصدر كل من فرنسا وألمانيا مايعادل 25% مما تنتجه سنوياً. وبالمقابل تصدر البرازيل مايزيد على 50 بليون دولار سنويا، في حين تصدر الهند مايزيد عن 30 بليون دولار سنويا ، ويشير الجدول (1) إلى الصادرات كنسبة مئوية من إجمالي الناتج المحلي لمجموعة من الدول الصناعية وفقا لإحصاءات عام 1999.

الجدول (1) أهمية صادرات مجموعة من الدول الصناعية كنسبة من إجمالي الناتج المحلي

الدولــــــــة	الصادرات كنسبة مئوية من إجمالي الناتج المحلي %
الولايات المتحدة	11
المملكة المتحدة	28
فرنسا	27
ألمانيا	25
اليابان	11
كندا	41
المكسيك	30
كوريا الجنوبية	38

وقد تباينت المداخل في تفسير النشاط التصديري في بيئة الأعمال الدولية. فالبعض يراها أنها مراحل متصلة من تعلم **learning** الشركة في الأسواق الخارجية، حيث أشارت دراسة (Cavusgil, 1984, 195-208) إلى **الصفة التعاقبية** في تطور نشاط التصدير في الشركة إلى ثلاث مراحل هي:

المرحلة الأولى: تمارس الشركة فيها نشاط تجاري دولي تجريبياً Experimental involvement

المرحلة الثانية تفعل الشركة الاهتمام بالتصدير Active involvement وبشكل نظامي.

المرحلة الثالثة: تلتزم الشركة بنشاط التصديرCommitted involvement

وهناك مدخل يرى ان الشركات تنتقل في عملية تدويل أنشطتها بطريقة **الامتلاك التدريجي للمعرفة** عن الأسواق والعمليات الدولية. والبعض يشير الى هذا المدخل بإستراتيجية تساقط المياه (waterfall strategy) والتي تكون ناجحة في الدخول إلى أسواق مختلفة في القيم والثقافة ونماذج التعلم ، كما أنها تكون أفضل تفسيرا لعمليات مراحل دورة حياة المنتج (Product life cycle). (Johansson ,2000, 147) .

ويرى (أبو التمن, 1999 ، 9-10) ،أن نشاط التصدير هو **عملية Process** ضمن مراحل عمليات في تدويل أنشطة الشركة وهي:

- الشركة ذات الاهتمام الجزئي بالتصدير Partially Interested Firm
- الشركة المستكشفة Exploring Firm
- الشركة المصدرة تجريبيا Experimental Exporter
- الشركة الصغيرة ذات الخبرة التصديرية Experienced Small Exporter
- الشركة الكبيرة ذات الخبرة التصديرية Experienced Large Exporter

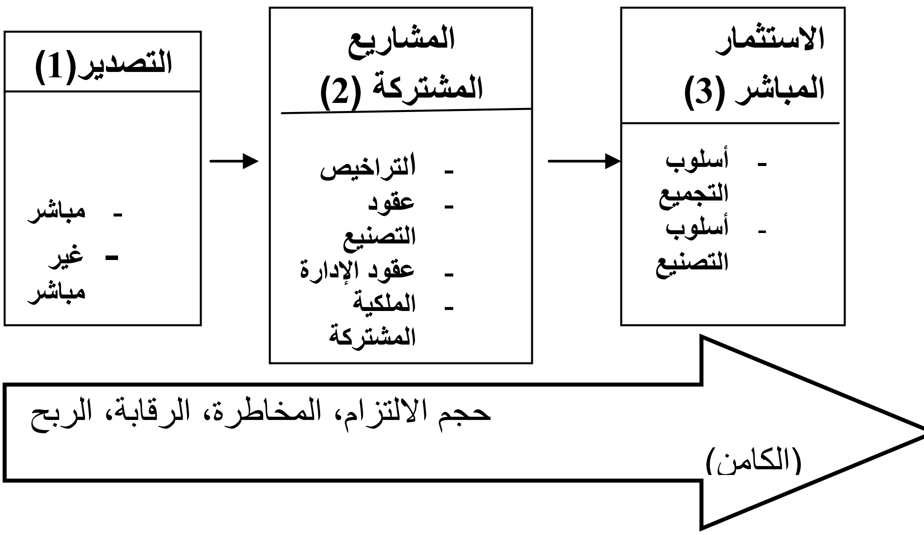
وهناك من يرى أن التصدير **عملية إبداعية،** حيث وجد أن هناك عوامل خارج الشركة تسهم بالابتكار في نشاط التصدير، حيث يتصف المبتكرون بالريادية، وكونهم ذوي أفكار خلاقة وتوجه عالمي.

ويمكن ان يُنظر الى التصدير **كخيار استراتيجي** في النمو والبقاء من خلال ترسيخ عمليات الإبداع والابتكار وإحلال منتجات جديدة وتبعا لتوقيت دخول الشركات للأسواق المستهدفة من جهة ودورة حياة المنتجات من جهة أخرى.

وهناك مجموعة من الأساليب التي يمكن للشركات ان تعتمد عليها في بيع منتجاتها في البلدان الأجنبية،حيث يرى كل من(كوتلر&ارمسترونج،2007، 1095) ، انه بعد أن تقرر الشركة البيع في دولة أجنبية ، يجب ان تحدد أفضل وسيلة للدخول. واختياراتها هي التصدير Exporting

والمغامرة(المشاريع) المشتركة joint venture، والاستثمار المباشر direct investment. ويبين شكل (2) الاستراتيجيات الثلاثة لدخول السوق، مع الخيارات التي تقدمها كل منها وكما يبين الشكل تشمل كل إستراتيجية لاحقة التزاما أكثر ومخاطر أكثر إلا أنها تكون أكثر أرباحاً ممكنة .

يعتبر التصدير أبسط طريقة لدخول السوق، فمن خلال التصدير يمكن أن تصدر الشركة فائضها من وقت لآخر أو يمكن أن تعمل التزاماً نشطاً بتوسيع صادراتها إلى سوق معين وفي أي من الحالتين، تنتج الشركة ككل سلعها في دولة منشأها ويمكن أن تعدلها أو لاتعدلها لسوق تصدير.



الشكل (3) استراتيجيات دخول السوق

المصدر: كوتلر،فيليب . أرمسترونج، جاري، (2007)،" **أساسيات التسويق**" ،، تعريب د. م سرور علي إبراهيم سرور، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية.ص 1096

وتقليدياً تبدأ الشركات بالتصدير غير المباشر Indirect exporting، والعمل من خلال وسطاء تسويق دوليين مستقلين. ويشمل التصدير غير المباشر استثماراً اقل لان الشركة لا تحتاج إلى تنظيم للتسويق عبر البحار، كما يشمل مخاطرة أقل أيضاً،

ويتطلب الأمر توافر المعرفة لدى وسطاء التسويق الدولي حتى لا يقع البائع إلا في اقل مستوى من الأخطاء.
كما يمكن ان تمارس الشركة تصديرها إما من خلال موزعين في الدولة الأجنبية والذين يشتروا السلع ويمتلكوها، أو من خلال الوكالات الموجودة في الدول الأجنبية والتي تبيع السلع لصالح الشركة.

ثانيا: تسويق التصدير : Export Marketing

يمثل تسويق التصدير القرارات التسويقية لتوجيه تدفق المنتجات خارج الحدود المحلية والاتصال بالخارج، وهذا يستوجب مراعاة ثلاث محاور جوهرية هي: (أبو التمن، 30،1999-32، بتصرف).

- إستراتيجية المنتج – السوق Product- Market Strategy
- قرارات المزيج التسويقي للتصدير Export marketing Mix decisions
- معلومات التسويق التصديري Export marketing information

وسنستعرض بتركيز هذه المحاور

1. إستراتيجية المنتج – السوق:

يشمل :

1.1 ماهية سوق التصدير: What is export market ?

ينبغي على كل منظمة أعمال أن تسأل نفسها السؤال الجوهري ،ماهي الأعمـــــال التي نحن فيها ؟ (What Business are we in?) ، فقد حذر Levittمن مخاطر النظر إلى الأسواق على إنها فقط منتجات ، حيث سرعان ماتصبح متقادمة ودعا إلى تعريف الأسواق من حيث احتياجات الزبون Customer Needs التي تميل إلى أن تكون أكثر جوهرية واستقراراً واستمراراً.

2.1 اختيار السوق Market Selection

يمكن تقييم واختيار الأسواق التصديرية بناءاً على درجة جاذبيتها. حيث يشتمل هذا الأسلوب على عملية غربلة للأسواق التصديرية من ثمانية مراحل قائمة على عدد كبير من التساؤلات الجوهرية المتعلقة بتسويق التصدير صنفها إلى مجموعتين رئيستين من العوامل:

الأولى: مجموعة العوامل التي تؤدي إلى استبعاد الأسواق غير الجذابة مثل عدم قبول المنتج كالأمان وعوامل اجتماعية وثقافية أو حواجز سياسية كالمقاطعة والعقوبات والاحتكارات الحكومية أو اقتصادية كعدم القدرة على تحويل الأموال أو قانونية كالتشريعات ضد الائتمان وقوانين العمالة أو المتعلقة بالإمداد كنقص العمالة أو البنية الأساسية.

الثانية: مجموعة العوامل المؤثرة الخاصة (بكل شركة على حدة)
مثل مدى معرفة سوق التصدير بالشركة والصناعة والعلامة التجارية ووجود شبكة جغرافية جيدة للتوزيع، مستوى تقدم معقول للإدارة المحلية ، إمكانات لوجستية وتوفر وكيل جيد للتمثيل في سوق التصدير.
وتستهدف الإجابة على هذه التساؤلات الحصول على معلومات تفصيلية من شأنها أن تُمكن متخذ القرار التسويقي للتصدير وفي مجالات مهمة مثل : قرار التصدير لأي منطقة أو مناطق، شكل التمثيل أو الوكيل ، استعراض النظام الأمثل للتمثيل ، غربلة المرشحين، مستويات الأداء،تحديد مواقع المندوبين ، مصادر معلومات ومتابعة الأداء).

2. **مزيج تسويق التصدير**:
يشمل العناصر الآتية (4ps) :
- المنتج product، يشمل التصميم ،موازنة مزيج المنتج، المنتجات الجديدة، حذف المنتجات، التعليم، خدمات مابعد البيع، الضمانات.
- السعرprice، يتضمن المستويات السعرية، التغييرات السعرية، الخصومات، الائتمان والسماحات التشجيعية.
- التوزيع place، يتضمن قناة الوسطاء والتوزيع المادي(اللوجستك او الإمداد).
- الترويج promotion، يتضمن الاتصالات، البيع الشخصي، الإعلان، ترويج المبيعات، الدعاية. المعارض، العلاقات العامة.
وفي ضوء البناء أعلاه هناك عدد من أوجه الاختلاف المعبرة عن مفاهيم المزيج التسويقي المحلي والتصديري، وطبقاً لمفهوم مواءمة المنتج مع أسواق التصدير سيكون هناك انعكاسان رئيسان لهذا المزيج:-

الأول: هناك بعض الأسواق التي قد تكون مشابهة للسوق المحلي مما يعني إمكانية تقديم المنتجات بحالها نفسها او دون تغيير.

الثاني: بعض الأسواق قد لا يمكن دخولها من دون إجراء تعديلات أو تكييف المنتج مع المتطلبات المحلية لسوق التصدير، وبعض هذه التعديلات قد تكون عديدة لبعض الأسواق إلى الحد الذي يجعلها أسواقا غير جذابة اقتصادياً للشركة. وسنتعرض بتفصيل أكثر لمزيج تسويق التصدير في المحور الثالث من البحث.

3. **معلومات التسويق التصديري**:

تعد المعلومات عنصراً رئيساً في تطوير الإستراتيجيات التسويقية الناجحة. حيث في تطوير إستراتيجية التسويق الدولي تصبح المعلومات أكثر أهمية كون أن البيئات التسويقية تختلف وبشكل واسع من بلد لآخر إضافة إلى ان عملي الحصول على هذه المعلومات هي أكثر صعوبة وأكثر تكلفة أيضا.ويرى Geise ان استخدام تكنولوجيا المعلومات يوفر سلاحاً تنافسياً للشركة. و بإمكان الشركة المصدرة الحصول على المعلومات من المصادر التالية :

- غرف التجارة- في موطن الشركة الأصلي، أو في الفرع الأجنبي، أو في الموقع المحلي للمنطقة المختارة للتصدير.
- المعارض.
- الزبائن.
- الوكلاء الآخرون وينقسمون إلى نوعين:
  - وكلاء يتم مخاطبتهم ولكن لم يتم تعيينهم أما بسبب عدم رغبتهم أو بسبب تعارض المصالح.
  - الوكلاء الحاليون لمنظمات أخرى تقوم بإعمال مختلفة في نفس المنطقة.
- الأقسام التجارية في السفارات.
- الهيئات التجارية – في موطن الشركة وفي المنطقة المختارة.
- السفارات الأجنبية في موطن السوق.
- البنوك والمؤسسات المالية.
- اتحادات الوكلاء والموزعين.

<u>ثالثا: إستراتيجية تسويق التصدير(Export Marketing Strategy)</u>

تتضمن إستراتيجية تسويق التصدير بعدين جوهريين: (ابو التمن ، مصدر سابق،40-41).

الأول: اختيار السوق (Market Selection)
الثاني: برامج المزيج التسويقي (Marketing Mix Programmes)

فعلى صعيد اختيار السوق، فأنه بدوره ينطوي على مسألتين هما: البلدان المصدر إليها، ومستوى التجزئة السوقية داخل هذه البلدان، فبالنسبة للمسألة الأولى البلدان، فان اختيار سوق التصدير يمتد من أسلوب اقرب بلد مجاور (Nearest Neighbour) " أي التصدير إلى أقرب بلد مناسب" ، إلى أسلوب التوجه على مستوى العالم (Worldwide Orientation) " أي التصدير إلى العديد من بلدان العالم" .

أما المسألة الثانية من اختيار سوق التصدير فهي إستراتيجية التجزئة Segmentation التي تصور مستوى التجزئة التي تعتمدها الشركات في تجزئة السوق داخل هذه البلدان، وتمتد من أسلوب البيع إلى جزء سوقي واحد من الأسواق الخارجية إلى أسلوب البيع لأجزاء متعددة مختلفة.
أما مزيج القرار التسويقي الخاص بإستراتيجية تسويق التصدير فأنة يشتمل على سياسة تكييف (Adaptation) المزيج التسويقي أو الدرجة التي تكيف بها الشركة مزيجها التسويقي مع الأسواق الخارجية. حيث تحتاج الشركة كذلك إلى اتخاذ قرارات بشأن مزيجها التسويقي لتكون تكاملية " Integrative" وتفاعلية "Interacting" بعضها مع البعض الآخر بشكل وثيق. وقد يكون قرار المزيج التسويقي هو التنميط Standardization أي الدخول إلى السوق الأجنبية بنفس المزيج التسويقي المحلي.

المحور الثاني: التهديدات والفرص التي تواجه الدول والشركات العربية في مجال التصدير

تتنامى توجهات الشركات عموما ومنها العربية بشكل مضطرد نحو الاستجابة المتسارعة لبيئة الأعمال الدولية وماتفرضه من تحديات متنوعة ، ولعل ابرز مسببات هذه الاستجابة هي التقارب في تفضيلات المستهلك العالمي بفعل التطور والابتكار في تكنولوجيا الاتصال الفائقة ، وهذا من شأنه ان يقود الشركات لتصبح أكثر اهتماما بمتطلبات المستهلك مقارنة بالأفضلية الأخرى الممثلة بالتقارب الجغرافي والخصائص الاقتصادية والاجتماعية للدول والتقارب الجغرافي بينها.
وفي هذا الخصوص وكأحد أساليب الدخول المتاحة للدول العربية للأسواق العالمية يمثل التصدير أداة فاعلة وأقل مخاطرة لتحقيق معدلات متنامية في اقتصاديات هذه الدول وإنعاشها بما توفره من عملات صعبة لمواجهة احتياجاتها من الاستيراد وبما تسهم فيه تلك العوائد في تحقيق تنمية شاملة فيها.

وقد يبدو الأمر سهلا من الناحية النظرية ولكنه أكثر تعقيداً وعمقا إذا ماأردنا تجسيد ذلك في الواقع العملي بسبب التحديات والتهديدات ونقاط الضعف ومدى توازنها او ارجحيتها على نقاط القوة والفرص المتاحة للدول العربية في هذا المجال الحيوي . وتأسيسا على ذلك سنحاول عرض وتحليل تلك القوى بجانبيها الايجابي والسلبي وخصوصا التي لم تتناولها دراسات التصدير ببعد **فلسفي ومعرفي** لنقف على حقيقة تلك القوى وبالاستناد على ماورد في الأنموذج الافتراضي للبحث.

أولا: التهديدات ونقاط الضعف:

1. **عائديه نشاط التصدير تاريخياً:**

مما لاشك فيه ان التصدير في الدول العربية بحصته العظمى تولته الأجهزة الحكومية ومؤسساتها طيلة عقود من الزمن ، ومن المعروف ان كل شركة أو مؤسسة لها ثقافتها culture ،وبالتالي فان ممارسة هذه المؤسسات الحكومية لنشاط التصدير كان ينطلق من الإيديولوجية السياسية للدولة وأجهزتها الرسمية كأولوية . ولو أسقطنا هذا التحليل على اعتبارات آليات السوق والمنافسة بعد إفرازات العولمة وتحرر الأسواق منذ عقدين من الزمن وليومنا هذا، نجد ان البعد الاقتصادي Economic dimension هو الذي يتحكم في ممارسة الشركات للنشاط التصديري وليس تغليب الجانب الأيديولوجي (السياسي) فحسب. وعلية يمكننا القول ان الإيديولوجية السياسية المرتبطة سابقا بدور الدولة ومؤسساتها حل محله دخول الفن الليبرالي الاقتصادي في أداء الشركات كمعبر عن تنامي الخصخصة بعد تفكيك مؤسسات الدوله وبيعها للقطاع الخاص. الحكومية. ورغم هذا التحول فلا زال ولاء القطاع الخاص منصبا في كسب رضا الدولة وفلسفتها الاقتصادية في اغلب الدول العربية رغم ان الظاهر يشير إلى مسايراتها للتغييرات المفروضة والمهيمنة عالميا .

2. **ضعف الإنتاج المعرفي:**

تتميز اقتصاديات دول العالم المتقدم بأنها اقتصاديات معرفية، وان العصر الذي نعيشه هو عصر الاقتصاد المعرفي Knowledge Economy Era، والدول العربية تعاني من ضعف جلي في الإنتاج المعرفي ، وبدون إنتاج معرفي لايوجد إسهام حضاري وقدرة تنافسية في أسواق التصدير. ولعل ضعف الإنتاج المعرفي هو نتيجة لأسباب عديدة تعاني منها الدول العربية منها على سبيل المثال وليس الحصر:

- ضعف في اكتساب المعرفة، وتوظيف الأموال العربية غالبا ماتكون في الخارج ، كما ان موارد الدول لعربية وشركاتها لاتحقق ميزة تنافسية، وإذا تم توظيف تلك الموارد محليا فإنها لاتتحقق بدون الدور الجوهري ودعم الشركات العالمية. وضعف اكتساب المعرفة يعني قدرة محدودة في ابتكار تلك المعرفة.
- تأسيسا على محدودية اكتساب المعرفة وابتكارها، فأن ذلك يمثل دلالة على الضعف الواضح في الإنتاج والبحث العلمي ممثلة بمنظومات توليد هذا الإنتاج وهي الجامعات ومراكز البحث العلمي ومؤسساته. ونحن لسنا بصدد الخوض

في ترتيب جامعاتنا على المستوى العالمي وكذلك ماتخصصه الدول العربية من موازنات للبحث العلمي من إجمالي الناتج المحلي لها رغم مواردها الهائلة لاسيما النفطية منها.

- انطلاقا مما يصطلح عليه بسلسلة ردود الأفعال Reaction chain فان محدودية الإدارة المعرفية في تحسين الابتكار المعرفي سيؤدي لضعف واضح في تجسيد ذلك بسلع وخدمات تنافسية يمكن بها ولوج ميدان التنافس الدولي من خلال الصادرات مما يوفر فرصة اكتساب الخبرة وتعميقها وبالتالي اكتساب معرفة جديدة، بتراكمها تتنامى القدرة التنافسية للصادرات ولاسيما المعرفية منها.
- ضعف الوعي بتطبيق المقولة الشهيرة في مجال التسويق العالمي Think globally Act Locally " فكر عالميا ونفذ محليا"، وهذا يعني من الناحية الواقعية **وجود المنتج المعرفي المحلي** كقاعدة وأساس للانطلاق إلى المحيط العالمي للتنافس. ولنا في اليابان وسنغافورة وكوريا الجنوبية والبرازيل والهند أمثلة في تطبيق هذه المقولة.

3. السلوك الإداري في الشركات العربية سلوك مستجيب علاجي:

أظهرت تجارب الشركات الرائدة عالميا وجود القيادة الملهمة والعلمية ولنا أمثلة في شركات مثل مايكرو سوفت (بيل جيتس، بول ألن)، ديزني لاند(ولت وروي ديزني) ، كوكا كولا (جيمس بيمبيرتون)، جوجل (لاري بيج، سيرجي برين) نوكيا(فريديريك ايدستام،وغوستاف فوجلهولم) ، وول مارت (سام والتون) ، تويوتا(كيشيرو، وساكيشي تويودا)، ماكدونالد (ريتشارد وموريس ماكدونالد) ،هيوليت باكيرد hp (بيل هيوليت،ديف باكرد). هذه القيادة تصنع ثقافة خاصة بشركاتها تؤمن كعقيدة في العمل بأسبقيات أبرزها:

الإيمان بالعلم والتكنولوجيا، ثقافة التحفيز، التحسين المستمر، التمكين، تشجيع المبادرات والأفكار الخلاقة، الوقت المرن في العمل، توظيف التقنية الفائقة في العمليات التشغيلية ، التوجه بالمفهوم التسويقي وجوهره قيمة الزبون وبناء العلاقة طويلة الأجل معه. هذه الأسبقيات تؤدي إلى سلوك إداري مبتكر Creative وميسر Vacillator ووقائي Preventive ومبادر Proactive ، يطبق في الإدارات كافة ويهيئ الفرص لصنع القادة . وقدر تعلق الأمر بالوظيفية التسويقية ومهما كان المستوى الإداري المسئول عنها فأنها وبالتشارك مع الإدارات الأخرى، وبهذه الأسبقيات ستقوم بتحويل الإدارة من آليات عمل وإجراءات وصلاحيات فقط إلى إدارة معنية بالعلم ، فتحول منتجات الشركات التي يعملون فيها إلى طاقة تصديرية تنافسية هائلة.

أما على مستوى إدارة الشركات العربية عموما نجد أسبقيات مختلفة كما ونوعا فهي ترسخ سلوك إداري علاجي corrective، مستند على قواعد السلطة Authoritarian base، مستجيبReactive ، أبوي Parental.وبالتالي فالسلوك الإداري بهذه الأسبقيات والقيم سينتج عنها ثقافة انجاز بطيء غير مواكب للمستجدات العالمية وللتغيير الديناميكي البيئي ،وبذلك فدور هكذا إدارة وسلوك سيكون محدودا في خدمة المجتمع وتحسين حياته عموما. وهذا الدور السلبي وغير المواكب للتغيير سينعكس على دور سلبي في التصور الكلي الذي مفاده: بأي منتجات، وبأي مواصفات لتلك المنتجات سننافس في السوق العالمية؟ وبأي معايير ومؤشرات سنقيم اداء تلك المنتجات في مواجهة المنتجات المنافسة؟

ومن المناسب القول في هذا المجال إن القادة في مجتمعاتهم هم نتاج قيم وثقافة وحضارة تلك المجتمعات، ولو جئنا إلى بنية العقل الناتج في مجتمع يسود الولاء فيه لقيم القبيلة، العشيرة، الحزب، المجموعة، المذهب، النظام الحاكم. الطائفة،المحسوبية، بالتأكيد سيتباين كليا عن العقل الناتج من حصيلة مجتمع يكون الولاء فيه لقيم العلم والتكنولوجيا، وحقوق الإنسان، وحرية الرأي،والسلوك الديمقراطي، والتداول السلمي للسلطة ، والمواطنة الفاعلة. وما يقال عن العقل وفي مجتمع وقيم تمت تنشئته فيه ، يمكن إن يقال عن الشركات وسلوكها وثقافتها ومن أي مصادر وفي ضوء أي قيم ومتغيرات بيئية نشأت ومارست دورها. وهذا هو احد أوجه الاختلاف الجوهرية لواقع شركاتنا وسلوكها الإداري وتوجهها الإنساني والحضاري عن مثيلاتها الريادية في الدول المتقدمة. ويقودنا ماتقدم إلى نقطة تهديد وضعف أضافية وهي فلسفة فهم المنتج المرشح للتصدير وماهي رؤيتنا له ؟ وكيف نفسره كشركات؟ .

4. **فلسفة فهم وتفسير المنتجات المرشحة للتصدير:**

اعتدنا في أدبيات التسويق عموما وما يتصل منها بالتسويق الدولي على وجه الخصوص أن نذكر تقديم المنتجات(سلع، خدمات) إلى السوق العالمية مع مراعاة خصوصية الأسواق المرشحة للتصدير لاختلافها عن واقعنا المحلي سياسيا واقتصاديا وثقافيا وقانونيا. وهذه حقائق موضوعية لانقاش فيها وتؤيدها التجربة والممارسات العملية، إلا أن النقطة الجوهرية هي في فلسفة النظر للمنتجات المصدرة للأسواق الخارجية؟ نعني بذلك هل إن نظرتنا كشركات للمنتجات وكعنصر جوهري ضمن مزيج تسويق الصادرات، أنها مجرد مواصفات تركيبية وعملية، معايير جودة، أم إن هناك إبعاد أخرى يجب مراعاتها ؟ وللإجابة نوضح الحقائق الآتية:

- يمثل المنتج هوية الشركة وجواز سفرها إلى عقل وروح الإنسان (الزبون) ، قبل ان يكون مرسلا لسوق مستهدفة فحسب، فالإنسان مُعرف Identified وليس نكرة ، لذا عبر كوتلر عن ذلك ان جوهر التسويق هو تقديم قيمة للزبون ، وهذا يعني ببعده الفلسفي احترام حاجاته وتنمية رغباته والاهتمام بالمنافع التي تسعى الشركات لتوفيرها له، وبدون ذلك ينتقل إلى منافس أفضل يوفر له هذه القيم والاعتبارات الإنسانية. ولما كان المنتج هو الجوهر الذي ترتبط به عناصر المزيج التسويقي الأخرى وبدونه لاتعني هذه العناصر أي شي من الناحية العملية . فلا سعر وتسعير ، ولاتوزيع وترويج بدون وجود منتج . وعلى هذا الأساس فهو نقطة البداية.وهذا هو أول الأسس في فلسفة فهم المنتج وماذا يعني للإنسان (الزبون) المستهدف.
- السؤال الجوهري هنا ماذا تريد الشركة ان تفهم عن الإنسان خارج إطار الفهم المتعارف عنه في أدبيات التسويق عن الزبون سواء المحلي أو الأجنبي بالنسبة لسوق التصدير؟ وللإجابة نقول انه احترام عقل وسلوك الزبون كون العقل دالة للتعبير عن مكنوناته الداخلية . والأصل في احترام عقل الزبون هو فهم الإنسان ككل وتوفير المشاركة له في صنع قرار المنتج ، وفهم تفسير الإنسان للمنتج على المستوى الشخصي ، وماذا سيتيح المنتج من أساليب فنية وتعليمية ومعرفية لكشف فرص جديدة له ، وكيف توفر الشركة من خلال المنتج أفضل المصادر لتحسين مهارات الإنسان، وهذا يسمى بالـ Outside practicing .او Customer Involvement . وحصيلة كل ذلك مشاركة الإنسان الزبون للشركة في تطوير مجتمعاتها وتحسين إسهاماتها الحضارية والإنسانية ، وهذا مايُصطلح عليه بإعادة ترتيب التأويل المعرفي من الزبون للشركة.مثال ذلك رؤية شركة نوكيا كيف نحقق الاتصال والتواصل الملموس واللاملموس مع الناس . Connecting people.
- المنتج هو تحويل مامخزن في ذاكرة الزبون وتوظيف الاعتقادات المعرفية في شكل ومضمون يخدمه ويخدم السوق المستهدفة ، ولايمكن كسب الزبون بدلالة المنتج بدون تصميم محصلة الباطن لديه ليتحول إلى اعتقاد .
- المنتج هو حصيلة إعادة تأويل المعرفة التسويقية لفهم ومعرفة الذاكرة التاريخية للزبون.

- سعي الشركات الجاد ليشكل المنتج قاعدة معرفية ينجذب إليها الزبون ولا يغادرها ،مثال ذلك الكومبيوتر الذي يشكل تلك القاعدة المعرفية.
- خيال المصمم يمثل بعداً جوهريا في تشكيل المنتج انطلاقاً من إعادة قراءة المعرفة على أسس تأويل التصميم المستهدف للمنتج.

- تمثل المقدسات من منتجات لدى الزبون أطرا معرفية تلغي التطور ،وهنا يبرز دور الشركة وخيال المصمم المبتكر في إعادة قراءة البنية المعرفية لدى هؤلاء الزبائن والسوق، وبما يؤدي إلى تفكيك نص تلك المقدسات للزبون.

5. **الاغتراب التصديري**:

يمثل الاغتراب ضعفا في التوجه نحو التصدير للأسباب الآتية: (أبو قحف، 2007، 236)

- غياب المعلومات وقواعد البيانات الكافية والمتزامنة مع طلب السوق الأجنبية عن فرص التصدير بالأسواق الدولية.
- اقتصار الجهود في مجالات التصدير على محاولات فردية، ولا تتبع من إستراتيجية وطنية مبنية على أسس واضحة، وموجهة بأهداف قابلة للقياس على الصعيد الدولي.
- غياب المعيار السلوكي نحو التصدير مثل شعار اليابان التي اعتبرت التصدير " قضية حياة أو موت " .
- ضعف تسويق الدولة قبل تسويق الصادرات.

6. **ضعف الشراكة بين القطاعين العام والخاص لبناء طاقة تصديرية تنافسية:**

أن غياب التوجه المؤسسي في نموذج الشراكة بين القطاعين العام والخاص في اغلب الدول العربية ، وغياب التشريعات التي تؤطرها ، والضعف الواضح في معايير حوكمتها، إضافة لمتغيرات المخاطرة وضعف الدعم الحكومي في حالة فشل شركات القطاع الخاص في نشاطها التصديري ، بجانب عدم استثمار التجارب الدولية الرائدة في هذا المجال وضعف الوازع الوطني لرأس المال الخاص ، كل هذه العوامل شكلت عائقا أمام تقديم نموذج فعال وناجح تنافسيا في العلاقة بين القطاعين لتكوين طاقة تصديرية فاعلة.

ولعل واحدة من ابرز مشاكل ضعف العلاقة التفاعلية بين القطاعين الخاص والعام هو ضعف زج الجامعات ومراكز البحث وقدراتهما البحثية في دعم هذه العلاقة وتفعيلها من جهة وغياب آليات وضوابط تحكم هذه العلاقة بجوانبها الإدارية والقانونية . وواحدة من النماذج الرائدة في هذا المجال هو مايصطلح عليه ب" Triple helix" ، الذي يفترض أن التحول إلى اقتصاد المعرفة يقوم على الريادية في البحث العلمي في الجامعات ومراكز الأبحاث والدراسات وربطها بالسياسات الحكومية والصناعية.

ويقترح هذا النموذج أن النجاح يقوم على التقييم الدقيق لمرحلة التطور والتنمية، ودراسة التناسب بين السياسات المحلية والإقليمية من خلال التركيز على نقاط الضعف ونقاط القوة والفرص المتاحة إقليميا.

أن الهدف الرئيس لثلاثية Triple helix هو أقامة شراكة بين التعليم العالي والقطاعين الخاص والعام .وعلى الرغم من أن الابتكار قد ينشأ في أي من القطاعات الثلاثة ولكنه يبقى غير مؤثر أذا ماتم تحقيق ذلك بشكل منفرد لكل قطاع، لذا فإن التأثير الفعال على المستويات المحلي والإقليمي والدولي يكون بإنشاء شراكة بين القطاعات الثلاثة في عملية الإبداع والتطوير. (www.thetriplehelix.org).

والشكل (3) يوضح ابعاد ثلاثية العلاقة التشاركية بين القطاعات بهدف تبادل المعلومات والإبداع والمعرفة .حيث أن هذه الأهداف هي الميزة الرئيسية لمجتمع المعرفة. تحتاج آلية هذا التبادل إلى بيئات ديناميكية فعالة، والتي هي السمة الرئيسية لعملية تبادل

المعلومات، لهذا السبب نجد أن الوصول للتنمية المستدامة تحتاج إلى تحفيز جميع الجهات المعنية
بتطوير مجتمع المعلومات، والانتقال من البيئات المعزولة إلى بيئات العمل التعاونية والمنسقة
والمفتوحة والمرنة والدينامكية، والتي تتيح تدفق المعلومات بسهولة ويسر بين الأطراف "Triple Helix" . الرئيسية في التكامل.



الشكل (3) ثلاثية نموذج Triple helix

7. ضعف القدرة التنافسية للدول العربية على المستوى الدولي:

تعني التنافسية " قدرة الدولة والمنظمة على توليد ثروة اكبر من منافسيها في الأسواق العالمية" " (World Economic Forum, 1994, 18).

في حين عرفت منظمة الأنكتاد، التنافسية بأنها " الوضع الذي يُمكن الدولة في ظل شروط السوق الحرة والعادية من إنتاج السلع والخدمات التي تلاءم الأذواق في الأسواق العالمية، وفي نفس الوقت تحافظ على وتزيد من الدخول لأفرادها خلال الأجل الطويل ". (صقر، 2003، 92).

تعتمد تنافسية الاقتصاديات على قدرتها على تأمين بيئة أعمال مناسبة تمكنها من تنمية تجارتها الخارجية من خلال تطوير أدائها في الأسواق الخارجية ويعتمد ذلك إلى حد كبير على قدرة الاقتصاديات على جذب الاستثمارات الخارجية وتوظيفها مع الاستثمارات المحلية بالطريقة الأمثل لتسريع النمو الاقتصادي والوتيرة التنموية لكل من هذه البلدان.

الوضع الإجمالي للتنافسية العربية

تشكل تنمية الصادرات في بيئة اقتصادية مفتوحة أمثل السبل لمواجهة التحدي واستثمار الفرص المتاحة إلا أن ماتم عرضه من مؤشرات تشير إلى صعوبة الحفاظ على تنافسية قطاع الصادرات بسبب تخلف التصنيع وبطء التحول الهيكلي وضعف العرض من السلع الأساسية وزيادة الاعتماد على الموارد الطبيعية وانخفاض مستوى الاندماج في سلاسل الإنتاج العالمية (abdmoulah, Laabas, 2010, 1).

اشتملت دول المقارنة التي اعتمدت في هذا التقرير على أيرلندا وجمهورية الشيك، والمكسيك وتشيلي وكوريا الجنوبية وماليزيا والبرتغال وجنوب أفريقيا. بلغ أداء الدول العربية على المستوى الإجمالي للتنافسية 0.34 مقابل 0.67 لدول المقارنة أي أن الفجوة التنافسية تبلغ حوالي 49% مقارنة مع فجوة بلغت نسبة50% للتقرير السابق 2006. وبالرغم من هذا التحسن الطفيف إلا أن الفجوة مع دول المقارنة لا تزال واسعة وتدل على تواضع الأداء التنافسي للدول العربية إجمالاً. وتتصدر ايرلندا الأداء الإجمالي للتنافسية تليها كوريا الجنوبية، بينما احتلت دول الخليج العربية مراكز متقدمة وحققت قطر والبحرين والكويت تقدماً على سلم التنافسية متجاوزة "ماليزيا وجمهورية التشيك وحافظت الدول في مؤخرة الترتيب على أماكنها مثل السودان واليمن والجزائر وسوريا وموريتانيا مما يعني أن الجهود الإصلاحية المبذولة للنهوض بالتنافسية في هذه البلدان غير كافية لتغيير الوضع التنافسي. والجدول (2) يبين الوضع الإجمالي للتنافسية العربية.

البلد	مؤشر التنافسية الجاري	مؤشر التنافسية الكامنة	مؤشر التنافسية العربية
الجزائر	0.21	0.36	0.22
البحرين	0.70	0.55	0.64
تشيلي	0.72	0.57	0.66
التشيك	0.55	0.73	0.61
مصر	0.35	0.35	0.31
ايرلندا	1.00	0.92	1.00
الأردن	0.51	0.55	0.51
كوريا الجنوبية	0.80	1.00	0.89
الكويت	0.72	0.46	0.62
لبنان	0.24	0.46	0.28
ماليزيا	0.71	0.79	0.75
موريتلنيا	0.07	0.00	0.00
المكسيك	0.38	0.59	0.43
المغرب	0.35	0.22	0.26
عمان	0.40	0.37	0.36

البرتغال	0.54	0.69	0.58
قطر	0.75	0.68	0.73
السعودية	0.59	0.50	0.54
جنوب أفريقيا	0.53	0.36	0.45
السودان	0.00	0.22	0.01
سوريا	0.10	0.28	0.10
تونس	0.36	0.47	0.37
الإمارات	0.51	0.53	0.50
اليمن	0.07	0.12	0.02
متوسط الدول العربية	0.371	0.383	0.343
متوسط دول المقارنة	0.655	0.707	0.671

الجدول (2) إجمالي التنافسية العربية مع دول المقارنة لعام 2009

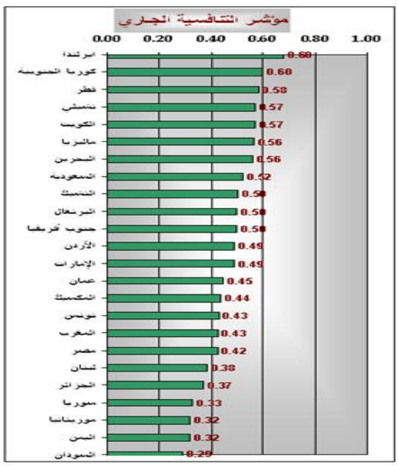
المصدر: المعهد العربي للتخطيط،، (2009)، " تقرير التنافسية العربية" ، العدد 3 ، الكويت، 156.

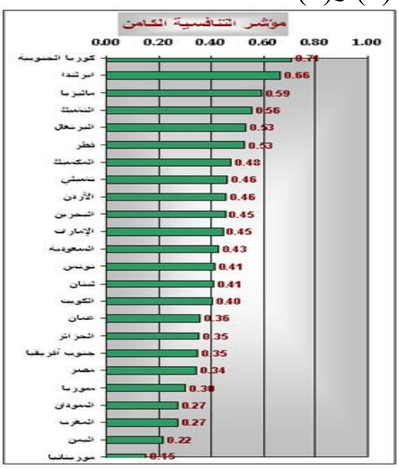
يغطي مؤشر التنافسية العربية مجالات عديدة يعتقد أن لها تأثير مباشر على أداء هذه الدول في الأسواق الدولية. كما أن كل الدول تتميز في الأداء الجيد في بعض الجوانب، بينما يكون أداؤها متواضعاً في جوانب أخرى. وانطلاقاً من هذه الحقيقة، فإنه يمكن قياس مستويات التنافسية في الأسواق الدولية بالاعتماد على مفهوم "ميزان التنافسية"، بحيث يقيس فرق نقاط القوة (الأصول) على نقاط الضعف (الخصوم).

ويعتبر أداء البلد نقطة قوة إذا ما كان ترتيبها في الثلث الأعلى لأي مؤشر من مؤشرات التنافسية العربية، ونقطة ضعف ما إذا كان ترتيبها في الثلث الأخير من قيم المؤشر تحت الدراسة. واستناداً إلى نتائج الميزان الإجمالي الذي تم قياسه بطرح مجموع نقاط الضعف من مجموع نقاط القوة وتم ترتيب الدول حسب هذا الميزان، فقد تبين أن نصف الدول لها ميزان موجب بينما يعاني النصف الثاني من قصور في ميزان التنافسية.

يشكل هذا الميزان نظام معلومات يمكن الاسترشاد به لتقليل الخصوم (نقاط الضعف) وتحويلها إلى أصول (نقاط قوة).

كما في التقرير الماضي عام 2006 فالدول التي حققت ميزان تنافسية ايجابي، فهي دول الخليج و بعدها الأردن و تونس إلا أن ايرلندا و كوريا و التشيك والبرتغال و ماليزيا يتصدرون الترتيب. ويبين الجدولين (3) و(4)





الجدولين (3) و(4) مؤشر التنافسية الجاري والكامن بين الدول العربية ودول المقارنة لعام 2009

المصدر: المعهد العربي للتخطيط، (2009)،" تقرير التنافسية العربية" ، العدد 3 ، الكويت، 160

مؤشرات التنافسية الجارية هي:
تدخل الحكومة والإنتاجية والبنية التحتية الأساسية، و الحاكمية وجاذبية الاستثمار الأجنبي وتكلفة القيام بالأعمال وديناميكية الأسواق والتخصص.

مؤشرات التنافسية الكامنة هي:
الطاقة الابتكارية والتقانة والبنى التحتية للمعلوماتية ورأس المال البشري

8. درجة الانكشاف الاقتصادي:

تمثل درجة الانكشاف الاقتصادي دالة في قيمة الصادرات مقارنة بالدخل او الناتج القومي ، كما انها مؤشر للتبعية الاقتصادية فبزيادة هذه الدرجة تزداد التبعية الاقتصادية والعكس صحيح . يقاس هذا المؤشر وفقاً للمعادلة الآتية: (أبو قحف، مصدر سابق، 234)

الانكشاف الاقتصادي = قيمة الصادرات + قيمة الواردات/ الناتج المحلي 1

درجة أهمية الصادرات = قيمة الصادرات / أجمالي الناتج المحلي * 100

درجة التركيز السلعي للصادرات= قيمة صادرات سلعة رئيسية/قيمة رات*100

بلغت قيمة الصادرات السلعية العربية في عامي 1997، 1998 مايقارب 172.7 ، 134 مليار دولار على التوالي، وهو ما يمثل حوالي 3.1% ، 2.4% من إجمالي قيما الصادرات العالمية في السنتين المشار إليهما والبالغة حوالي 5624.6، 5476.5 مليار دولار، على التوالي.

كما بلغت قيمة الواردات السلعية العربية في العامين المذكورين حوالي 134.4، 147.5 مليار دولار على التوالي، أي بنسبة 2.5%، 2.6% من إجمالي قيمة الواردات العالمية والبالغة في السنتين المذكورتين حوالي 5635.7،5767.9مليار دولار على التوالي.

و يمكن القول بشكل عام أن التجارة الخارجية، صادرات وواردات معا، لها وزنها المؤثر في النشاط الاقتصادي في كثير من البلدان العربية، حيث بلغت نسبتها معا أكثر من 50% من الناتج المحلي الإجمالي في السنوات المذكورة.

وإذا أضفنا إلى الصادرات والواردات، الصادرات والواردات غير المنظورة لبلغت نسبة التجارة الخارجية، منظورة وغير منظورة، إلى الناتج المحلي الإجمالي نسبة عالية في غالبية البلدان العربية، مما يؤدي بنا إلى القول أن درجة انكشاف الاقتصاد العربي على الاقتصاد الخارجي عالية، لها مخاطرها على الاستقرار الاقتصادي في البلدان العربية.(التقرير الاقتصادي العربي الموحد 1999)

ثانيا: الفرص ونقاط القوة

1. الإمكانات المالية والبشرية والمادية:

أكد التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام 2009 أن غالبية الدول العربية واصلت تحقيق معدلات نمو مرتفعة نسبياً خلال عام 2008 رغم بداية انتشار الآثار السلبية للأزمة المالية العالمية .
وأكد التقرير ارتفاع الناتج المحلي الإجمالي للدول العربية كمجموعة من نحو 1.505 تريليون دولار في عام 2007 إلى نحو 1.899 تريليون دولار في عام 2008 مسجلاً معدل نمو بالأسعار الجارية بلغ 26.2% مقارنة مع نحو 15.1% في العام السابق. (www.moheet.com)
وعلى صعيد التجارة العربية الخارجية والبينية أكد التقرير أن قيمة التجارة الإجمالية العربية في عام 2008 حققت زيادة في الصادرات بلغت نحو 32.5% لتصل قيمتها إلى نحو 1.050 مليار دولار الأمر الذي يعزى بشكل رئيس إلى الزيادة المطردة في أسعار النفط العالمية خلال الأشهر السبعة الأولى من العام. وسجلت الواردات الإجمالية العربية زيادة هي الأخرى بنسبة 32.2% لتصل قيمتها إلى حوالي 702 مليار دولار.

وأتت زيادة الواردات العربية كمحصلة لزيادة الطلب المحلي في ضوء استمرار النمو في معظم الدول العربية ولارتفاع واردات السلع الغذائية مع استمرار تصاعد أسعارها العالمية.

وارتفع وزن الصادرات العربية في الصادرات العالمية ليصل إلى 6.7% كما ارتفع وزن الواردات العربية في الواردات العالمية إلى 4.3%.

وأكد التقرير ارتفاعا في قيمة التجارة البينية العربية حيث بلغ متوسط قيمتها نحو 82.5مليار دولار مسجلة زيادة بنسبة 22.5% في عام 2008.

وإذا أضفنا لما تقدم كتله بشرية تقدر بـ 340 مليون نسمة سكان الدول العربية وعوائد هائلة من النفط خصوصا بعد ارتفاع أسعار بيعه في السوق العالمية. فأن كل ذلك يشكل فرصة تاريخية للدول العربية في ظل الأزمة العالمية الحالية لتحقيق فرص تنافسية ناجحة في السوق العالمية والاستثمار فيها بأي شكل من إشكال الدخول لتلك الأسواق ومنها أسلوب التصدير.

2. الدعم الحكومي:

سبق ان بينا ان سيطرة القطاع العام على الصادرات لفترة زمنية طويلة وفر لهذا القطاع خبرة كبيرة،وإمكانية اتخاذ قرارات مستندة على قدرات الدولة المالية والتنظيمية. وإذا أضفنا لذلك تمتع العديد من الدول العربية وخاصة الخليجية منها بموارد مالية هائلة بسبب العوائد النفطية من جانب وارتفاع أسعار بيع النفط من جانب آخر. كل ماتقدم أذا ماتم استثماره اقتصاديا فأن ذلك يوفر أرضية قوية لدعم النشاط التصديري من جهة ودعم أقامة مشاريع متخصصة بالتصدير من جهة أخرى استنادا للمزايا النسبية التي تمتلكها الدول العربية.

3.الطلب المتنامي للمنتجات المعرفية و استثمار مخرجات أفضل الممارسات العالمية:

انعكست نواتج الثورات المعرفية الثلاث منذ نهاية القرن الماضي وانفتاحا على القرن الحالي وصولا للعقد الأول الذي نعيشه في بداية الألفية الثالثة وهي(ثورة المعلومات والمعلوماتية، ثورة الهندسة البيولوجية الجينية،ثورة تقنية المواد (النانو تكنولوجي) ، انعكست في منتجات فائق واستخدامات بديلة وتكنولوجيا متقدمة ، أنتجتها عقول ذكية وبيئة بحث علمي ابتكاري ملائم ضمن منظومة تؤمن بقيم العلم والتكنولوجيا وتوظيفها لتحقيق تميز ونجاح تنافسي على الصعيد العالمي.وهذه بحد ذاتها تمثل فرصة للمقارنة بالنموذج والممارسات الناجحة Benchmarking with best practices . وخاصة بالنسبة للدول الغنية ضمن المجموعة العربية.

4. التوسع في الحصول على شهادات المواصفات القياسية الدولية:

قطعت العديد من الدول العربية شوطا لابأس به في مجال الحصول على شهادة المواصفة القياسية الدولية مثل ISO ، وهذه بحد ذاتها تعتبر جواز سفر وترسيخ ثقة بالمنتجات المرشحة للتصدير. ولكن يبقى مطلوبا من الشركات العربية السعي للحصول على هذه المواصفة وغيرها من المواصفات العالمية ، لمواكبة المعايير الدولية المطلوبة وفق ماورد في اتفاقيات الجات الدولية واشتراطات منظمة التجارة العالمية.

والجدول (5) يعطي تصورا عن النسبة المتدنية لحصة الشركات العربية الحاصلة على شهادة الآيزو مقابل الشركات العالمية رغم تحسنها في سنة 2002. آخذين بنظر الاعتبار ان تركز الشركات العربية الحاصلة على الآيزو مقتصرة كحصة كبرى على كل من السعودية، والأمارات العربية ومصر .

الجدول (5) نسبة الشركات العربية الحاصلة على شهادة الآيزو للإجمالي العالمي للفترة 1997 -2002

السنة	الإجمالي العالمي	الزيادة السنوية	نسبة الدول العربية %
1997	223299	60698	2%
1998	271847	48548	4%
1999	343643	71796	4%
2000	408631	64988	5%
2001	510616	101195	4%
2002	561747	51131	%10

5. اعتبار التصدير أسهام حضاري وأنساني:

مع تنامي حدة المنافسة الحالية والمتوقعة مستقبلاً ، تتعاظم بالتوازي مع ذلك محاولات الدول والشركات على المستويين الوطني والعالمي بتحقيق أهداف النمو وتحقيق الميزة التنافسية ، وبالتالي تعبير تلك الدول والشركات عن هويتها ودورها الإنساني والحضاري من خلال ماتنتجه من سلع وخدمات. واستنادا لهذا السعي فان الفرص متاحة للجميع بالتنافس في هذا الميدان ومنها الشركات العربية . فنمو الصناعات الوطنية وتحسين ميزان المدفوعات وتشجيع مبادرات وتوجه رجال الأعمال نحو دعم الطاقة التصديرية، وانخفاض الطاقة الاستيعابية للأسواق المحلية للعديد من السلع والخدمات ، وتخفيض نسبة البطالة ، واستثمار الموارد المحلية ، كل هذه الأسباب تجعل التصدير ضرورة وطنية وإنسانية وتعبير عن إبراز دور الشركات العربية على المستوى الدولي.

6.تفعيل علاقات التحالف والشراكة مع توجهات وأساليب تفكير رائدة :

تثار في هذا المحور تساؤلات كثيرة فيما يخص دور الدول العربية ، منها الآتي:

- هل بإمكاننا كدول عربية أو مكونات ضمنها، كمجلس التعاون الخليجي مثلاً ان نقدم نموذجا للانخراط الفاعل في الجانب الاقتصادي للعولمة؟ ، من خلال توحيد العملة الخليجية مثلاً وتعميق العلاقة الاقتصادية والسياسية مع الصين وألمانيا لإمكانية دخول هذه العملة ضمن سلة العملات العالمية مع الدولار الذي لحقته انخفاضات وتدهور في قيمته ومع الين الياباني ومع اليوان الصيني القادم بقوة إضافة للجنية الإسترليني واليورو الأوربي الموجودان أصلاً.

- هل بإمكان الدول النفطية ضمن الدول العربية مثلاً أعادة توجيه استثماراتها في الصناديق السيادية لأحداث تأثير في علاقاتها مع الغرب لصالحها ولصالح قضايا الأمة؟ وهل تمتلك الأرداة السياسية لإحداث ذلك التغيير؟

- هل يمكن التفكير بكونفدراليات عربية كبديل للوحدة العربية تجمع عناصر القوة فيها مثلاً كونفدرالية تجمع" مصر بإمكاناتها البشرية، والسودان بإمكاناتها الزراعية، وليبيا بإمكاناتها المالية" مع مراعاة العمل الجغرافي في التجاور بينها وبذلك يتحقق الى ليبيا إطلالة على البحر الأحمر من خلال مصر ويتحقق للسودان إطلالة على البحر المتوسط من خلال مصر ويتحقق لمصر المزايا النسبية للمال والأرض التي تمتلكهما كل من ليبيا والسودان؟ اقصد التفكير ببدائل خارج الصندوق كما يقال.

- كيف يمكن خلق التوازن مع الدول والشركات الرائدة عالميا ؟ ،من خلال تحالفات تقنية وبحثية وعدم الاقتصار على التحالف السياسي أو الإعلامي، لاستثمار المال العربي في اكتساب وتوطين المعرفة والـ Know how التي يمتلكها الغرب المتقدم ، وبالتالي الانطلاق لإنتاج وابتكار المعرفة عربيا ، مثال ذلك استحداث حاضنات

تكنولوجية وحاضنات بحثية ومعرفية، يمكن ان تكون أرضية لانطلاقة مستقبلية واعدة في مجال العلم والتكنولوجيا.
- كيف يمكن إعادة قراءة الواقع الاقتصادي والسياسي والاستراتيجي العربي بعد الثورات والتغييرات التي اجتاحت المنطقة العربية وأخذ العبر والدروس لاستثمارها في بناء تصور استراتيجي أفضل للمنظومة كلها ومنها التكتلات والتحالفات البينية مثل مجلس التعاون الخليجي ؟

- كيف نستثمر الأزمة المالية العالمية ونوجه فوائض الأموال العربية لاستثمارات تخدم الإنسان ضمن المنظومة العربية والتنمية المستدامة لمجتمعاتها وعلى مختلف أنشطتها وقطاعاتها؟

المحور الثالث : مزيج تسويق التصدير واستثمار المعرفة التسويقية وتكنولوجيا المعلومات لإسناده

يمكن من خلال مراجعة العمود الثاني في الأنموذج الافتراضي للبحث تشخيص عوامل وقوى وسيطة بتوفرها يمكن تجسير الفجوة بين تشخيص نقاط القوة والضعف والفرص والتهديدات ، وبين مؤشرات الأداء التصديري . وحيث أننا قد بينا من خلال المحور الأول من البحث في الفقرتين ثانيا وثالثا منه مايتعلق باختيار السوق الدولي المستهدف ، فسيقتصر عرضنا في هذا المحور على القوى الآتية:

1. تصميم مزيج تسويق التصدير:

يحتاج المزيج التسويقي إلى إدارة، وهذا يعني ان المزيج يتضمن استخدام مختلف الأدوات والأساليب المتاحة لدى المدراء لتنفيذ المفهوم التسويقي(توجه المنظمة بالتسويق) Marketing Orientation . (Mcdonald,2010,3) . وعموما وعلى صعيد عناصر المزيج التسويقي في السوق الأجنبي المستهدف يوجد توجهين اساسيين هما:(كوتلر، ارمسترونج، 1102،2007)

- المزيج التسويقي المنمط : Standardized Marketing Mix

يمثل إستراتيجية تسويق دولي لاستخدام نفس المنتج، قنوات التوزيع، الإعلان، وعناصر المزيج التسويقي الأخرى في كل الأسواق الدولية للشركة.

- المزيج التسويقي المكيف Adapted Marketing Mix

إستراتيجية تسويق دولي تعدل فيها الشركة عناصر المزيج التسويقي لكل سوق مستهدفة على حدة، مما يحمل الشركة تكاليف أكثر، ولكن بالمقابل احتمال الحصول على حصص سوق وارباح سيكون أكبر.

ان عناصر المزيج التسويقي المتعارف عليها في أدبيات التسويق تشمل 4ps وهي (المنتج، التسعير، المكان(القنوات والتوزيع المادي)، الترويج. وسنحاول إعطاء تصور مركز عن هذه العناصر في سوق التصدير وكالاتي.

- تخطيط المنتج:

تعد السوق العالمي على الأقل في الدول الصناعية سوقاً متناسقةً.ويصعب نسبياً قياس مدى بيع السلع المعمرة الاستهلاكية أو نجاح تلك السلع مثل آلات التصوير والساعات وحاسبات الجيب والأجهزة الكهربائية الصغيرة وأجهزة التلفاز في الأسواق الأجنبية التقليدية ما لم يحدث توافق مع المتطلبات المحلية بها.

أما أكثر المنتجات صعوبة في التوافق مع المقاييس العالمية، فهي المنتجات الغذائية ومستلزمات الصحة والتجميل والملابس. (تعد شفرات جيليت Gillette وجينز 501 الخاص بشركة ليفي Levi استثناءات نادرة من ذلك) وينبع ذلك من صعوبة التوصل إلى أذواق وعادات عالمية ثابتة، فعلى سبيل المثال: يأكل المستهلكون الأمريكيون الحبوب المجففة بمقدار أربعة أضعاف المستهلكين الفرنسيين. ولا يعد هذا الأمر مفاجأة لانة حتى في الأسواق الوطنية الكبيرة مثل سوق الولايات المتحدة غالباً مانجد اختلافات إقليمية قوية فيما يفضله الناس من المأكل والملبس. (أيتزل ، وآخرون ، مرجع سابق، 71)

وتتمثل إستراتيجية السلعة البديلة ، بمعنى تطوير منتج جديد تماماً لسوق أجنبية فعلى سبيل المثال : طورت شركة مايبلين (Maybe line) تركيبة أدوات تجميل للوجه عالية الرطوبة لسوق دول الباسيفيك في آسيا ولذا يجب أن يدرس المسوقون البيئة الثقافية والاقتصادية لأي سوق – أجنبية أو محلية – بعناية، قبل تخطيط المنتجات الموجهة لتلك المنطقة.

وللعلامات التجارية وبطاقات التسمية الملصقة على السلع اعتبارات أخرى في التسويق الأجنبي، حيث تفضل معظم الشركات استخدام نفس الأسماء المميزة لها في الأسواق المحلية والأجنبية لأنها توفر معرفة وإدراكا عاماً لدى الجميع ويمكن كذلك أن ينتج عنها بعض الوفر في اقتصاديات الترويج. وعلى الرغم من ذلك يجب العناية بترجمة الأسماء المميزة على سبيل المثال قدمت شركة كلارول (Clairol) أداة لتجعيد الشعر في ألمانيا أطلقت عليها أسم (Mist Stick) ولكنها اكتشفت بعد ذلك أن كلمة (Mist) كلمة ألمانية دارجة تعني "سماد".

- التسعير:

يعد التسعير قرار جوهري في التسويق كون السعر يمثل عنصر توليد العائد ضمن عناصر المزيج التسويقي، وعموما يعد التسعير الإجمالي بالتكلفة والربح (تحديد سعر عن طريق إضافة مقدار من المال لإضافة ربح إلى تكلفة تصنيع المنتج)، أمراً شائعاً في تسويق التصدير، وبسبب نفقات التوزيع الفعلي الإضافية والتعريفات الجمركية وغيرها من تكاليف التصدير الإضافية عادةً ماتكون الأسعار الأجنبية أكثر

ارتفاعاً من الأسعار المحلية بالنسبة للمنتج نفسه ، أحياناً متدخل الشركات في ممارسة يطلق عليها إغراق الأسواق (Dumping) بمعنى بيع المنتجات في الأسواق الأجنبية بأسعار أقل من أسعار أسواقها المحلية، وربما يتم خفض السعر لمواجهة المنافسة الأجنبية أو للتخلص من منتجات ذات معدل مبيعات بطيء.

من الموضوعات الأخرى ، تباين الأسعار المفروضة على صنف واحد في دول مختلفة ومتجاورة في الغالب ، إذ من الشائع وجود تباين في الأسعار (Price differential) يتراوح من 30% إلى 150% إذ يمكن للمستهلك الفرنسي، على سبيل المثال، عبور الحدود إلى ألمانيا وشراء سيارة فولكس واجن (Volkswagen) طراز(Jetta) جيتا بأقل من ثلث تكلفتها في فرنسا.

ومن المشكلات في موضوع التسعير في سوق التصدير هو سعر الصرف الأجنبي (Foreign Exchange) وتحويلات العملات. وكقاعدة عامة ، تفضل الشركة التي تدخل في التجارة الخارجية – سواء أكان تصديراً أم استيراداً – أن تحدد السعر بعملتها الوطنية ، لأنه إذا تعامل البائع بعملة أجنبية وانخفضت قيمة هذه العملة بين وقت توقيع العقد وتسلم العملة الأجنبية فإن البائع يتكبد خسارة مالية.

وتعد التجارة العكسية أو التبادل التجاري (Counter trade or barter) حلاً بديلاً للتسعير القائم على العملة وبدلاً من شراء السلع مقابل النقد ، ترتب بعض الدول عمليات تجارة المنتجات محلية الصنع مقابل سلع مستوردة. (Jobber,2010,896).

- **نظم التوزيع** :

تجبر البيئات المختلفة في الأسواق الأجنبية الشركات على تعديل نظم التوزيع الخاصة بها، لأن منشآت التسويق المألوفة مثل: الأنواع المختلفة لتجار التجزئة تتوافق مع تلك البيئة أو غيرها.وفي هذا الخصوص لابد من الإشارة الى دور الوسطاء والتوزيع المادي في سوق التصدير.

- **الوسطاء وقنوات التوزيع:**

يعد الوسطاء الأجانب الذين يمثلون المستوردين ويعملون داخل الدول الأجنبية عادة أقل إصراراً واندفاعا في العمل حيث يقدمون خدمات تسويق أقل من منافسيهم الذين يبيعون المنتجات المصنعة محلياً.

ويطلق على أحدى الممارسات الخادعة التي يستخدمها بعض الوسطاء اسم: تحويل مسار التصدير او التسويق الرمادي (Gray marketing) في موضوع الصراع ضمن قنوات التوزيع عندما يشتري موزع ما منتجاً صنع في بلد معين ويوافق على توزيعه في بلد ثانٍ ولكن بدلاً من ذلك فإنه يحوله إلى بلد ثالث ويعد ذلك تسويقاً التفافياً أو رمادياً ويأتي المصطلح المستخدم لوصف مثل هذه الممارسة . (Bains and others,2008,570).

ومن أسباب حدوث مثل هذا النوع من التسويق أن الشركات المصنعة التي تبيع منتجاتها في دول متعددة غالباً ما تواجه صعوبة في مراقبة أنشطة الوسطاء أكثر من الصعوبة التي تواجهها في مراقبتهم ومتابعتهم في السوق المحلية.

- التوزيع المادي:

تكون نفقات التوزيع الفعلي أكبر من سعر البيع النهائي في الأسواق الأجنبية عنها في الأسواق المحلية ويجب ان يتم هنا مراعاة المشكلات التي تنشأ عن المناخ السائد في بيئة العمل والسرقات أو عمليات النقل والتداول والتسويق غير المناسب التي ترتبط عادة بعمليات الشحن الدولي. وتعتبر الرشاوى (Bribes) والعمولات الخفية – وأحيانا الابتزاز- من حقائق الحياة المألوفة فيما يتعلق بالتوزيع في سوق التصدير. ويقع التوزيع المادي ضمن قرارات إدارة الإمداد ('Logistics) التي تشمل أيضا معالجة الطلبات، النقل، الجرد ومستوى الخزين، التخزين، التغليف. (العمر، 2007، 234).

- الترويج :

يمكن للشركات أن تتبنى عند الدخول لسوق أجنبي نفس إستراتيجية الترويج التي استخدمتها في السوق المحلي ، أو تغيرها تبعاً لخصوصية كل سوق أجنبي،ولنأخذ الإعلان مثلاً بدلا من الدخول في تفاصيل المزيج الترويجي(البيع الشخصي، الدعاية، تنشيط المبيعات ، العلاقات العامة، المعارض الدولية) ، بوصفها رسائل توضيحية للتحديات الإستراتيجية في الترويج الدولي. تتمثل صعوبة الإعلان الدولي في أن الأسلوب الناجح في ثقافة معينة ، قد يكون له معنى مختلف تماماً في ثقافة أخرى فعلى سبيل المثال ظهرت قضية مثيرة للجدل بشكل كبير عن إعلان تويوتا (Toyota) في ايطاليا الذي قدم مقارنة خفيفة الظل بين صورة الحكومة الإيطالية بصفتها حكومة فاسدة ، وقيمة سيارة تويوتا كارينا (Toyota Carina) وإمكان الاعتماد عليها.

وعلى الرغم من أن التناسق الكامل للإعلان الموحد على مستوى العالم كله ليس أمراً تقليدياً فإن هناك الكثير من التأييد لفكرة الخصائص المشتركة في حملات الإعلانات الدولية في الوقت الحالي . فعلى سبيل المثال تستخدم شركة يونيليفر(Unilever) بشكل ناجح نفس وسيلة الجذب لصابون دوف (Dove) الذي يحتوي ربعه على كريم منظف في أستراليا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والولايات المتحدة واليابان. وكذلك شركة جاي لاروش Guy Laroche تستخدم نفس الإعلانات لعطورها Drakkar Noir في أوربا مثلما تستخدمها في الدول العربية.

وعموماً يعد هدف الإعلان واحداً في أية دولة ، بمعنى توصيل المعلومات وعناصر الجذب المقنعة بشكل فعال وبالنسبة لبعض المنتجات فإن عناصر الجذب عامة ومشتركة بشكل كبير ، كما أن الأسواق متجانسة بدرجة تسمح باستخدام إعلانات متشابهة إلى حد كبير في العديد من الدول ويجب فقط تعديل إستراتيجية وسائل

الإعلان وتفاصيل الرسالة الإعلانية لملائمة البيئة الثقافية والاقتصادية والسياسية لكل دولة. فمثلا على صعيد الألوان في الإعلانات فأن اللون الأبيض هو لون الصباح في اليابان واللون الأرجواني يصاحب الموت في أمريكا اللاتينية، في حين اللون الأسود يصاحب حالة الموت في اغلب الدول العربية ، وكذلك التسميات حيث غيرت شركة Helene Curtis السويدية اسم الشامبو الذي تنتجه من شامبو كل ليلة Every Night Shampoo إلى شامبو كل نهار Every Day Shampoo نظرا لأن السويديين عادة مايغسلوا شعرهم في الصباح.

2. التسويق المبني على المعرفة

يُعد تشكيل وانتقال المعرفة في بيئة الأعمال والتعاون المشترك والمتداخل لنظريات التسويق المبنية على المعرفة من الأمور الحاسمة لتحقيق الميزة التنافسية للمنظمة والكفيلة ببقائها واستمرارها، كما أن أنشطة التسويق هي من ضمن أكثر أجزاء المنظمة كثافة بالمعرفة، إذ أظهرت الدراسات السابقة بان تطبيق مفاهيم التسويق المبني على المعرفة تبرهن فاعليتها في أداء المنظمة، فضلاً على افتقار التسويق إلى إطار مبني على المعرفة وضعف توضيح العمليات التسويقية المبنية على المعرفة. (Kohlbacher, 2008: 627).

حيث يعّرف التسويق المبني على المعرفة بأنه (التسويق الذي يستفيد من معرفة البيئتين الداخلية والخارجية لوحدة أو وظيفة التسويق في المنظمة) (Cader, 2007: 48-49).

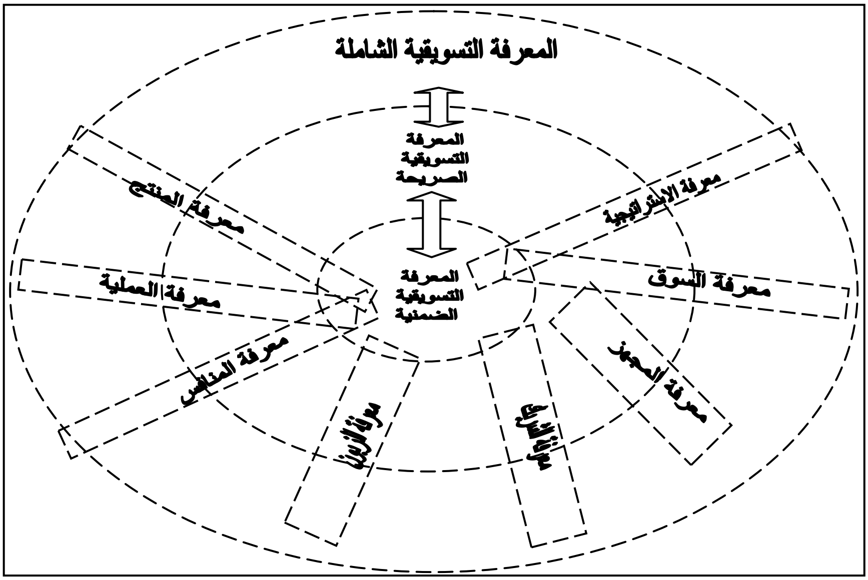
كما يعرف بأنه (إدارة التسويق بمنظور المعرفة والذي يركز على الاستغلال أو الاستثمار (المشاركة والتطبيق) والاستكشاف (الإنشاء والإيجاد)، فضلاً عن التكوين المتزامن للمعرفة التسويقية من خلال شبكة العلاقات المتبادلة مع الأطراف المختلفة والمعرفة عن الزبائن والمنافسين والموردين والشركاء والمساهمين لتحقيق الميزة التنافسية واستدامتها مع الأخذ بنظر الاعتبار العوامل المؤثرة من ثقافة المنظمة والتفافة العامة ومستوى الثقة وضمنية المعرفة) (Kohlbacher, 2007: 629).

يدعو التسويق المبني على المعرفة إلى البراعة الفائقة لربط استراتيجيات البقاء والاستمرار وان الإيجاد المتزامن للقيمة يكون مطلب مسبق بالغ الأهمية لتحقيق الميزة التنافسية المستدامة (Kohlbacher , 2009 :164) .

نرى أن يكون التسويق المبني على المعرفة شاملاً يجمع في محتواها نوعي المعرفة الصريحة والضمنية والمعرفة عن كل الأطراف وبتوجه استراتيجي والتي تتجسد فيها العمليات التسويقية المبنية على المعرفة التي من شأنها تحسين الأداء التسويقي.

تتصف الأبعاد التي حددها (Kohlbacher) للتسويق المبني على المعرفة بالشمولية والتكامل والتناغم والتداخل فيما بينها وتشمل أيضا المعرفة الضمنية

والصريحة والتي تتجسد فيها ضمنا عمليات التسويق المبنية على المعرفة والمبينة في الشكل (4).



الشكل (4) المعرفة التسويقية الشاملة

Source: Kohlbacher, Florian, (2007), "International Marketing in the 21st Century: A Knowledge – based Approach, Pal grave Macmillan, Basingstoke, P: 99.

3.الذكاء التنافسي:

فى عالم الأعمال المعقد والمتغير بصفة دائمة فان الذكاء التنافسي والإلمام بالمنافسين وخططهم هو بمثابة قاعدة راسخة فى مجال اتخاذ القرارات الإستراتيجية تقدم وضعية تنافسية مميزة للشركات , أن التعرف على الاحتياجات التنافسية هو البداية الفعلية لدورة الذكاء التنافسي competitive intelligence **(CI)** .

وفي البيئة التنافسية العالمية تتخذ الشركات قرارات ذات مخاطرة عالية، سواء كانت تتعلق في تقديم منتج جديد الى الأسواق أو إقرار إستراتيجية لدخول أسواق جديدة، او توجد لديها الرغبة في الحصول على وتطبيق تقنيات جديدة ، او عند رغبة الشركة في الاستحواذ على شركة منافسة فان متخذي القرارات الإستراتجية لابد لهم

من المعرفة الدقيقة عن خطط المنافسين وعن ردود أفعالهم المرتقبة . (www.kenanaonline.com).

ويعرف الذكاء التنافسي بأنه" الوظيفة التنظيمية المسئولة عن الكشف المبكر عن المخاطر والفرص في السوق قبل ان تصبح واضحة وواقعية. ويدعو الخبراء هذه العملية بتحليل الإشارات المبكرة. (Gilad ,2008,22).

يركز التعريف على الفرق بين نشر معلومات واقعية على نطاق واسع (مثل إحصائيات السوق، والتقارير المالية) التي تقوم بها مركز ووظائف مثل المكتبات ومراكز المعلومات، وبين الذكاء التنافسي في تقديم منظورات perspective في التطورات والأحداث التي تهدف للحصول على ميزة تنافسية.

وماحوج الشركات العربية في أنشطتها التصديرية لمثل هذه التقنيات المتقدمة والتي يمكن الحصول عليها من شركات متخصصة في هذا المجال.

المحور الرابع: الأداء التصديري

يمثل أداء التصدير نجاح او فشل الجهود التي تبذلها الشركة او الأمة لبيع منتجاتها المحلية (السلع والخدمات) في بلد آخر ويقاس الأداء التصديري موضوعيا " Objectively" من خلال مؤشرات مثل المبيعات والارباح والعائد على الأستثمار او العائد على الأصول، وذاتيا " Subjectively "من خلال مؤشرات رضا الزبون والموزعين.(Lages,flilipe,2005,79).

وتستخدم بعض البحوث الحصة السوقية كجزء من البعد المالي ، الا أن الحصة السوقية كمقياس تندرج تحت بعد المبيعات وليس تحت بعد الربحية ، حيث تقاس المبيعات كنسبة التصدير إلى إجمالي المبيعات ويكون الحجم المطلق لهذه المبيعات والحصة للأكثر أهمية من المنتج / السوق ، أما الربحية فتقاس بواسطة العائد على الاستثمار ROI والعائد على الأصول ROA وبالحجم المطلق لكل من الحصة السوقية والربح التصديري الإجمالي والتشغيلي الحدي وتقارن الأرباح نسبة إلى معايير الصناعة).

فيما يحدد الباحثان ((Optic, Cavusgil & Zou، 1-12) المعايير الإستراتيجية للأداء التصديري بالتوسع السوقي، الاستجابة التنافسية، الحصول على موطئ قدم وزيادة الوعي بالمنتج / الشركة.

وأشار ابو التمن الى مفهوم الالتزام على مستوى المنظمة على أنه الرغبة العامة من قبل الإدارة على تخصيص الموارد البشرية والإدارية والمالية الكامنة نحو أنشطة التصدير ذات الصلة. ويقاس هذا الالتزام على بعدين:- (ابو التمن ، مصدر سابق، 90).

الأول:

الموقف من التصدير "Attitude" فيما إذا كان للشركة موازنة منفصلة خاصة لتطوير التصدير.

الثاني:

الالتزام ، فيما اذا كان للشركة مسؤول عن الأنشطة التصديرية.

ويوفر هذا المدخل صورة شاملة للالتزام حيث ينظر إليه على انه موقف وسلوك. كما يقاس الأداء من حيث ربح الشركة والنمو حيث يستخدم العائد على المبيعات:ROS" في تقويم الربحية. وتختلف الشركات عن بعضها في الأهداف فعلى سبيل المثال فعلى سبيل المثال تؤكد الشركات الأمريكية على المقاييس المالية كالعائد على الاستثمار " ROI" في حين أن الشركات اليابانية تؤكد النمو.

ومن المقاييس الأخرى للأداء التصديري مدى توسع الشركة في السوق الدولي. حيث يتحقق هذا التوسع من خلال التنويع أو التركيز السوقي، فالأول يعني التوسع السريع في عدد كبير من البلدان خلال فترة قصيرة من الزمن أما التركيز السوقي، فيبدأ ببلدان محدودة نسبياً ثم يتوسع تدريجياً إلى مناطق جديدة عبر الزمن وبذلك تؤدي إستراتيجية التنويع إلى عدد كبير من الأسواق في مرحلة معينة ولكن على الأمد البعيد فأن الإستراتيجيتين قد تقودان إلى عدد البلدان المخدومة نفسها.

في ضوء ماتقدم يمكن تحديد تعريف الأداء التصديري على انه " مدى التنفيذ لمجموعة من الأهداف الاقتصادية والإستراتيجية للمشروع التصديري التي تسعى إلى تحقيقها الشركة من خلال التخطيط والتنفيذ الكفء لإستراتيجية تسويق التصدير". ذلك أن إدارة أية شركة تستهل مشروعها التصديري وقد وضعت نصب أعينها مجموعتين من الأهداف التي قد تكون اقتصادية مثل الأرباح ، المبيعات او التكاليف أو الإستراتيجية مثل توسيع السوق، الاستجابة التنافسية، والحصول على موطئ قدم في السوق الأجنبي وزيادة الوعي بالمنتج أو الشركة أو كلتا هاتين المجموعتين من الأهداف. (ابو التمن ، مرجع سابق، 92-93)، وكما مبين في الجدول (5).

الجدول (5) أهداف مشاريع التصدير

أهداف زيادة الأرباح والمبيعات	أهداف حماية الأرباح والمبيعات
• دخول أسواق جديدة بعد إشباع ونضوج الأسواق تقوم الشركات بالبحث عن أسواق جديدة مجدية في الخارج حيث وجود النمو السكاني والاقتصادي. • خلق سوق جديدة. • الترتيبات التجارية التفضيلية للتجمعات الاقتصادية والإقليمية مثلاً الاتحاد الأوربي والتجمعات الاقتصادية الأخرى التي تعني سوق أكبر. • النمو السريع للأسواق الأجنبية مقارنة بالمحلية. • الحصول على موطئ قدم في الأسواق الخارجية.	• متابعة الزبائن في الخارج. • تحسين الاتصالات والقدرة على الاتصال بالمستهلكين والوكلاء والفروع. • التعويض أو معالجة تذبذب المبيعات في السوق المحلية لتحقيق مبيعات أضافية التي تسمح للشركة باستخدام طاقتها الإنتاجية الفائضة وبالتالي الحصول على كلفة أنتاج منخفضة. • زيادة الوعي بمنتجات الشركة في سوق التصدير . • المشاركة في سياسات وأنشطة دعم التصدير. • البقاء في السوق التصديري. • زيادة الوعي بالمنتج والشركة. • مقابلة ضغوط المنافسة والمنافسين. • التوسع الاستراتيجي في الأسواق الخارجية.

المحور الخامس: خلاصة ومقترحات

فيما يأتي ابرز أوجه خلاصة البحث:

1.يمثل التصدير أداة فاعلة لتحقيق معدلات متنامية للنمو في اقتصاديات الدول ولاسيما النامية منها.

2.تمر العملية التصديرية بمراحل عديدة ،تختلف هذه المراحل باختلاف طبيعة عملية اتخاذ القرار التصديري والإستراتيجيات المختارة والعوامل المحددة في الأداء التصديري للشركة، وان موقف الإدارة يشكل جزءاً مهماً في موازنة مكامن القوة أو ضعف الإستراتيجيات المعتمدة في إدارة تسويق التصدير وفي توفير مستلزمات النجاح للمشروع التصديري.

3.يعكس تطور التصدير كمراحل محددة أو كعملية تدريجية أو كسلوك ابتكاري وكمواقف نشيطة أو سلبية بالضرورة وجود فروقات مهمة بين الشركات بخصوص أهدافها ومواقفها وسلوكها تجاه التصدير ومن ثم تباين المصدرين في توجهاتهم نحو التصدير باختلاف المراحل وأنماط الدخول إلى الأسواق الدولية ومستويات الاهتمام والمخاطرة.
4.يختلف التصدير كنشاط تسويقي دولي يختلف عن التسويق المحلي في الآتي:-

أ.ثمة اختلافات داخلية بين بيئة التسويق المحلي والخارجي تنعكس بالضرورة في تطبيقات مختلفة كالبرامج التسويقية.

ب .التصدير كونه نشاطاً في الأسواق الخارجية يفرز قضايا ومشكلات مختلفة عن التسويق المحلي.

ت. لم يحسم الباحثون الجدل القائم بشأن ملائمة إستراتيجية التنميط ام التكييف للأنشطة التسويقية، وكل من المدافعين عن هذين المدخلين له حجة في هذا الشأن . وعلاوة على ذلك هناك المدافعون عن الإستراتيجيات المختلطة من التنميط والتكييف وتكمن أهمية هذا

الجدل في أن اختيار أي من المدخلين كأستراتيجة له أثر واسع على أداء وتنافسية الشركة في الأسواق التصديرية.

ث.ينطوي خروج الشركات إلى الأسواق الدولية على الرغبة في تحقيق مجموعتين رئيستين من الأهداف هما الأرباح والمبيعات، وثانيهما الرغبة في المحافظة على أو حماية هذه الأرباح والمبيعات كضمانة لاستمرار تحقيق أهدافها الاقتصادية والإستراتيجية.

ح.ضرورة الاعتماد على المعايير المتعددة في قياس الأداء التي تجمع بين المعايير الاقتصادية والإستراتيجية.

5. على الرغم من أن التكتلات التجارية أصبحت سمة أساسية من سمات النظام الاقتصادي الدولي الجديد، وعلى الرغم من أن الدول العربية أعلنت في مناسبات عديدة عن ضرورة تمتين علاقاتها التجارية، لا يزال العالم العربي مفككا، الأمر الذي يضعف موقفه في العلاقات الاقتصادية الدولية.
6. ضعف الدول العربية كمؤسسات ومنتجات في الإسهام الحضاري الإنساني المبني على قدرة ذاتية لإمكانات تلك الدول المالية والمادية والبشرية.
7. ضعف الإنتاج المعرفي الدول العربية ومؤسساتها بسبب ضعف الإنتاج العلمي.

8. أسبقيات الولاء ضمن المنظومة العربية تميل كأتجاه عام للقبيلة والعشيرة وليس للعلم والتكنولوجيا والكفاءة والمواطنة الحقة.

9. الضعف الواضح في تبني المدخل الاستراتيجي في النشاط التصديري في الدول العربية، وإذا ماتحقق ذلك للبعض منها فأن النظرة المؤسسية والتفاعلية لتحقيق التكامل بين الدول العربية تكاد تكون ضعيفة.

10. يغلب على الاستثمارات المالية الضخمة وخاصة للدول العربية الغنية الطابع السياسي وليس الاقتصادي، ودليل ذلك حجم الاستثمارات في الصناديق السيادية أو الأعمال بشكل عام في الدول الأجنبية بدلا من توظيفها ضمن المنظومة العربية. ومنها دعم النشاط التصديري

11. ضعف دور الأعمال الصغيرة Small business في الدول العربية أسوة بالدول المتقدمة التي حولت إسهامات هذه الأعمال إلى ميزة تنافسية وتنشيط الحراك الاقتصادي على المستوى المحلي والانطلاق منه للمستوى الدولي.

12. عدم التوازن في حجم وقيمة التصدير بين الدول العربية والأجنبية من جهة، وفي التجارة البينية ضمن المنظومة العربية من جهة أخرى. حيث تميل الكفة لصالح العلاقة مع الدول الأجنبية.

13. يغلب على مؤشرات الأداء التصديري الجانب الاقتصادي البحت ممثلاً بعناصر التكاليف والسعر،و بشكل اكبر بكثير من الاهتمام بالمؤشرات الإستراتيجية

مقترحات:

1. إعادة قراءة التسويق المعرفي بمدخل فلسفي يمازج بين حقول العلم المختلفة (علم النفس الاجتماعي، العلوم السلوكية، علوم تصميم المنتجات وتقنياتها) لأن جوهر وهدف التسويق بهذا التوجه وبضمنه نشاط التصدير سواء على صعيد السياسات والاستراتيجيات ، هو الإنسان (كحاجات ورغبات وقيمة ومنافع)قبل أن يكون زبونا أو مستهلكا فقط . إضافة لقدرة الشركات على الاندماج مع التنافسية وسلسلة الإنتاج العالمي المتقدم في مجال السلع والخدمات والمعارف.

2. إعادة تعريف سوق التصدير ،تصميم مزيج التسويق التصديري بما يحاكي متطلبات الزبون والتنافسية . وهذه القراءة تشمل مكونات إستراتيجية التصدير في مجالات (اختيار السوق المستهدفة وقدراتنا التنافسية فيه، السلوك التصديري، تكييف او تنميط عناصر مزيج تسويق التصدير، السلوك التصديري، العوامل التنظيمية والإدارية ودوافع الإدارات العربية نحو التصدير في دعم نشاط التصدير ، مع إسناد كل ماتقدم بقاعدة معلومات ذكية عن التصدير وشركاته ونماذجه)

3. تبني الحكومات ومؤسساتها والجامعات ومراكز البحث ومؤسسات المجتمع المدني منهج إعادة قراءة لحجم وقيمة الإسهام الإنساني والإنتاجي والمعرفي للدول العربية بمنظور حضاري، فقوة الأمم والشعوب تقاس بهذا المؤشر.

4. ضرورة أعادة تعريف العلاقة بين القطاع الأكاديمي (الجامعات والمعاهد والمراكز العلمية والبحثية من جهة والقطاعين العام والخاص، وبصورة دورية. وتوظيف تقنية "Triple Helix"في تفعيلها.

5. إعطاء اهتمام استثنائي للأطر القيادية التي تدير استراتيجيات وآليات وأنشطة التصدير ،لأن مشكلة سوء الإدارة في المنظومة العربية (الإدارة السلطوية الأبوية) تمثل إشكالية بالمقايسة والمقارنة مع مثيلاتها في الشركات العالمية .

6. العمل بجميع الوسائل على زيادة درجة الاندماج التجاري للدول العربية لتحقيق الاتحاد الجمركي، ونبذ صراعاتها السياسية والعسكرية. وهكذا تزداد معدلات النمو ويتحسن حجم الإنتاج ونوعيته في جميع القطاعات وتعالج معوقات الاستثمارات الأجنبية المباشرة، بالنتيجة النهائية ترتفع المقدرة المالية والتجارية فتتغلب إيجابيات الاتفاقات متعددة الأطراف على سلبياتها ويصبح للعالم العربي ثقلا حقيقيا في منظمة التجارة العالمية.

7. تشجيع التجارة البينية بين الدول العربية تحقيقيا للتكامل الاقتصادي العربي الفاعل والمؤثر ضمن أسواق التصدير بشكل خاص والأسواق العالمية بشكل عام.

8. استثمار القدرات المالية العربية وخاصة في الدول النفطية منها، بجانب استثمار الموارد البشرية في إنشاء حاضنات تكنولوجية ومعرفية تحاكي لغة العصر(لغة العلم والتكنولوجيا) ،من خلال بناء تحالفات وشراكات مع جهات عالمية رائدة بمنظور استراتيجي، والانطلاق منها في بناء قاعدة منتجات معرفية لغرض التصدير.

9. تفعيل دور الملحقيات التجارية في سفارات الدول العربية في الخارج، واختيار الكفاءات المهنية في إدارتها. وبما يصب في مصلحة تنشيط التصدير.

10. تفعيل دور غرف التجارة والصناعة واتحادات وجمعيات رجال الأعمال في الدول العربية في تنشيط التصدير .

11. تنشيط دور الأعمال الصغيرة ودور القطاع الخاصSmall business بمحفزات مالية وإعفاءات ضريبية وتوعية إعلامية بأهمية هذا الدور.

12. إعادة النظر بالتشريعات القانونية المشجعة في خلق بيئة استثمارية لاستقطاب الاستثمارات ،وفي ذات الوقت تكون عوامل محفزة باتجاه تنشيط التعامل مع الخارج بأساليب الدخول للأسواق الأجنبية وبضمنها أسلوب التصدير.

13. دراسة إمكانية محاكاة والاستفادة من تجارب شركات دول متقدمة في أساليب دخولها بأسلوب التصدير للأسواق الأجنبية وأبرزها تجارب شركات دول مثل اليابان والصين وسنغافورة وماليزيا وتركيا وكوريا الجنوبية والبرازيل والهند .

14. اعتماد مؤشرات أداء تصديري اقتصادية وإستراتيجية تحقق تقليص درجة الانكشاف الاقتصادي وترسخ قيمة التصدير كقضية وطنية وتنافسية وحضارية.

المراجع

العربية:

1. أبو التمن، عباس غالي، (1999) ، " القوى المؤثرة في العلاقة بين ستراتيج التسويق الدولي والنشاط التصديري"، أطروحة دكتوراه ، **كلية الإدارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية**، جمهورية العراق.
2. أبو قحف ، عبد السلام ، (2007) ، " **التسويق الدولي**" ، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية،مصر.
3. ايتزل،مايكل. ووكر، بروس. ستانتون،ويليام، (2006) ، " **التسويق**" ، ط1، شركة لبنان ناشرون بالتعاون مع شركة ماكجروهل، بيروت،لبنان.
4. العمر، رضوان المحمود، (2007)، " **التسويق الدولي**"، ط1، دار وائل للنشر، عمان، الأردن.
5. صقر، عمر، (2003)، " العولمة وقضايا اقتصادية معاصرة"، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر.
6. كوتلر،فيليب . أرمسترونج، جاري، (2007)،" **أساسيات التسويق**" ،، تعريب د. م سرور علي إبراهيم سرور، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية.
7. المعهد العربي للتخطيط، (2009)، " **تقرير التنافسية العربية**" ، العدد 3، الكويت.

الأجنبية:

1. Abdmoulaha,W. Laabas,B,(2010),” Assessment of Arab Export Competitiveness in International Markets using Trade Indicators”, The **Arab Planning Institute** , API/WPS 1010
2. Baines, Paul. Fill, Chris. Page, Kelly, (2008)." **Marketing**", Ist Ed, Oxford University press, Italy.
3. Cader, Yoosuf,(2007), “Knowledge management & Knowledge–based marketing”, **Journal of Business chemistry**, Vol. 4, Issue 2,
4. Cavusgil, T.S. (1984), "Differences among Exporting Firms Based on Their Degree of Internationalization", **Journal of Business Research**, vol 12, No 2.
5. Gilad, B. (2008), "The Future of Competitive Intelligence: Contest for the Profession's Soul", **Competitive Intelligence Magazine**, vol.11, No (5).
6. Jobber, David, (2010)," **Principles and Practices of Marketing**", 6th.Ed.Mc-Graw-Hill companies, UK.

7. Johansson, Johny.K, (2000),"**Global Marketing Foreign Entry, Local Marketing& Global Management**", 2nd.Ed, Mc-Graw-Hill Irwin, USA.

8. Kohlbacher, Florian, (2007), "**International Marketing in the 21st Century: A Knowledge – based Approach**, Pal grave Macmillan, Basingstoke, P: 99.

9. Kohlbacher, Florian, (2008), "Knowledge-based marketing: building & sustaining competitive advantage through knowledge co-creation", Journal of management & decision marketing, Vol. 9, No. 6

10.Kohlbacher, Florian, "Strategic Knowledge–based marketing", (2009), **Journal of Knowledge management studies**, German Institute for Japanese studies. Vol. 3, No. 2.

11. Lages, Luis Filipe, Carmen Lages & Cristiana Raquel Lages (2005), "Bringing export performance metrics into annual reports: The APEV scale and the PERFEX scorecard." **Journal of International Marketing**, 13(3), 79.

12. McDonald, Malcolm, (2010)," **Marketing Plans : How To Prepare Them, How To Use Them**",6th.Ed., Alsevier,Ltd.Uk.

17. The World Competitiveness Report, **World Economic Forum**, (1994), IMD International, Lausanne.

الانترنت:

1. www.moheet.com
2. www.thetriplehelix.org
3. Www. kenanaonline.Com/users/ahmedkordy/topics.

أثر السلوك التنظيمي على ظاهرة استخدام العمالة الوافدة في السودان

ورقة بحثية مستلة من رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة النيلين

علي محمد أحمد عبد المحمود صلاح*   2011م

الملخص

تهدف هذه الورقة لدراسة السلوك التنظيمي للعمالة و أثره على ظاهرة استخدام العمالة الوافدة في السودان، لقد اهتمام علماء الإدارة بدراسة السلوك الإنساني كأحد محددات أداء الأفراد، لأنه يحدد السلوك الذي يسلكه الفرد داخل المنظمة مع زملائه و مرؤوسيه ما يعرف بالسلوك التنظيمي، و الذي يعتبر أحد عناصر معادلة الأداء البشري، لهذا اهتمت إدارات المنظمات بدراسة سلوك الفرد من خلال معرفة محددات السلوك الإنساني و التي تتمثل في الجوانب الوراثية، و العوامل البيئة الاجتماعية و الثقافية، و المستوى الاقتصادي و بيئة العمل و النظم المتبعة، ومن خلال معرفة سلوك الفرد يمكن التنبؤ بسلوكه داخل أو خارج المنظمة، إضافة إلى معرفة مدى التزامه بتحقيق أهداف المنظمة من خلال معرفة الأسباب التي تزيد أو تقلل من دوافعه للعمل.

استخدم الباحث في هذه الدراسة منهجاً إحصائياً تحليلياً، لتحديد خصائص الظاهرة موضوع الدراسة ووصف طبيعتها ونوعية العلاقة بين متغيراتها وأسبابها واتجاهاتها وما إلى ذلك من جوانب تدور حولها للتعرف على حقيقتها في أرض الواقع. تم الحصول على بيانات الدراسة من المصادر الثانوية المتمثلة في المراجع و الكتب والدوريات العلمية و المواقع الالكترونية، كما تم الحصول على البيانات الأولية للدراسة ميدانياً باستخدام أداة الاستبيان (Questionnaire)، و قد اعتمدت الدراسة على عينة مسحية عرضية (Accidental Sample) مكونة من 537 فرداً، تم اختيارهم من قطاعات الأعمال المستهدفة بالدراسة وفقاً لمتغير كثافة

---

* طالب دكتوراه، قسم إدارة الإعمال، كلية الدراسات العليا، جامعة النيلين ، المدير الإداري للشركة العربية لإنتاج الأدوية البيطرية

الوجود الأجنبي في القطاع المعني فكانت الغلبة لقطاع النفط. استطاع الباحث جمع عدد 485 استمارة من أفراد العينة، أي ما يعادل نسبة 90.31% من مجموع الاستمارات التي وزعت.

توصلت الدراسة إلى نتائج يري الباحث أنها أجابت على مشكلة البحث وهي:

1. أوضحت الدراسة منظمات الإعمال تفضل استخدام العمالة الوافدة لتميزها بالصفات الآتية:

- العمالة الوافدة المتخصصة تتمتع بخبرات ممتازة في مجال تخصصها.
- يتمتع العمال الوافدين بحيوية و نشاط و بنية جسمانية قوية تجعلهم يتحملون العمل تحت الضغط لفترات طويلة.
- ليست جميع العاملين الأجانب يمتعون بمهارات عالية البعض عبارة عن عمالة هامشية.
- لا تفضل العمالة الوافدة الارتباط بالنقابات لاعتقادهم بأنها قد تجرهم للخوض في بعض القضايا السياسية التي قد تجلب لهم بعض المتاعب.

1. تفضيل منظمات الأعمال استخدام العمالة الوافدة لانخفاض تكلفة تشغيلها التي تتضح من الآتي:

- أغلب العمال الوافدين يحرصون على تحقيق معدلات إنتاج عالية، مما يساعد على تقليل تكلفة إنتاج السلع أو تقديم الخدمة.
- أغلب العمالة الوافدة أكثر التزاماً بإجراء العمل، مما يجعل العملاء يثقون بالمنظمة بأنها تستطيع تنفيذ تعهداتها تجاههم.
- لا يحرص العمال الوافدين على الاشتراك في التامين الاجتماعي مما يوفر للمنظمات المبلغ التي تدفعه كاشتراك شهري للعامل.
- تحرص العمالة الوافدة على تطوير مهاراتها ومواكبة التطور التكنولوجي المتسارع في مجال تخصصها.

2. توصلت الدراسة إلى أن المنظمات تفضل استخدام العمالة الوافدة لارتفاع قدراتها وتميز أدائها الذي يتضح من خلال الآتي:

- العمالة الوافدة تتميز عن العمالة السودانية باحترامها لرؤسائها و أكثر إطاعة لأوامر.
- تهتم العمالة الوافدة بمظهرها العام مما يكون له وقع ممتاز في نفس عملاء.
- العمالة الوافدة منضبطة جداً أثناء ساعات العمل وتتجنب تماماً ما يعطل العمل.
- تتصف العمالة الوافدة المتخصصة بمقدرات عالية لحل ما يعترض العمل من مشكلات.

- توصلت الدراسة إلى أن العاملين الوافدين يتفاوتون في درجة تعاونهم مع زملائهم حسب جنسياتهم و مجال عملهم و لا يختلفون في ذلك كثيراً عن العمالة السودانية.
- يتفاوت العمال الوافدين في درجة تكيفهم مع ظروف العمل.
- أغلب العمال الوافدين أكثر التزاماً بالقوانين المنظمة للعمل.

في ضوء مناقشة نتائج الدراسة توصلت الدراسة للتوصيات التالية:

1. ضرورة تسليح الشباب طالبو الوظائف بالمعارف و المهارات و السلوكيات المرغوبة، التي تتواءم مع المتغيرات التكنولوجية المحلية و الإقليمية و العالمية.
2. الاهتمام بتزويد الخريجين بقيم العمل بنفس مستوى الاهتمام بتزويدهم بالمعرفة والمهارات التقنية والمهنية ليصبحوا مواطنين منتجين، فلا بد من تأصيل ونشر وتمتين ثقافة إدارة الزمن و العامل المنتج، والحرص على أخلاقيات العمل فهي أمر ديني وأخلاقي وإداري.
3. إصلاح إفرازات التعليم العالي بما يربطه بأهداف التنمية وحاجات المجتمع، في ظل تدابير عامة للإصلاح السياسي والإداري.

The impact of organizational behavior on the phenomenon of the use of Expats in Sudan

Ali Mohammed Ahmed Abdel Mahmoud Salah *

Abstract

The objective of this paper is to study the organizational behavior of employment and its impact on the phenomenon of the use of Expats_in the Sudan, I have the attention of management scientists studying human behavior as a determinant of individual performance, because it determines the behavior being followed by the individual within the organization with his colleagues and subordinates what is known as organizational behavior, which is a elements of the equation of human performance, that's focused on departments of

organizations to study the behavior of the individual through knowledge of the determinants of human behavior, which is the genetic aspects, in addition to the factors of the social environment, cultural and economic level and the work environment and systems in place, and by knowing the individual's behavior can predict his behavior inside or outside the organization, in addition to knowledge of how the commitment to achieve organizational objectives through the knowledge of the causes that increase or reduce the motivation to work.

The researcher used in this study, an analytical statistical approach, to determine the characteristics of the phenomenon under study and describe the nature and quality of the relationship between the variables and their causes and trends and to aspects of the spin around to see what they are in the ground. Been obtained the study data from secondary sources of references and books, scientific journals and websites, as has been obtained for the initial data for the study of the ground using the questionnaire, and may study relied on a sample survey a cross (Accidental Sample) composed of 537 members , were selected from the target business study and according to the variable intensity of foreign presence in the sector were to prevail on the petroleum sector. Researcher was able to collect a form from the 485 respondents, equivalent to the proportion of 90.31% of the total questionnaires that were distributed.

The study found the results to the researcher believes that it responded to the research problem, namely:

1._The study of business organizations prefer to use foreign workers to distinguish the following characteristics:

• Expats have specialized expertise, excellent in their field

of specialization.
• migrant workers enjoy the vitality and the activity and structure make them bear a strong physical work under pressure for long periods.
• Not all foreign workers regale some highly skilled labor is marginal.
• Expats prefer not to link trade unions in the belief that it may lead them to engage in some political issues that may bring them some trouble.
2._Business organizations prefer to use foreign workers for low cost operation that emerges from the following:
• Most migrant workers are keen to achieve high production rates, which helps to reduce the cost of producing goods or providing the service.
• Most foreign workers are more committed to conduct business, which makes customers trust the organization that they can implement their commitments towards them.
• migrant workers are not keen to participate in social insurance, which provides organizations with the amount that you pay monthly as a subscription to the worker.
• Expats keen to develop their skills and keep pace with rapid technological advances in the field of specialization.
3._The study found that organizations prefer to use foreign workers for high capacity and performance excellence as evidenced by the following:
• Expats distinct from the employment of Sudan to respect for their heads, and more in obedience to orders.
• Expats interested in general appearance, which have occurred in the same excellent customers.
• Expats very disciplined during working hours and to avoid exactly what disrupts the work, such as social events and courtesies.
• characterized by Expats specialized high destiny as opposed to working to solve problems.

• The study found that foreign workers vary in the degree of their cooperation with their colleagues according to their nationality and their field and do not differ much from the employment of Sudan

• migrant workers vary in the degree of their adaptation to the conditions of work.

• Most migrant workers are more committed to laws governing the work.

In light of the discussion results of the study The study found the following recommendations

1. The need to equip young job-seekers with the knowledge, skills and desired behaviors, which are compatible with the technological variables local, regional and global.

2. Interest to provide the values of the graduates work in the same level of interest by providing them with the knowledge and technical and vocational skills to become productive citizens, we must consolidate the dissemination and strengthening the culture of management time and working the product, and to ensure that the work ethic it is a religious, moral and administrative.

3. reform of higher education including links it to development objectives and the needs of the community, under the general measures of political and administrative reform

مقدمة:

إن دخول السودان لمرحلة إنتاج و تصدير النفط جعله من الأسواق الجاذبة للعمالة في العالم نتيجة لتزايد معدلات الاستثمارات الأجنبية، و لعل العمالة الخاصة بصناعة النفط و التعدين والصناعات التحويلية وغيرها تحظى بنصيب أكبر في سلم العمالة من حيث العدد و النوعية، لأنها تحتاج إلى خبرات وكفاءات غير متوفرة في العمالة الوطنية [البوني، صفاء عبد اللطيف (2010م)]. إلا أن سوق العمل لم يسلم أيضاً من العمالة غير الماهرة في قطاعات و مواقع مختلفة حتى الهامشية منها [حامد، ناجي محمد(2009م)، ص106]. و تبعاً لذلك ازداد عدد العمالة الوافدة بالبلاد بصورة ملحوظة و متزايدة مما احدث اختلالاً في سوق العمل السوداني أفضي إلى حدوث زيادة في البطالة وسط العمالة السودانية [الطائف، الزهور محمد خير(2002)]، و دخول ثقافات و عادات و سلوكيات و ظواهر سالبة في المجتمع السوداني، أدت لإحداث آثار اقتصادية و اجتماعية و أمنية و ثقافية في المجتمع [علي، محمد إسماعيل (2009م)،ص39]. و يعتبر العنصر البشري من أهم عناصر الإنتاج وهو مخلوق معقد التركيب و يختلف تماماً عن عناصر الإنتاج الأخرى، لذلك لزم الأمر ضرورة الاهتمام بدراسة وفهم العوامل التي تؤثر في سلوكه، الذي يؤثر على الكفاءة الإنتاجية للفرد و بالتالي يؤثر على تحقيق أهداف المنظمة. اشتداد المنافسة العالمية و الداخلية بين المنظمات دفعها إلي البحث و استقطاب أفضل العناصر أداءً لتحقيق ميزة تنافسية من خلال الأداء المتميز للعنصر البشري، بخفض تكاليف إنتاجها و تحسين جودة منتجاتها و الخدمات المقدمة، ، لذا كان التركيز على اختيار العناصر التي تتميز بكفاءة عالية و بأداء متميز، و من المعلوم أن أداء الفرد يتأثر بسلوكه لانعكاسه على تصرفاته و تعامله مع زملائه و مرؤوسيه عند قيامه بأي أعباء ، هذا ما يعرف بالسلوك التنظيمي، و الذي يمكن أن يعرف بأنه "سلوك الفرد داخل المنشأة والذي يحدده طبيعة الإنسان" وسلوك العامل ينبع من دوافعه وغرائزه الفطرية و يرتبط بالجانب النفسي للعامل، و يعتبر من أهم موجهات أداء العامل، لذلك أصبح هناك اهتمام بالجوانب السلوكية للأفراد عند الاختيار، و من هنا نبعت أهمية دراسة السلوك التنظيمي ومعرفة محدداته وعناصره وأبعاده.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في أن هناك زيادة في أعداد العمالة الوافدة في سوق العمال السوداني آدت لحدوث آثار اقتصادية و اجتماعية و أمنية و ثقافية في المجتمع، وزادت من نسبة البطالة فأصبحت تشكل ظاهرة ينبغي معرفة دوافعها و مسبباتها، و لذلك يود الباحث من خلال هذه الدراسة معرفة اثر السلوك التنظيمي للعمالة الوافدة على تفشي هذه الظاهرة في اغلب قطاعات الأعمال.

أهمية الدراسة:

يرى الباحث أن استخدام العمالة الوافدة أصبح يشكل ظاهرة واضحة للعيان، ومستمرة في الازدياد يوماً بعد يوم، الشيء الذي ينذر بخطر يحتم دراستها لمعرفة الدوافع و الأسباب التي أدت لظهورها و العمل على معالجتها، لتفادي تفاقم هذه الظاهرة مستقبلاً و لتحجيم الآثار السالبة المترتبة عليها و المخاطر التي قد تنجم عنها مستقبلاً.

أهداف الدراسة:

و تهدف الدراسة لمعرفة اثر السلوك التنظيمي للعمالة على تفشي ظاهرة استخدام العمالة الوافدة في اغلب قطاعات الأعمال في السودان، و ذلك باختبار فرضيات الدراسة من خلال جمع البيانات عن هذه الظاهرة وتحليلها للتوصل لتوصيات بشأنها تساعد على معالجة دوافعها، و تحد من استفحال مخاطرها الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية و الثقافية.

وبناءً على ما سبق تهدف هذه الدراسة للإجابة على الأسئلة التالية حول هذه الظاهرة:

1. ماهي الصفات التي تتميز بها العمالة الوافدة ؟
2. ماذا عن تكلفة تشغيل العمالة الوافدة منخفضة أم مرتفعة ؟
3. مدى تميز قدرات و أداء العمالة الوافدة ؟

فرضيات الدراسة:

بناءً على ما تقدم افترضت الدراسة الفرضيات التالية:

1. وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين استخدام العمالة الوافدة و الصفات التي تميز هذه العمالة.

2. وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين استخدام العمالة الوافدة انخفاض تكلفة تشغيلها.
3. وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين استخدام العمالة الوافدة و ارتفاع قدراتها وتميز أدائها.

منهجية البحث:

استخدم الباحث في هذه الدراسة الاستطلاعية المنهج الوصفي التحليلي القائم على وصف الظاهرة للوصول إلى أسبابها والعوامل التي تتحكم فيها، و استخدم الباحث وسيلة الاستبيان (Questionnaire) لمعرفة السلوك التنظيمي للعمالة الوافدة و مدى تميز صفاتها و قدراتها و أدائها، و من ثم معرفة مدى تأثير ذلك على هذه الظاهرة. و اعتمدت الدراسة على عينة مسحية عرضية (Accidental Sample) مكونة من 537 مفردة توزعت على مجموعة مختارة من قطاعات الأعمال، واستخدم الباحث برامج التحليل الإحصائي في تحليل و معالجة البيانات المتحصل عليها من الاستبيان لاختبار فرضيات الدراسة و استخلاص النتائج.

مجتمع البحث وعينته:

يتكون مجتمع الدراسة من الأفراد ذكور و إناث العاملين بالقطاعات التي بها أعداد مقدرة من العمالة الأجنبية، و لعدم قدرة الباحث على تحديد حجم مجتمع الدراسة بشكل دقيق استخدم طريقة العينات غير العشوائية (nonrandom Samples)، فاستخدم طريقة العينة القصدية (Purposive Sample) لتحديد المنشآت المراد اختيار أفراد لعينة الدراسة من القطاعات الرئيسية و التي شملت قطاعات: البناء و التشييد, و النفط، و الطاقة و التعدين، و قطاع النقل، الطرق و الجسور، و قطاع المطاعم و الفنادق، إضافة لسبعة قطاعات أخرى فرعية شملت قطاعات: الإنتاج الزراعي و الحيواني، و الري و الحفريات، التعليم العالي، و مراكز التدريب، و الصناعات الدوائية والغذائية، و إدارة الأجانب ومكاتب الاستقدام و الإعلام ، استخدم الباحث طريقة عينة الصدفة (العرضية) (Accidental Sample) لاختيار أفراد عينة الدراسة من المنشأة المعنية، كما قام الباحث بانتقاء بعض أفراد عينة الدراسة بطريقة العينة القصدية بناءً على الاختصاص بغرض إثراء الدراسة وتحقيق أهدافها.

أولاً: ما هو السلوك الإنساني

يقصد بالسلوك عموماً الاستجابات التي تصدر عن الفرد نتيجة لاحتكاكه بغيره من الأفراد أو نتيجة لاتصاله بالبيئة الخارجية، ويتضمن السلوك بهذا المعنى كل ما يصدر عن الفرد من عمل حركي أو تفكير أو كلام أو مشاعر أو انفعالات الغرض منها إشباع وتحقيق حاجاته [www.dzworld.net].

بمعنى أن سلوك الإنسان هو ممارسات يؤديها الإنسان لحركات أو فعاليات جسيمة ونفسية، ولاشك في أن إشباع هذه الحاجات عن طريق عملية السلوك الإنساني يعتمد على قدرات الفرد في تحقيق هذه الحاجات، فلكل فرد حاجاته النفسية وقدراته ودوافعه الخاصة لتحقيق وإشباع هذه الحاجات [http://univ-mae.com].

مؤثرات السلوك الفردي

وهي عبارة عن مجموعة من العناصر والمتغيرات تؤثر بشكل عام على سلوك الفرد، فهي تختص بالفرد نفسه دون الجماعة وهي:

أ. الإدراك: perception:

هو المعرفة الناتجة التي يحصل عليها بفعل مؤثرات خارجية مباشرة مبنية على أحاسيسنا و انفعالاتها بفعل الأشياء الموجودة حولنا [جمجوم، هشام محمد نور (1991م) ص34]. وينصرف مفهوم الإدراك إلى الطريقة أو الأسلوب التي يتفهم أو يسعى الإنسان إلى تفهم ما يحيط وذلك من خلال مجموعة الحواس التي يمتلكها الشخص[http://univ-mae.com، مرجع سبق ذكره].

ب. الدافعية : motivation :

تحدد دوافع الإنسان نوع سلوكه ولذلك تعرف الدافعية "بأنها العملية التي يمكن بها توجيه السلوك الإنساني"، وقد اختلفت وجهات نظر الكتاب في تحديد مفهوم الدوافع فالبعض يرجعها إلى مفهوم الحاجة أو الشعور بالنقص، ومن هنا كان الاهتمام بالحاجات الإنسانية باعتبار أن لها تأثيراً على سلوك الفرد [هشام محمد نور جمجوم ، مرجع سبق ذكره ، ص**43**].

و تتوقف مقدرة المنشأة في تحقيق الأرباح على أداء المشاركين في العمل و ليست على المهارة و المقدرات الإدارية فقط، لكن يجب معرفة الدافعية الإنسانية للتوصل إلى كيفية تنشيط القدرات و المهارات الكامنة لدى الفرد، و تختص الدافعية بتفسير سبب السلوك الإنساني خاصة ما يتعلق بسبب تفاني فرد ما في العمل و إخلاصه و ولائه له، بينما يحاول فرد آخر تجنب العمل، و لماذا يشعر الفرد بسعادة و رضا في العمل بينما يشعر الآخر

بالملل و الضجر و الرغبة في التهرب منه[حنفي، عبد الغفار(1993م)، ص357].

ت. البيئة التنظيمية و الدافعية:

توفير فرصة العمل للعامل لا تجعله ينتج بأعلى مستوى و أن يكون مخلصاً و متحملاً للمسئولية الوظيفية للشركة، و إنما يجب تحقيق مطالب الأفراد كجماعة و كأفراد لخلق نوع من الدافعية لدى الأفراد، و التي تعني الاستعداد للتنمية و القدرة على تحمل المسئولية و الاستعداد لتوجيه السلوك نحو الأهداف التنظيمية [المرجع السابق ،ص376].

ب. القدرات:

تعتبر القدرة من أهم الجوانب الشخصية حيث النجاح في الدراسة و العمل إنما يقوم على أساس من قدرات الفرد لمتابعة دراسة ما أو القيام بعمل من الأعمال[هشام محمد نور جمجوم ، المرجع السابق ، ص61] ' وهي عنصر أساسي من العناصر المؤثرة في السلوك و بالتالي في الأداء الفردي و الجماعي [نفس المرجع ص62]. يختلف الناس في مستوياتهم العقلية اختلافاً جوهرياً، بمعنى آخر تختلف نسبة القدرة من فرد لآخر كمظهر من مظاهر الفروق الفردية، فهي المحصلة الكلية لمختلف المواهب العقلية المعرفية و التي تضم التفكير و الإدراك و التذكير و التخيل و الابتكار و الانتباه و الاستدلال.

و يمكن أن نميز بين ذي القدرة عن غيره من الأفراد من خلال الصفات التي تميزه وهي:

1. أشد يقظة وأسرع في الفهم و الحفظ و الاستيعاب و الاستعداد و الإقدام و المثابرة.
2. أقدر على التعلم و اكتساب المهارات و الخبرات و أقدر على التطبيق و مراعاة القوانين.
3. أقدر على إدراك العلاقات المختلفة التي تربط بين مختلف الأمور.
4. أقدر على الابتكار و الإبداع و حسن التصرف و سرعة البديهة و الطلاقة في التعبير.
5. أقدر على التصرف في العواقب و في تكوين علاقات مرضية مع من يتعامل من الناس و أسرع في كسب ثقة الآخرين و حبهم و ولائهم وأسرع في التأثير و أقدر على اللباقة.

6. غالباً ما يكون ناجحاً في دراسته و عمله و في الحياة عامة وأسرع على التوافق الاجتماعي و التعاون في حل المشاكل.
7. أقدر على العمل تحت ظروف الإحباط و القهر والظروف الطارئة، وتحمل الصدمات و الشدائد دون أن يفقد اتزانه و ثقته أو السيطرة على انفعالاته و سلوكه.
8. أقدر في تحديد الأهداف و اتخاذ القرارات السديدة في الوقت المناسب و تنظيم الجهد و الوقت.
9. أقدر على رقابة الآخرين و توجيههم و الإشراف عليهم و كسب مودتهم و جعلهم يعملون لتحقيق الأهداف المنشودة منهم و هم راضون كل الرضا.
10. أقدر على أن يكون القدوة و المثل الأعلى للآخرين [المرجع السابق ، ص71].

و تتمثل الفروق الشخصية بين الأفراد في الآتي:

أ. الشخصية: personality
يشير مفهوم الشخصية إلى تلك الخصائص الجسمانية والنفسية التي تميز الشخص عن غيره من الأشخاص، وتتحدد شخصية الإنسان من مجموعة من العوامل التي ترجع إلى عوامل الوراثة، وكذلك العوامل الموقفية الناتجة عن وجود الشخص في جماعة معينة أو مجتمع معين، ومن هذا المنطلق فان مصطلح الشخصية يضم أية سمة أو صفة لها صلة بشكل أو آخر بقدرة الفرد على التكييف و الحفاظ على احترامه لذاته، ومن هنا يجب أن يأخذ أي وصف للشخصية بعين الاعتبار المظهر العام للفرد و طبيعة قدراته و دوافعه و ردود أفعاله وكذلك طبيعة الخبرات التي سبق له أن مره بها [نفس المرجع ، ص96].

ب. الخبرات المشتركة: نجد أن الإنسان يتعلم سلوكاً تفرضه عليه الثقافة التي يعيش فيها، و ينقل القيم السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه دون مناقشة ودون علم بان أشخاص آخرين من ثقافات أخرى قد لا يشاركونه في هذه القيم [المرجع السابق ، ص98].

ت. الشخصية و الخبرة الفردية: يؤثر التكوين البيولوجي للفرد أو الفروق الوراثية في مسالكه الخاصة تجاه العوامل الاجتماعية التي تؤثر فيه فتصبح ميزة خاصة تميزه عن الآخرين. ونجد أن البيئة الثقافية التي يعيش فيها الفرد وحصيلة الخبرات التي مر بها و اكتسبها يصبان معاً

في قالب واحد يحددان لشخصيته بناءً محدداً و هوية معينة معروفة به [المرجع السابق ، ص99] .

هناك عدة عناصر خارجية تؤثر في سلوك الفرد تتمثل في الخبرات التي يمر بها و يكتسبها الفرد، إضافة للتعليم الذي تلقاه الفرد أو التعليم من المواقف التي مره بها أو ملاحظاته على ما يجري حوله، و الثقافة التي يؤمن بها الفرد تؤثر سلباً و إيجاباً في سلوكه فهي تتكون مما يكتسبه الإنسان من مجتمعه من معتقدات و قيم وأفكار و أنماط سلوكية و لغة و فن و علم و استعدادات و اهتمامات، بجانب ذلك نجد للمكانة الاجتماعية للفرد في المجتمع الذي يعيش فيه أثر كبير على سلوكه، إضافة لظروف العمل داخل المنشأة التي يعمل بها الفرد من حيث مباني و تصميم المنشأة و التصميم الداخلي و ونظام التهوية و الإضاءة و الأثاثات والألوان جميعها تؤثر على السلوك الفردي للإنسان.

ثانياً: السلوك التنظيمي

ما هو السلوك التنظيمي:

هو دراسة منظمة لأفعال واتجاهات الأفراد بالمنظمات حيث يسعى السلوك التنظيمي لإحلال الطريقة العلمية محل الاعتماد على الخبرة والتجربة في تفسير السلوك الإنساني، ويهتم السلوك التنظيمي أيضاً بالسلوك المتصل بأداء العمل في المنظمات على العكس من مجالات علم النفس والاجتماع التي تقوم بدراسة السلوك الإنساني بصفه عامة.

لقد أصبحت مادة "السلوك التنظيمي" من بين المواد العلمية الرئيسية في خطط ومناهج حقل الإدارة في جميع الجامعات والكليات والمعاهد، بل ومادة تدريبية مهمة للمديرين ومختلف العاملين في المنظمات عامة، وذلك لأنه بات واضحاً بأنه لا يمكن للمنظمات تحقيق أهدافها بكفاية وفعالية بدون فهم واضح ومتعمق لسلوك العاملين في المنظمات، والذين يلعبون الدور الحاسم في هذا المجال.

تعريف السلوك التنظيمي:

و يعرف السلوك التنظيمي بأنه الاستجابات التي تصدر عن الفرد نتيجة لاحتكاكه بغيره من الأفراد داخل المنظمة، أو نتيجة لاتصاله بالبيئة الخارجية من حوله. ويتضمن بهذا المعنى كل ما يصدر عن الفرد من عمل حركي أو

تفكير أو سلوك لغوي أو مشاعر أو لإدراك و انفعالات، كما عرفه هود جيتس وألتمان السلوك التنظيمي بأنه ذلك الجـزء من المعرفة الأكاديمية التي تهتم بوصف وتفهم وتنبؤ وضبط السلوك الإنساني في البيئة التنظيمية [الحسيني، صلاح هادي حسن (بدون تاريخ)] ' ومن هذه التعاريف يمكن تلخيص السلوك التنظيمي في:

أ. أن السلوك التنظيمي هو سلوك الإفراد داخل المنظمات.

ب. يختلف السلوك التنظيمي من فرد إلى آخر اعتماداً على طبيعة الإنسان.

ت. يظهر السلوك التنظيمي عند وجود الفرد داخل المنظمة مع وجود أفراد آخرين يتفاعلون معه، مما ينتج عن هذا التفاعل السـلوك التنظيمي أي أن السلوك التنظيمي يختلف عن السلوك الإنساني إذ إن الأول يظهر داخل المنظمة فـي حين الثاني هو سلوك الأفراد خارج المنظمات أو المؤسسات.

ث. يتحكم في سلوك الأفراد داخل المنظمات (السلوك التنظيمي) بمجموعه من القوانين وتعليمات المنظمة التي يعمل بها الأفراد.

ويرى العلماء والباحثين المعنيين بهذا المجال أهمية معرفة السلوك التنظيمي للأفراد عند التعيين، لأنه يعني مباشرة تفهم وتفسير سلوك العامل في المنظمات والتنبؤ به وضبطه والتحكم به من أجل تحقيق أهدافها بكفاية وفعالية [www.dzworld.net].

و من هنا يمكن تعريف السلوك التنظيمي بأنه تفاعل علمي النفس والاجتماع مع علوم أخرى أهمها علوم الإدارة والاقتصاد والسياسة [www.alsumereon.com]:

و تتضح أهمية السلوك التنظيمي من النقاط التالية:

أ. جذب الانتباه إلى ضرورة الاهتمام بتنمية وتطوير الكادر البشري، ويمكن تحقيق هذا بالاستثمار فيه لزيادة كفاءته وتحسين مهارته، ومن ثم فان الفهم الصحيح لسلوك الأفراد يمكن المنظمة من التعامل مع الأفراد بالطريقة الصحيحة.

ب. وجود الاختلافات الفردية التي تميز هذا السلوك، يتطلب من المنظمة فهم وتحليل هذه الاختلافات للوصول إلى طرق تعامل متمايزة تتناسب مع هذه الاختلافات.

ت. فبالرغم من أن السلوك التنظيمي ليس وظيفة تؤدى يومياً مثلها مثل المحاسبة أو التسويق أو التمويل إلا أنها تتغلغل في كل وظيفة تقريباً على مستوى المنظمة ككل.

هناك ثلاثة أهداف رئيسية من دراسة السلوك التنظيمي هي:

أ. تفسير وتحليل سلوك الفرد في المنظمة.

ب. التنبؤ بالسلوك وذلك من خلال معرفة مسببات السلوك .

ت. التوجيه والسيطرة والتحكم في السلوك.

أهمية دراسة السلوك التنظيمي

يمكن للمنظمة من خلال دراسة السلوك التنظيمي تحقيق الآتي:

أ. فهم وتفسير السلوك والممارسات والمبادرات وردود الأفعال التي تصدر من العاملين من خلال فهم طبيعة الدوافع والإدراك والقيم التي تحكم السلوك.

ب. إدارة السلوك وتوجيهه نحو تحقيق الهدف من خلال التدعيم الايجابي للسلوك المرغوب وبناء نظم الحوافز والتدعيم الملائم، وكذلك اختيار نمط الاتصال وأسلوب القيادة الملائم.

ت. وضع استراتجيه مستقبلية لتنمية وتطوير سلوك الأفراد والجماعات واستراتيجيات التطوير والتنمية المختلفة في المنظمة.

محددات السلوك التنظيمي

برزت أهمية علم السلوك التنظيمي لتفسيره السلوك الإنساني و التنبؤ به والسيطرة عليه و توجيهه لتحقيق أهداف المنظمة، و نجد أن محددات السلوك التنظيمي يرتبط بعضها بالفرد و بعضها يرتبط بالبيئة الاجتماعية و بعضها الآخر يرتبط ببيئة العمل، و تتناول محددات السلوك المرتبطة بالفرد دوافع العمل، وهيكل القيم الشخصية لدى العاملين وضغوط العمل لدى الأفراد العاملين بالمنظمة.

إن السلوك الإنساني لا يتوقف على الأجهزة العصبية فقط بل يتأثر بالناحية الاقتصادية و الثقافية، كما يتأثر بعوامل القدرة و المهارة و الاستعداد و الرضا، و لذلك فهو يتأثر بالتغييرات النفسية و الوجدانية و الدوافع و كذلك بالظروف الاجتماعية و ما يحيط بها، و الإنسان بصفة عامة مخلوق معقد ذو دوافع عديدة و طموحات لا حصر لها لا تنتهي إلا بانتهائها، فعلم السلوك هو العلم الذي يدلنا على أفعال و تصرفات و تعبيرات و حركات و نشاطات و قرارات واستعدادات و دوافع و بواعث و حاجات و متطلبات الفرد، كذلك يدلنا على أنماط و اسلوب واتجاهات و أهداف هذه الأفعال و هذه الحركات، و

يختلف سلوك الفرد باختلاف الثقافات والعادات والتقاليد والأديان والظروف الاجتماعية والاقتصادية [جمجوم، هشام محمد نور ، مرجع سبق ذكره ، ص[19]].

عناصر السلوك التنظيمي:

مما تقدم يتضح لنا أن السلوك التنظيمي يعتمد على عدد من عناصر منهـا ما يتعلق بالفرد أو الجماعة. فإن اطلاع الإدارة على مستوى أدراك العاملين أو شخصياتهم أو مدى ثقافاتهم أو اتجاهاتهم النفسية سيدفع المنظمة إلى التنبؤ المسبق بـسلوك الفـرد ومحاولة توجيه هذا السـلوك نحو تحقيق أهدافها، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن اطلاع الإدارة على التنظيمات الرسمية أو الغير رسميه للجماعات والصراع الذي يدور فيما بينها كل ذلك يمّكن الإدارة من توجيه هذا الصراع وتحويله إلى منافسه وتحفيزها لزيادة عملية الإنتاج وخلق روح التعاون لما يخدم مصلحه التنظيم [الحسيني، صلاح هادي حسن، مرجع سبق ذكره].

و تعتبر دراسة السلوك التنظيمي مهمة بالنسبة للإدارة أو المعنيين بهذا الموضوع لأن الإنسان هو المحرك الرئيسي والضابط للعملية الإنتاجية، وما عملية الإنتاج إلا عملية تفاعلية بين الموارد البشرية والموارد الطبيعية والتقنيات المتاحة (رأس المال)، لذا أنصب الاهتمام على السلوك المنظم داخل المؤسسات وما هي المؤثرات التي تؤثر على الأفراد في مختلف الجوانب وهي العناصر والمتغيرات المؤثرة في السلوك الجماعي للأفراد أو الجماعات، وعناصرها هي:

أ. الجماعات : ويتم فيها التعرف على الجماعة وظواهر التماسك الجماعي و علاقتها بالعمل ، كما تهتم بظاهرة اتخاذ القرارات داخل الجماعة.

ب. القيادة: للتعرف على كيفية اكتساب الأنماط القيادية المؤثرة على سلوك الآخرين.

ت. الاتصال: يهم في فهم كيف يحدث الاتصال داخل العمل وكيف يمكن جعله يتم بدون معوقات، وكيف يمكن رفع مستوى مهارات الاتصال بالطرق المختلفة كالاستماع و المقابلات الشخصية و الاجتماعات.

وبذلك يتضح لنا مدى أهمية السلوك التنظيمي فهو يركز على فهم وتوجيه سلوكيات وتفاعلات العنصر البشري، ونجاح المنظمة

مرهون بنجاح تفعيل العنصر البشري وتحسين أدائه [www.alsumereon.com].

المناخ التنظيمي للمؤسسة:

من الأمور المرتبطة بالسلوك التنظيمي ما يعرف بالمناخ التنظيمي للمؤسسة، و الذي نال اهتمام قطاع واسع من الدارسين و الباحثين في العلوم السلوكية الإدارية، و تشير كلمة مناخ جغرافياً إلي الدفء و البرودة و الإمطار في فصول السنة و أوقاتها المختلفة، و للمناخ أثار على الحياة الطبيعية للنبات و الحيوان، و لذلك فاستعمالها في الإدارة يدل على الاهتمام بإظهار علاقة التفاعل بين المؤسسة ككيان عضوي والبيئة المحيطة به نحو: القيم السائدة، و المفاهيم الإدراكية و الشخصية التي يحملها العاملون حول الهيكل التنظيمي، و نمط القيادة، و القوانين و القواعد السائدة في المؤسسة، و مستويات العمل فيها [عابدين، محمد عبد القادر (2001م)، ص279].

مفهوم سلوك المواطنة التنظيمية:

من المفاهيم الإدارية التي انتهجها الفكر الإداري المعاصر مؤخراً و استحوذت على اهتمام الكثير من الباحثين و الممارسين مفهوم المواطنة التنظيمية، الذي أصبح يعول عليه كثيراً للارتقاء بمستوى أداء المنظمة و العاملين على حد سواء، و يدور محور ارتكاز هذا المفهوم حول الموظف الذي يعد أهم الموارد التنظيمية على الإطلاق و باختفائه لا يتصور وجود أي أساس تنظيمي [العامري، أحمد بن سالم (2003/1424م)، ص65].

و يعرف سلوك المواطنة التنظيمي بأنه "السلوك التطوعي الاختياري الذي لا يندرج تحت نظام الحوافز الرسمي في المنظمة و الهادف لتعزيز أداء المنظمة وزيادة فعاليتها و كفاءتها" ، فالسلوك الاختياري بطبيعته ليس من متطلبات الدور الرئيسي للموظفين و لا يحاسب الموظف عليه إذا لم يقم به على اعتبار انه دور إضافي.

و تتعدد أنماط سلوك الموطنة التنظيمية حيث يمكن تلخيص عدد منها في الآتي:

1. مساعدة الموظف لزملاء العمل في الأمور المتعلقة بشئون العمل كمساعدة الآخرين المتغيبين عن العمل، توجيه الموظفين الجدد حتى و لو كان ذلك غير مطلوب منه، مساعدة الآخرين ذوي الأعباء الوظيفية الكبيرة، مساعدة الرئيس أو المشرف في عمله.

2. مساعدة الزملاء فيما يتعلق بالشئون الشخصية مثل المساعدة في حل المشاكل العائلية.
3. الانصياع للقيم التنظيمية و السياسات و اللوائح و العمل وفقاً لها مثل الحضور و الانصراف حسب مواعيد العمل.
4. اقتراح تحسينات تنظيمية أو إجرائية أو من اجل جعل المنظمة أكثر نجاحاً و تميزاً مثل الاقتراحات المتعلقة بالبناء التنظيمي أو الاستراتيجيات أو الممارسات الإدارية أو الإجراءات.
5. بذل جهد مضاعف في العمل و تجنب إضاعة الوقت في أحاديث جانبية أو فترت استراحة طويلة و متكررة أو زيارات داخلية أو خارجية لا علاقة لها بالعمل.
6. التطوع للقيام بأعمال إضافية من اجل مساعدة المنظمة كالاشتراك في اللجان أو بعض المشاريع المتعلقة بالعمل أو التغلب على الصعوبات التي تواجه العمليات التنظيمية.
7. البقاء مع المنظمة رغم الظروف الصعبة التي تواجهها.
8. تقديم المنظمة للآخرين بصورة جيدة، الدفاع عن المنظمة و الحديث عنها أمام الآخرين بصورة طيبة، مما يساهم في تحسين سمعتها عند الآخرين [المرجع السابق، ص69].

سلوك الولاء التنظيمي:

إن الولاء الحقيقي الذي يتحقق في العاملين على نطاق كل المستويات الإدارية أو القيادية في المنظمة ينتج عنه حصول المنظمة على ملاكات وظيفية قادرة على الاستمرار بالعمل وتنميته وتطويره رغم كل الظروف التي قد تمر بالمنظمة، وهذا الولاء يقاس بمدى التضحية بالمكاسب المتحصلة وقابلية الصبر على بعض الأزمات التي تمر بها المنظمة، إضافة إلى الشيء المهم من هذا كله وهو مدى مقاومة المغريات والعروض التي تقدمها المنظمات المنافسة لغرض استقطاب القدرات الوظيفية والمهارات إليها من بقية المنظمات للاستفادة من خبراتها المتراكمة ومهاراتها كفاءتها في إدارة وتنفيذ الأعمال [كردي، أحمد السيد (بدون تاريخ)، ص35].

المشكلات السلوكية في التعامل مع العنصر البشري

تواجه الإدارة في كافة المنظمات وخاصة المنظمات الحكومية مشكلات أساسية في التعامل مع القوى العاملة ومن أمثلة هذه المشكلات:

أ. المواظبة على مواعيد العمل ومن مظاهر ذلك التأخير في الحضور أو الانقطاع عن العمل بدون سابق إنذار أو الغياب المتكرر.

ب. انخفاض مستوى الرضا لدى العاملين في المنظمة تجاه بعض سياسات العمل و خاصة سياسات المرتبات والأجور والحوافز.

ت. عدم الرغبة في العمل الجماعي والفشل في تكوين فريق عمل فعال.

ث. التكاسل وتقييد الإنتاج وعدم إنجاز العمل بالقدر المناسب بالرغم من توافر القدرة على العمل.

ج. النزاعات والصراعات المستمرة بين العاملين وبعضهم البعض فقد يحدث ذلك بين الرؤساء والمرءوسين أو بين المرءوسين وبعضهم البعض.

ح. الميل إلى المعارضة ومخالفة تعليمات الإدارة وبصفة خاصة عدم الاستجابة للتغير والتجديد في العمل [http://univ-mae.com].

وكنتيجة لحدوث هذه المشكلات يمكن تصنيف سلوك العاملين في واحدٍ من الاحتمالات الثلاثة التالية:

أ. السلوك المعاون أو المؤيد للإدارة: وهو الأسلوب المفضل من جانب الإدارة.

ب. السلوك المعارض للإدارة: وهو الأسلوب الذي تحاربه الإدارة حيث يتصف أصحاب هذا السلوك بعدم الرغبة في تنفيذ طلبات الإدارة.

ت. السلوك المحايد: وهو الأسلوب الذي لا يبدى معارضة حقيقية وفى نفس الوقت لا يبذل جهداً كبيراً ويعمل على أداء العمل بالقدر الذي يخلي مسئوليته ولا يتعرض للعقاب من جانب الإدارة، ومن أمثلة هذا السلوك أن العاملين يسعون دائماً إلى تحقيق أهدافهم الشخصية في حين أن الإدارة ترغب أن يركز العاملون على تحقيق أهداف المنظمة، بالإضافة إلى ذلك ترغب الإدارة دائماً في أن يتصرف العاملون في حدود التعليمات والأوامر التي تفرضها[المرجع السابق].

ثالثاً:عرض بيانات الدراسة

اختار الباحث عينة للدراسة مكونة من 537 فرداً، اشتملت على أفراد مختارين من قطاعات الأعمال المستهدفة بالدراسة وفقاً لمتغير كثافة الوجود الأجنبي في القطاع المعني فكانت الغلبة لقطاع النفط. و استطاع الباحث جمع عدد 485 استمارة من أفراد العينة، ما يعادل نسبة 90.31% من مجموع الاستمارات التي وزعت.

أ. وصف عينة الدراسة (البيانات الديمغرافية):

اشتمل وصف عينة الدراسة على البيانات الوصفية المتعلقة بعينة الدراسة من حيث فئة العمر ، الجنس أو النوع، الحالة الاجتماعية، عدد أفراد الأسرة، المستوى التعليمي، القطاع الذي تعمل به.

1 ـ العمر:

الفئة	18- 28 سنة	18- 28 سنة	29 - 38 سنة	39 - 48 سنة	49 – 58 سنة	المجموع
التكرار	99	155	136	78	15	483
النسبة المئوية	%20.50	%32.10	%28.20	%16.10	%3.10	%100.00

يوضح الجدول رقم 1/1 التوزيع التكراري لأفراد عينة الدراسة وفقاً لمتغير العمر المصدر: إعداد الباحث من الدراسة الميدانية، 2011م

يتضح من الجدول أعلاه أن أغلبية أفراد عينة الدراسة تتراوح أعمارهم بين 29-38 سنة حيث يبلغ عددهم 155 فرداً، أي ما يعادل نسبة 32.10% من حجم العينة، و بلغ عدد الذين تتراوح أعمارهم بين 18- 28 سنة 99 فرداً أي ما يعادل 20.50% من حجم العينة ، كما بلغ عدد الذين تتراوح أعمارهم بين 39- 48 سنة 136 فرداً أي بنسبة 28.20% من حجم العينة، و تضمنت عينة الدراسة 78 فرداً أي نسبة 16.10% من حجم العينة مِنْ مَنْ تتراوح أعمارهم بين 49- 58 سنة، كما احتوت 15 فرداً أي نسبة 3.10% أعمارهم أكثر من 59 سنة، و من الواضح بأن السمة الغالبة على عينة البحث هم من الشباب و هذا ما يتماشى مع التركيبة السكانية للسودان، و يستشف من مؤشر صغر السن ارتفاع المستوى التعليمي لأفراد عينة البحث بصورة عامة.

2 ـ الجنس (النوع):

الجدول رقم 2/1 يوضح التوزيع التكراري لأفراد عينة الدراسة وفقاً لمتغير الجنس

البيان	**ذكر**	**أنثى**	**المجموع**
التكرار	320	124	444
النسبة المئوية	%72.10	%27.90	%100.00

المصدر: إعداد الباحث من الدراسة الميدانية،2011م

يتبين من الجدول رقم 2/1 أن أغلبية أفراد عينة الدراسة هم من الذكور، إذ بلغ عددهم 320 فرداً و يمثلون 72.15% من العينة الكلية، في حين بلغ عدد الإناث في العينة 124 مُفردة أي بنسبة 27.90% من حجم العينة، و يعزى هذا لقلة أعداد الإناث العاملات في قطاعات الأعمال التي شملتها الدراسة مقارنة بالعاملين الذكور.

3 - الحالة الاجتماعية:

الجدول رقم 3/1 يوضح التوزيع التكراري لأفراد عينة الدراسة وفقاً لمتغير الحالة الاجتماعي

البيان	**متزوج**	**عازب**	**مطلق**	**أرمل**	**المجموع**
التكرار	326	136	10	4	476
النسبة المئوية	%68.50	%28.60	%2.10	%0.80	%100.00

يلاحظ من خلال الجدول رقم 3/1 أن أغلبية عينة الدراسة من المتزوجين فقد بلغ عددهم 326 فرداً أي نسبة 68.50% من حجم العينة ، ما يستشف منه بأن العاملين في القطاعات التي شملتها الدراسة يتقاضون أجوراً مرتفعة، مما انعكس على استقرار حياتهم الزوجية إذ لم يتجاوز عدد المطلقين منهم 10 أفراد أي نسبة 2.10% من حجم عينة الدراسة، و احتوت عينة الدراسة على 136 فرداً من العزاب أي نسبة 28.60% و 4 أفراد فقط من الأرامل بنسبة 0.80% من حجم عينة الدراسة.

4. عدد أفراد الأسرة:

الجدول رقم 4/1 يوضح التوزيع التكراري لأفراد عينة الدراسة وفقاً لمتغير عدد أفراد الأسرة.

الفئة	5-1	10-6	أكثر من 10	المجموع
البيان	250	164	10	424
النسبة المئوية	%58.80	%38.70	%2.50	100%

المصدر: إعداد الباحث من الدراسة الميدانية،2011م

يتبين من الجدول رقم 4/1 أن أغلب أفراد عينة الدراسة يتراوح عدد أفراد أسرهم بين 1- 5 أشخاص، وهؤلاء عددهم 250 فرداً و يشكلون نسبة 58.80% من حجم العينة ، و هذا يرجع إلى أن أغلب أفراد العينة من الشباب مما يعني أن أغلبهم لم يمضي على زواجهم إلا بضع سنوات، و يأتي في الترتيب بعد هذه الفئة الأفراد الذين عدد أفراد أسرهم بين 6- 10 أشخاص و عدد هؤلاء 164 فرداً و يمثلون نسبة 38.70% من حجم عينة الدراسة، و تتضمن عينة الدراسة 10 أفراد فقط عدد أفراد أسرهم أكثر من 10 أشخاص و يشكلون 2.50% من حجم عينة الدراسة.

5- المستوى التعليمي:

الجدول رقم 5/1 يوضح التوزيع التكراري لأفراد عينة الدراسة وفقاً لمتغير المستوى التعليمي.

البيان	اقل من الثانوي	ثانوي أو معهد	جامعي (بكالوريوس، دبلوم)	فوق الجامعي (دبلوم عالي، ماجستير، دكتوراه)	المجموع
التكرار	10	92	270	109	481
النسبة المئوية	%2.10	%19.10	%56.10	%22.70	%100.00

المصدر: إعداد الباحث من الدراسة الميدانية،2011م

يتضح من الجدول رقم 5/1 أن أغلب أفراد عينة الدراسة من الذين يحملون درجة البكالوريوس أو الدبلوم إذ يبلغ عددهم 270 فرداً أي يشكلون نسبة 56.10% من عينة البحث، و الذين يحملون مؤهلاً فوق الجامعي 22.07% من حجم العينة إذ يبلغ عددهم 109 أفراد، و أن 92 من أفراد العينة أي نسبة 19.10% يحملون الشهادة الثانوية أو دبلوم المعاهد الوسيطة، في حين نجد أن 10 فقط من أفراد عينة الدراسة مستوى تعليمهم دون الثانوي و هؤلاء يشكلون 2.10% من حجم عينة الدراسة، ونلاحظ من خلال التوزيع النسبي لمؤشر المستوى التعليمي في الجدول 5/1 أن أكثر من 97% من أفراد عينة الدراسة من المتعلمين.

6- القطاع الذي يعملون به

يوضح الجدول رقم 6/1 التوزيع التكراري لأفراد عينة الدراسة وفقاً لمتغير القطاع الذي يعملون به.

البيان	البناء و التشييد	النفط	الطاقة و التعدين	قطاع النقل	الطرق و الجسور	المطاعم و الفنادق	أخرى
التكرار	76	93	37	23	24	29	201
النسبة المئوية	%15.70	%19.30	%7.70	%4.80	%5.00	%6.00	%41.60

المصدر: إعداد الباحث من الدراسة الميدانية،2011

يبين الجدول رقم 6/1 القطاعات التي شملتها عينة الدراسة، فنجد أن عينة الدراسة تضمنت 76 فرداً يشكلون نسبة 15.70% من العاملين في قطاع البناء و التشييد،و 93 فرداً يعملون في مجال النفط و هؤلاء يمثلون 19.30% من عينة الدراسة و هي أكبر مجموعة تم اختيارها من قطاع واحد، في حين تتضمن عينة الدراسة 37 فرداً يعملون في قطاع الطاقة و التعدين و يشكلون نسبة 7.70% من حجم العينة ، و احتوت عينة الدراسة على 23 فرداً أي نسبة 4.80% من حجمها من العاملين في قطاع النقل، كما تضمنت 24 فرداً أي نسبة 5.00% من حجمها من العاملين في قطاع الطرق و الجسور، و كما احتوت على 29 فرداً أي نسبة 6.00% من العاملين في قطاع المطاعم و الفنادق، و 201 فرد أي نسبة 41.60% من العاملين في قطاعات أخرى توجد بها عمالة أجنبية أو ذات صلة باستخدام العمالة الأجنبية.

ب. تحليل بيانات المحور الأول: اثر صفات للعمالة الوافدة على ظاهرة استخدامها:

أداء أي عمل في أي منظمة يتطلب بعض القدرات الفنية و الذهنية و الإنسانية إلى جانب ما قد تتطلبه بعض الأعمال من قدرات جسمانية للقيام بها.

جدول رقم 1/2
يوضح مدى تأثير الصفات المميزة للعمالة الوافدة على ظاهرة استخدام العمالة الوافدة

الرقم	أوافق بشدة	أوافق	لا أدري	لا أوافق	لا أوافق بشدة	مربع كاي المحسوبة	درجة الحرية	مربع كاي المقروءة عند 0.01	تفسير النتيجة	النتيجة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري
	التكرارات و النسب المئوية											
1	249 51.7%	161 33.4%	43 8.90%	23 4.80%	6 1.2%	455.09	4	13.2767	دالة	أوافق بشدة	4.36	1.96
2	102 21.8%	200 41.8%	65 13.6%	98 20.5%	14 2.9%	197.87	4	13.2767	دالة	أوافق	3.61	1.54
3	43 9.20%	109 23.3%	83 17.8%	194 41.5%	38 8.1%	169.09	4	13.2767	دالة	لا ادري	2.84	1,42
4	83 17.5%	153 32.3%	38 8.0%	164 34.6%	36 7.6%	117.70	4	13.2767	دالة	أوافق	3.17	1.42
5	70 14.7%	236 49.6%	55 11.6%	98 20.6%	17 3.6%	383.72	4	13.2767	دالة	أوافق	3.52	1.50
6	55 11.5%	176 36.8%	82 17.2%	136 28.5%	29 6.1%	150.26	4	13.2767	دالة	أوافق	3.21	1.43
7	114 23.8%	270 56.5%	38 7.9%	42 %8.8	14 2.9%	456.10	4	13.2767	دالة	أوافق	3.87	1.69
8	74 15.5%	231 48.3%	43 9.0%	107 22.4%	23 4.8%	282.08	4	13.2767	دالة	أوافق	3.49	1.50
المتوسط الحسابي العام											3.38	

المصدر: إعداد الباحث من الدراسة الميدانية ،2011م

يتضح من الجدول 1/2 أن قيمة مربع كاي تربيع دالة إحصائية لجميع عبارات المحور الرابع عند مستوى الدلالة 0.01، مما يعني استجابة أفراد العينة غير

موزعة بالتساوي على المقياس، كما يظهر الجدول نفسه أن المتوسط الحسابي العام للمحور 3.38 و هو متوسط موافقة (عالٍ)، و لعل في هذا دلالة على أن تميز قدرات و أداء العمالة الوافدة له تأثير (عالٍ) على ظاهرة استخدامها.

كما يتبين من الجدول أن تأثير قدرات و أداء العمالة الوافدة على ظاهرة استخدامها يقع بين ثلاث درجات مقسمة و مرتبة حسب المتوسط الحسابي كما يلي:

أولا: تأثير بمستوى عالٍ جداً و يتضمن عبارات المحور التي تقع موافقتها ضمن المتوسط الحسابي (4.00 إلي 5.00) وهي:

1 - العبارة الأولى

و تنص على الآتي**" العمالة الوافدة أكثر خبرة من العمالة السودانية "**

جاءت هذه العبارة في الترتيب الأول بالمحور الثاني بمتوسط حسابي (4.36) وانحراف معياري قيمته (1.96) حيث أفاد 249 فرداً أي نسبة 51.70% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 161 فرداً أي نسبة 33.40% أفادوا بأنهم (موافقون) على صحة هذه العبارة، ، بالمقابل نجد أن 6 أفراد من عينة البحث أي نسبة 1.20% من حجم العينة (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة لحوالي 23 فرداً من عينة الدراسة أي نسبة 4.80% من حجم العينة أفادوا بأنهم (لا يوافقون) على صحة هذه العبارة، في حين نجد أن 43 فرداً أي 9.90% من عينة الدراسة أفادوا بأنهم (لا يدرون) شيئاً عن خبرة العمالة الوافدة أو العمالة السودانية.

و من خلال التوزيع التكراري لإجابات عينة البحث في الجدول رقم 1/2 على هذه العبارة نلاحظ الارتفاع الكبير في نسبة الذين يوافقون على هذه العبارة ، مما يعني أن معظم العاملين الوافدين يتمتعون بخبرات ممتازة قد لا تكون في بعض الأحيان متوفرة للعمالة السودانية.

أولا: تأثير بمستوى عالٍ و يتضمن عبارات المحور التي تقع موافقتها ضمن المتوسط الحسابي (3.00 إلى 4.00) وهي:

2 - العبارة السابعة

و تنص على الآتي**" العمالة الوافدة أكثر قدرة على حل مشاكل العمل "**

جاءت هذه العبارة في الترتيب الثاني بالمحور الثاني بمتوسط حسابي (3.87) و انحراف معياري قيمته (1.69) حيث أفاد 114 فرداً أي نسبة 23.80% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 270

فرداً أي نسبة 56.50% أفادوا بأنهم (موافقون) على صحة هذه العبارة ، بالمقابل نجد أن 14 فرداً من عينة البحث أي نسبة 2.90% من حجم عينة البحث (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 42 فرداً من عينة الدراسة أي نسبة 8.80% من حجم العينة أفادوا بأنهم (لا يوافقون) على هذه العبارة، في حين نجد أن 38 فرداً أي نسبة 7.90% من عينة الدراسة أفادوا بأنهم (لا يدرون) أن العمالة الوافدة أكثر قدرة على حل مشاكل العمل.

و من خلال التوزيع التكراري لإجابات المبحوثين في الجدول رقم 1/2 على هذه العبارة نلاحظ أن ارتفاع نسبة الذين يوافقون عليها، ما يؤكد أن العمالة الوافدة أكثر قدرة على حل مشاكل العمل مما أدى لتميز أدائها عن العمالة السودانية.

3 - العبارة الثانية

و تنص على الآتي" **تتمتع العمالة الوافدة ببنيات جسمانية قوية** "

جاءت هذه العبارة في الترتيب الثالث بالمحور الثاني بمتوسط حسابي (3.61) و انحراف معياري قيمته (1.54) حيث أفاد 102 فرد أي نسبة 21.30% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 200 فرد أي نسبة 41.80% من عينة الدراسة (موافقون) على صحة هذه العبارة، بالمقابل نجد أن14 أفراداً من عينة البحث أي نسبة 2.90% من حجم العينة أفادوا بأنهم (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 98 فرداً أي نسبة 20.80% من حجم العينة (لا يوافقون) على صحة هذه العبارة، ، في حين نجد أن 65 فرداً أي نسبة 13.60% من عينة الدراسة أفادوا أنهم (لا يدرون) شيئاً عن تمتع العمالة الوافدة ببنيات جسمانية قوية.

و من خلال التوزيع التكراري لإجابات عينة البحث في الجدول رقم 1/2 نلاحظ ارتفاع نسبة الذين يوافقون على صحة هذه العبارة، مما يعني أن معظم العاملين الوافدين أعمارهم متوسطة أو من هم في سن الشباب و يتمتعون بكامل قواهم الجسمانية.

4 - العبارة الخامسة

و تنص على الآتي" **العمالة الوافدة أكثر حرصاً على التعاون مع الزملاء** "

جاءت هذه العبارة في الترتيب الرابع بالمحور الثاني بمتوسط حسابي (3.52) وانحراف معياري قيمته (1.50) حيث أفاد 70 فرداً أي نسبة 14.70% من عينة

الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 236 فرداً أي نسبة 49.60% أفادوا بأنهم (موافقون) صحة هذه العبارة، بالمقابل نجد أن 17 فرداً أي نسبة 7.60% من حجم عينة البحث (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 98 فرداً أي نسبة 20.60% من حجم العينة (لا يوافقون) على صحة هذه العبارة، في حين نجد أن 55 فرداً أي نسبة 11.60% من عينة الدراسة أفادوا بأنهم (لا يدرون) ما إذا كانت العمالة الوافدة أكثر حرصاً على التعاون مع الزملاء من العمالة السودانية أم لا.

و من خلال التوزيع التكراري لإجابات المبحوثين في الجدول رقم 1/2 نلاحظ تقارب نسبة الذين يوافقون و الذين لا يوافقون على صحة هذه العبارة، ما يعني أن العمال الوافدين يتفاوتون في درجة تعاونهم مع زملائهم حسب جنسياتهم و مجال عملهم و لا يختلفون في ذلك كثيراً عن العمالة السودانية.

5 - العبارة الثامنة

و تنص على الآتي" **العمالة الوافدة أكثر حرصاً على تحقيق معدلات عالية من الأداء "**

جاءت هذه العبارة في الترتيب الخامس بالمحور الثاني بمتوسط حسابي (3.49) و انحراف معياري قيمته (1.50) حيث أفاد 74 فرداً أي نسبة 15.50% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 231 فرداً أي نسبة 48.30% من حجم العينة (موافقون) على صحة هذه العبارة، ، بالمقابل نجد أن 23 فرداً أي نسبة 4.80% من حجم عينة البحث (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة107 أفراد أي نسبة 22.40% من حجم العينة (لا يوافقون) على صحة هذه العبارة، و أن 78 فرداً أي نسبة 16.50% من عينة الدراسة أفادوا أنهم (لا يدرون) شيئاً عن حرص العمالة الوافد على تحقيق معدلات عالية من الأداء.

و من خلال التوزيع التكراري لإجابات المبحوثين في الجدول رقم 1/2 نلاحظ ارتفاع نسبة الذين يوافقون على صحة هذه العبارة، ما يعني صحة الرأي القائل بأن العمالة الوافدة أكثر حرصاً على تحقيق معدلات عالية من الأداء.

6 - العبارة السادسة

و تنص على الآتي" **العمالة الوافدة أكثر التزاماً بإجراء العمل "**

جاءت هذه العبارة في الترتيب السادس بالمحور الثاني بمتوسط حسابي (3.21) و انحراف معياري قيمته (1.43) حيث أفاد 55 فرداً أي نسبة 11.50% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه العبارة ، إضافة إلى 176 فرداً أي نسبة 36.80% (موافقون) على صحة هذه العبارة، بالمقابل نجد أن 29 فرداً أي

نسبة 6.10% من حجم عينة البحث (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 136 فرداً أي نسبة 38.50% من حجم العينة (لا يوافقون) على صحة هذه العبارة، و نجد أن 82 فرداً أي نسبة 17.20% من عينة الدراسة (لا يدرون) ما إذا كانت العمالة الوافدة أكثر التزاماً بإجراء العمل من العمالة السودانية أم لا.

و من خلال التوزيع التكراري لإجابات المبحوثين في الجدول رقم 1/2 نلاحظ أن ارتفاع نسبة الذين يوافقون على صحة هذه العبارة، مما يعني ارتفاع درجة التزام العاملين الأجانب بإجراء العمل و يتميزون في ذلك عن العمالة السودانية.

7 - العبارة الرابعة

و تنص على الآتي" **العمالة الوافدة أكثر قدرة على التكيف مع ظروف العمل** "

جاءت هذه العبارة في الترتيب السابع بالمحور الثاني بمتوسط حسابي (3.17) و انحراف معياري قيمته (1.42) حيث أفاد 83 فرداً أي نسبة 17.50% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 153 فرداً أي نسبة 32.30% (موافقون) على صحة هذه العبارة، بالمقابل نجد أن 36 فرداً من عينة البحث أي نسبة 7.60% من حجم العينة (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة لحوالي 164 فرداً أي نسبة 34.60% من حجم العينة أفادوا أنهم (لا يوافقون) على صحة هذه العبارة، في حين نجد أن 38 فرداً أي نسبة 8.00% من عينة الدراسة (لا يدرون) شيئاً عن تكيف العمالة الوافدة مع ظروف العمل من عدمه.

ثالثاً: عوامل لها تأثير ضعيف على ظاهرة استخدام العمالة الوافدة و تقع موافقتها ضمن المتوسط الحسابي (2.00 إلى 3.00) و تتضمن العبارة الثالثة فقط.

و من خلال التوزيع التكراري لإجابات المبحوثين في الجدول رقم 1/2 نلاحظ تقارب عدد المبحوثين الذين يوافقون و الذين لا يوافقون على صحة هذه العبارة، مما يعني العمال الوافدون يتفاوتون في درجة تكيفهم مع ظروف العمل.

8 - العبارة الثالثة

و تنص على الآتي" **العمالة الوافدة أكثر مهارة من العمالة السودانية**"

جاءت هذه العبارة في الترتيب الثامن بالمحور الثاني بمتوسط حسابي (2.84) و انحراف معياري قيمته (1.42) حيث أفاد 43 فرداً أي نسبة 9.20% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 109 أفراد أي نسبة 23.30% من عينة البحث (موافقون) على صحة هذه العبارة،

بالمقابل نجد أن 38 فرداً أي نسبة 8.20% من حجم عينة البحث (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 194 فرداً أي نسبة 41.50% من حجم العينة (لا يوافقون) على صحة هذه العبارة، في حين نجد أن 83 فرداً أي نسبة 17.80% من عينة الدراسة (لا يدرون) شيئاً عن أيهما أكثر مهارة العمالة الوافدة أم العمالة السودانية.

و من خلال التوزيع التكراري لإجابات المبحوثين في الجدول رقم 1/2 على هذه العبارة نلاحظ أن تقارب نسبة الذين يوافقون و الذين لا يوافقون على هذه العبارة، ما نستنتج منه تمتع بعض العاملين الأجانب بمهارات عالية و البعض الآخر منها يعتبرون عمال غير مهرة أو أنصاف مهرة.

ج. تحليل بيانات المحور الثاني: أثر تكلفة التشغيل على ظاهرة استخدام العمالة الوافدة:

في ظل المنافسة العالمية التي أفرزت العولمة عملت المنظمات على تحسين جودة منتجاتها و خدماتها مع خفض تكلفة إنتاجها حتى تضمن الاستمرار و البقاء، و ذلك من خلال الاستخدام الأمثل لعناصر الإنتاج المختلفة و التي تعتبر العمالة تأتي على رأسه.

جدول رقم 2/2

يوضح مدى تأثير تكلفة التشغيل على ظاهرة استخدام العمالة الوافدة

الرقم	التكرارات و النسب المئوية											
	أوافق بشدة	أوافق	لا أدري	لا أوافق	لا أوافق بشدة	مربع كاي المحسوبة	درجة الحرية	مربع كاي المقروءة عند 0.01	تفسير النتيجة	النتيجة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري
1	182	152	22	106	22	225.32	4	13.2767	دالة	اوافق	3.83	1.64
	37.6 %	**31.4 %**	**4.5 %**	**21.9 %**	**4.5 %**							
2	141	178	34	90	26	185.35	4	13.2767	دالة	اوافق	3.63	1.64
	30.1 %	**38.0 %**	**7.20 %**	**19.2 %**	**5.5 %**							
3	77	170	143	74	14	159.55	4	13.2767	دالة	أوافق	3.49	1.5
	16.1 %	**35.6 %**	**29.9 %**	**15.5 %**	**2.9 %**							
4	54	153	81	167	24	161.40	4	13.2767	دالة	أوافق	3.13	1.42
	11.3 %	**31.9 %**	**16.9 %**	**34.9 %**	**5.0 %**							
5	38	179	78	150	27	193.23	4	13.2767	دالة	أوافق	3.08	1.41
	8.1 %	**37.9 %**	**16.5 %**	**31.8 %**	**5.7 %**							
المتوسط الحسابي العام											3.44	

المصدر: إعداد الباحث من الدراسة الميدانية ،2011م

يتضح من الجدول 2/2 أن قيمة مربع كاي تربيع دالة إحصائية لجميع عبارات المحور الثالث عند مستوى الدلالة 0.01 مما يعني استجابة أفراد العينة غير موزعة بالتساوي على المقياس، كما يظهر الجدول نفسه أن المتوسط الحسابي العام للمحور 3.44 و هو متوسط موافقة (عالٍ)، و لعل في هذا دلالة على أن انخفاض تكلفة تشغيل العمالة الوافدة له تأثير (عالٍ) على ظاهرة استخدامها.

كما يتبين من الجدول أن تأثير تكلفة تشغيل العمالة على ظاهرة استخدام العمالة الوافدة، تأثيره بمستوى عالٍ و يتضمن جميع عبارات المحور و تقع موافقتها ضمن المتوسط الحسابي (3.00 إلي 4.00) و هي:

1 - الفقرة الأولى

و تنص على الآتي" **العمالة الوافدة أقل مخصصات من العمالة السودانية "**

جاءت هذه العبارة في الترتيب الأول بالمحور الأول بمتوسط حسابي (3.83) و انحراف معياري قيمته (1.64) حيث أفاد 182 فرداً أي نسبة 37.60% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على أن العمالة الوافدة أقل تكلفة تشغيل من العمالة السودانية، إضافة إلى 152 فرداً أي نسبة 31.40% من عينة البحث أفادوا

بأنهم (موافقون) على صحة هذه العبارة، بالمقابل نجد أن 22 فرداً أي نسبة 4.50 من حجم عينة البحث (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة لحوالي 106 أفراد أي نسبة 21.0% من حجم العينة أفادوا بأنهم (لا يوافقون) على صحة هذه العبارة، في حين نجد أن 22 فرداً أي 4.50% من عينة الدراسة أفادوا بأنهم (لا يدرون) بأن العمالة الوافدة أقل تكلفة تشغيل من العمالة السودانية.

ومن خلال التوزيع التكراري لإجابات عينة البحث في الجدول رقم 2/2 نلاحظ ارتفاع نسبة الموافقين مما يعني قبول الرأي القائل "بأن العمالة الوافدة اقل مخصصات من العمالة السودانية".

2 - العبارة الثانية

و تنص على الآتي" **العمالة الوافدة أكثر إنتاجية من العمالة السودانية** "

جاءت هذه العبارة في الترتيب الثاني بالمحور الأول بمتوسط حسابي (3.63) وانحراف معياري قيمته (1.64) حيث أفاد 141 فرداً أي نسبة 30.10% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه الدراسة، إضافة إلى 178 فرداً أي نسبة 38.00% أفادوا بأنهم (موافقون) على هذه العبارة، في حين نجد أن 34 فرداً أي 7.20% من عينة الدراسة أفادوا بأنهم (لا يدرون) بأن العمالة الوافدة أكثر إنتاجية من العمالة السودانية. بالمقابل نجد أن 26 فرداً أي نسبة 5.50% من حجم عينة البحث أفادوا بأنهم (لا يوافقون بشدة) على هذه العبارة ، إضافة لحوالي 90 فرداً أي نسبة 19.20% من حجم العينة (لا يوافقون) على صحة هذه العبارة.

و من خلال التوزيع التكراري لإجابات عينة البحث في الجدول رقم 2/2 على هذه العبارة نلاحظ ارتفاع نسبة الموافقين، مما يعني حرص الغالبية من العمالة الوافدة على تحقيق إنتاجية عالية وهذا ما يقلل من تكلفة تشغيلها.

3 - العبارة الثالثة

و تنص على الآتي" **العمالة الوافدة أكثر مواكبة للتطور التكنولوجي"**

جاءت هذه العبارة في الترتيب الثالث بالمحور الأول بمتوسط حسابي (3.49) و انحراف معياري قيمته (1.50) حيث أفاد 77 فرداً أي نسبة 16.10% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 170 فرداً أي نسبة 35.90% أفادوا بأنهم (موافقون) على صحتها، بالمقابل نجد أن 14 فرداً أي نسبة 2.90% من حجم عينة البحث (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، و أفاد 143 فرداً أي 15.50% من عينة الدراسة بأنهم (لا يدرون) بأن العمالة الوافدة

أكثر مواكبة للتطور التكنولوجي، في حين أفاد 74 فرداً أي نسبة 15.50% من حجم العينة بأنهم (لا يوافقون) على صحة هذه العبارة، و أفاد 14 فرداً أي نسبة 2.9% من عينة البحث بأنهم (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة.

و من خلال التوزيع التكراري لإجابات عينة البحث في الجدول رقم 2/2 على هذه العبارة نلاحظ ارتفاع نسبة الموافقين، مما يعكس مدى اهتمام العمل الأجنبي بتطوير أدائه بمواكبته التطور التكنولوجي المتسارع الذي يحدث في مجاله.

4 - العبارة الرابعة

و تنص على الآتي" **العمالة الوافدة أكثر حرصاً على تحقيق أهداف المنشأة"**

جاءت هذه العبارة في الترتيب الرابع بالمحور الأول بمتوسط حسابي (3.13) و انحراف معياري قيمته (1.42) حيث أفاد 54 فرداً أي نسبة 11.30% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 153 فرداً أي نسبة 31.90% أفادوا بأنهم (موافقون) على صحة هذه العبارة، بالمقابل نجد أن 24 فرداً أي نسبة 5.00% من حجم عينة البحث (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة لحوالي 167 فرداً أي نسبة 34.9% من حجم العينة (لا يوافقون) على صحة هذه العبارة، في حين نجد أن 81 فرداً من عينة الدراسة أي 16.90% من عينة الدراسة أفادوا بأنهم (لا يدرون) بأن العمالة الوافدة أكثر حرصاً على تحقيق أهداف المنشأة.

و من خلال التوزيع التكراري لإجابات عينة البحث في الجدول رقم 2/2 على هذه العبارة نلاحظ التقارب الكبير بين نسبة الذين يوافقون و الذين لا يوافقون، مما يعني عدم تميز العاملين الأجانب بصفة تحقيق أهداف المنشأة التي يعملون بها

5. العبارة الخامسة

و تنص على الآتي" **العمالة الوافدة أكثر حرصاً على جودة الإنتاج "**

جاءت هذه العبارة في الترتيب الخامس بالمحور الأول بمتوسط حسابي (3.08) و انحراف معياري قيمته (1.41) حيث أفاد 38 فرداً أي نسبة 8.10% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 179 فرداً أي نسبة 37.90% أفادوا بأنهم (موافقون) على صحة هذه العبارة، بالمقابل نجد أن 27 فرداً أي نسبة 5.70% من حجم عينة البحث (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة لحوالي 150 فرداً أي نسبة 31.80% من حجم العينة (لا

يوافقون) على صحة هذه الدراسة، في حين نجد أن 78 فرداً أي نسبة 16.50% من عينة الدراسة أفادوا بأنهم (لا يدرون) بآن العمالة الوافدة أكثر حرصاً على جودة الإنتاج.

و من خلال التوزيع التكراري لإجابات عينة البحث في الجدول رقم 2/2على هذه العبارة نلاحظ تقارب عدد الذين يوافقون و الذين لا يوافقون على أن العمالة الوافدة أكثر حرصاً على جودة الإنتاج، هذا يعكس عدم اهتمام معظم العاملين الأجانب بتحقيق إنتاجية عالية دون الاهتمام بجودة الإنتاج، و هذا يتطابق مع النتيجة السابقة في عدم حرص الكثيرين منهم على تحقيق أهداف المنشأة.

ت. تحليل بيانات المحور الثالث: مدى تأثير ارتفاع القدرات و تميز الأداء على ظاهرة

تعتبر عناصر السلوك الوظيفي من أهم محددات الأداء و ينعكس على انضباط العامل وطريقة تعامله مع زملائه و مرؤوسيه، وله تأثير مباشرة على حجم الإنتاج.

جدول رقم 3/2

يوضح مدي تأثير ارتفاع القدرات و تميز الأداء على ظاهرة استخدام العمالة الوافدة

الرقم	التكرارات و النسب المئوية											
	أوافق بشدة	أوافق	لا أدري	لا أوافق	لا أوافق بشدة	مربع كاي المحسوبة	درجة الحرية	مربع كاي المقروءة عند 0.01	تفسير النتيجة	النتيجة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري
1	115	188	49	103	23	171.66	4	13.2767	دالة	أوافق	3.59	1.53
	24.1 %	**39.3 %**	**10.3 %**	**21.5 %**	**4.8 %**							
2	135	239	44	52	13	346.76	4	13.2767	دالة	أوافق	3.96	1.71
	28.0 %	**49.5 %**	**9.1 %**	**10.8 %**	**2.7 %**							
3	300	146	15	13	7	680.73	4	13.2767	دالة	أوافق بشدة	4.49	2.05
	62.4 %	**30.4 %**	**3.1 %**	**%2.7**	**1.5 %**							
4	86	143	35	182	37	175.00	4	13.2767	دالة	أوافق	3.17	1.42
	17.8 %	**29.6 %**	**7.2 %**	**37.7 %**	**7.7 %**							
5	214	219	11	27	14	492.35	4	13.2767	دالة	أوافق بشدة	4.31	1.93
	44.1 %	**45.2 %**	**2.3 %**	**%5.6**	**2.9 %**							
6	184	245	20	24	9	502.83	4	13.2767	دالة	أوافق بشدة	4.25	1.89
	38.2 %	**50.8 %**	**4.1 %**	**%5.0**	**19 %**							
المتوسط الحسابي العام											3.96	

المصدر: إعداد الباحث من الدراسة الميدانية ،2011م

يتضح من الجدول 3/2 أن قيمة مربع كاي دالة إحصائية لجميع عبارات المحور الخامس عند مستوى الدلالة 0.01، مما يعني استجابة أفراد العينة غير موزعة بالتساوي على المقياس، كما يظهر الجدول نفسه أن المتوسط الحسابي العام لهذا المحور 3.96 و هو متوسط موافقة (عالٍ جداً)، و لعل في هذا دلالة على أن

الانضباط والسلوك الوظيفي للعمالة الوافدة له تأثير(عالٍ جداً) على ظاهرة استخدامها.

كما يتبين من الجدول أن تأثير الانضباط والسلوك الوظيفي للعمالة الوافدة على ظاهرة استخدامها يقع بين درجتين مقسمتين و مرتبتين حسب المتوسط الحسابي كما يلي:

أولا: تأثير بمستوى (عالٍ جداً) و يتضمن عبارات المحور التي تقع موافقتها ضمن المتوسط الحسابي (4.00 إلى 5.00) وهي:

1 -العبارة الثالثة

و تنص على الآتي" **العمالة الوافدة أقل ارتباطاً بتنظيمات العمل (النقابات)** "

جاءت هذه العبارة في الترتيب الأول بالمحور الثالث بمتوسط حسابي (4.49) و انحراف معياري قيمته (2.05) حيث أفاد 300 فرد أي نسبة 62.40% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 146 فرداً أي نسبة 30.40% (موافقون) على صحة هذه العبارة، بالمقابل نجد أن 7 أفراد أي نسبة 1.50% من حجم عينة البحث (لا يوافقون بشدة) على هذه العبارة، بإضافة 13 فرداً أي نسبة 2.70% من حجم العينة أفادوا أنهم (لا يوافقون) على هذه العبارة، و نجد أن 15 فرداً أي نسبة 3.10% من عينة الدراسة (لا يدرون) أن العمالة الوافدة اقل ارتباطاً بتنظيمات العمل (النقابات)**.**

من خلال التوزيع التكراري لإجابات عينة البحث في الجدول رقم 3/2 نلاحظ ارتفاع نسبة الموافقين على صحة هذه العبارة، ما يؤكد أن العمالة الوافدة لا تفضل الارتباط بالنقابات لاعتقادهم بأنها قد تجرهم للخوض في بعض القضايا السياسية.

2 - العبارة الخامسة

و تنص على الآتي" **العمالة الوافدة أكثر إطاعة للأوامر"**

جاءت هذه العبارة في الترتيب الثاني بالمحور الثالث بمتوسط حسابي (4.31) و انحراف معياري قيمته (1.93) حيث أفاد 214 فرداً أي نسبة 44.10% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 219 فرداً أي نسبة 45.20% (موافقون) على صحة هذه العبارة، و نجد أن 11 فرداً أي نسبة 2.30% من عينة الدراسة (لا يدرون) بأن العمالة

الوافدة أكثر إطاعة للأوامر، بالمقابل نجد أن14 فرداً أي نسبة 2.90% من حجم عينة البحث (لا يوافقون بشدة) على هذه العبارة، إضافة لحوالي 27 فرداً أي نسبة 5.60% من حجم العينة أفادوا أنهم (لا يوافقون) على صحة هذه العبارة.

من خلال التوزيع التكراري لإجابات عينة البحث في الجدول رقم 3/2 على هذه العبارة نلاحظ ارتفاع نسبة الموافقين، ما يعني تميز العمالة الوافدة في احترامها للأوامر عن العمالة السودانية.

3 - العبارة السادسة

و تنص على الآتي" **تتمتع العمالة الوافدة بمظهر جاذب للعملاء** "

جاءت هذه العبارة في الترتيب الثالث بالمحور الثالث بمتوسط حسابي (4.25) و انحراف معياري قيمته (1.89) حيث أفاد 184 فرداً أي نسبة 38.20% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه العبارة ، إضافة إلى 245 فرداً أي نسبة 50.80% من عينة الدراسة (موافقون) على صحة هذه العبارة، و نجد أن 20 فرداً أي نسبة 4.10% من عينة الدراسة (لا يدرون) بأن العمالة الوافدة تتمتع بمظهر جاذب للعملاء، بالمقابل نجد أن9 أفراد أي نسبة 1.90% من حجم عينة البحث (لا يوافقون بشدة) على هذه العبارة، بالإضافة 24 فرداً أي نسبة 5.00% من حجم العينة (لا يوافقون) على صحة هذه العبارة.

من خلال التوزيع التكراري لإجابات عينة البحث في الجدول رقم 3/2 على صحة هذه العبارة نلاحظ ارتفاع نسبة الموافقين، ما يعني بأن العمالة الوافدة تتمتع بمظهر جاذب للعملاء في أغلب الأحيان.

ثانياً: تأثير بمستوى (عالٍ) و يتضمن عبارات المحور التي تقع موافقتها ضمن المتوسط الحسابي (3.17 إلي 4.00) وهي:

4 - العبارة الثانية

و تنص على الآتي" **العمالة الوافدة أقل ارتباطاً بالعلاقات الاجتماعية التي تتم في أوقات العمل**"

جاءت هذه العبارة في الترتيب الرابع بالمحور الثالث بمتوسط حسابي (3.96) و انحراف معياري قيمته (1.71) حيث أفاد 135 فرداً أي نسبة 28.00% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 239 فرداً أي نسبة 49.50% (موافقون) على صحة هذه العبارة، بالمقابل نجد أن 13 فرداً أي نسبة 2.70% من حجم عينة البحث (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة،

إضافة لحوالي 52 فرداً أي نسبة 10.80% من حجم العينة (لا يوافقون) على صحة هذه العبارة، و نجد أن 44 فرداً أي نسبة 9.10% من عينة الدراسة (لا يدرون) أن العمالة الوافدة أقل ارتباطاً بالعلاقات الاجتماعية التي تتم في أوقات العمل.

من خلال التوزيع التكراري لإجابات عينة البحث في الجدول رقم 3/2 على صحة هذه العبارة نلاحظ ارتفاع نسبة الموافقين على صحة هذه العبارة، ما يؤكد انضباط العمال الوافدين أثناء ساعات العمل.

5 - العبارة الأولى

و تنص على الآتي**" العمالة الوافدة أكثر التزاماً بالقوانين المنظمة للعمل"**

جاءت هذه العبارة في الترتيب الخامس بالمحور الثالث بمتوسط حسابي (3.59) و انحراف معياري قيمته (1.53) حيث أفاد 115 فرداً أي نسبة 24.10% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على أن العمالة الوافدة أكثر التزاماً بالقوانين المنظمة للعمل، إضافة إلى 188 فرداً أي نسبة 39.30% من عينة الدراسة أفادوا بأنهم (موافقون) على صحة هذه العبارة، بالمقابل نجد أن 23 فرداً أي نسبة 4.80% من حجم عينة البحث (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 103 أفراد أي نسبة 21.50% من حجم العينة (لا يوافقون) عليها، و هناك 49 فرداً أي 10.30% من عينة الدراسة (لا يدرون) بأن العمالة الوافدة أكثر التزاماً بالقوانين المنظمة للعمل.

من خلال التوزيع التكراري لإجابات عينة البحث في الجدول رقم 3/2 نلاحظ ارتفاع نسبة الموافقين على صحة هذه العبارة، ما يؤكد بأن أغلبية العمال الوافدين أكثر التزاماً بالقوانين المنظمة للعمل عن العمالة السودانية.

6 - العبارة الرابعة

و تنص على الآتي**" العمالة الوافدة أكثر احتراماً لأوقات العمل "**

جاءت هذه العبارة في الترتيب السادس بالمحور الثالث بمتوسط حسابي (3.17) و انحراف معياري قيمته (1.42) حيث أفاد 86 فرداً أي نسبة 17.80% من عينة الدراسة بأنهم (موافقون بشدة) على أن العمالة الوافدة أكثر احتراماً لأوقات العمل، إضافة إلى 143 فرداً أي نسبة 29.60% (موافقون) على صحة هذه العبارة، بالمقابل نجد أن37 فرداً أي نسبة 7.70% من حجم عينة البحث (لا يوافقون بشدة) على صحة هذه العبارة، إضافة إلى 182 فرداً من عينة الدراسة أي نسبة 37.70% من حجم العينة (لا يوافقون) على صحة هذه العبارة، و هناك 35

فرداً أي 7.20% من عينة الدراسة (لا يدرون) بأن العمالة الوافدة أكثر احتراماً لأوقات العمل.

من خلال التوزيع التكراري لإجابات عينة البحث في الجدول رقم 3/2 على هذه العبارة نلاحظ تقارب نسبة الموافقين على صحة هذه العبارة و الذين لا يوافقون، ما يعني أن العمالة الوافدة تتفاوت في درجة احترامها للعمل لأوقات العمل و لا تتميز في ذلك عن العمالة السودانية.

نتائج الدراسة:

توصلت الدراسة للنتائج التالية

1. أوضحت الدراسة منظمات الإعمال و المستثمرين يفضلون بان العمالة الوافدة لتميزها بالاتي:

- العمالة الوافدة المتخصصة تتمتع بخبرات ممتازة في مجال تخصصها.
- يتمتع العمال الوافدين بحيوية و نشاط و بنية جسمانية قوية تجعلهم يتحملون العمل تحت الضغط لفترات طويلة.
- ليست جميع العاملين الأجانب يمتعون بمهارات عالية البعض عبارة عن عمالة هامشية.
- لا تفضل العمالة الوافدة الارتباط بالنقابات لاعتقادهم بأنها قد تجرهم للخوض في بعض القضايا السياسية التي قد تجلب لهم بعض المتاعب.

وهذا يحقق صحة الفرضية الأولي.

2. تفضيل منظمات الأعمال و المستثمرين استخدام العمالة الوافدة لانخفاض تكلفة تشغيلها التي تتضح من خلال الآتي:

- أغلب العمال الوافدين يحرصون على تحقيق معدلات إنتاج عالية، مما يساعد على تقليل تكلفة إنتاج السلع أو تقديم الخدمة.
- أغلب العمالة الوافدة أكثر التزاماً بإجراء العمل، مما يجعل العملاء يثقون بالمنظمة بأنها تستطيع تنفيذ تعهداتها تجاههم.
- لا يحرص العمال الوافدين على الاشتراك في التامين الاجتماعي مما يوفر للمنظمات المبلغ التي تدفعه كاشتراك شهري للعامل.
- تحرص العمالة الوافدة على تطوير مهاراتها ومواكبة التطور التكنولوجي المتسارع في مجال تخصصها.
- معظم العاملين الأجانب ينصب اهتمامهم على تحقيق إنتاجية عالية دون الاهتمام بالجودة.

وهذا يحقق صحة الفرضية الثانية.

3. توصلت الدراسة إلى أن المنظمات و المستثمرين يفضلون استخدام العمالة الوافدة ارتفاع قدراتها وتميز أدائها الذي يتضح من خلال الآتي:

- العمالة الوافدة تتميز عن العمالة السودانية باحترامها لرؤسائها و أكثر إطاعة لأوامرهم.
- تهتم العمالة الوافدة بمظهرها العام مما يكون له وقع ممتاز في نفس عملاء.
- العمالة الوافدة منضبطة جداً أثناء ساعات العمل وتتجنب تماماً ما يعطل العمل مثل المناسبات الاجتماعية و المجاملات.
- تتصف العمالة الوافدة المتخصصة بمقدرات عالية لحل ما يعترض العمل من مشكلات.
- توصلت الدراسة إلى أن العاملين الوافدين يتفاوتون في درجة تعاونهم مع زملائهم حسب جنسياتهم و مجال عملهم و لا يختلفون في ذلك كثيراً عن العمالة السودانية.
- يتفاوت العمال الوافدين في درجة تكيفهم مع ظروف العمل و من الملاحظ أن العاملين ذو الأصول العربية أكثر تكييف مع ظروف العمل.
- أغلب العمال الوافدين أكثر التزاماً بالقوانين المنظمة للعمل، و يتجنبون ما قد يدخلهم في أي مساءلة قانونية أمام وزارة العمل أو دائرة الأجانب بوزارة الداخلية.

وهذا يحقق صحة الفرضية الثالثة.

التوصيات:

في ضوء مناقشة نتائج الدراسة توصلت الدراسة للتوصيات التالية:

1. ضرورة تسليح الشباب طالبو الوظائف بالمعارف و المهارات و السلوكيات المرغوبة، التي تتواءم مع المتغيرات التكنولوجية المحلية و الإقليمية و العالمية.
2. الاهتمام بتزويد الخريجين بقيم العمل بنفس مستوى الاهتمام بتزويدهم بالمعرفة والمهارات التقنية والمهنية ليصبحوا مواطنين منتجين، فلا بد من تأصيل ونشر وتمتين ثقافة إدارة الزمن و العامل المنتج، والحرص على أخلاقيات العمل فهي أمر ديني وأخلاقي وإداري.
3. إصلاح إفرازات التعليم العالي بما يربطه بأهداف التنمية وحاجات المجتمع، في ظل تدابير عامة للإصلاح السياسي والإداري.

المراجع و المصادر

أولا: الكتب:

1. جمجوم، هشام محمد نور (1991م) ، سيكولوجية الإدارة الطبعة الأولي، دار الشروق، جدة، السعودية.
2. حنفي، عبد الغفار(1993م)، السلوك التنظيمي و إدارة الأفراد، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، مصر.
3. محمد، أدم الزين (2001م).، الدليل إلى منهجية البحث وكتابة الرسائل الجامعية، الطبعة الثالثة، دارة جامعة امدرمان الإسلامية للطباعة و النشر، السودان.

ثانياً: الأوراق العلمية:

1. العامري، أحمد بن سالم (2003/1424م)، محددات وأثار سلوك المواطنة التنظيمي في المنظمات، بحث منشور بمجلة جامعة الملك عبد العزيز: الاقتصاد و الإدارة، م17،ع، الرياض، السعودية.
2. حامد، ناجي محمد(2009م). ، بحث منشورة باللغة العربية، بمجلة دراسات مجتمعية، العدد الثالث، مركز دراسات المجتمع، الخرطوم، السودان.
3. عابدين، محمد عبد القادر (2001م) ، محمود أحمد أبو سمرة، المناخ التنظيمي في جامعة في جامعة القدس كما يراه أعضاء هيئة التدريس فيها، بحث منشور بمجلة جامعة النجاح للأبحاث ، المجلد 15، فلسطين.
4. علي، محمد إسماعيل (2009م) ، بحث منشور بالغة العربية، بمجلة دراسات مجتمعية، العدد الثالث، مركز دراسات المجتمع، السودان، الخرطوم يونيو، 2009م.

ثالثاً: رسائل جامعية:

1. البوني، صفاء عبد اللطيف محمد (2010م) " أثر العمالة الوافدة على معدلات البطالة في السودان في الفترة من 1999-2008م" رسالة ماجستير غير منشورة باللغة العربية، ، جامعة السودان للعلوم و التكنولوجيا، الخرطوم، السودان.
2. الطائف، الزهور محمد خير(2002) ، "بطالة الخريجين بولاية الخرطوم 1997-2002م،" رسالة ماجستير غير منشورة، معهد دراسات الإدارة العامة والحكم الاتحادي، جامعة الخرطوم، 2002م.

رابعاً: المواقع الإلكترونية:

1. منتديات كلية التجارة و الاقتصاد، جامعة الحديدة، **http://univ-mae.com**
2. منتديات السومريون www.alsumereon.com
3. موقع شبكة عالم الجزائر www.dzworld.net

خامساً: المنشورات:

1. الحسيني، صلاح هادي حسن (بدون تاريخ) ، السلوك التنظيمي، منشور www.iraqstudent.net
2. كردي، أحمد السيد (بدون تاريخ) ، كتاب السلوك التنظيمي، منشور بموسوعة الإسلام و التنمية، http://kenanaonline.com

علوم سياسية

محددات السياسة والحكم في إيران

الدكتور سنية الحسيني

محددات السياسة والحكم في إيران

د. سنية الحسيني[13]

من الصعب إغفال أو تجاهل قوة ونفوذ إيران والقوى المؤثرة والفاعلة فيها إذا كان الحديث يدور حول منطقة الشرق الأوسط، خصوصاً بعد تصاعد مكانة إيران إقليمياً في السنوات الأخيرة. لقد أصبحت إيران بؤرة اهتمام ومتابعة من قبل جهات عديدة سواء كانت إقليمية أو عربية أو دولية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية. تحاول هذه الورقة التعرف على محددات صنع القرار والسياسة في إيران، سواء كانت تاريخية أو سياسية أو دينية أو ثقافية ودور المؤسسات الرسمية أو غير الرسمية. فالتاريخ والثقافة والدين ما هو إلا مرآة تعكس ملامح النظام السياسي وتفسر كثيراً من خفاياه، وذلك ينطبق بشكل واضح على الحالة الإيرانية.

كما أن هناك عدد من المؤسسات الرسمية التي تعتبر صانعة القرار وحاكمة الأمور في إيران على رأسها المرشد الأعلى، ناهيك عن دور المؤسسات التشريعية المختلفة في عملية صنع القرار في البلاد، في ظل حالة جدلية تدور حول غلبة السلطة الدينية أم الشعبية. كما تلعب عدد من المؤسسات غير الرسمية دوراً محورياً في عملية صنع القرار والحكم على رأسها الحرس الثوري والحوزة الدينية والبازار الإقتصادي. تحاول هذه الورقة التعرف على دور هذه المؤسسات في الحكم، والسبب وراء هذا الدور ونتائجه. وعلى الرغم من أن إيران دولة إسلامية ولا تسمح بوجود تيارات غير دينية في اطارها، مما يعقد امكانية وجود حدود واضحة بين تلك التيارات، إلا أن فهم الواقع الحزبي في إيران قضية محددة في فهم السياسة والحكم فيها، كما سيتضح تباعاً.

وتعتبر عدد من قضايا السياسة الخارجية ذات أهمية بالغة في رسم السياسة والحكم في إيران، بحكم طبيعة النظام الإيراني القائم على أسس دينية وثورية وأيديولوجية. فالنظام يستمد قوته ومكانته وشرعيته من خلال تمسكه بعدد من القضايا الجوهرية المحددة لتوجهات النظام عموماً. فامتلاك القوة النووية ما

---

[1] د. سنية الحسيني، محاضر في جامعتي بير زيت والقدس في فلسطين، وتحمل درجة الدكتوراة في العلوم السياسية.

هو إلا انعكاس لرؤية إيران لمكانتها المتفوقة على دول المنطقة، رؤية تشكل امتداداً لمنظومة القوة والمكانة تاريخياً. ولا يخرج موقف إيران المعادي لإسرائيل والداعم لحركات المقاومة ضدها عن مبدأ تصدير الثورة الذي أبرزه الدستور الإيراني. كما تعكس العلاقات الإيرانية العربية، ومع دول الخليج ذات الأغلبية السنية، معضلة رؤية إيران لمكانتها كمركز القوة الشيعية في العالم.

- **المقدمه:**

تعتبر إيران أكبر دول الجوار العربي مساحة (6.1 مليون كيلو متر مربع)، وينتمي أغلب سكانها (74 مليوناً) إلى شريحة الشباب ونصفهم من الفرس، والنصف الباقي أذريون (25%) وأكراد (7%) وعرب (3%)، بينما يشكل كل من البلوش والتركمان حوالي 2% لكل منهما، وأخيراً تبلغ نسبة اللور حوالي 10%.[14] وتتميز كل مجموعة من هذه المجموعات بلغتها وتقاليدها الخاصة. وبينما يسكن الأكراد مناطق كردستان وعيلام وكرمانشاه، يعيش البلوش في منطقة سيستان وبلوشستان، ويقطن الأذريون (الأتراك) مناطق شرق وغرب أذربيجان (زنجان وأردبيل)، في حين يتمركز التركمان في منطقة جولستان، ويقيم العرب في منطقة خوزستان.

وتعتبر الفارسية اللغة الرسمية وتستخدم اللغة العربية في الوسط العلمي والثقافي. وتؤمن غالبية مسلمي إيران (89%) بالمذهب الشيعي، فيما يتكون أغلب السنة من الأكراد والبلوش، ويتبع الأكراد المذهب الشافعي بينما يتبع البلوش المذهب الحنبلي. ويعترف الدستور الإيراني بثلاث مجموعات دينية من غير المسلمين وهي الزردشتيون والمسيحيون واليهود، إذ أن نسبة هذه الأقليات الدينية لا تتجاوز 3%، وضمن الدستور الإيراني لهؤلاء حقوقهم وحدد واجباتهم،[15] إلا أن تلك الأقليات تعتبر نفسها محرومة من حقوقها وأنشطتها الدينية.

وبينما تمثل الأقلية السنية في إيران أكبر أقلية مذهبية في البلاد وتتجاوز الـ 10% من تعداد السكان، إلا أنها تعترض على مستوى تمثيلها في البرلمان والتشكيل الوزاري بحجة عدم تناسبه مع نسبتها العدديه وتشتكي قلة الساعات الممنوحة لها في وسائل الإعلام الرسمية، كما تنتقد الكبت السياسي وما

---

[14] محجوب الزويري، إيران ومسألة الأقليات، وحدة الدراسات الإيرانية-مركز الدراسات الإستراتيجية- الجامعة الأردنية، البريد الالكتروني: css@css-gordan.org

[15] نفس المصدر السابق.

يصاحبه من اعتقالات تصل أحياناً إلى الاعدام، وكذلك منعها من ممارسة تعاليم مذهبها كعدم الحرية في بناء مساجدها وفرض الأفكار الشيعية بالقوة.[16]

تسمح مقدرات إيران بأن تكون لاعباً عالمياً،[17] فهي ذات موقع جغرافي وإستراتيجي يمكنها من التحكم في إمدادات النفط المتجه إلى العالم عبر مضيق هرمز، كما تطل على الخليج العربي ذي الأهمية العسكرية والتجارية، مما يجعلها تمثل جسراً حيوياً يربط أوروبا وأفريقيا بغرب أسيا. وتعتبر إيران واحدة من الدول المؤسسة (للأوبك) فتمتلك ثالث أكبر احتياطي في العالم من النفط، وثاني أكبر احتياطي من الغاز الطبيعي بعد روسيا، وثاني أكبر دولة منتجة ومصدرة للبترول بعد السعودية، ورابع أكبر دولة مصدرة للنفط الخام بعد السعودية وروسيا والنرويج.

يعتبر الاقتصاد الإيراني من أهم إقتصاديات منطقة الشرق الأوسط باحتلاله المرتبة الثالثة بعد السعودية وتركيا. لقد حقق هذا الاقتصاد نمواً وصل إلى 6.4% خلال الأعوام ما بين 2002 و2005،[18] ويواصل نموه بمعدل 3.2% حسب تقدير حديث لصندوق النقد الدولي.[19] ويأتي هذا النمو الإقتصادي رغم اتفاق الدول الغربية على تشديد العقوبات المفروضة على إيران، وفي اطار ما شهدته الكثير من دول العالم، لاسيما الدول الصناعية، من انكماش

---

[16] محمد عبد المعطي، حقوق الانسان في إيران، الجزيرة، ملفات خاصة، العنوان الالكتروني: http://www.aljazeera.net/NR/exeres/D0A90F58-2139-4979-9AAD-6062F979F7CC.htm

[17] المستقبل الاقتصادي يغمر تركيا ومصر وإيران، شبكة الاعلام العربي، السبت: 03 ابريل 2010 .

"يقدر(جيم أونيل)محلل الاقتصاد المعروف ورئيس قسم الأبحاث الدولية لدى "جولدمان ساكس" في حديث لبرنامج "أسواق الشرق الأوسط فيCNN الـ
http://www.moheet.com/show_news.aspx?nid=361201&pg=1

[18] التقرير الاستراتيجي العربي 2004-2005، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، البريد اللكتروني:
http://acpss.ahram.org.eg/ahram/2001/1/1/RARB98.HTM

[19] الأهرام المسائي، الجمعة 27 يناير 2012 السنة 21 العدد 7547. البريد اللكتروني:
http://massai.ahram.org.eg/Inner.aspx?ContentID=39386

إقتصادي بسبب الأزمة العالمية. وتعتمد إيران على موارد الطاقة، التي تمثل ما يربو على 80% من ناتجها المحلي الإجمالي، وحوالي 90% من عوائد صادراتها و75% من موازنتها.[20] وبلغت نسبة الإنفاق العسكري الإيراني من الناتج المحلي الاجمالي 3.7 % ما بين عامي 1993_2002،[21] في حين انخفضت تلك النسبة بعد ذلك حتى تاريخ اعداد هذا البحث إلى 3.5%.[22]

تحتل إيران مكانة متميزة داخل العالم الإسلامي، فهي ذات ثقل وتأثير فكري وأيديولوجي باعتبارها المركز الرئيسي للمذهب الشيعي الذي تعتنقه أعداد كبيرة من مواطني الدول العربية والإسلامية. وتمتلك إيران، وخاصة بعد قيام الثورة الإسلامية عام 1979، نظاماً سياسياً غاية في الخصوصية يتلاءم بشكل كبير مع صيغة الدولة الإيرانية ومقومات شعبها ذي الأغلبية الشيعية.

تعاني إيران منذ الثورة من عدم استقرار في علاقاتها مع دول الجوار ذات الأغلبية السنية والتي تخشى من تصاعد مكانة الشيعة على حسابها، خصوصاً وأن النظام الإسلامي في إيران لم يخف نيته بتصدير الثورة. تواجه إيران عداء الولايات المتحدة، التي قطعت علاقاتها معها بمجرد نجاح الثورة، وتقود وحلفاؤها حرباً بارده ضدها، إذ تعتبرها دولة راديكالية تعادي النظام الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية، كما تحاول منعها من الوصول إلى القدرة النووية في اطار منطقة يمتلك جُل أقطابها تلك القوة وعلى رأسها إسرائيل. وتتذبذب علاقات إيران مع الصين وروسيا المنافسين والحلفاء لها

---

[20] Reports by“ International Crisis Group"،U.S.-Iranian Engagement: The View from Tehran ”
http://www.crisisgroup.org/home/index.cfm?id=613

[21] أحمد كامل بكري، احصائيات إيرانية، مجلة مختارات إيرانية، مركز الأهرام الرقمي، العنوان الالكتروني:
http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=683977&eid=2995

[22] "The defense spending discrepancy between the USA, Israel and Iran. What could be the reason?"
.Published February 14, 2008 conventional weapons
http://theradicalmormon.wordpress.com/2008/02/14/the-defense-spending-discrepancy-between-the-usa-israel-and-iran-what-could-be-the-reason/

.

في نفس الوقت، فإيران تشكل مع هاتين القوتين جبهة تتصدى لتنامي دور ومكانة النفوذ الأمريكي في المنطقة، إلا أنها تبقى منافساً لهما في المنطقة.

وتعتبر إيران دولة متوسطة النمو، فقد ارتفع معدل التضخم فيها خلال عام 2010 إلي 11.3%،[23]ومن المتوقع أن يواصل إرتفاعه، وبلغ معدل النمو السكاني السنوي مؤخراً حوالي 1.6%،[24] وبلغت نسبة البطالة حوالي11%. وعلى الرغم من قيام الرئيس الحالي (محمود أحمدي نجاد) بمجموعة من الإصلاحات الاقتصاديّة، كرفع الدعم الحكومي عن مجموعة من الموادّ الاستهلاكيّة والبنزين والغاز، ومحاولة إلزام المؤسّسات الحكوميّة ببرنامج تقشّفي يستهدف تخفيض النّفقات، وذلك لتحقيق وعوده للفقراء بالاستفادة من أموال البترول، لم تنجح الحكومات الإيرانية المتعاقبة منذ عام 1990، بما فيها حكومة (نجاد) خلال فترتي ولايته، في مواجهة مشاكل البطالة والفقر والتضخم وضعف الاستثمارات الأجنبية، فسياسات (نجاد) الإقتصادية على سبيل المثال تعتمد على السيولة التي توفرها مبيعات النفط لكنها لا تمتلك رؤية إقتصادية مستقبلية واضحة.[25]

- **محطات تاريخية تعكس أساس بنية النظام السياسي الإيراني:**

يرجع تاريخ إيران إلى "قورش" مؤسس إمبراطورية فارس عام 559 ق.م التي امتدت في العراق والشام وأفريقيا وأواسط آسيا وحتى شرق أوروبا، واستمرت حتى الفتح الإسلامي عام 632م لتصبح فارس جزءاً من الدولة الإسلامية. أقام الصفويون دولة مستقلة في إيران عام 1501م واعتنقوا رسمياً المذهب الشيعي. وتعاقبت على الحكم في إيران بعد الصفويين القاجاريون ثم آل بهلوي إلى أن قامت الثورة الإسلامية عام 1979.[26]

في عام 1921 ترقى (رضا خان) من ضابط بالجيش إلي وزير للحربية ثم رئيساً للوزراء بعد قيامه بانقلاب، ليصبح عام 1925 ملكاً على إيران وأول ملك للدولة البهلوية، ثم أصبح شاهاً بإيعاز من رجال الدين الذين خافوا من

---

[23] أحمد كامل بكري، مصدر سابق.

[24] نفس المصدر السابق.

[25] Understanding Iran, Rand national security research Division. http://www.rand.org/pubs/monographs/2008/RAND_MG771.pdf.

[26] أمين شحاته،إيران: المسار التاريخي، الجزيرة نت، المعرفة، العنوان الالكتروني: www.aljazeera.net/in-depth/Iran_file/2001/5/5-7-1.htm

تضاؤل نفوذهم الديني. وفي عام 1941 بدأ (رضا شاه بهلوي) بتعزيز سلطة الحكومة المركزية بإعادة بناء الجيش وتقييد حصانة زعماء القبائل، وإلغاء نظام الامتيازات الأجنبية، مدخلاً الكثير من الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية الهامة، ومطالباً جميع الدول الأجنبية بمخاطبة الدولة باسم إيران بدلاً من فارس.[27]

رفض (رضا شاه) الانحياز إلى الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية، فاضطر للتنازل عن العرش لابنه (محمد) بعد إنتهاء الحرب. تقلد (محمد مصدق) رئاسة الوزراء بعد الانقلاب ضد (محمد رضا شاه) حيث قام بتأميم حقول البترول الإيرانية من السيطرة البريطانية ما بين عامي 1951 و1953، فجمدت بريطانيا جميع الأموال الإيرانية في بنوكها خوفاً على امتيازاتها البترولية، مما اضطر إيران لرفع قضية ضد بريطانيا في محكمة العدل الدولية التي حكمت لصالحها، ففرضت بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية حظراً تجارياً على إيران لضرب اقتصادها. أُسقطت حكومة (مصدق) بانقلاب تدعمه بريطانيا والولايات المتحدة الأمر الذي سهل عودة (محمد رضا شاه) مرة أخرى ليمسك بزمام الحكم في البلاد.

قام الشاه ما بين عامي 1962 و1963 بما سمي الثورة البيضاء بقصد إجراء الكثير من الإصلاحات كتعديل قانون الإنتخاب وإصلاح زراعي شامل، فشهدت حقبة الستينات نمواً إقتصادياً سريعاً وإزدهاراً كبيراً وزيادة في قوة إيران العسكرية حيث اعتبر الجيش الإيراني من أقوى جيوش المنطقة آنذاك، مما دعم مكانة إيران الدولية كأكبر حلفاء الولايات المتحدة تسبب ذلك في ظهور فجوة بين علماء الدين والفقهاء وبين السلطة التي هاجمها (الخميني) في خطبه، الأمر الذي أدى إلى نفيه.

وبحلول عام 1973 زاد حظر النفط العربي عائدات إيران النفطية بما يعادل أربعة أضعاف، مما أدى إلى مزيد من الانفتاح الاجتماعي والثقافي والاقتصادي ومزيد من الاستبداد في قمع المعارضة التي إحتشدت خلف

[27] Reza Ladjevardian, From Ancinnt Persia to Contemporary Iran, (Waldorf MD: Mage Publishers,

2005.

(الخميني) في نهاية السبعينات وأشعلت ثورة أطاحت بالشاه، بعد ألفين وخمسمائة عام من الحكم الملكي.[28]

تحولت إيران بذلك إلى جمهورية إيران الإسلامية محدثة تغيرات سياسية وإستراتيجية كبيرة، ونجحت الثورة في الاحتفاظ بطابعها الإسلامي ومواجهة المحاولات الداخلية والخارجية لإجهاضها، وعلى رأسها المحاولات الأمريكية.

انتخب (أبو الحسن بني صدر) رئيساً لإيران في يناير عام 1980 مع بقاء السلطة الحقيقية والنفوذ في يد (الخميني). إلا أن التوجه الليبرالي للرئيس (بني صدر) خلق صداماً بينه وبين الفقهاء وعلماء الدين انتهى بعزله وهروبه من البلاد، فتقلد (سيد علي خامئيني) الرئاسة، ثم أصبح مرشداً للبلاد بعد موت (الخميني) عام 1989 وبقي مرشداً حتى اليوم. وانتخب (علي أكبر هاشمي رافسنجاني) رئيساً للجمهورية بدلاً منه في ذلك الوقت.

تولي منصب الرئيس في إيران سبعة رؤساء كان آخرهم المحافظ (نجاد)، الرئيس الحالي لإيران والذي انتخب لولاية رئاسية ثانية عام 2009 وسط خلاف وجدل كبير في الشارع الإيراني. وكان الاصلاحي (محمد خاتمي) قد سبقه في الحكم حيث جاء إلى السلطة عام 1997 ممثلاً عن التيار الإصلاحي في إيران لأول مرة وبقي فيها لولايتين متتاليتين.

أسست الثورة منذ قيامها نظاماً سياسياً فريداً شغل انتباه ومتابعة العالم لخصوصية حالته، فالحكم الإسلامي مازال مستمراً بعد أكثر من ثلاثين عاماً، ولم تنجح جميع المحاولات الخارجية الغربية في تقويض مكانة إيران كدولة إقليمية فاعلة في منطقة الشرق الأوسط أو إسقاط نظامها. ويعتمد النظام الإيراني علي مزيج من القيم السياسية الحديثة القائمة على أساس الاختيار الشعبي والفصل بين السلطات، والقيم الدينية الشيعية القائمة على أساس نظام "ولاية الفقيه" المطلقة.

- **محددات القرار السياسي في إيران**

تمتلك إيران حضارية فارسية عريقة تكونت قبل ثلاثة آلاف عام, وشكلت علي مدى عصور كياناً فاعلاً في ادارة شئون العالم، وحكمت

[28] Ipid.

لقرون طويلة كقطب تنافس على الصدارة مع الروم (أوروبا). ومن المقومات الأساسية التي تميز الثقافة الإيرانية عن غيرها من ثقافات الدول الإسلامية والعربية، الشعور بالتفرد والتكبر والاستعلاء الحضاري والعرقي،[29] وتقدم تلك الثقافة القومية الفارسية تفسيراً لسياسة إيران ورؤيتها لمكانتها بين دول العالم. ويلعب المذهب الإسلامي الشيعي دوراً كبيراً في رسم وتحديد مقومات الثقافة الوطنية والسياسية في إيران، فتقوم الثقافة الإيرانية على المزج بين القومية الفارسية والديانة الإسلامية ذات المذهب الشيعي الأمر الذي يحدد المعايير الأساسية للنظام السياسي الإيراني بعد الثورة والذي يقوم على أساس هذين المعيارين الأساسيين.

تتميز الثقافة السياسية الإيرانية المستمدة أصولها من المذهب الشيعي بغناها بالرموز والدلالات التي تمكن علماء الشيعة من توظيفها في إلهاب مشاعر الجماهير وتعبئتهم بسهولة. ويلعب شعور الإيرانيين بـ "الخوف من الآخر" دوراً كبيراً في فهم الثقافة الإيرانية، ذلك الشعور الذي انبعث من طبيعة ظروف ظهور المذهب الشيعي وخصوصيته في إطار الدين الإسلامي ككل، هذا بالاضافة إلى الغزوات والأطماع الغربية التي أدت إلى وضع إيران تحت الاحتلال واقتطاع مساحات شاسعة من أراضيه. وتعتبر فكرة الثورة والشهادة، المنبعثة من ذكرى استشهاد (الحسين)، من ركائز المذهب الشيعي، فالشهادة هي السلاح الوحيد عند الشيعة لرد قوة وسيطرة الأعداء. وقد بدا ذلك واضحاً كأحد مظاهر الثورة وكذلك الحرب مع العراق، ولا يزال مفهوم الشهادة يعيش في الوجدان الإيراني حتى يومنا الحاضر.

يعتبر مفهوم "المهدية" من القضايا الهامة في الفقه الشيعي ويؤمن بها الشيعة الإثني عشرية، التي تنتمي إليها الغالبية العظمى من شيعة إيران، كترجمة لفكرة الانتظار الموجودة عند كافة الأديان، وساعد هذا المفهوم على بلورة ضرورة اختيار نائب للمرشد. ويقوم مفهوم "المهدية" عند فرق الشيعة على فكرة الإيمان بعدم موت الإمام الغائب وانتظار عودته، وتختلف فرق الشيعة في تحديد شخصية المهدي المنتظر. وتعتقد الشيعة الاثني عشرية بإمامة الحفيد الثاني عشر (محمد بن الحسن) الذي غاب غيبتين، صغرى عام 260 هجرية واستمرت سبعين عاماً، وكبرى تنتظر رجعته بعد حين غير معلوم.

---

[29] Grahum Fuller, The "Center of the Universe": The Geopolitics of Iran, Graham E. Fouler: West view press, 1991, p 301.

تطوّر مفهوم "المهدية" لدى المذهب الإثني عشري ليشمل مقاربة حول قضيّة الحكم، أعاد إحياءها (الخميني) بعد أكثر من ألف عام من غيبة الإمام، فأعاد الاعتبار لدور الفقهاء كنواب عن الإمام الغائب لحين عودته، في قيادة البلاد بحجة عدم جواز تعطيل أحكام الشريعة.[30]

فقبل نجاح (الخميني) في فرض نظام "ولاية الفقيه" كان أمر تأسيس دولة إسلامية في ظل غيبة الإمام المهدي أمراً مستبعداً . فالدولة الإمامية لا تقوم في غيبة الإمام، ولقد عاش الشيعة المسلمون سنوات طويلة في انتظار ظهور الإمام المهدي وعودته من غيبته ليحكم الدولة ويقود الأمة وينتصر لها ويحقق العدل والسلام . و كانت معضلة فرض نظام جمهورية إسلامية، هي غيبة الإمام، فطرح (الخميني) مبدأ "ولاية الفقيه" ليقود الجمهورية فقيه عادل تعطيه الأمة الولاية ويحكم الدولة نيابة عن الإمام الغائب لحين ظهوره المرتقب.

وبينما قامت بنية النظام على أساس إنابة الفقهاء عن المهدي الغائب بكامل مهامه بما يجعله وصياً على الارادة الشعبية، اعترضت اجتهادات فقهيه شيعية إثني عشرية مقابلة على تلك الرؤية معتبرة ذلك اعتداء على صلاحيّات الإمام الغائب، والخوض فيما لا يندرج ضمن وظيفة الفقيه واستطاعته.[31] وتعتبر تصريحات الرئيس (نجاد) حول دعم الإمام المهدي الغائب ومباركته لادائه الرئاسي وبرنامجه الحكومي، وربط كل نجاح له أو للبلاد بمساندة الامام المهدي، كذلك اصرار الرئيس (نجاد) على افتتاح كل خطاباته وأحاديثه الرسمية بدعاء التعجيل بخروج الامام الغائب، كلها مظاهر دلالية على مدى تأثير ومكانة مفهوم "المهدية" مذهبياً فكرياً في إيران.

---

[30] روح الله الموسوي الخميني، الحكومة الإسلامية، ترجمة وتقديم حسن حنفي، د.ن، د.ت، ص ص 135-145.

[31] إيران، صراع على السلطة أم على الصلاحيات؟ وحدة تحليل السياسات في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 24/05/2011

http://www.dohainstitute.org/Home/Details?entityID=5d045bf3-2df9-46cf-90a0-d92cbb5dd3e4&resourceId=061e8fe2-f07e-4793-b0aa-2b3c717baf7b

ويؤمن الفكر السياسي الإيراني عموماً بالعقيدة المهدية، إلا ان هناك تباين ملحوظ بين التيارات السياسية الفاعلة على الساحة الإيرانية حول تفسيرها. فالتيار الاصلاحي والتيار المحافظ المعتدل "البرغماتي" بزعامة (هاشمي رافسنجاني) يرى في انتظار المهدي ووجوده قضية روحية فكرية محفزة، وينفي وجود أية علاقة بين الامام المهدي والثورة أو أي شخص في النظام حتى المرشد نفسه. وفي حين يعتقد التيار المحافظ وعلى رأسه المرشد والكثير من الفقهاء ومراجع التقليد بأن المرشد يمثل النائب الشرعي للامام المهدي المنتظر بما يجعل صلاحياته مطلقة، جاء تيار ثالث من داخل التيار المحافظ يضم (أحمدي نجاد) وأتباعه والمقربين منه، يؤمن بأن (نجاد) مؤيد من الامام المهدي وأن حكومته تتلقى الدعم من الغائب.[32]

يعتبر "التقليد" من ركائز المذهب الشيعي، ويعني الطاعة المتناهية والتامة للإمام ومن ينوب عنه، ولابد للإمام في إيران أن يكون "مرجع تقليد"، أي أن يكون ذو خبرة ومعلومات دينية وفيرة، ويتبعه عدد من الأفراد. وكان (الخميني) قد رسخ نظرية "ولاية الفقيه المطلقة" بعد أن شدد على ضرورة أن يكون القائد الأعلى "مرجع تقليد". واختير (الخميني) كأول مرشد، وكان "مرجع تقليد".

من المعروف أن نظرية "ولاية الفقيه" قد اكتسبت موقعاً على مستوى النظرية والممارسة عند الشيعة قبل مائة وخمسين عاماً على يد الشيخ (أحمد التراقي) وطبقها (الخميني) لأول مره في إيران بعد نجاح الثورة. ورغم تطبيق نظرية "الولاية المطلقة للفقيه" إلا أن النظرية ظلت غامضة خاصة فيما يتعلق بحدود الولاية وعلاقة الفقيه بالأمة، وعرضة لجدل طويل لا زال محتدماً.

ويدور محور الجدل في اطار ثلاث نظريات، الأولى تنكر "ولاية الفقيه" مع الاقرار بنفوذه في الأمور الدينية، والثانية تحصر "ولاية الفقيه" في الأمور الدينية والقضاء والإفتاء، أما الثالثة والتي تبناها (الخميني) فترى "الولاية المُطلقة للفقيه" بعموم الولاية إي إقامة الحدود وتنظيم الحقوق وإدارة القضاء.

---

[32] رشيد يلوح، المهدوية في إيران المعاصرة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2011/6/8. العنوان الالكتروني:
http://www.dohainstitute.org/Home/Details?entityID=5d045bf3-2df9-46cf-90a0-d92cbb5dd3e4&resourceId=7417e904-3dbf-43e3-8585-3390624876a3

وبعد وفاة (الخميني) أدخلت "ولاية الفقيه المطلقة" في دستور عام 1979 وفاءً له، وأصبحت من الركائز الأساسية للنظام باعتبار أن "ولاية الفقيه" هي امتداد لولاية الأئمة المعصومين.

ولا تستند الخلافات الداخلية في إيران بالأساس إلى مطلق تغيير النظام القائم على أساس "ولاية الفقية" وإنما إلى حدود هذه الولاية، فالمحافظون يحاربون من أجل بقاء "الولاية المطلقة للفقية"، وآخرون منهم يطالبون بتضيق صلاحيات الفقية، أما الاصلاحيون فيسعون باتجاه الحد من نفوذ "ولاية الفقية" لصالح ولاية الشعب وتوسيع درجة الحريات في المجتمع. وقد بدأ هذا السجال الفكري المفتوح، حول دور الفقهاء في الحياة السياسية العامة، بين عدد من مراجع الشيعة، سواء في داخل أو خارج إيران، منذ نجاح الثورة.

- **المؤسسات الرسمية المحددة لتوجهات السياسة الإيرانية**

طوال حكم عائلة بهلوي والتي امتدت إلى ستة عقود، لم يسمح النظام بالمشاركة السياسية للإرادة الشعبية، الأمر الذي يفسر وقوف جميع التيارات السياسية الإيرانية المختلفة الانتماء ضد نظام الشاه في السنوات التي سبقت الثورة. ورغم مشاركة التيار الليبرالي والجبهة الوطنية والتيار اليساري في الثورة،[33] إلا أن النظام الجديد لم يسمح بوجود تيارات غير إسلامية في السلطة، وذلك لسيطرة الرؤية الإسلامية بقيادة رجال الدين على طبيعة النظام.

ورغم أنه جاء بتعيين من (الخميني) بعد الإطاحة بالشاه مباشرة، استقال الليبرالي (مهدي بازركان) أمين عام حزب "نهضة جبهة إيران" من منصبه كرئيس لوزراء الحكومة المؤقتة، بعد خلافات مع الزعامة الدينية تمحورت حول إسلامية الدولة، وهو نفس السبب الذي دفع (الخميني) لعزل الليبرالي (بني صدر)، أول رئيس جمهورية للبلاد عام 1981. كما أزاح (الخميني)

---

[33] منال لطفي، إيران: 30 عاما على الثورة ـ الحلقة (4 : (خميني باريس.. وخميني طهران، جريدة الشرق الأوسط، الجمعة 18 صفر 1430 هـ 13 فبراير 2009 العدد 11035.
http://www.aawsat.com/details.asp?section=4&article=506905&issueno=11035

خليفته (حسين منتظري) بسبب مطالبته بالتعددية السياسية وتقييد صلاحيات المرشد ورفضه استمرار الحرب مع العراق بعد تحرير الأراضي الإيرانية.

كرست القيادة الإيرانية بعد الثورة مركزية الدور الشعبي الذي طغى على دور الأحزاب السياسية فيها. وفي استفتاء شعبي عام على هوية النظام الجديد، اختار الشعب بالأغلبية شبه مطلقة (98%) ترسيخ نظام جمهوري إسلامي للحكم، يوازن بين سيادة الشّعب المتمثلة بالانتخابات الشعبية في المجالس المنتخبة أو في شخصيّة رئيس الجمهوريّة، وبين اعتماد الإسلام مصدراً وحيداً للتشريع ومعياراً لعمل الأجهزة الحكومية، ويقوم الوليّ الفقيه بدور الوصيّ الشرعي. فجسدت ديناميكية النظام جدليّة العلاقة بين المؤسسة المنتخبة والمؤسسة الدينية.

أُدخل مبدأ المشاركة في نص الدستور الذي خضع أيضاً لاستفتاء شعبي قبل اقراره، وتدار شؤون البلاد بالاستناد إلى رأي الشعب الذي يتجلى بانتخاب رئيس الجمهورية، وأعضاء مجلس الشورى الإسلامي وأعضاء سائر مجالس الشورى المحلية ونظائرها، وأيضاً عن طريق الاستفتاء العام في الحالات التي نص عليها الدستور. واعتبر الدستور مجالس الشورى من مصادر اتخاذ القرار وإدارة شؤون البلاد.[34] بينما تجسد مصدر القوة الدينية في الحكم من خلال صلاحيات وقوة المرشد، فشدد الدّستور على أن السّلطات الثلاث تمارس صلاحيّاتها بإشرافه.[35]

أولاً : المرشد

يتمتع المرشد داخل إيران بوضع خاص في مؤسسات صنع القرار، وجاءت تعديلات الدستور عام 1989 لتعزز من مكانته، سواء جاء ذلك من خلال تقليل الاشتراطات المتعلقة بشاغل هذا المنصب أو بزيادة صلاحياته.

---

[34] وتشمل هذه المجالس مجلس الشورى الإسلامي ومجالس شورى المحافظة والقضاء والبلدة والقصبة والناحية والقرية وأمثالها.

[35] الدستور الإيراني، رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، 1997، إيران– طهران.

عدل دستور عام 1989 من الشروط الواجبة في شخص المرشد، وبعد أن نصت المادة الخامسة من دستور عام 1979 على أن ولاية الأمة تؤول إلى أعدل وأعلم وأتقى رجل في الأمة وممن أقرت له أكثرية الأمة وقبلته قائداً لها ليدير شؤون البلاد. أسقط التعديل الدستوري لعام 1989 عبارة "أقرت له أكثرية الأمة" كما أسقط ضرورة كونه "مرجع تقليد". فجاء (الخامئيني) مرشداً للبلاد بعد اختيار مجلس الخبراء له، رغم افتقاده لشرط "مرجع تقليد"، فأثار معارضة شديدة في ذلك الوقت.

نفى دستور عام 1989 موجبات تنسيق المرشد مع رئيس الجمهورية في مجال الإشراف على السلطات الثلاث، بحيث يقوم المرشد بتنظيم العلاقة بين السلطات الثلاث، وحل خلافاتها التي استعصت على "مجمع تشخيص مصلحة النظام"، وكذلك حل المشاكل التي تظهر بين أفرع القوات المسلحة.

اعتبر الدستور رئيس الجمهورية مسئولاً أمام المرشد والشعب ومجلس الشورى. ويحتاج المرشح الرئاسي إلى تزكية من المرشد ليدخل معترك المنافسة الانتخابيّة، كما يعتبر توقيع قرار تنصيب الرئيس بعد انتخابه من قبل الشعب من مهام المرشد أيضاً.[36] ويحق للمرشد عزل الرئيس بما تقتضيه مصالح البلاد، إما بحكم من المحكمة العليا بحجة تخلفه عن أداء وظائفه القانونية، أو بعد رأي "مجلس الشورى" بعدم كفاءته السياسية.

حددت دستور عام 1989 صلاحيات المرشد ومسؤولياته في أحد عشر بنداً، كتعيين وتحديد السياسات العامة بعد التشاور مع "مجمع تشخيص مصلحة النظام"، والإشراف على حسن إدارتها، واصدار الأمر بالدعوة للاستفتاء العام، والقيادة العامة للقوات المسلحة، وإعلان الحرب والسلام والنفير العام. ويستطيع المرشد أن يوكل شخصاً لأداء بعض وظائفه وصلاحياته. فقد سبق أن قام المرشد (خامئني) بتعين المحافظ المعتدل (رافسنجاني) خلال ولاية الرئيس الحالي (نجاد) ليقوم بمهمة الاشراف على السلطات الثلاث.

ويحق للمرشد تنصيب وعزل وقبول إستقالة فقهاء "مجلس صيانة الدستور"، وأعلى مسئول في السلطة القضائية، ورئيس مؤسسة الإذاعة

[36] حسب المادة (110) من الدستور، ص 48.

والتلفزيون، ورئيس أركان القيادة المشتركة، والقائد العام لقوات الحرس الثوري، والقيادات العليا للقوات المسلحة وقوى الأمن الداخلي.

تجعل الصلاحيات الواسعة للمرشد منه صانع القرار الأول في السياسة الإيرانية الداخلية والخارجية، فهو يمتلك آليات تعيين السياسة الخارجية واتجاهاتها، وتعتبر وزارة الخارجية التابعة للرئيس مجرد جهة منفذة فقط. كما تعتبر فتاوى المرشد من أهم عوامل إضعاف السلطة القضائية، إذ يحق للمرشد العفو أو التخفيف من عقوبات المحكوم عليهم في إطار الموازين الإسلامية.

وضع الدستور آلية لسد الفراغ القيادي في الفترة الفاصلة بين خلو منصب المرشد وشغله، وذلك بتشكيل مجلس شورى مؤلف من رئيس الجمهورية، ورئيس السلطة القضائية، وأحد فقهاء "مجلس صيانة الدستور" على أن ينتخب المرشد من قبل "مجمع تشخيص مصلحة النظام".

وتوكل مهمة اختيار وعزل المرشد إلى "مجلس الخبراء" المكون من فقهاء منتخبين من الشعب. وحصر التعديل الدستوري لعام 1989 الاختيار لمنصب المرشد من بين أعضاء "مجلس الخبراء"، وذلك في حال عدم ترشيح شخص مناسب من الخارج.

وبرزت فكرة إنشاء "مجلس الخبراء" مع بداية إعداد مسودات الدستور عام 1979، على يد (الخميني)، وحصرت مهامه في ذلك الوقت بوضع الدستور. إلا أن دستور عام 1989 كلف المجلس بمهمة إعادة النظر فى الدستور. ويجتمع المجلس مرتين في العام، ويؤثر في توجيه السياسة الخارجية في أضيق الحدود، أي عند وفاة أو عجز المرشد عن أداء مهامه الدستورية لحين اختيار المرشد الجديد.

إنتخب في بداية تأسيس "مجلس الخبراء" سبعون عضواً وارتفع العدد إلى ثلاثة وثمانين عضواً عام 1982، ووصل اليوم إلى ستة وثمانين عضواً، ومدة ولاية المجلس هي ثماني سنوات. ويشترط الدستور الإيراني على مرشحي "مجلس الخبراء" أن يكونوا فقهاء وأن يخضعوا تحت اشراف "مجلس صيانة الدستور" الذي يعين المرشد أغلب أعضائه، لاختبار كتابي

أولاً ثم شفهي بعد نجاحهم في الإختبار الأول، وقبل الوصول إلى مرحلة خوض الانتخابات الشعبية.[37]

ويعتبر "مجلس الخبراء" ذا أهمية كبيرة وسلطة بالغة، لأن مهامه تتعلق مباشرة بمراقبة عمل وكفاءة المرشد، وفي ضبط التوازنات السياسة الأساسية التي من شأنها التحكم في التوجهات العامة في إيران.[38] فاز (رافسنجاني) برئاسة "مجلس الخبراء" في انتخابات عام 2006، على المرشح المحافظ المتشدد (مصباح يزيدي)، حيث شكل نجاح (رافسنجاني) في ذلك الوقت إعادة للتوازن بين الاتجاه المعتدل والاتجاه المتشدد الذي سيطر على الجهاز التنفيذي ممثلاً بانتخاب الرئيس (نجاد)، والجهاز التشريعي ممثلاً بسيطرة المتشددين على المجالس البلدية والتشريعية بعد عام 2004. إلا أن (رافسنجاني) عاد وخسر منصبه كرئيس للمجلس ليخلفه "محمد رضا مهدي كاني"،على خلفية انتقادات وجهها له محافظون لقربه من المعارضة الإصلاحية. ورغم أن المجلس يعتبر ترجمة مباشرة لفكرة الجمهورية الإسلامية، وتجسيداً فريداً يجمع القوة الدينية بالارادة الشعبية، إلا أنه يخضع لاراده المرشد الذي يتحكم باختيار أعضائه عبر صلاحيات "مجلس صيانة الدستور" التي أقرها الدستور.

<u>ثانياً : رئيس الجمهورية</u> (السلطة التنفيذية)

ينتخب الرئيس مباشرة من الشعب لمدة أربع سنوات، ولا يجوز انتخابه لأكثر من دورتين متتاليتين. وهناك شروط لابد من توفرها في المرشحين للرئاسة قبل الانتخابات، ويجب أن ينال هؤلاء موافقة "مجلس صيانة الدستور"، وموافقة المرشد.

يقوم الرئيس بالتوقيع على قرارات "مجلس الشورى"، ونتائج الاستفتاءات العامة بعد مرورها بالمراحل القانونية، والمعاهدات والعقود والاتفاقات والمواثيق بعد موافقة "مجلس الشورى". يتولى الرئيس مسؤولية التخطيط والميزانية والأمور الإدارية والتوظيف للبلاد. ويرأس الرئيس "مجلس الأمن القومي" الذي لا تصبح قراراته نافذة إلا بموافقة المرشد.

---

[37]Understanding Iran's Assembly of Experts, Centre for Iranian Studies. Durham University, November 2006, p 3.
[38] Ipid.

وتتوقف مدى فعالية ومكانة الرئيس فى النظام على قوة شخصيته ومكانته ومدى توافق سياسته مع سياسة المرشد. بعد وفاة (الخمينى) وانتهاء الحرب العراقية الايرانية وتولي (خامئني) مرشداً عاماً للبلاد، وصل (رفسنجاني) الذي يقود تيار "إعادة البناء" المعتدل إلى الرئاسة عام 1989، وبقي لفترتين متتاليتين. وتميز النظام خلال تلك الفترة بالتوافق حول الخطوط العريضة ووضوح التوازنات السياسية وانحصار التجاذب الفكرى والسياسي بين رؤية المرشد المحافظة ورؤية الرئيس المعتدلة. ويعود ذلك إلى طبيعة شخصية ومكانة (رافسنجاني) الدينية وأحد قيادات الثورة، ناهيك عن علاقة (رافسنجاني) المميزة بالمرشد نتيجه دعمه ومناصرته له في خضم معارضة واسعة واجهها بعد ترشيحه لمنصب المرشد.

واجه الاصلاحي (محمد خاتمي)[39] معارضة قوية من قبل التيار المحافظ بقيادة المرشد، بعد وصوله إلى الرئاسة عام 1997. ولم تنجح سياسته على مدار ولايتين في تحقيق وعودها بإجراء إصلاحات سياسية وتحولات إقتصادية،[40] على الرغم من امتداد سيطرة الاصلاحيين على البرلمان عام 2000، وذلك بسبب اتساع هامش الخلاف الفكري بين التيارين الاصلاحي بقيادة الرئيس (خاتمي) والمحافظ بقيادة المرشد.

أحدث انتخاب (نجاد) عام 2005 كرئيس لفترتين متتاليتين انقلاباً فى المعادلة السياسية الإيرانية، بهيمنة التيار المحافظ المتشدد على جميع مؤسسات صنع القرار في الدولة، وبلورة منظومة في التركيبة السّياسية الإيرانيّة تعتبر الأكثر تماسكًا وانسجامًا وتهميشاً لدور الاصلاحيين، وتفسر

---

[39] يشكل التيار الاصلاحي امتداداً لليسار السابق الذي كان في الحكم قبل الإطاحة بـ (بني صدر) عام 1981، وامتداداً لتيار إعادة البناء الذى بدأه (هاشمى رافسنجانى) مع بداية التسعينيات، دون البعد عن الاطار الدينى الإيرانى أو الخروج عن مضمونه.

[40] ستار ناصر، إيران ... خاتمي ونجاد رئيسان مختلفان تناوبا الحكم مناصفة، الخليج الإماراتية، الأحد 9 يناير 2011

-

http://65.17.227.85/Web/NewsPapers/2011/1/623816.html?entry=articleRelatedArticle

موقف المرشد المناصر للرئيس (نجاد) الذي واجه معارضة شديدة على نتائج الانتخابات الرئاسية للدورة الثانية 2009. إلا أن ذلك لم يمنع نشوب الخلاف بينهما، الذي تجلت أحد مظاهره في أبريل 2011 عندما أوقف المرشد تنفيذ استقالة وزير المخابرات (حيدر مصلحي) التي جاءت بناءً على طلبٍ من (نجاد)، فانصاع الرئيس الإيراني لقرار المرشد في النهاية.

رغم أن الدستور اعتبر الرئيس الرجل الثاني في إيران بعد المرشد، إلا أن الواقع العملي لا يقر بذلك، فليس للرئيس المساحة الواسعة دستورياً لتغيير مسار سياسات الدولة بعيداً عما يقره المرشد، بالاضافة إلى دور مؤسسات السلطة التشريعية التي تشكل عوائق حقيقية لسلطة الرئيس أيضاً.

ثالثاً : السلطة التشريعية

تتمثل السلطة التشريعية في إيران بأكثر من جهاز لكل منها دور مؤثر في رسم السياسة الداخلية والخارجية. فهناك مجلسا "الشورى" و"صيانة الدستور" اللذان تحددت صلاحياتهما بحكم الدستور الإيراني عام 1979، أما "مجمع تشخيص مصلحة النظام" والذي يلعب دوراً كبيراً في صناعة القرار السياسي داخل المجتمع الإيراني فقد أنشأ عام 1988 للفصل في النزاع بين المجلسين الدستوريين السابقين، ولم يرد ذكره في دستور عام 1979.

وبينما ينتخب الشعب أعضاء مجلس "الشورى"، يعين رأس النظام (المرشد) أعضاء مجلسي "صيانة الدستور" و"تشخيص مصلحة النظام" وكذلك "مجلس الأمن القومي". وعلى الرغم من أن سلطة ومكانة "مجلس الشورى" واضحة في صنع القرار في إيران، إلا أن صلاحياته مقيدة بالرقابة والمتابعة من قبل مجلسي "صيانة الدستور" وتشخيص مصلحة النظام".

i. مجلس الشورى (البرلمان)

ينتخب "مجلس الشورى" نوابه بالاقتراع السري المباشر لمدة أربع سنوات ويبلغ عدد أعضائه مائتين وسبعين عضواً يضاف إليهم عشرين عضواً كل عشر سنوات استجابة للتطورات الديمغرافية والسياسية، ولقد طبقت الزيادة المقررة على أعداد نواب المجلس لأول مره عام 2000. وتشير المادة (64) من الدستور إلى حقوق الأقليات في الترشح ودخول

المجلس، فتتيح للزرادشت واليهود نائباً واحداً لكل منهما، ويكون للمسيحيين الأرمن نائبان أحدهما عن الشمال والآخر عن الجنوب، أما المسيحيون والأشوريون والكلدانيون فينتخبوا نائباً واحداً يمثلهم جميعاً.

يعتبر "مجلس الشورى" من الناحية الدستورية من أقوى مؤسسات صنع القرار فى السياسة الإيرانية، فقد اعتبرته المادة السابعة من الدستور من مصادر اتخاذ القرار وإدارة شؤون البلاد،[41] ورآه (الخميني) على رأس الأمور. وتعود قوته إلى قدرته على التدخل والتدقيق والتحقيق في جميع شؤون البلاد الداخلية والخارجية بفعل المادة (76) من الدستور الواسعة التفسير.[42]
ويحق للمجلس منح الثقة لمجلس الوزراء بعد تشكيله، واستجواب الرئيس والوزراء بشكل جماعي وفردي، والحكم على أداء الرئيس، بأغلبية الثلثين.[43] ويستطيع المجلس محاسبة الرئيس بل وعزله، وسحب الثقة من الوزراء بل وفرض اختياراته فى شخصياتهم.

كما يجيز الدستور للمجلس سن القوانين في جميع القضايا باستثناء تلك المغايرة لأصول وأحكام المذهب الرسمي للبلاد أو المغايرة للدستور، وكذلك اقتراح مشاريع القوانين ومناقشتها على أن يتقدم بالاقتراح ما لا يقل عن خمسة عشر نائباً، والنظر في اللوائح القانونية بعد مصادقة مجلس الوزراء. ومن صلاحياته قدرة المجلس على حجب بعض المشروعات وتسجيل موقفه من قضايا عدة منها قضايا السياسة الخارجية، والتصديق على التغييرات الحدودية، وفرض الأحكام العرفية، والاقتراض والإقراض أو منح المساعدات داخل البلاد وخارجها.[44]

وتعود قوة البرلمان كذلك إلى الدور الهام الذي يلعبه في ضبط التوازن بين مؤسسة الرئاسة والمرشد لصالح المرشد والتيار المحافظ خصوصاً في حال اختلاف الانتماء السياسي بين مؤسسة الرئاسة والمرشد وحزبه الحاكم.

---

[41] وتشمل مجالس الشورى، مجلس الشورى الإسلامي ومجالس شورى المحافظة والقضاء والبلدة والقصبة والناحية والقرية.

[42] حسب المادة (76) من الدستور، ص 40.

[43] حسب المواد (87 و 88 و 89) من الدستور ، ص 42.

[44] حسب المواد (71و 74 و78 و79 و80) من الدستور.، ص ص 39- 41.

وتجدر الإشارة إلى أهمية شخص رئيس المجلس، بحكم قدرته على التعبئة لصالح أو ضد قوانين أو مواقف مختلفة يتبناها المجلس، وأهمية دوره في خلق توازنات القوة داخل المجتمع السياسي الإيراني، الأمر الذي يجعله يلعب دور الرجل الثاني فعلياً داخل النظام السياسي، رغم أنه لا يمتلك صلاحيات واسعة بحكم الدستور، ويتولى حالياً رئاسة المجلس المحافظ (علي لاريجاني) المقرب من المرشد.

وقف مجلس الشورى في عهد الرئيس (رافسنجاني) في وجه قرارات الرئيس الاصلاحية خصوصاً بعد إزاحة اليسار، لدرجه اضطرت (رفسنجاني) إلى إقالة (محمد خاتمي)، وزير الثقافة الاصلاحي مما حال دون حدوث انفتاح حقيقي في البلاد رغم برغماتية (رافسنجاني). في حين كبل البرلمان سلطة الرئيس الاصلاحي (خاتمي) في ظل سيطرة المحافظين على المجلس ما بين عامي 1997-2000 وفي نهاية فترة ولايته الثانية، عطلت المؤسسات التشريعية الأخرى سواء "مجلس صيانة الدستور" أو "مجمع تشخيص مصلحة النظام" سلطته في ظل سيطرة الاصلاحيين على البرلمان.

في ظل سيطرة المحافظين على البرلمان، لم يستطع الرئيس نيل ثقة المجلس على وزارته إلا بعد أن فرض المرشد وزير الاستخبارات، لاحكام سيطرته على المؤسسات الاستخباراتية والأمنية وتقليص صلاحيات وزير الداخلية التى تؤول إلى الاصلاحى (عبد الله نورى)، والذي أعفي من منصبه بعد ذلك في جلسة برلمانية عاصفة، بناء على طلب من عدد من النواب المحافظين، كما استقال وزير الثقافة (عطا الله مهاجرانى) فى عام 2000 تحت وطأة هجوم المحافظين على سياسته.

ولم تختلف الأوضاع في عهد الرئيس (خاتمي) رغم سيطرة الاصلاحيين على البرلمان والذي فشل في اقرار تعديلات لتوسيع صلاحيات رئيس الجمهورية المدعمة بالدستور،[45] بفضل قوة صلاحيات "مجلس صيانة الدستور"،[46] في حين تبنى "مجمع تشخيص مصلحة النظام" قراراً بايعاز من المرشد، يقضى بالتصويت في البرلمان على المرشحين بالاغلبية النسبية بدلاً من المطلقة، لفض خلاف نشب بين البرلمان والسلطة القضائية بعد رفض

---

[45] المادة (113) من الدستور "الرئيس هو منفذ الدستور".

[46] على نوريان ، عشر نقاط قانونية على لائحة توسيع سلطات رئيس الجمهورية ، مختارات إيرانية ، يناير 2003.

الأول التصديق على مرشحي رئيس السلطة القضائية لشغل مقاعد فى المجلس الدستورى، فانتصر المحافظون.[47]

وضربت محاكمة (عبد الله نورى) نائب رئيس الجمهورية ووزير الداخلية السابق مثالاً صارخاً على عجز الرئيس (خاتمي) في مواجهة التيار المحافظ وحماية حلفائه الاصلاحيين، فحكمت محكمة الصحافة الإيرانية باغلاق جريدة "خرداد" التي ترأسها (نورى)، وحكمت عليه بالحبس لمدة خمس سنوات بتهمة "الاساءة إلى المقدسات".[48]

وعلى الرغم من أن الوضع يبدو مختلفاً تماماً في عهد ولايتي الرئيس المحافظ (نجاد) حيث ساد خلالهما سيطرة التيار المحافظ على أجهزة الدولة الدينية والمنتخبة وتحديد دور ومكانة التيار الاصلاحي، عارض البرلمان سياسة (نجاد) بحجة خروجه عن الأصولية التقليدية واتجاهه نحو التجديد في فكر المحافظين، لدرجة دعت الرئيس إلى اتهام البرلمان بتجاوز صلاحياته، فنشب صراع بين اتجاهين مختلفين داخل التيار المحافظ في البرلمان جسده خلاف (لارجاني) رئيس البرلمان مع الرئيس (نجاد). إلا أن نتائج الدورة التاسعة للانتخابات البرلمانية الإيرانية أكدت فوز الجناح التيار المحافظ الموالي للمرشد (خامنئي) بنسبة 75%، مقابل تراجع كبير لأنصار الرئيس (نجاد)، الأمر الذي يؤكد استمرار سيطرة المرشد على البرلمان وبقوة.

ii. مجلس صيانة الدستور

على الرغم من أن البرلمان هو أقوى مجلس تشريعي من الناحية الدستورية نظرياً، إلا أن جميع قراراته والقوانين الصادرة عنه مقيدة بمراجعة وموافقة "مجلس صيانة الدستور" واحتكامها أيضاً إلى "مجمع تشخيص مصلحة النظام"، بحجة التأكد من عدم تعارضها مع أحكام الشريعة الإسلامية.

---

[47] أمل حمادة ، الخبرة الإيرانية فى الانتقال من الثورة إلى الدولة ، أطروحة دكتوراه ، كلية الاقتصاد ، 2007 ، ص203-266.

[48] محمد عبد المعطي، حقوق الانسان في إيران، مصدر سابق.

وفي نوفمبر 1997، أسس الرئيس (خاتمي) لجنة "الرقابة ومتابعة تطبيق الدستور" التي تتداخل اختصاصاتها مع اختصاص "مجلس الصيانة"، وتضم خمسة أعضاء منهم، عضوان سابقان في "مجلس الصيانة"، ووزير العدل وعضو مجلس قضاء، ومساعد الرئيس للشؤون البرلمانية والقانونية، ولهذه اللجنة القدرة على حجب قوانين معينة ومنع مرشحين من خوض انتخابات المجالس المختلفة.

يتكون "مجلس صيانة الدستور" من إثني عشر عضواً، ستة منهم فقهاء يختارهم المرشد مباشرة وستة آخرين من مختلف التخصصات القانونية يرشحهم رئيس السلطة القضائية الذي يعينه المرشد. ويفسر ذلك إنتماء معظم أعضاء المجلس لتيار المحافظين، رغم ضرورة نيل موافقة البرلمان عليهم. وتبلغ فترة ولاية المجلس ست سنوات على أن يجدد نصف الأعضاء كل ثلاث سنوات، ويرأسه حالياً (أحمد جنتي)، أحد رموز التيار المحافظ.

يمتلك "مجلس صيانة الدستور" صلاحيات واسعة، قد يكون أهمها الاشراف على انتخابات "مجلس الخبراء" ورئاسة الجمهورية و البرلمان ومجالس البلديات والاستفتاءات، بما يجيز للمجلس فرز مرشحي تلك المجالس طبقاً لميولهم الفكرية والولاء لنظام ولاية الفقيه، ورفض المرشح الذي لا يراه المجلس مؤهلاً.

رفض "مجلس صيانة الدستور" ترشيح عدد كبير من مرشحي التيار الاصلاحي للانتخابات البرلمانية السابعة في يناير 2004، ولم يتراجع عن قراره رغم استقالة عدد من النواب الإصلاحيين قبيل تلك الانتخابات فاكتسحت القوى المحافظة أغلبية مقاعد البرلمان. كما شكل المجلس عائقاً أمام عدد كبير من أعضاء التيار الاصلاحي للترشح لخوض انتخابات مجلس الشورى الإسلامي (البرلمان) خلال عامي 2008 و2012.

iii. مجمع تشخيص مصلحة النظام

تأسس هذا المجمع عام 1988، ويعتبر من المؤسسات المرتبطة مباشرة بالمرشد الذي يعين رئيسه، ويعتبر هيئة استشارية له، مما يفسر أهمية المجلس في صناعة القرار الإيراني الداخلي والخارجي. وتحددت فترة عمله في دستور عام 1989 بخمس سنوات، وتكون في بادئ الأمر من إثني عشر عضواً يمثلون رؤساء السلطات الثلاث وفقهاء "مجلس صيانة

الدستور" والمرشد أو من يمثله ورئيس الوزراء أو من يمثله، ويبلغ عدد أعضائه اليوم أربعة وثلاثين عضواً.

يقوم المجلس باقتراح المواد التي يلزم إعادة النظر فيها أو اضافتها للدستور، ويساهم في تشكيل مجلس "إعادة النظر في الدستور"، وله الكلمة الفصل عندما يختلف قطبا السلطة التشريعية، ويتحمل المسئولية الفعلية في تنظيم المرحلة الانتقالية بين شغور منصب المرشد وانتخاب "مجلس الخبراء" للمرشد الجديد، كما يشارك في رسم السياسات العامة للنظام. اضافة إلى ذلك يقوم المجلس بالتشاور في الأمور التي يوكلها له المرشد.

فعلى سبيل المثال، أوكل المرشد إلى المجلس الإشراف على عمل الحكومة و"مجلس الشورى" بما يضمن عدم إثارة السياسة الدولية ضد سياسة إيران خلال الفترة الأخيرة في ظل تصاعد الاحتجاج الدولي ضد السياسة الخارجية الإيرانية. وقد واجه المجلس معارضة كبيرة، لأن توسيع هامش صلاحياته جعله منافساً للسلطات الثلاث بل ومهيمناً عليها. وشغل (محسن رضائي) منصب الأمين العام لـ "مجمع تشخيص مصلحة النظام" بينما ترأسه (رافسنجاني)، الذي يعتبر من المحافظين المعتدلين، إلا أنه من المتوقع أن يفقد (رافسنجاني) مكانه حيث انتهت فترة رئاسته للمجلس في بداية شهر مارس 2012 ومن غير المتوقع أن يختاره المرشد لفترة رئاسية جديدة.

iv. مجلس الأمن القومي

استحدث دستور عام 1989 "مجلس الأمن القومي" وحدد مهامه بتأمين المصالح الوطنية وحراسة الثورة ووحدة أراضى البلاد والسيادة الوطنية،[49] ويدخل جزء رئيسي من عمله في نطاق السياسة الخارجية، كرسم السياسات الدفاعية والأمنية وتنسيق النشاطات ذات العلاقة بالخطط الدفاعية الأمنية والعامة لمواجهة التهديدات الداخلية والخارجية، وأوكلت إلى المجلس مهمة التفاوض بشأن الملف النووي الإيراني.

ويترأس المجلس رئيس الجمهورية وعضوية رؤساء السلطات الثلاث ورئيس هيئة أركان القيادة العامة للقوات المسلحة ومسئول شؤون التخطيط والميزانية وثلاثة من الأساتذة الجامعيين. وتعد قرارات هذا المجلس بمثابة توصيات لا تصبح نافذة إلا بعد موافقة المرشد وطرحها

[49] حسب الفصل الثالث عشر من الدستور، المادة (167) ، ص74.

للاستفتاء العام ونجاحها بالأكثرية المطلقة للمشاركين.[50] ويعكس إنتماء الرئيس بشكل واضح توجهات المجلس السياسة.

أصدر "مجلس الأمن القومي" عدد من المواقف المعتدلة في عهد الرئيس (خاتمي). ففي أغسطس 1998 انتقد بيان شديد اللهجة صدرعن المجلس صراحة تجاوزات بعض ضباط الشرطة وبعض الأفراد من غير العسكريين. وفي نوفمبر من نفس العام استقال وزير الاستخبارات (قربان نجف آبادي) وبعض مساعديه بعد أن حملهم المجلس مسئولية مقتل زعيمي حزب الأمة المعارض في منزليهما بطهران. إلا أن مواقف المجلس المنفتحة في عهد (خاتمي) لم تترجم إلى قرارات فعلية، لأن قرارات المجلس لا تصبح نافذة إلا بعد تصديق المرشد. خلال فترة ولايته، وقع الرئيس (خاتمي) عقداً مع تركيا لإدارة مطار طهران الجديد في إطار سياسة الإنفتاح الإقتصادي والإستثمارات الغربية في البلاد، إلا أن الحرس الثوري أحبط ذلك الإتفاق بالقوة أثناء حفل قص شريط الافتتاح.

ولأن سياسات المجلس اليوم لا تخرج عن توجهات رئيسه الرئيس (نجاد)، اتخذ المرشد (خامئيني) قراراً بتأسيس "مجلس استراتيجي" للمساعدة في وضع السياسة الخارجية في ظل الانتقادات التي وجهتها قوى سياسية عديدة في إيران للسياسة الخارجية للرئيس (نجاد)، ويضم هذا المجلس كوادر محسوبة على المحافظين والإصلاحيين معاً ويرأسه (كمال خرازي) وزير خارجية سابق ومعروف بسياسته المنفتحة على الغرب، إلا أنه لم ينحج في تغيير السياسة الخارجية الإيرانية.

من الواضح أن هناك تداخلاً في عمل مختلف الهيئات التشريعية في إيران مما يعقد العملية التشريعية ويركز هذه السلطة في يد المرشد الأعلى للثورة. كما أن تعدد الهيئات التشريعية يفسح المجال للتنافس وربما الصراع بين هذه الهيئات.

وبات واضحاً أن قوة الدين تتفوق على الارادة الشعبية في إيران، فالقرار السياسي في البلاد محكوم دستورياً بسيطرة القوة الدينية على حساب الارادة الشعبية، ويتضح ذلك بداية باشتراط الدستور أن يكون المرشد ومرشحي "مجلس الخبراء" من الفقهاء، بالاضافة إلى أن صلاحيات

[50] نفس المصدر السابق.

السلطة التشريعية المنتخبة الممثلة بالبرلمان مقيدة بمراقبة ومتابعة السلطات التشريعية الأخرى التي يعينها المرشد، كما يمكن تجاوز سلطتها باللجوء إلى الاستفتاء الذي لا يتم بدوره إلا بأمر من المرشد.[51] كما أن تقلد المناصب العامة يتوقف على مدى أهلية المرشحين والتي يقررها "مجلس صيانة الدستور" على أسس دينية.[52] فالمؤسسات المنتخبة في إيران ما هي إلا مظهر ديمقراطي شكلي، رغم مراعاة النظام لآلية الانتخاب.

- **مؤسسات مؤثرة في صنع القرار**

يتمتع عدد من المؤسسات في إيران بنفوذ قوى في عملية صنع القرار، ويأتي على رأسها الحرس الثوري بما يمتلكه من نفوذ عسكري وإقتصادي وسياسي، وكذلك مكانة آيات الله وأئمة وخطباء الجمعة، خصوصاً جمعية مدارس الحوزة العلمية في قُم، بالاضافة إلى دور البازار الإقتصادي، والقوة الطلابية ووسائل الإعلام والصحف مثل صحيفتي الجمهورية الإسلامية والديمقراطية، بالاضافة إلى دور الأحزاب السياسية المؤثرة مثل جمعية رجال الدين المناضلين ومجمع رجال الدين المناضلين وحزب الله.[53]

أولاً: المؤسسة العسكرية

تتشكل المؤسسة العسكرية في إيران من جيش إسلامي عقائدي يعتمد في أفراده على "المسلمين المؤمنين بمبادئ الثورة الإسلامية". وتناول الدستور الإيراني الجيش وقوات حرس الثورة وقوات التعبئة والتنظيم في تسع مواد.[54] وتخضع المؤسسة العسكرية لإدارة المرشد، وتضع الحكومة الإجراءات اللازمة للتوفيق بين مجالات وأماكن عمل قوات حرس الثورة وباقي قوات الجيش لكي لا يقع أي تداخل بينها. ولا تتحمل القوات المسلحة (الجيش والحرس) مسئولية حماية استقلال ووحدة الأراضي الإيرانية وحراسة الحدود فقط، بل أيضاً الدفاع عن النظام الإسلامي للدولة، و"الجهاد في سبيل الله، لبسط حاكميه القانون الإلهي في العالم".[55] ومنع

---

[51] حسب (المواد 110،112) من الدستور.، ص ص 148- 149.

[52] حسب (المادة 99) من الدستور، ص 45.

[53] مونجهر محمدي، السياسة الخارجية لجمهورية إيران الإسلامية ، مختارات إيرانية، العدد 86. العنوان الالكتروني
www.alrased.net/site/topies/view/789

[54] الدستور الإيراني المعدل عام 1989، المواد من (143-151).

[55] الدستور الإيراني المعدل عام 1989 ، الديباجة، ص ص 9- 17.

الدستور التحاق الأجانب بالجيش الإيراني وقوات حرس الثورة وجميع قوات الأمن الإيرانية، كما حرَّم إقامة قواعد أجنبية في إيران ولو لأغراض سلمية.

يعد الجيش الإيراني النواة الرئيسة للقوات المسلحة النظامية التقليدية، وهو يخضع لسلطة وإرادة المرشد، ويصل عدد قواته إلى حوالي مليون عنصر، نصفها في القوة البرية وربعها قوات بحرية والربع الأخير يخدم في القوات الجوية. وبعد أن كان الجيش الإيراني أقوى جيوش الشرق الأوسط في عهد الشاه، عانى إهمالاً كبيراً لعدم الثقة به بعد الثورة، فأعدم المئات من كبار قادته، وأسس (الخميني) قوتين عقائديتين (الحرس الثوري وقوات التعبئة والتنظيم) في موازاته، للدفاع عن الثورة الوليدة.

تأسس الحرس الثوري منذ الأيام الأولى للثورة وشكل دعامتها الرئيسة ، إلا أنه اكتسب قدرة عسكرية كبيرة وقاعدة جماهيرية واسعة بعد الحرب العراقية الإيرانية، فقد نص الدستور عام 1989 على استمرار الحرس الثوري في القيام بدوره لحماية الثورة وإنجازاتها، وقمع القوى المناوئة لها، ودعم حركات التحرر في العالم والحفاظ على الحدود وإقامة دوريات على الطرق لضمان الأمن.

ويضم الحرس الثوري اليوم بين صفوفه أكثر من مائة وخمسة وعشرين ألف عنصر في داخل إيران وخارجها. ولعب الحرس دوراً رئيسياً في عملية تصدير الثورة إلى العالم العربي منذ عام 1982 عندما أرسل أول قوة له إلى لبنان لدعم ميلشيات حزب الله، ثم إلى السودان عام 1990، ولا يزال الحرس الثوري موجوداً اليوم في لبنان والعراق وأفغانستان.

ويمتلك الحرس الثوري نفوذاً بالغاً واستقلالاً سياسياً في مواجهة المؤسسات الرسمية المؤثرة في إيران، بسبب ولائه المطلق للمرشد، وقربه من الحوزة الدينية في مدينة قُم، فهو يتحكم بالملفات العسكرية الأكثر أهمية وعلى رأسها ملف الأسلحة غير التقليدية والصواريخ بعيدة المدى والبرنامج النووي.

وازداد نفوذ الحرس الثورى العسكري في عهد (نجاد) بانضمام قوى التعبئة إلى قواته البرية، فكلف بأمن منطقتي الخليج وبحر عمان، بينما كلف الجيش بالإشراف والرقابة على حدود بحر قزوين.[56] كما وضعت قوات الحرس

[56] أحمد لاشين، مصدر سابق.

الثوري في المنتصف والجنوب للسيطرة على الوضع الأمني وعلى منابع البترول، بينما نقل الجيش للمناطق الشمالية من (منطقة أذربيجان) بحجة الدفاع عن الحدود الشمالية. وامتلكت قواته البحرية ترسانة من الزوارق الصغيرة الشديدة السرعة والصواريخ المضادة للسفن والسفن القاذفة للصواريخ، بهدف إنشاء خط دفاعي لمضيق هرمز والخليج،[57] فأعطى بذلك مزيداً من القدرة الإستراتيجية. وبلغ نفوذ الحرس الثوري أوجه في ضوء الدور الذي لعبه لفرض الاستقرار بعد الاضطرابات التي صاحبت الانتخابات الرئاسية الأخيرة عام 2009، ولعب نفس ذلك الدور بين عامي 1979 و1982 عندما أخمد انتفاضة الأكراد والبلوش والتركمان.

ولا تقتصر سيطرة الحرس الثوري على المؤسسات الأمنية فقط بل تتعداه إلى المؤسسات الإعلامية والثقافية أيضاً، فقادة وضباط الحرس الثوري يشكلون شبكة هامة من شبكات النفوذ داخل المجتمع الإيراني وأحد أهم جماعات المصالح فيه.[58] ويحظى الحرس الثوري بنفوذ واسع في كل أجهزة الشرطة والمخابرات والجهاز الإعلامي، حيث أنشأ قناة إعلامية خاصة به، كما أسس مكاتب تابعة له داخل الجامعات الإيرانية مثل جامعة الإمام الخميني في قزوين، ناهيك عن نفوذه المتصاعد داخل المؤسسات السياسية والمدنية الأخرى، وتزايد ذلك النفوذ بشكل ملحوظ داخل مؤسسات الدولة بعد التصعيد الدولي ضد إيران.

ساعد النظام في تصاعد مكانة الحرس الثوري إقتصادياً من خلال السماح ببسط سيطرته علي القطاعات الاقتصادية. فشارك في المشروعات العمرانية الكبرى التي تقوم بإنشائها الحكومة، ويدير أحد كوادره مؤسسة "المستضعفين"، وهي أكبر هيئة إقتصادية بعد الحكومة ويبلغ حجم أعمالها 40% من مجموع الإنتاج القومي.[59]

يسرت الحكومة للحرس الثوري امتلاك حصص كبيرة من مقدرات الاقتصاد الإيراني كاحتكار أسهم شركة الاتصالات الحكومية للخطوط الهاتفية الثابتة، وإدارة المنشآت النفطية، ومصانع السيارات وبناء المطارات والسدود. كما

[57] نفس المصدر السابق.

[58] Understanding Iran, Ipid.

[59] محمد عباس ناجي، داخل الحرس الثوري- ثلاثون عاماً من الحكم الحديدي لإيران، المجلة، 2010/2/19، البريد الالكتروني: http://www.majalla.com/ar/cover_story/article19537.ece

منحت الحكومة للحرس صلاحيات اتخاذ القرار الاقتصادي في البلاد، فاتخذ المجلس الأعلي للأمن القومي الإيراني برئاسة (نجاد) قراراً يفرض على البنك المركزي اتخاذ قراراته بموافقة ممثل الحرس الثوري، وقراراً آخر يحتم وجود ممثل عنه في منظمة مراجعة وتنظيم القرارات الرقابية في شركة الاتصالات.[60]

مكن ذلك الوضع المميز الحرس الثوري من البروز في المجتمع سياسياً، من خلال ظهور العديد من قياداته علي المسرح السياسي، وعلي رأسهم الرئيس (نجاد) نفسه. فاحتل رجال الحرس الثوري مناصب بارزة في تشكيلة حكومة (نجاد) والتي صدق عليها البرلمان في سبتمبر 2009، بتعيين (أحمد وحيدي) وزيرًا للدفاع، و(مصطفى محمد نجار) وزيراً للداخلية، و(مسعود مير كاظمي) وزيراً للنفط.

كما شهد الحرس الثوري في عهد (نجاد) حضوراً واسعاً في الجانب العسكري والسياسي. ويوجه الإصلاحيون والمنتمون للجناح المعتدل من التيار المحافظ الانتقادات الشديدة لتعاظم مقدرات الحرس الثوري والقوات التابعة له في المجتمع.

فانتقد الزعيم الإصلاحي (مهدي كروبي) حصول وحدة "خاتم الأنبياء" التابعة لمؤسسة الحرس الثوري علي عقود إقتصادية حساسة في قطاعات الصناعة، متهماً الحكومة بالتحول إلي مقاول يسيطر علي مناحي الحياة الاقتصادية، ومؤكداً أن المادة (43) من الدستور الإيراني لا تسمح باحتكار الثروة بيد عدد من الأفراد أو المجموعات.[61]

تعتبر قوات التعبئة والتنظيم (الباسيج) أهم قوة عسكرية بعد الحرس الثوري وتقع تحت قيادته، وتشكلت في بداية الثورة لإحباط أية محاولة لإطلاق سراح الرهائن الأمريكيين عام 1980، ثم أصبحت قوة احتياط شعبي لها دور مهم

---

[60] صلاحيات جديدة للحرس الثوري تزيد من سيطرته علي اقتصاد إيران، العربية نت، 18 أغسطس 2010.

http://www.alarabiya.net/articles/18/08/2010/117107html

[61] صعود "الحرس الثوري". هل يغير النظام الإيراني؟ www.lebanese-forces.org

في حفظ الأمن الداخلي بعد الحرب. وتتكون قوات التعبئة والتنظيم من تسعين ألف رجل مسلح متفرغ، ولكنها تستطيع تعبئة عشرة ملايين عنصر من شباب الاحتياط.[62] وقد فوضت هذه القوات بكثير من وظائف الحرس الثوري المتعلقة بالأمن الداخلي.

عمد النظام الإيراني إلي خلق نخبة عسكرية ترتبط مصالحها بوجوده كالحرس الثوري وقوات التعبئة والتنظيم وجيش القدس التابع للحرس الثوري ويعمل خارج حدود البلاد، كما يرتبط بقاء النخبة العسكرية ومكانتها باستمرار النظام، في حين تم الحفاظ على وجود الجيش بشكله التقليدي تحت سيطرة المرشد أيضاً. إن وجود مثل هذه النخبة العسكرية يعيق أية محاولات لاسقاط النظام، وهذا ما يفسر أهمية دورها في قمع ثورات أو إنتفاضات قد تحدث ضد النظام.

ثانياً : القوى الدينية

تلعب القوى الدينية ممثلة في الحوزة الدينية وأمانة أئمة الجمعة، دوراً بارزاً في التأثير على صنع القرار في إيران. وتعتبر الحوزة الدينية مكان لدراسة علوم الدين، لتأهيل الدارس تدريجياً لنيل مرتبة "مرجع تقليد" والقلة منهم فقط من يصل إلى هذه المرتبة. وتنال الحوزة الدينية في قم شهرة واسعة لكونها قد خرّجت "مراجع تقليد" عظام مثل (منتظري).

وتعود أهمية ودور علماء الحوزة الدينية وهيبتهم داخل المجتمع الشيعي، باعتبارهم القوى التقليدية التي تساند المرشد، ولصلتهم بجميع التيارات السياسية وتجار البازار، ولامتلاكهم مصادر تمويلية تجعل لهم مؤسساتهم الخاصة البعيدة عن سلطة الدولة.

يحق لـ "مرجع التقليد" الحصول على زكاة الخمس وهي زكاة يؤديها المسلم الشيعي،[63] تلك الزكاة التي يمكن أن تفسر جوانب القوة لسلطة فقهاء الشيعة

---

[62] يوسف عزيزي، عدد قوات البسيج "قوات التعبئة للحرس الثوري"، موقع إيلاف الإلكتروني في 14/10/2008 .

[63] آمال السبكي، تاريخ إيران السياسي بين ثورتي 1906-1979، سلسلة عالم المعرفة، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1999)، ص 29-31.

وسطوتهم، ليس فقط في مجال الإفتاء في أمور الدين، ولكن أيضاً كسلطة سياسية فرضت نفسها على المجتمع الإيراني منذ القرن السادس عشر وحتى اليوم. وقد قاطع علماء الدين والفقهاء "مجلس صيانة الدستور" لوضعه ضوابط لمرشحي "مجلس الخبراء"، معتمدين على استقلالهم المادي ومؤيديهم وتابعيهم وعلاقاتهم القوية بالبازار وباقي التيارات السياسية.

تعتبر الأمانة الدائمة لأئمة الجمعة قوة دينية، تقع تحت إشرف المرشد. ويعين المرشد خمسة أعضاء من الأمانة كخطباء جمعة في أكبر المدن الإيرانية. وتقوم الأمانة بالتنسيق بين خطباء الجمعة، كما تتصل بالتنظيمات التي يؤلفها رجال الدين داخل إيران وخارجها، وتصنع السياسة العامة لخطب الجمعة في مختلف أنحاء البلاد بما يتناسب مع التوجه العام لطبيعة النظام. ويرجع الإهتمام بأئمة الصلاة إلى خصوصية وأهمية يوم الجمعة عند الشيعة.

وتمثل منابر صلاة الجمعة في إيران إحدى صور حرية التعبير التي يتمتع بها علماء وفقهاء الشيعة والتي تعكس الاستقلال الكبير الذي يتمتع به رجال الدين داخل المجتمع الإيراني، إلا أن الاختلاف عادة لا يكون حول أمور جوهرية تمس بالدين أو بمبادئ قيام الثورة أو بالدولة الإسلامية، وإنما حول تفسير بعض النصوص أو في أخذ مواقف معينة من قضايا دولية تمس أمن وسلامة النظام في إيران.

ثالثاً: القوى الإقتصادية

لعبت القوى الاقتصادية دوراً كبيراً في التصدي لسياسات الشاه، وتلعب تلك القوى، ممثلة في البازار والمؤسسات الخيرية، منذ قيام الثورة دوراً مهماً في صناعة القرار داخل إيران، وتتمتع بدرجة عالية من الاستقلال في مواجهة تدخل الدولة في شؤونها، بحكم علاقتها بالمرشد والقوى الدينية والتيار المحافظ.

يسيطر البازار المركزي في طهران على 75% من التجارة الداخلية وعلى مفاتيح القرارات الاقتصادية في البلاد. وما يزيد من تأثير تجار البازار في صنع القرار انغماس المؤسسة الدينية بمؤسساتها الخيرية في مشاريع البازار التجارية والاقتصادية، حيث يشارك رجال الدين في شركات تجارية لتشغيل الأموال الدينية التي لا تخضع لرقابة السلطة، وتمتلك المؤسسات الخيرية موارد ذاتية، تتوفر لها إما من زكاة الخمس أو من عوائد مشروعاتها الصناعية والزراعية والتجارية الضخمة التي تديرها، ومنها مؤسسة

المستضعفين ومؤسسة الشهيد ومؤسسة الإمام الرضا. ومُنع "مجمع تشخيص مصلحة النظام" من الإشراف على عمل المؤسسات الخيرية التابعة للمرشد أو التدقيق في نشاطها.

كما أن الحرس الثوري يمثل قوة إقتصادية من الصعب تجاوزها عند الحديث عن البازار، فالحرس الثوري يمتلك الكثير من المؤسسات الإقتصادية كما يعتبر شريكاً للدولة في العديد منها. ويؤثر رجال الدين ذوي الفكر المحافظ وقيادات الحرس الثوري وتجار البازار بدرجة كبيرة كجماعات ضغط في صنع القرار الاقتصادي في إيران، وقد تدخل المرشد العديد من المرات لوقف قرارات حكومية إقتصادية (تصدير واستيراد) لم يرض عنها البازار. إن دور المؤسستين العسكرية والدينية كقوى إقتصادية تتدخل لدى صانع القرار يبدو واضحاً في التأثير على القرار الاقتصادي في البلاد، خصوصاً وأن هذه القوى لا تخضع لرقابة الدولة بحكم مكانتها الدينية أو العسكرية، ولقربها من المرشد والتيار المحافظ.

خلق النظام السياسي الإيراني جماعات عسكرية وإقتصادية ودينية تستفيد بدرجة كبيرة من بقاء النظام وهي على استعداد لأن تحارب من أجله، لحماية مصالحها بالدرجة الأولى. وتنتمي تلك الجماعات في الغالب إلى التيار المحافظ، وتسعى للحفاظ على بقاء جوهر النظام المتمثل في الولاية المطلقة للفقية، وتقف بقوة ضد الحريات التي قد تؤثر على مصالحها الإقتصادية.

رابعاً : القوى الطلابية

شكلت القوى الطلابية الشابة العمود الفقري في تفجير الثورة بقيادة (الخميني)، وهو نفس الدور الذي لعبته القوى الطلابية في منتصف التسعينات لنصرة الاصلاحي (خاتمي) في الوصول إلى الرئاسة عام 1997، بعد أن شهدت التركيبة الإجتماعية في إيران تغيراً ملحوظاً بزيادة حجم الطبقة المتوسطة والمتوسطة العليا الشابة المتعلمة غير المتأثرة بالرؤية الثوريه والتي تضم الكثير من النساء بين صفوفها. ولعبت هذه الشريحة الواسعة والمؤثرة دوراً ملحوظاً في الأحداث العنيفة التي جاءت على خلفية رفض نتائج الانتخابات الرئاسية عام 2009.

وتهتم غالبية الطبقة الوسطى الشابه المتعلمة من طلاب ونساء ومثقفين ومهنين اليوم بالقضايا الاقتصادية كرفع مستوى الدخل والقضاء على البطالة والفقر في البلاد. وتقترب رؤيتها أكثر من مواقف واتجاهات التيار الإصلاحي بل وتتجاوزها أحياناً. وتجد هذه الغالبية سنداً فكرياً وشرعياً لها من خلال عدد من رجال الدين الذين يطالبون بحياة ديمقراطية بعيداً عن استبداد نظرية "ولاية الفقية"، ومن أبرزهم المنظر الفكري لكثير من الشباب الإيراني (منتظري).

وتعد منظمة "تعزيز الوحدة الطلابية" والتي تتفق في آرائها وتوجهاتها مع "جبهة المشاركة الإسلامية"، قائدة للكثير من الاحتجاجات منذ عام 1997 ضد عدد من التشريعات، وطالت شعاراتها في بعض الأحيان المرشد نفسه، خصوصاً خلال مشاركتها في مظاهرات عام 2009.

واستخدمت المعارضة خلال تلك الأحداث نفس آليات الثورة عام 1979 كاستغلال المناسبات الدينية والمذهبية والقومية والوطنية لتأجيج روح الثورة والتمرد. ووقف الكثير من الفقهاء ورجال الدين ضد قمع المتظاهرين في أحداث 2009، بل وساندها عدد منهم، فبالاضافة إلى (رافسنجاني) و(كروبي)، هناك (إبراهيم أميني) و(يوسف صانعي) وغيرهم.

وتتميز القوى الطلابية بعدم وجود قيادة فردية لها ويقودها مجلس مركزي وقيادة غير هرمية، رغم أنها تعرضت لأكثر من انشقاق لكنها لا تزال قائمة.

- **التيارات السياسية الرئيسة في إيران**

عرفت إيران التنظيمات الحزبية قبل قيام الثورة، ففي عهد نظام الشاه واجهت التنظيمات الحزبية الدينية والقومية والماركسية معارضة شديدة اضطرتها للعمل السري تحت وطأة القمع. لم يختلف الوضع كثيراً بعد الثورة، فمنذ إزاحة التيار الليبرالي رسمياً بعد إقالة الرئيس (بني صدر) عام1981، فشلت بقية الأحزاب غير الدينية في الوصول إلى البرلمان، بعد أن فرض الدستور ضوابط على العمل الحزبي كما فرض "مجلس صيانة الدستور" شروطاً عليه. وعلى الرغم من وجود لجنة للأحزاب تمنح التراخيص للتنظيمات الراغبة في ممارسة العمل الحزبي،[64] ليس هناك قانون منظم لهذا العمل وإطاره.

[64] حسب المادة (26) من الدستور، ص 27.

ومن السهل ملاحظة التيارات السياسية داخل معظم مؤسسات صنع القرار والمجتمع المدني والشارع الإيراني، لكن من الصعب بلورة حدود فاصلة بينها، فجميعها ذات توجه ديني. ولا تتعرض تلك التيارات لشكل الدولة أو مذهب "ولاية الفقيه"، ولا تختلف حول أسس الثورة ومبادئها، لكنها تختلف حول النظرية السياسية للحكم وموقع "ولاية الفقية" فيها.

وبينما أُطلق مصطلح اليسار الإسلامي على المؤيدين للأفكار الإصلاحية في الأيام الأولى للثورة ولُقب المحافظون باليمين، برز مصطلح الإصلاحيين بعد إنتهاء الحرب مع العراق عام 1988 من داخل النخبة المحافظة، تحت تأثير حركة شعبية طالبت بالحريات، فوصل المحافظ المعتدل (رفسنجاني) إلى الرئاسة عام 1989. وعلى الرغم من أن صعود (رافسنجاني) للرئاسة قد دشن سياسة انتقال النظام من الثورة إلى الدولة، وأن البلاد شهدت في عهده انفتاحاً اقتصادياً بعد عشر سنوات من الاقتصاد الموجه مركزياً بسبب الحرب، إلا أنه لم يغير التوجه العام للنظام، بسبب التوافق السياسي الذي ساد بين الرئيس والمرشد، وهو ما يفسر مساندة الناخب الإيراني لمرشح رئاسي من خارج الاطار المحافظ.

دعمت القوى والتنظيمات الليبرالية والوطنية مرشح الرئاسة الاصلاحي (خاتمي)، وساعدته في الوصول إلى السلطة في إنتخابات عام 1997. وظهر تيار "خرداد" نسبة إلى شهر "خرداد" في التقويم الإيراني الذي انتخب فيه (خاتمي)، وضم أكثر من ثمانية عشر حزباً وجمعية سياسية إصلاحية. ونجح "تيار خردات" في ترسيخ مكانة الاصلاحيين بعد ذلك سواء في الانتخابات البرلمانية عام 2000 أو في إعادة انتخاب (خاتمي) لفترة رئاسة ثانية عام 2001 .

اقترب خطاب الرئيس (خاتمى) من الأفكار الليبرالية، دون الخروج عن الاطار الديني العام. وتبلور الإطار الفكرى للتيار الإصلاحى حول الانفتاح على الأخر بتقديم المصالح القومية على الشعارات الأيديولوجية، والاعتماد على مفاهيم المجتمع المدنى ودولة المؤسسات داخلياً، وحوار الحضارات والإديان والتنمية ومرتكزاتها الإنسانية خارجياً.

كما شهدت البلاد وفرة في الأحزاب السياسية فبات عددها 154 فصيلاً بعد أن كانت 39 حزباً وجمعية في العهد السابق. ونشطت أحزاب قديمة كمنظمة

"مجاهدي انقلاب إسلامي" الإسلامية اليسارية، واستحدثت تنظيمات أخرى فانضم تجمع "كوادر البناء" المحافظ المعتدل سابقاً الذي أسسه (رفسنجاني) إلى التيار الإصلاحي. إلا أن تلك الأحزاب لم تكن فاعلة في الحياة السياسية، وكانت أشبه بالمنظمات غير الحكومية أو مجموعات الضغط ذات التوجه المهني.[65]

فشل الاصلاحيون خلال عهد (خاتمي) في الحفاظ على شعبيتهم وبقائهم في السلطة، في ظل فشل الرئيس في تنفيذ وعوده بتوسيع هامش الحريات ورفع مستوى المعيشة والقضاء على البطالة، بالتزامن مع تصاعد مكانة المحافظين خصوصاً "المحافظين الجدد" بعد تجديد خطابهم الفكري والسياسي.[66] كما ساهمت الأزمة الداخلية بين الرئيس (خاتمي) وبعض كوادر "جبهة خرداد" في إضعاف مكانة الاصلاحيين، بعد أن إتهمت الرئيس بالانحراف عن المبادىء الإصلاحية والعجز عن حماية مؤيديه (حيث أغلقت عشرات الصحف واعتقل الكثير منهم) والسلبيه إزاء الأزمة السياسية التي نتجت عن قرارات "مجلس صيانة الدستور" برفض صلاحية أكثر من 2600 مرشحًا معظمهم من الإصلاحيين.

بصعود "المحافظين الجدد" إلى السلطة مع انتخابات مجالس الشورى المحلية (البلديات) عام 2003، واكتساحهم لمقاعد البرلمان عام 2004، وفوز (نجاد) في الانتخابات الرئاسية عام 2005، دخلت إيران مرحلة جديدة تميزت بغياب الإصلاحيين عن المشهد السياسي الإيراني، وسعي النظام باصرار باتجاه عدم السماح بعودتهم مجدداً إلى المسرح السياسي.

وصلت الخلافات بين الاصلاحيين ذروتها بعد خسارتهم في الانتخابات التشريعية والرئاسية، فانفصل عدد من القوى الإصلاحية عن "جبهة خردات"، وبات الحديث يدور حول أربعة قوى :

- "مجمع روحانيون مبارز" (مجمع رجال الدين المناضلين)، يرأس اللجنة المركزية (خاتمي)، ويتولى (موسوي) إدارة الأنشطة التنفيذية، ومنع من الحركة بعد انفجار الثورات العربية.

---

[65] ستار ناصر، مصدر سابق.

[66]انظر: صحيفة الحياة 2004/2/25 .

- "حزب اعتماد ملي" (الاعتماد الوطني)، الذي يتزعمه (كروبي) رئيس البرلمان السادس، ومرشح إنتخابات الرئاسة الأخيرة، والذي استقال عقب إنتهاء الانتخابات الرئاسية من منصب الأمين العام لمجمع روحانيون مبارز، وفرضت عليه الإقامة الجبرية مع اندلاع الثورات العربية.

- "جبهة الديمقراطية وحقوق الإنسان" التي يتزعمها (مصطفى معين) وزير العلوم في حكومة (خاتمي) ومرشح انتخابات الرئاسة الأخيرة.

- "جبهة المشاركة" بزعامة شقيق (خاتمي)، الموصوفة بالتطرف في مواقفها من السلطة، والتي سيطرت على غالبية مقاعد البرلمان (2000-2004)، واعتبرت الداعم الأساسي للرئيس (خاتمي)، كما شاركت في اضطرابات عام 2009.

ولم توحد إنتخابات مجلس الشورى الأخيرة (2012) الاصلاحيين، فانقسموا بين داع لمقاطعة الانتخابات ومشارك فيها، حيث قاطع جزء من الإصلاحيين المحسوبين علي الحركة الخضراء المؤيدين لرئيس الوزراء السابق (مير حسين موسوي) و(مهدي كروبي) الرئيس الأسبق للبرلمان الإيراني الانتخابات، بهدف إعادة بناء قوتهم اجتماعياً، بينما شارك فيها الإصلاحيون المقربون من الرئيس السابق محمد خاتمي.[67]

أدت نتائج الانتخابات الرئاسية الأخيرة إلى ظهور معارضه من داخل التيار المحافظ لحكومة (نجاد)، يتزعمها المعتدل (رفسنجاني)، والمتشدد (لاريجاني) رئيس البرلمان السابق وشخصيات برلمانية عديدة إضافة إلى مراجع دينية في قُم. فانقسم المحافظون إلى معتدلين برئاسة (رفسنجاني) الذي استطاع اعادة تنظيم تياره "جبهة الاعتدال" مع التكنوقراط الاصلاحيين سابقاً

---

[67] رانيا مكرم، هيمنة المرشد: قراءة في نتائج الانتخابات البرلمانية الإيرانية، مجلة السياسة الدولية، الخميس 8 -3-2012
http://www.siyassa.org.eg/NewsContent/2/105/2247/تحليلات/شرق-أوسط/هيمنة-المرشد.aspx

"كوادر البناء"، لتدعيم قوة ومكانة المعتدلين، وأصبح يشكل قوة سياسية ذات وزن متصاعد ومنافس للتيارات المحافظة الأخرى، ومحافظين تقليديين بزعامة المرشد، والمحافظين الأصوليين بزعامة الرئيس (نجاد) وعدد من أتباعه، يدعمهم (اليزدي) الأب الروحي لـ (نجاد). ويثير التيار المحافظ الأصولي الذي يسعى إلى احياء دعوة "المهدوية"، قلق التيارات المحافظة الأخرى، لأن هذه الدعوة تهدد كيان الجمهورية الإيرانية وتداعى مبدأ "ولاية الفقيه".

ورغم الانقسام داخل التيار المحافظ إلا أن سلطة ومكانة المرشد قد ازدادت كمرجع يعود اليه الإيرانيون، بسبب صراعات (نجاد) المتعددة الاتجاهات،[68] فبات ينظم التوازنات السياسية داخل التيارات المحافظة ليضمن عدم سطوة أحدها على الأخرى. ولم يخرج تكليف المرشد لـ (رفسنجاني) في بداية عهد (نجاد) بالإشراف على عمل السلطات الثلاث للنظام، إلا كورقة ضغط يلوح بها المرشد في وجه الرئيس كلما ازداد التوتر بينهما. ويأتي تبديل المرشد لرأس السلطة القضائية وتعيين (لارجاني) المقرب منه، في إطار إحكام سيطرة المرشد والوقوف في وجه سلطات الرئيس. كما أن الصراع الدائر بين رئيس البرلمان والرئيس لا يخرج عن هذه المعادلة.

وضحت الانتخابات البرلمانية الأخيرة الأجنحة الرئيسية للتيار المحافظ وهي: قائمة جبهة الأصوليين الموحدة، وعلى رأسها رئيس البرلمان المنتهية ولايته (علي لاريجاني)، وجبهة صمود الثورة الإسلامية "بايداري انقلاب إسلامي"، ومن أبرز رموزها (مصباح يزدي)، وجبهة المقاومة، ومن أبرز رجالها (محسن رضائي)، أمين مجمع تشخيص مصلحة النظام. إلا أن المنافسة الحقيقية انحصرت بين مرشحي التيار المحافظ الموالي للمرشد والمنتقدين لحكومة أحمدي نجاد، وبين المؤيدين للرئيس وحكومته.[69]

- **تأثير قضايا خارجية على رسم السياسات الداخلية:**

هناك عدد من القضايا الخارجية تعتبر مفصلية في رسم السياسة الإيرانية، لأنها تبقى في صميم المصالح الوطنية، وتشكل امتداداً لمسار

---

[68] Understanding Iran, Ipid.

[69] رانية مكرم، هيمنة المرشد، السياسة الدولية، مصدر سابق.

السياسة الخارجية وتوجهاتها. ويبدو ان الصراع بين الإصلاحيين والمحافظين ليس له انعكاس ظاهر على جوهر السياسة الإيرانية تجاه تلك القضايا التي تنال إجماع وطني، وإنما على آليات واستراتيجيات تحقيقها. وترتبط تلك القضايا الخارجية في صميم الهوية الإيرانية، فقد جسدت جوهر السياسة الخارجية في عهد الشاه، وباتت تشكل أُسساً وضعتها الجمهورية الإسلامية كأولويات عبر عن بعضها الدستور الإيراني صراحة.

يأتي على رأس تلك القضايا **رؤية إيران لدورها ومكانتها الاقليمية،** فتؤمن القيادة الإيرانية بدور بلادها الإقليمي، وهي أكثر إصراراً اليوم على إجبار العالم الاعتراف بهذا الدور الذي تراه مشروعاً، فيؤكد (محسن رضائي)[70] على ضرورة أن يكون لإيران الكلمة الفصل في شؤون المنطقة.[71] كما يؤمن النظام في إيران بالوصول إلى مرحلة التكافؤ الاستراتيجي مع الولايات المتحدة،[72] كقوة عظمى تعكس مكانتها الحقيقية في المنطقة.

ولم تخرج إيران خلال العقود العشرة السابقة في سعيها لتحقيق أهدافها الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط عن أهدافها وسياساتها طوال سنوات الحرب الباردة وقبل صعود الثورة الإسلامية إلى الحكم والذي تعدى حدود الاهتمام بالأمن القومي والإقليمي، إلى مرحلة الهيمنة وبسط النفوذ في مناطق عديدة عربية وإسلامية مجاورة لإيران وبعيدة عنها.[73]

نجحت إيران في تحقيق هذا الدور وهذه المكانة منذ ستينيات القرن الماضي في عهد الشاه، مدعومة بعلاقاتها الاستراتيجية بحليفتها الكبرى

---

70 قائد السابق في الحرس الثوري والنائب الحالي للرئيس (نجاد).

71 السيد زهره، إيران والعرب والعامل الشيعي، شبكة البصرة، السبت 25 صفر 1430 / 21 شباط 2009، البريد الالكتروني:
http://www.albasrah.net/ar_articles_2009/0209/zahra_210209.htm

72 Reports by" International Crisis Group"،U.S.-Iranian Engagement: The View from Tehran ", Ipid.

73 السيد ولد أباه، اللعبة الإقليمية الإيرانية، جريدة الشرق الأوسط، الخميس 15 رجب 1427 هـ 10 أغسطس 2006، العدد 10117، البريد الالكتروني:
http://www.aawsat.com/details.asp?section=3&issueno=10117&article=377364&state=true

الولايات المتحدة الأمريكية آنذاك والتي ساعدتها في وضع باكورة القوة النووية الإيرانية. فلعبت إيران الدور الإقليمي الأقوى في منطقة الشرق الأوسط، وبسطت سيطرة على غرب آسيا في الخليج جنوباً والبلدان العربية غرباً، وأفغانستان وباكستان والمحيط الهندي في الشرق والجنوب الشرقي، خصوصاً بعد جلاء القوات البريطانية عن شبه الجزيرة العربية.[74] وبررت إيران سياستها في ذلك الوقت بحماية مصالحها وحماية استقرار تلك البلدان لضمان أمن خطوط نقل النفط عبر الخليج.

وتدخلت إيران بشكل مباشر وغير مباشر في شؤون منطقة الشرق الأوسط، سواء عن طريق الدعم المادي أو العسكري لتلك الدول أو بحجة تقديم المساعدة المباشرة عند الحاجة.[75] ولم تتورع إيران عن القيام بالاعتداءات أو سلوك مواقف مزدوجة تحقيقاً لأهدافها.

وتظهر المرحلة الكردية في ستينات القرن الماضي أن هذا التلاعب يشكل جزءاً حيوياً في سياسة إيران الخارجية، فقد ساعدت إيران في ذلك الوقت القوات الكردية في شمال العراق للبدء بحرب ضد بغداد مرسلة لها السلاح عبر الحدود المشتركة، إلا أن هذا العون توقف بعد اتفاق إيراني عراقي. كما تدخلت إيران في اليمن الشمالي خلال الحرب الأهلية ما بين عامي 1962 و 1970 لدعم الملكيين والوقوف في وجه نفوذ الرئيس المصري (جمال عبد الناصر) في ذلك الوقت المؤيد للجمهوريين.

كما ساندت إيران سلطنة عمان عام 1971 وحاربت معها ما بين عامي 1973 و 1976 عصابات الجبهة الشعبية في إقليم ظفار الجنوبي من السلطنة، وبقيت إيران تلعب دوراً هاماً في عمان رغم انتهاء القتال محتفظة بعدد من قواعدها وأعمال الدورية الجوية والبحرية على الحدود. كما شاركت إيران عام 1973 في ضرب رجال العصابات في إقليم بلوخستان الباكستاني المتاخم لحدودها، وقدمت عوناً عسكرياً للجيش الباكستاني خلال حملته لتنفيذ برنامجه المدني.

---

[74] فريد هوليداي، مقدمات الثورة في إيران، (بيروت: دار إبن خلدون، 1982 الطبعة الثانية)، ص ص 335-360.

[74] السيد زهره، مصدر سابق.

بعد قيام الثورة الإسلامية في إيران، بقيت طموحات إيران وأهدافها السياسية ثابتة لم تتغير، إلا أن إستراتيجيتها في تحقيق سياستها الخارجية هي التي اختلفت. وقد تعود هذه الاستراتيجية الجديدة إلى عوامل رئيسية قد يكون أهمها:

الأول: افتقاد إيران للقوة العسكرية الكافية التي عادة ما ترتبط بمثل هذا الدور الذي تطمح إليه، الأمر الذي يشكل معضلة حقيقية تواجه إيران في تحقيق أهدافها، تلك القوة والمكانة العسكرية التي كانت تمتلكها إيران إبان حقبة الشاه والتي حققتها بمساعدة تحالفها مع الولايات المتحدة.

الثاني: تغير موازين القوى الداعمة والمساندة لسياسة إيران الإقليمية في المنطقة، بعد صعود الثورة الإسلامية إلى حكم إيران، وتبدل السياسة الأمريكية الداعمة لإيران.

الثالث: اصطدام مبادئ الثورة الإسلامية بجدار الاختلاف المذهبي مع بقية الأقطار الإسلامية والعربية.

لم تخف إيران بعد الثورة الإسلامية رغبتها وسعيها للهيمنة على منطقة الشرق الأوسط، ووضع الدستور الإيراني مبادئ عريضه لسياسة إيران بما يضمن الحفاظ على مكانتها وقدرتها في المنطقة. وترجمت القيادة الإيرانية تلك المبادئ في إستراتيجية أطلقتها في سبيل تحقيق أهدافها تمثلت في السعي لامتلاك نمطين من القوة، الخشنة كآلية دفاعية لحماية مصالح وطنية حيوية،[76] وكقوة ردع تدعم مكانتها ومركزها الإقليمي بين دول المنطقة والعالم، والقوة الناعمة ويجسدها مبدأ "تصدير الثورة" و"حماية المستضعفين"، بما يضمن التنامي والتغلغل في المنطقة.

وتسعى إيران لامتلاك القدرة العسكرية الكبيرة والفعالة وعلى رأسها القوة النووية لضمان تحقيق مكانة اقليمية مميزة والتي تشكل بنية القوة الإيرانية الخشنة. وتؤمن جميع التيارات السياسية في إيران بمبادئ الثورة

[76] راغدة درغام، الحاجة إلى إستراتيجية خليجية تؤكد المخاوف من إيران نووية، "الحياة" اللندنية، الجمعة 2010/2/19 العدد:815، البريد الالكتروني:
http://www.awan.com/pages/guests/296586

وتعمل من داخلها وتتميز بقدر كبير من السيولة والتداخل مع بعضها البعض، وتتبنى مشروع الثورة ولكنها تختلف حول التطبيق، وتنظر إلى المشروع النووي الإيراني كمشروع وطني يدعم إستقلالية وسيادة إيران، لذلك كان 89% من الشعب الإيراني يؤيدون البرنامج النووي وتطوير عمليات تخصيب اليورانيوم.[77]

وجاء إعلان (نجاد) الأخير رفع نسبة تخصيب اليورانيوم إلى 20% موضع ترحيب من الجميع رغم خوف المعارضه من مواجهة مع الغرب قد تصل إلى الحرب. فالمعارضه تختلف مع الحكومة حول الملف النووي فقط في حجم التكلفة السياسية التي يجب أن تتحملها إيران من أجل هذا المشروع. وهناك عدد من المؤسسات التي هي أكثر دفاعاً عن المشروع النووي وأكثر استعداداً لتحمل تكاليف باهظة لتنفيذه، على رأسها الحرس الثوري وهيئة الطاقة النووية، لأن مصلحتها الشخصية والفئوية ترتبط به بشكل جوهري.[78]

وجسدت الدعوة الإيرانية الصريحة بـ "تصدير الثورة" إلى البلدان المجاورة والواردة في الدستور، القوة الناعمة الإيرانية في المنطقة، والتي أطلقها (الخميني) قبل ثلاثة عقود، ولم تتراجع عنها إيران رسمياً حتى يومنا هذا.

وعلى الرغم من محاولات الحكومة المؤقتة بقيادة (بني صدر) بعد الثورة الإسلامية بإقامة علاقات خارجية تقوم على رؤى ليبرالية، بقيت السياسة الخارجية أسيرة لـ "خط المرشد" الذي أعطى الأولوية لسياسة "تصدير الثورة" وتعزيز العلاقات مع الحركات الإسلامية المناهضة أكثر من توطيد علاقاتها بالحكومات نفسها. ولم تستطع حكومات معتدلة أو إصلاحية، جاءت إلى السلطة، وتؤمن بالانفتاح مع الغرب والتخفيف من حدة شعارات "تصدير الثورة"، من تغيير معادلة السياسية الخارجية في إيران.

فعلى الرغم من تولي المعتدل (رافسنجاني) مقاليد الحكم بعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية وموت (الخميني)، والذي وضع المصالح القومية كأهم

---

[77] Reports by“ International Crisis Group"،U.S.-Iranian Engagement: The View from Tehran ”, Ipid.

[78] Understanding Iran, Ipid.

• **الجزر الثلاثة المحتلة حتى هذه اللحظة هي: جزيرة أبو موسى، وهي جزء من إمارة الشارقة ، وجزيرتي طنب الكبرى والصغرى التابعتين لرأس الخيمة.**

أولويات السياسة الخارجية، لم ينجح في إحداث تغيير أيديولوجي فعلى لتوجه السياسة الخارجية الإيرانية. كما لم ينجح التيار الاصلاحي رغم سيطرته على مؤسسة الرئاسة والبرلمان في عهد الرئيس (خاتمي)، والذي يؤمن بنبذ التوتر وتطبيع العلاقات الإيرانية مع جميع دول العالم باستثناء إسرائيل، في تحقيق اختراق فعلي على مسار السياسة الخارجية الإيرانية.

عقدت سياسة إيران المتمثلة في "تصدير الثورة" العلاقات بينها وبين العديد من دول المنطقة وعلى رأسها الدول العربية. فاندلعت الحرب العراقية - الإيرانية عام 1988، وبقي التوتر سيد الموقف في العلاقات الإيرانية الخليجية خصوصاً وأن إيران لم تنسحب من الجزر العربية التي احتلتها إبان حقبة الشاه ولا تزال تحتلها حتى الآن.[79]

من القضايا الخارجية المهمة لإيران والمحددة للقرار فيها، والتي تستمد أساسها من مبدأ "تصدير الثورة"، **دعم حلفاء لإيران سياسياً وعسكرياً واقتصادياً، ناهيك عن دعم القوى الشيعية في المنطقة**. وتدعم إيران وتساند الشيعة على حساب السنة، في أفغانستان والعراق والعديد من دول الخليج، الأمر الذي فتح جبهة للصراع بين إيران والدول العربية.

ولم يعد الدور الإيراني في العراق خفياً عن أحد بعد دعمها لحرب الولايات المتحدة لضرب نظام الرئيس (صدام حسين) في العراق، ومساندتها ودعمها المعلن للمقاومة ضد الإحتلال الأمريكي للعراق، فازدواجية المواقف ليست بأمراً جديداً في السياسة الإيرانية الخارجية. وترفض إيران وجود سلطة عراقية قوية تحكم بمعزل عن سلطتها ونفوذها، نفس الدور الذي سعت إليه إيران في أفغانستان بعد سقوط حكم طالبان بمساعدة إيرانية غير مباشرة لعدوتها المعلنة الولايات المتحدة.

كما تدعم إيران حركات شيعية في بلاد عربية سعياً وراء تأصيل نفوذها في منطقة الشرق الأوسط، على رأسها حركة حزب الله في لبنان، تلك الحركة الشيعية التي باتت تشكل اليوم ركناً أساسياً في التركيبة السياسية اللبنانية، وذراعاً شيعياً قوياً في منطقة الشرق الأوسط، كما تدعم إيران الحوثيين في

64. الجزر الثلاثة المحتلة حتى هذه اللحظة هي: جزيرة أبو موسى، وهي جزء من إمارة الشارقة ، وجزيرتي طنب الكبرى والصغرى التابعتين لرأس الخيمة.

اليمن، وتساند حلفاء لها في المنطقة على رأسهم سوريا الحليف العربي الأكبر.

كما تدعم إيران حكومات وحركات إسلامية عديدة لتعزيز نفوذها في منطقة الشرق الأوسط مثل حكومة البشير في السودان وحركتي حماس والجهاد الإسلامي. فتدعم إيران حركة حماس دعماً سياسياً ولوجستياً كبيراً، مما عزز دورها كحركة مقاومة إسلامية في منطقة الشرق الأوسط ككل وليس في الأراضي الفلسطينية فقط.

ولم تخرج السياسة الخارجية الإيرانية حتى اليوم عن دائرة التشدد باتجاه دول المنطقة في سبيل تحقيق مبدأ "تصدير الثورة". فموقف النظام الإيراني من الثورات العربية يثير تشكك دول المنطقة العربية بسبب ازدواجية المعايير والكيل بمكياليين. فعلى الرغم من دعم النظام الإيراني الرسمي للثورات العربية وحق الشعوب في الثورة ضد الظلم والاستبداد والفساد خصوصاً في البحرين، تساند السياسة الإيرانية الرسمية بقوة نظام الرئيس السوري (بشار الأسد) وتقف ضد الثورة الشعبية السورية. ومن الجدير ذكره أن المعارضة الاصلاحية الإيرانية ترى أن أحداث إيران العنيفة التي صاحبت التشكيك بنتائج الانتخابات الرئاسية الإيرانية عام 2009 كانت مقدمة للثورات الشعبية العربية في المنطقة، مؤكدة أن هناك تشابه في ظروف وأسباب اندلاعها، وتتهم النظام بتقديم المصالح السياسية على قيم العدالة والحرية.[80]

ويعتبر **موقف إيران الرافض لوجود إسرائيل ودعمها حركات المقاومة ضد الاحتلال الاسرائيلي**، من القضايا الجوهرية التي تحدد خطوط سياسة إيران في المنطقة، وكأحد أشكال "تصدير الثورة"، ذلك الموقف الذي أكسبها تعاطفاً لدى بعض شعوب المنطقة، ومنحها قدرة على التغلغل داخل منطقة الشرق الأوسط.

وعلى الرغم من أن إيران لم تخض حرباً مباشرة ضد إسرائيل، وليس بين البلدين حدود مشتركه، إلا أن الخطاب السياسي الرسمي الإيراني يركز على معاداة إسرائيل، كما تدعم إيران حروباً بالوكالة ضدها من خلال دعم حركات المقاومة سياسياً ولوجستياً. ويبدو من الصعب التنبؤ بامكانية تغيير إيران لموقفها المعادي لإسرائيل، بعد أن باتت بفضله رائدة لتيار، يوصف بـ "الممانعة"، يقف في وجه تغلغل النفوذ الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط،

[80] مونجهر محمدي، مصدر سابق.

وداعمة لمعركة مشروعة بمساندتها لحركات التحرر ضد الاحتلال الاسرائيلي في المنطقة.

ساعدت عوامل عديدة على دعم مكانة إيران إقليمياً وإحداث اختراق حقيقي في منطقة الشرق الأوسط، خصوصاً في ظل فشل سياسة العقوبات الأمريكية والضغط الدولي على إيران في حل مشكلة الملف النووي الايراني حتى الآن. فكان لانهيار الاتحاد السوفيتي تأثير كبير على توسع النفوذ الإيراني في جمهوريات (الاتحاد السوفيتي) السابقة، وامتد هذا النفوذ غرباً وشرقاً وشمالاً بعد هزيمة طالبان في أفغانستان ونظام (صدام حسين) في العراق على يد الولايات المتحدة التي حيدت دون قصد إثنين من أكبر جيران إيران عداءً. كما كان لمحاولات الولايات المتحدة فرض العزلة والعداء على السلطة في سوريا قبل الثورة وحزب الله في لبنان وحركة حماس في فلسطين، دعماً لسياسة إسرائيل في المنطقة، إعطاء مزيد من الزخم السياسي لإيران.

- **الخاتمة**

وصل البحث إلى عدد من الاستنتاجات التي تعد محددات لصنع القرار والسياسة في إيران أهمها:

- **أولاً**: يعد القرار الأول والأخير في السياسة الإيرانية بيد المرشد (خامئيني) وتحيط به وتدعمه مؤسسات الدولة التي تحمل نفس التوجهات السياسية وتخضع لسيطرته وتحتكم بأمره، وعلى رأسها السلطة التشريعية، القوة الثانية بعد قوة المرشد في اتخاذ القرار الخارجي.

- **ثانياً**: يصعب ملاحظة أية تباينات في السياسة الرسمية المعلنه في إيران، وذلك لانسجام توجهات المرشد المحافظة مع توجهات أغلب أعضاء البرلمان الذي يخضع مرشحيه لرقابه "مجلس صيانة الدستور" قبل خوض الإنتخابات لضمان استمرار سيطرة المحافظين على البرلمان، كما أن المرشد يعين أغلب أعضاء كل من "مجلس صيانة الدستور" و"مجمع تشخيص مصلحة النظام"، اللذين يلعبان دوراً واضحاً في صنع القرار السياسي الإيراني.

- **ثالثاً:** إن تعدد مؤسسات صنع القرار في إيران يخلق نوعاً من الارباك والازدواجية، وهو الذي يفسر حالة التنافس والصراع بين قيادات تلك المؤسسات. إلا أن ذلك الصراع بين قيادات النظام وتلك الازدواجية بين مؤسسات صنع القرار تصب في النهاية في مصلحة المرشد وتعزز من مكانته ونفوذه والضغط على منافسيه، فهو حسب الدستور المنسق والمشرف على عمل جميع السلطات في البلاد.

- **رابعاً:** ليس لرئيس الجمهورية في إيران نفس الدور الذي يلعبه المرشد في صنع السياسة ولا نفس المكانة والقدرة، فهناك فجوة واضحة بين قوة ومكانة الزعامة الدينية والقيادة السياسية الشعبية، ويتولى "مجمع تشخيص مصلحة النظام" و"مجلس صيانة الدستور" الإشراف على قرارات الحكومة والرئيس.

- **خامساً:** تؤكد نتيجة انتخابات مجلس الشورى الأخيرة (2012) على هيمنة المرشد (علي خامنئي) على مقاليد النظام قبل الانتخابات الرئاسية المقررة العام المقبل. كما أن هذه النتيجة سيقلص من مساحة دور الرئيس القادم، وعلى الأغلب سيكون من التيار المؤيد للمرشد، لاسيما مع خسارة الرئيس (نجاد) الكثير من المؤيدين له على خلفية خلافه مع المرشد.

- **سادساً:** من الصعب التنبؤ بحصول تغيرات كبرى في مستقبل التيار الإصلاحي، وفرصهم ضئيلة جداً في الانتخابات الرئاسية القادمة.

- **سابعاً:** تبقى السياسة الخارجية الإيرانية أسيرة لخط المرشد وتوجهاته مثلها مثل السياسة الداخلية للبلاد حتى وإن اختلف الانتماء الفكري والسياسي للرئيس عن المرشد.

- **ثامناً:** على الرغم من مظاهر الديمقراطية الشكلية للنظام الإيراني إلا أنه يبقى نظام سلطوياً دينياً، يتحكم المرشد الأعلى وتياره المحافظ بصنع القرار والحكم في البلاد.

- **تاسعاً:** من الصعب اسقاط النظام الإيراني، رغم كل المحاولات الغربية لاسقاطه ورغم تصاعد الأصوات الإيرانية المعارضة لسطوة المرشد والمطالبة بالديمقراطية والتعددية السياسية وذلك لسببين رئيسسين:

1. سيطرة النظام على مقاليد القوة العسكرية والاقتصادية والدينية، فقد قام النظام ببناء منظومة لعلاقات متشابكة صنعت نخباً متعددة تشكل شريحة واسعة تستفيد بشكل مباشر أو غير مباشر من استمرار النظام، ولديها الحافز والمبرر للدفاع عنه بكل ما أعطيت من قوة.

2. إن الطبيعة الخاصة للنظام الإيراني والمبني على أساس ديني وقومي يضم الغالبية العظمى للشعب الإيراني، والقائمة على أساس الإسلام الشيعي والقومية الفارسية، تجعل لهذا النظام مدافعين عنه بحجة القومية والدين، حتى وإن لم يكونوا من المستفيدين بشكل مباشرة من وجود النظام.

- **عاشراً:** من الصعب التنبؤ بامكانية تنازل إيران عن سياستها الطموحة بتطوير القوة العسكرية غير التقليدية وعلى رأسها القوة النووية، لأنها أحد ركائز دعم مكانتها في منطقة الشرق الأوسط، الهدف الإيراني القديم الجديد المستمر في المنطقة.

- **الحادي عشر:** من الصعب التنبؤ بامكانية تراجع إيران عن سياسة "تصدير الثورة"، تلك السياسة التي دعمت مكانة إيران وسهلت تغلغلها وبسط نفوذها، وجعلها تشكل أحد أقطاب الشرق الأوسط البارزين في المنطقة.

- **الثاني عشر:** لا يخرج دعم النظام الإيراني اليوم لنظام الرئيس (بشار الأسد) في سوريا عن حماية إيران لسياستها في المنطقة. فسوريا دولة رئيسية في حلف "تيار الممانعة" ضد تغلغل نفوذ الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط. كما يدعم النظام السوري الحالي حركة حزب الله في لبنان ويوفر سبل استمرار قوتها، وكذلك حركتي حماس الجهاد الإسلامي في فلسطين، فهزيمة نظام (بشار الأسد) في سوريا قد يؤدي إلى زعزعة بنية "تيار الممانعة" المدعوم إيرانياً بالكامل.

Journal of
Averroes University
in Holland

A quarterly periodical arbiter scientific journal

Correspondence

Lorsweg 4, 3771 GH, Barneveld
The Netherlands
Website www.averroesuniversity.org
E-mail ibnrushdmag@averroesuniversity.org

All published works are evaluated by experts of their own field of science and art.

Account number: Account number 489607721 :ABN AMRO
DE HEER T.A.A. AL ALOUSI H/O
AVERROES UNIVERSITY IN HOLLAND
LORSWEG4
3771GH
BARNEVELD
BIC ABNANL2A
IBAN NL35ABNA0489607721

The price of an issue is €10,00 or its equivalent in US dollar.

Annual contribution	**Individuals**	**Organizations**
Anuual	60	80
Two years	110	150
Three years	160	200

Fifth Issue Aprilr 2012

Journal of Averroes University in Holland

A scientific journal published quarterly

Issue 5 **Price €10,00**

